مقامات
ابى الفضل بديع الزمان الهمذانى

شرحها ووقف على طبعها

محمد محيى الدين عبد الحميد

(قررت وزارة المعارف العمومية هذا الكتاب بمدرسة دار العلوم)

(عنى بنشرها)

صاحب المكتبة الأزهرية

سنة ١٣٤٢ هـ — ١٩٢٣ م

مطبعة المقاصد بجوار قسم الجمالية بمصر

﴿ صحيفة الاهداء ﴾

لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ عبد الحميد ابراهيم
مفتي وزارة الاوقاف العمومية

سيدي الوالد

الى نفسك الطاهرة ، وحكمتك العالية ، وأدبك الجم ، وفضلك الغزير ، أقدم كتابي هذا

لقد ربيتني على الفضيلة ، وحببت الى العمل ، وزهدتني في الدعة والوني — وعند الله في ذلك جزاؤك فليس بيدي شيء منه ولا في استطاعتي ن أناله ولو رقيت أسباب السماء — ولكني أتقدم اليك بكتابي هذا برهانا على انك غرست فأثمرت ، وبذرت . فأنميت ودليلا على أن غراسك سيزداد نوا بمر الايام الى أن يؤتى أكله مرتين باذن الله ، والسلام ؟

نوفمبر سنة ١٩٢٣

محمد محيي الدين
عبد الحميد

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم انا نستعينك ونستهديك ، ونسترشدك ونسترضيك ، ونحمدك ونشكرك ، ونؤمن بك ونتوكل عليك ، ونسألك المزيد من صلاتك وسلامك ، والمترادف من آلائك وفضلك على سيدنا محمد بن عبد الله النبي الامي ، العربي الهاشمي ، وعلى آله وصحبه ، وعترته وحزبه (وبعد) فقد علقت الادب صغيراً ثم أحببته يافعاً ، فشابا ، ولا أزال في هذه السن أكرع من حياضه ، وأغترف من بحاره ، وقد كنت في مذاكرتي لا أجد بداً من التعليق على ما أقرأ ، ولا يسعني غير أن أكتب عنه بعض كلمات أرجع اليها اذا نسيت وأراجعها ، كلما غفلت وكان من سوالف الاقضية انى قرأت مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني فلم تتغير خطتى ، ولم أنهج سبيلا غير التى نهجته في غيرها ، وغبر على ذلك دهر طويل ، ثم علم (حضرة الاستاذ الشيخ محمد سعيد الرافعي الكتبي) بهذا فطلب الى أن آذنه باظهار هذه التعليقات للناس ، ولم يزل يحبب الى هذه الفكرة حتى تشجعت على قبولها ولعل فيها غناء لكثير من المطالعين عن المراجعة الطويلة وأعمال الفكر ، واجهاد القريحة ، فأكون قد أرحتهم وكفيتهم مؤونة ذلك بتعب ساعات قلائل اختلستها منذ زمن من أوقات فراغي والسلام ؟

محمد محيي الدين
عبد الحميد

ترجمة أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني

من هو ؟

الكاتب المترسل ، والشاعر المجيد ، قدوة الحريري ، وقريع الخوارزمي ووارث مكانته ، معجزة همذان ، ونادرة الفلك ، وفريد دهره رواية وحفظا ، وغرة عصره بديهة وذكاء ، أبو الفضل احمد بن الحسين بديع الزمان الهمذاني

نشأته ، ونباهة شأنه ، ووفاته

نشأ بهمذان احدى مدن فارس الشمالية ودرس العربية والادب وبرع فيهما ثم غادرها سنة ثمانين وثلثمائة وهو فتي السن غض الشباب وقد درس على أبي الحسين بن فارس وأخذ عنه جميع ما عنده واستنزف علمه واستنفد بحره وورد حضرة الصاحب أبي القاسم فتزود من أدبه الجم وحسن آثاره ثم قدم جرجان وأقام بها مدة على مداخلة جماعة الاسماعيلية والتعيش في أكنافهم والاقتباس من أنوارهم واختصه أبو سعد محمد بن منصور بمزيد الفضل واسداء المعروف ثم اعتزم نيسابور وشد اليها رحله فأعانه أبو سعد وأحسن امداده فوافاها سنة اثنين وثمانين وثلثمائة ونشر فيها بزه وأظهر طرزه وأملى اربعمائة مقامة نحلها أبا الفتح الاسكندري فى الكدية ونحوها بلفظ رشيق وسجع رقيق . نسج الحريرى على منوالها ، وهيهات أن يدرك الظالع شأو الضالع ، ثم شجر بينه وبين أبى بكر الخوارزمي ما كان سببا لهبوب ريح الهمذانى ، وعلو أمره ، وقرب نجحه ، وبعد صيته اذ لم يكن فى الحسبان أن أحداً من الادباء والكتاب والشعراء ينبرى لمباراة الخوارزمي ، أو يجترىء على مجاراته ، ولما تصدى البديع لمساجلته ، وجرت بينهما مكاتبات ، ومباهات ، ومناظرات ، ومناضلات ، وأفضى السنان الى الفنان ، وقرع النبع بالنبع ، وجري من الترجيح بينهما ما يجرى بين الخصمين المتحاكين ، والقرنين

المتصاولين : — طار ذكر الهمذاني وارتفع عند الملوك والرؤساء . ثم مات الخوارزمي فخلا له الجو ، وحسنت حاله ، ونعم باله ، ورفه عيشه ولم يبق من بلاد خراسان وسجستان بلدة الادخلها ، واستفاد خيرها ، ثم استوطن هراة وخار له الله في مصاهرة أبي علي الحسين بن محمد أحد أعيانها العماء فانتظمت أحواله ، وقرت عينه وقوي ساعده ، ولكن المنية عاجلته وهو في سن الاربعين سنة ثمان وتسعين وثلثمائة

شيء من أخلاقه وصفاته

لئن كان شعره ينم عن بديهة حاضرة ، وذكاء واسع ، فانه يدل أيضاً على خلق فاضل ونفس عالية . قال عنه صاحب اليتيمة : وكان مقبول الصورة ، خفيف الروح ، حسن المشرة ، ناصع الطرف ، عظيم الخلق ، شريف النفس ، كريم العهد خالص الود ، حلو الصداقة ، مر العداوة اه . وتلك خلال لم يذكرها أبو منصور جزافا ولكنه عرفها عنه . وهذا شعره — والشعر حديث النفس ووحي الضمير — ناطق بذلك

مختارات من كلامه

البديع شاعر ناثر وهو في كليهما قد ضرب بسهم بعيد المرمى ، واغترف من بحر عميق الغور الا انه البحر العذب الفرات وأن مقاماته التي بين أيدينا والتي عنينا بالتعليق عليها لخير مثال من النثر البارع ، وله سواها رسائل ربما أمكنتنا الظروف من نشرها ولكننا نوردمنها قطعة تنبيء عن اقتداره وتفوقه

كتب الى الامير أبي نصر الميكالي يقول :

كتابي ، أطال الله بقاء الامير ، وبودي أن أكونه — فأسعد به دونه ولكن الحريص محروم ، لو بلغ الرزق فاه . لولاه قفاه . وبعد فان لي في مفاتحته ثقة تعدويدا ترتعد ، ولم ذاك ، والبحر وان لم أره ؟ فقد سمعت خبره ، ومن

أي من السيف أثره ، فقد رأي اكثره ، واذ لم ألقه ، فلم أجهل الاخلقه ، وما وراء ذلك من تالد أصل ونسب ، وطارف فضل وأدب ، فمعلوم تشهد به الدفاتر ، والخبر المتواتر وتنطق به الاشعار ، كما تخلف عليه الآثار ، والعين أقل الحواس ادراكا ، والاذن أكثرها استمساكا

وهو في شعره لم يقصر عن نثره وربما كان شعره أمتن لفظا، وأروع معنى منه من قصيدة مدح بها الامير أبا علي :

أبى المقام بدار الذل بي كرم ... وهمة تصل التوخيد والخببا
وعزمة لا تزال الدهر ضاربة ... دون الامير وفوق المشترى طنبا
يا سيد الامراء افخر فلا ملك ... الا تمناك مولى واشتهاك أبا
وكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا ... لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت ... والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

وكم وددت لو استقصيت عنه كثيرا ولكني أرجىء ذلك الى مرة أخرى

﴿ اَلْمَقَامَةُ ٱلْقَرِيضِيَّةُ (١) ﴾

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ (٢) قَالَ : طَرَحَتْنِي ٱلنَّوَى مَطَارِحَهَا (٣) حَتَّى إِذَا وَطِئْتُ جُرْجَانَ ٱلْأَقْصَى . فَٱسْتَظْهَرْتُ عَلَى ٱلْأَيَّامِ بِضِيَاعٍ أَجَلْتُ فِيهَا يَدَ ٱلْعِمَارَةِ (٤) ، وَأَمْوَالٍ وَقَفْتُهَا عَلَى ٱلتِّجَارَةِ (٥) ، وَحَانُوتٍ جَعَلْتُهُ مَثَابَةً (٦) ، وَرُفْقَةٍ ٱتَّخَذْتُهَا صَحَابَةً (٧) . وَجَعَلْتُ لِلدَّارِ حَاشِيَتَيِ ٱلنَّهَارِ (٨) . وَلِلْحَانُوتِ مَا بَيْنَهُمَا . فَجَلَسْنَا يَوْماً نَتَذَاكَرُ ٱلْقَرِيضَ وَأَهْلَهُ وَتِلْقَاءَنَا شَابٌّ قَدْ جَلَسَ غَيْرَ بَعِيدٍ يُنْصِتُ وَكَأَنَّهُ

---

(١) المقامة في أصل اللغة المجلس يجتمع فيه الناس ثم استعملها الأدباء في الخطبة أوالعظة وكأنهم أرادوا أن الشأن فى هذين ألقاؤهما في الاندية والمحافل ثم خصوها بالقصص التي يتحدثون بها عن ألسنة قوم يسمونهم رواة — أن حقيقة أوخيالا — ويجيئون فيها بالاغراض المختلفة (٢) اعتاد أصحاب المقامات أن يتخذوا لهم راويا يتحدثون باسمه ـ كما ذكرنا ـ وقد جعل البديع راويه عيسى بن هشام كما اتخذ الحريرى الحرث بن همام واصطلحوا علىأن تكون ملحهم ونوادرهم عن رجل آخر وهو هنا أبو الفتح الاسكندرى رف المقامات الحريريه ابوزيد السروجى (٣) طرحه وطرح به : رماه وأبعده ، والنوى : الغربة (٤) جرجان : مدينة كانت قديما عاصمة بلاد خوارزم وتعتبر الآن من بلاد التتار ، استظهر عليه : استعان ، الضياع : جمع ضيعه وهى العقار والارض المغلة ، أجال : حرك (٥) حبس أمواله وقفها أي جعلها خاصة به (٦) الحانوت : دكان الخمار ، ومثابة فلان : مكان اقامته ومرجعه (٧) صحابه بفتح أوله وكسره : خلطاء (٨) حاشيتا النهار : أوله وآخره

يَفْهمُ . ويَسْكُتُ وكأنَّهُ لا يَعْلَمُ (١) حَتَّى إِذَا مَالَ الْكَلَامُ بِنَا مَيْلَهُ وَجَرَّ الْجِدَالُ فِينَا ذَيْلَهُ . قَالَ : قَدْ أَصَبْتُمْ عُذَيْقَهُ . وَوَافَيْتُمْ جُذَيْلَهُ وَلَوْ شِئْتُ لَلَفَظْتُ وَأَفَضْتُ . وَلَوْ قُلْتُ لَأَصْدَرْتُ وَأَوْرَدْتُ وَجَلَوْتُ الْحَقَّ فِي مَعْرِضِ بَيَانٍ يُسْمِعُ الصُّمَّ . وَيُنْزِلُ الْعُصْمَ . فَقُلْتُ : يَافَاضِلُ أُدْنُ فَقَدْ مَنَّيْتَ . وَهَاتِ فَقَدْ أَثْنَيْتَ . فَدَنَا وَقَالَ : سَلُونِي . أُجِبْكُمْ . وَاسْمَعُوا أُعْجِبْكُمْ (٢)

---

(١) يقول : أنه مازال رهين أسفار وأليف حل وترحال تقذفه النوى وتقيمه حتى اذا أناخ ركبه بجرجان وألقى فيها عصاه استعان على الدهر باصلاح ضياع جعلها موردا وبالاتجار في أموال تخذها رفدا ومعينا

وأنه لم ينس نفسه من لذة الرفاق والندمان فجعل أقامته فى حانوت يختلف اليه بين طرفى النهار . وأنهم ليتذاكرون الشعر يوما (وقد جلس أمامهم فتي علم من أساريره أنه يفهم لما يقولون لانه يصغي اصغاء الذي يعلم ولكنه كان صامتا حتى ليتوهمه الناظر جاهلا لا يستطيع الابانة) اذ تشعبت أمامهم طرق المذاكرة واستفاض الحديث وكثرت فنون القول

(٢) العذق — بفتح أوله — : النخلة بما عليها والعذيق : مصغره والمقصد التعظيم ، والجذل : بالفتح والكسر — عود ينصب للجربى لتحتك به ، وهو يشير الى قول الحباب بن المنذر : (أنا عذيقها المرجب ، وجذيلها المحكك) يريد أنه الذي يرجع اليه ويعتمد عليه ، وأفاض فى الحديث : اندفع ، وتكلم فأفاض : أفصح وأبان والورود : الاشراف على الماء وأتيانه ، والصدور : الرجوع عنه يريد أنه سيحدثهم حديثا مختلفا وسيجعل كلامه ذا فنون وأساليب

فَقُلْنَا : مَا تَقُولُ فِي امْرِيءِ الْقَيسِ ؟ [١] قَالَ : هُوَ أَوَّلُ مَنْ وَقَفَ بِالدِّيَارِ وَعَرَصَاتِهَا [٢] . وَاغْتَدَى وَالطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا [٣] . وَوَصَفَ الْخَيْلَ بِصِفَاتِهَا . وَلَمْ يَقُلِ الشِّعرَ كَاسِبًا [٤]

متفاوته ، يسمع الصم مثله قول المتنبي

أنا الذى نظر الاعمى الي أدبي   وأسمعت كلماتى من به صمم

يقول : أنه حينما كثر بيننا الجدل وتعددت أمامنا السبل واختلفت موارد الاحاديث وتعددت أطراف القول قال لنا ذلك الفتى : لقد وجدتم صاحب الامر فى البيان وأنى لوشئت أن أتكلم لما تركت شاردة ولا واردة ولجئتكم بالذى يأخذكم العجب منه

(١) هو ذو القروح الملك الضليل أبو الحرث حندج بن حجر الكندي شاعر اليمانية ورأس شعراء الجاهلية وقائدهم الى التفنن في أبواب الشعر وضروبه والمقدم في الطبقة الاولي منهم

(٢) من ذلك قوله :

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان   وربع عفت آياته منذ أزمان

وقوله :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

(٣) الوكنات : أعشاش الطير ، ومن ذلك قوله وفيها يصف الخيل

وقد اغتدي والطير فى وكناتها   بمنجرد قيد الاوابد هيكل

مكر مفر مقبل مدبر معا   كجلمود صخر حطه السيل من عل

(٤) يريد أنه لم يقصد بشعره المال ولم يقله رغبة فى الدنيا وحبا في الجمع كعادة الشعراء

وَلَمْ يُجِدِ ٱلْقَوْلَ رَاغِباً [١] . فَفَضَلَ مَنْ تَفَتَّقَ لِلْحِيلَةِ لِسَانُهُ . وَٱنْتَجَعَ لِلرَّغْبَةِ بَنَانُهُ [٢] ، قُلْنَا : فَمَا تَقُولُ فِي النَّابِغَةِ ؟ [٣] ، قَالَ : يَثْلِبُ إِذَا حَنِقَ ، [٤] وَيَمْتَدِحُ إِذَا رَغِبَ [٥] ، وَيَعْتَذِرُ إِذَا رَهِبَ [٦] ، فَلَا يَرْمِي إِلَّا صَائِباً ، قُلْنَا : فَمَا تَقُولُ فِي زُهَيْرٍ ؟ [٧] قَالَ : يُذِيبُ الشِّعْرَ وَالشِّعْرُ

---

(١) يعنى انه كانت تواتيه الالفاظ وتجيئه عفوا فلم يكن يتعمد الاجادة ولكنه أجاد عن غير قصد واستوى على عرش البيان دون مجهود وانما الطبيعة والسليقة كانتا سبب نبوغه وتفوقه

(٢) فضل : زاد رفعة وقدرا ، يعنى أنه سما على هؤلاء الذين لم تحرك ألسنتهم غير الرغبة فى المال ولم ينطقهم بالشعر الا انتجاع الكرماء والذهاب الى المياسير وأناف على غواربهم فكان أبعدهم شأوا وأفضلهم مقولا وأجودهم شعرا

(٣) هو النابغة الذبيانى أبو أمامة زياد بن معاوية أحد فحول الشعراء فى الجاهلية وزعيمهم بعكاظ أحسنهم ديباجة وجلاء معنى والطف اعتذار وانما لقب بالنابغة لتفوقه فى الشعر فجاءة وهو كبير بعد أن امتنع عليه وهو صغير

(٤) أى أنه يسب ويشتم ويقذع فى الهجاء اذا اشتد به الغضب وثارت فى نفسه الحدة (٥) يعنى انه اذا أراد مدح المدح الذى يخرس الالسنة ويعجز الفصحاء (٦) النابغة أكثر الشعراء تفننا فى الاعتذار وأبرعهم سبكا وأرقهم عذرة وألطفهم تدخلا الى القلب ومن بديع اعتذاراته قوله :

أتاني أبيت اللعن انك لمتني وتلك التى أهتم منها وأنصب

فبت كأن العائدات فرشن لي هراسا به يعلي فراش ويقشب

(٧) هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزنى ثالث فحول الطبقة الاولى.

يُذِيبُهُ . وَيَدْعُو الْقَوْلَ وَالسِّحْرُ يُجِيبُهُ (١)، قُلْنَا : فَمَا تَقُولُ فِي طَرَفَةَ؟ قَالَ : هُوَ مَاءُ الأشْعَارِ وَطِينَتُهَا . وَكَنْزُ الْقَوَافِي وَمَدِينَتُهَا . مَاتَ وَلَمْ تَظْهَرْ أَسْرَارُ دَفَائِنِهِ . وَلَمْ تفتح أغلاقُ خزائِنِهِ (٢)، قُلْنَا : فَمَا تَقُولُ فِي جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ (٣)؟ أَيُّهُمَا أَسْبَقُ؟ فَقَالَ : جَرِيرٌ أَرَقُّ شِعْراً . وَأَغْزَرُ غَزْراً (٤)

---

(١) يريد انه ساس القياد للشعر من الجاهلية وأعفهم قولا ، وأوحرهم لفظا وانه ملك زمامه فاذا قال سحر القلوب واستهوى الافئدة واسترعى الاسماع

(٢) طرفة بن العبد هو عمرو بن العبد البكرى أقصر فحول الجاهلية عمرا وأجودهم طويلة وأوصفهم للناقة

(٣) جرير هو : أبو حزرة جرير بن عطية بن الخطفى التميمي اليربوعي أحد فحول الشعراء الاسلاميين وبلغاء المداحين الهجائين وأنسب ثلاثتهم (هو والفرزدق والاخطل) المفلقين ولد باليمامة سنة ٤٢ هـ من بيت اشتهر بالشعر ونشأ بالبادية وفيها قال الشعر ونبغ فيه . والفرزدق : هو أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي أحد ثلاثة الشعراء الامويين وأجزل المقدمين في الفخر والمدح والهجاء ولد سنة ١٩ هـ ونشأ بالبصرة بين فصحاء آبائه وقومه منذ أول تمصيرها وهي يومئذ حاضرة العرب فلم تختلط لهجته بعجمة ولا لحن فأراده أبوه على رواية الشعر ونظمه فرواه ونظمه وبرع فيه ، والمفاضلة بينهما كالمفاضلة بين كل شاعرين عشرة لا يتهجم عليها ولا تجوز لناقد ونهي المفاضلة بحيث يقال : ان فلانا اشعر من فلان على الاطلاق وعندي ان الذي ذكره البديع من الاذعان لاحدهما بنوع وللآخر بفن خير ما يذكره حكم منصف

(٤) أغزر : أكثر والمعنى : أن جريراً يفوق صاحبه كثرة في معانيه

وَالفَرَزْدَقُ أَمتَنُ صخراً . وأَكثرُ فخراً (١) وَجَرِيرٌ أَوجَعُ هَجْواً . وَأَشرَفُ يَوْماً (٢) ، وَالفرَزْدَقُ أَكْثَرُ رَوْماً . وَأَكْرَمُ قَوْماً . وَجَرِيرٌ إذَا نَسَبَ أَشْجَى . وَإذَا ثَلَبَ أَرْدَى . وَإذَا مَدَحَ أَسْنَى . وَالفَرَزْدَقُ إذَا افْتَخَرَ اجزَى . وَإذَا احتَقَرَ أَزْرَى . وَإذَا وَصَفَ أَوْفَى . قُلْنَا : فَمَا تَقُولُ فِي الْمُحْدَثِينَ مِنَ الشُّعَرَاءِ وَالْمُتَقَدِّمِينَ مِنْهُمْ . قَالَ : الْمُتَقَدِّمُونَ أَشْرَفُ لَفظاً . وَأَكْثَرُ مِنَ الْمَعَانِي حَظّاً . وَالْمُتَأَخِّرُونَ أَلْطَفُ صُنْعاً . وَأَرَقُّ نَسجاً (٣) ، قُلْنَا : فَلَوْ أَرَيْتَ مِنْ اشعَارِكَ . وَرَوَيْتَ لَنَا مِنْ أَخْبَارِكَ . قَالَ : خُذْهُمَا فِي مَعْرِضٍ وَاحِدٍ وَقَالَ :

---

(١) أي انه متمكن من القول قادر على صقله وتصريفه وهو فخور بنسبه صاف بمجده (٢) بريد أنه أكرم من صاحبه حاضرا أي أنه أفضل فى نفسه من صاحبه وقد فسره الأستاذ الامام بمعنى انه أشرف ذكرا لايام قومه

(٣) شجر بين الادباء وصيارف الكلام خلاف أي الفريقين خير منزلة فى الأدب وأحسن مقاما فيه ؟ القدماء وهم شعراء دولة بنى أمية وما قبلها أو المتأخرون وهم شعراء الدولة العباسية وماوليها ، وتعصب جماعة لهؤلاء ورأى قوم الفضل لاولئك غيرأن القول الفصل هوالذي ذكره ابو العباس في الكامل حيث يقول :

وليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحدثان العهد يهتضم المصيب ولكن يعطى كل ذى حق حقه وذلك رأى البديع فى حكمه

أَمَا تَرَوْنِي أَتَغَشَّى طِمْرَا   مُمْتَطِياً فِي الضُّرِّ أَمْراً مُرَّا (١)
مُضْطَبِناً عَلَى اللَّيَالِي غِمْرَا   مُلَاقِياً مِنْهَا صُرُوفاً حُمْرَا (٢)
أَقْصَى أَمَانِيَّ طُلُوعُ الشِّعْرَى   فَقَدْ عُنِينَا بِالْأَمَانِي دَهْرَا (٣)
وَكَانَ هٰذَا الْحُرُّ أَعْلَى قَدْرَا   وَمَاءُ هٰذَا الْوَجْهِ أَغْلَى سِعْرَا
ضَرَبْتُ لِلسَّرَّا قِبَاباً خُضْرَا   فِي دَارِ دَارَا وَإِوَانِ كِسْرَى (٤)
فَانْقَلَبَ الدَّهْرُ لِبَطْنٍ ظَهْرَا   وَعَادَ عُرْفُ الْعَيْشِ عِنْدِي نُكْرَا (٥)
لَمْ يَبْقَ مِنْ وَفْرِيَ إِلَّا ذِكْرَا   ثُمَّ إِلَى الْيَوْمِ هَلُمَّ جَرَّا (٦)
لَوْلَا عَجُوزٌ لِي بِسُرَّ مَنْ رَا   وَأَفْرُخٌ دُونَ جِبَالِ بُصْرَى
قَدْ جَلَبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ ضُرَّا   قَتَلْتُ يَا سَادَةُ نَفْسِي صَبْرَا (٧)

---

(١) أتغشى طمرا : اجعل غسائي ثوبا خلقا ، وممتطيا أمرا مرا : راكبا العسرة والشدة ملاقيا منهما مثل ما يلقاه راكب الصعبة من الآلام (٢) مضطبنا : حاملا ، غمرا : غلا ، والصروف الحمر : أشد الكوارث وأصعبها والمعنى انه يحمل الموجدة على الليالي لطول مارمته بالبلايا وشدة ما يجد من كروبها (٣) أبعد ما أتمناه أن يظهر ذلك النجم المسمى بالشعرى لانه انما يظهر حين يشتد الحر وتلك أمنية العاري الذي لايجد ثوبا يقيه زمهرير البرد
(٤) أي كنت مثريا ذا بسطة من المال وكانت النعمة ظاهرة علي والوفر تشهد دلائله وتحتج لي علاماته (٥) ثم تحول الدهر عني وأصبح طيب العيش ولا صلة له بي وما أمت الا للفاقة والعوز اللذين كنت أنكرهما (٦) ولم تبق لي من ثروتي وجاهي غير الذكريات المؤلمة (٧) ولولا زوجي العجوز التي

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ . فَأَنْلْتُهُ مَا نَاحَ . وَأَعْرَضَ عَنَّا فَرَاحَ . فَجَعَلْتُ أَنْفِيهِ وَأُثْبِتُهُ . وَأُنْكِرُهُ وَكَأَنِّي أَعْرِفُهُ . ثُمَّ دَلَّتْنِي عَلَيْهِ ثَنَايَاهُ . فَقُلْتُ الْإِسْكَنْدَرِيُّ وَاللهِ . فَقَدْ كَانَ فَارَقَنَا خِشْفًا . وَوَافَانَا جِلْفًا . وَنَهَضْتُ عَلَى أَثَرِهِ . ثُمَّ قَبَضْتُ عَلَى خَصْرِهِ . وَقُلْتُ : أَلَسْتَ أَبَا الْفَتْحِ ؟ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ؟ فَأَيُّ عَجُوزٍ لَكَ بِسُرَّ مَنْ رَا ؟ فَضَحِكَ إِلَيَّ وَقَالَ :

وَيْحَكَ هٰذَا الزَّمَانُ زُورُ فَلَا يَغُرَّنَّكَ الْغُرُورُ
لَا تَلْتَزِمْ حَالَةً وَلٰكِنْ دُرْ بِاللَّيَالِي كَمَا تَدُورُ

﴿ الْمَقَامَةُ الْأَزَاذِيَّةُ ﴾

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ بِبَغْدَاذَ (١)

تقيم بسر من را وأبنائي الذين يقطنون قريبا من جبال البصرى ولولا كراهيتي أن يموت هؤلاء بموتى والا يجدوا عائلا بعدي لما وسعني المقام في هذه الحياة الفانية مع هذا البؤس الاليم والضنك الملازم

(١) بغداد مدينة السلام التي اختط فيها ابو جعفر المنصور قاعدة المملكة العباسية سنة ١٤٥ ه وكانت قبل ذلك من بناء الفرس ولم يتخذوها حاضرة وتسمى : مدينة المنصور والزوراء وبغداد بدالين مهملتين أو ذالين معجمتين أو بمعجمة فمهملة أو عكسه وبغدان وبغدام بالمعجمة أو المهملة فيهما وبغدين

وَقْتَ الْأَزَاذِ (١) . فَخَرَجْتُ أَعْتَامُ (٢) مِنْ أَنْوَاعِهِ . لِابْتِيَاعِهِ . فَسِرْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ إِلَى رَجُلٍ قَدْ أَخَذَ أَصْنَافَ الْفَوَاكِهِ وَصَنَّفَهَا (٣) . وَجَمَعَ أَنْوَاعَ الرُّطَبِ وَصَفَّفَهَا . فَقَبَضْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ . وَقَرَضْتُ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ أَجْوَدَهُ . فَحِينَ جَمَعْتُ حَوَاشِيَ الْإِزَارِ . عَلَى تِلْكَ الْأَوْزَارِ . أَخَذَتْ عَيْنَايَ رَجُلاً قَدْ لَفَّ رَأْسَهُ بِبُرْقُعٍ حَيَاءٍ . وَنَصَبَ جَسَدَهُ . وَبَسَطَ يَدَهُ . وَاحْتَضَنَ عِيَالَهُ . وَتَأَبَّطَ أَطْفَالَهُ . وَهُوَ يَقُولُ بِصَوْتٍ يَدْفَعُ الضَّعْفَ فِي صَدْرِهِ . وَالْحَرَضَ فِي ظَهْرِهِ :

وَيْلِي عَلَى كَفَّيْنِ مِنْ سَوِيقِ ... أَوْشَحْمَةٍ تُضْرَبُ بِالدَّقِيقِ (٤)

ومغدان ، بها محلات كثيرة وكانت مشهورة بالحمامات والبساتين وقد أقيم فيها نيف وثلاثون مدرسة استقت الامة فيهااذذاك عذب العلم وكوثرالصافى وماءه النمير ، وهواؤها عليل وريحها رخاء وجوها ممنبر الارجاء (١) الازاذ نوع من التمر (٢) اعتام : اقصد أو انتقى (٣) صنف الفاكهة . جعل كل نوع منها على حدة . يقول انه خرج الى سوق بغداد ينتقي نوعا من التمر ليشريه فلما كان هناك الفي رجلا ميز انواع الفاكهة واجتمعت عنده صنوف الرطب فأخذ أطايب ما عنده وابتاع اجارده فلما جمع أمره وتهيأ ليحمل وقره وهم بأن يرجع بصر برجل انتحى ناحية واجتهد في اخفاء نفسه واظهار مسغبته وبؤسه .

(٤) السويق : جريش الشعير أوالقمح يقليان قليا خفيفا ، تضرب : تخلط

أوْ قَصْعَةٍ تُمْلأُ مِنْ خِرْدِيقِ ... يَفْثَأُ عَنَّا سَطَوَاتِ الرِّيقِ (١)

يُقِيمُنَا عَنْ مَنْهَجِ الطَّرِيقِ ... يَارَازِقَ الثَّرْوَةِ بَعْدَ الضِّيقِ (٢)

سَهِّلْ عَلَى كَفِّ فَتًى لَبِيقِ ... ذِي نَسَبٍ فِي مَجْدِهِ عَرِيقِ

يَهْدِي إِلَيْنَا قَدَمَ التَّوْفِيقِ ... يُنْقِذُ عَيْشِي مِنْ يَدِ التَّرْنِيقِ (٣)

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَأَخَذْتُ مِنَ الْكِيسِ أَخْذَةً وَنَاوَلْتُهُ إِيَّاهَا فَقَالَ:

يَامَنْ عَنَانِي بِجَمِيلِ بِرِّهِ ... أَفْضِ إِلَى اللهِ بِحُسْنِ سِرِّهِ

وَاسْتَحْفِظِ اللهَ جَمِيلَ سَتْرِهِ ... إِنْ كَانَ لَاطَاقَةَ لِي بِشُكْرِهِ

فَاللهُ رَبِّي مِنْ وَرَاءِ أَجْرِهِ

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ فِي الْكِيسِ فَضْلاً (٤)

واذا خلط الشحم بالدقيق كان عصيده . يتلهف على ملء كميه من السويق أو قليل من العصيدة (١) الخرديق: المرق، يفثأ: يسكن، الريق: اللعاب وهو ماء الفم، يقول: أني أعي قصعة تملأ من المرق ويغمر فيها الميش حتى يكون ثريدا ليسكن صولة الريق وعادة الجوعان أن يجري لعابه اذا اشتم رائحة القدور أو تذكر أنواع المآكل (٢) يقول: أنه لو حصل على مشتهاه لكان فى ذلك أقالة له من عثرته وانتشالا له من وهدة انطراحه على الطريق (٣) اللبيق: الحاذق، الترنيق: التكدير، يدعو الله لنفسه أن يدل عليه فتى حاذقا رحيم القلب ليعطف على حاله ويشفق به فيسد خلته ويذهب عوزه ويهبه رشفة من الراحة لتصفو حاله ويعذب مورده (٤) أى انى لم أعطك كل مامعي وان فى

فَأَبْرُزْ لِي عَنْ بَاطِنِكَ أُخْرِجْ إِلَيْكَ عَنْ آخِرِهِ (١) ، فَأَمَاطَ لِثَامَهُ (٢) فَإِذَا وَاللهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ . فَقُلْتُ : وَيْحَكَ أَيُّ دَاهِيَةٍ أَنْتَ ؟ فَقَالَ :

فَقَضِّ الْعُمْرَ تَشْبِيهاً   عَلَى النَّاسِ وَتَمْوِيهاً
أَرَى الْأَيَّامَ لاَ تَبْقَى   عَلَى حَالٍ فَأَحْكِيهاً
فَيَوْماً شَرُّهَا فِيَّ   وَيَوْماً شَرِّيَ فِيهَا (٣)

(١) ﴿ الْمَقَامَةُ الْبَلْخِيَّةُ ﴾

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : نَهَضَتْ بِي إِلَى بَلْخَ تِجَارَةُ الْبَزِّ

كيسي لبقية (١) فلاتدم على استتارك واخفاء نفسك بل أظهرلي حقيقتك لاعطيك ماأبقيته (٢) الاماطة : الازالة وأماط لثامه . كشف عن وجهه بازالة الحجاب (٣) تشبيها . تلبيسا ، تمويها . أخفاء ، وأصله ان يطلى النحاس بالفضة أوالذهب فلا يبين أمره ولا تظهر حقيقته واستعير لكل شيء يبدو في غير منظره ، والشرة ، النشاط والقوة يقول . افن عمرك فى التلبيس على الناس ولا تبد أمامهم بمظهرك وحاول أن تخدعهم بلبوس غير لبوسك وتغرهم بتمويهك وخلابتك فأن الايام سريعة التقلب وشيكة التغير لاتدوم على صفة ولا تنهج خطة واحدة حتى تتشبه بها فى ثباتك لانها تناوئنى حينا فتقهرني وتارة أناوئها فاقهرها

فَوَرَدْتُهَا وَأَنَا بِغُدْوَةِ الشَّبَابِ وَبَالِ الفَرَاغِ وَحِلْيَةِ الثَّرْوَةِ لاَ يُهِمُّنِي إلاَّ مُهْرَةُ فِكْرٍ أَسْتَقِيدُهَا أَوْ شَرُودٌ مِنَ الْكَلِمِ أَصِيدُهَا . فَمَا اسْتَأْذَنَ عَلَى سَمْعِي مَسَافَةَ مُقَامِي أَفْصَحُ مِنْ كَلاَمِي . وَلَمَّا حَنَى الْفِرَاقُ بِنَاقُوسَهُ أَوْكَادَ دَخَلَ عَلَيَّ شَابٌّ فِي زِيٍّ مِلْءِ الْعَيْنِ . وَلِحْيَةٍ تَشُوكُ الأَخْدَعَيْنِ . وَطَرْفٍ قَدْ شَرِبَ مَاءَ الرَّافِدَيْنِ . وَلَقِيَنِي مِنَ الْبِرِّ فِي السِّنَاءِ . بِمَا زِدْتُهُ فِي الثَّنَاءِ . ثُمَّ قَالَ : أَظَعْنًا تُرِيدُ ؟ فَقُلْتُ : أَيْ وَاللهِ فَقَالَ : أَخْصَبَ رَائِدُكَ . وَلاَ ضَلَّ قَائِدُكَ . فَمَتَى عَزَمْتَ ؟ فَقُلْتُ : غَدَاةَ غَدٍ . فَقَالَ :

صَبَاحُ اللهِ لاَ صُبْحُ انْطِلاَقٍ وَطَيْرُ الْوَصْلِ لاَ طَيْرُ الْفِرَاقِ(١)

---

(١) بلخ مدينة واقعة فى شمال جبال هندكوش غربى بدخشان جنوب نهر جيحون ، ونهض بي ومثله أنهضنى : أقامني ، والبز : الثياب أوما نسج من القطن خاصة ، بال الفراغ أبانه ، واستقيدها اطلب انقيادها ، وحنى . عطف ، والاخدعان عرقان فى صفحة العنق ، والسناء — بكسر أوله — المقابلة والمداناة ، اخصب رائدك : أي لقيت خصبا ونزلت مربعا معشبا ، والبيت معناه . الدعاء بالبركة واليمن والمعني ، بعثني التجارة الى بلخ فجئتها وانا فى القوة موفور النعمة ناعم البال لاابحث الاعن الشوارد من الكلم والجوامع من الافكار لعلي اكتسب من سفري ماانا كاف به شديد الحرص عليه ولم ازل بعيد الاجابة نائي الطلبة الى ان اوشكت العودة واذا شاب دخل على حسن البزة جميل الطلعة صافي العين كانها ماء دجلة والفرات طويل اللحية

فَأَيْنَ تُرِيدُ ؟ قُلْتُ الْوَطَنَ . فَقَالَ : بَلَّغْتَ الْوَطَنَ . وَقَضَيْتَ الْوَطَرَ . فَمَتَى الْعَوْدُ ؟ قُلْتُ : الْقَابِلَ . فَقَالَ : طَوَيْتَ الرَّيْطَ . وَثَنَيْتَ الْخَيْطَ (١) . فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْكَرَمِ ؟ فَقُلْتُ : بِحَيْثُ أَرَدْتَ . فَقَالَ : إِذَا أَرْجَعَكَ اللهُ سَالِمًا مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ . فَاسْتَصْحِبْ لِي عَدُوًّا فِي بُرْدَةِ صَدِيقٍ . مِنْ نِجَارِ الصُّفْرِ . يَدْعُو إِلَى الْكُفْرِ وَيَرْقُصُ عَلَى الظُّفْرِ (٢) . كَدَارَةِ الْعَيْنِ . يَحُطُّ ثِقَلَ الدَّيْنِ . وَيُنَافِقُ بِوَجْهَيْنِ (٣) . قَالَ عِيسَى ابْنُ هِشَامٍ : فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَلْتَمِسُ دِينَاراً . فَقُلْتُ : لَكَ ذَلِكَ نَقْداً . وَمِثْلُهُ وَعْداً . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

فلقيني لقاء محفوف بالكرامة ، محاطا بالتجلة ، مما جعلني ازيده تزكية ومديحا ومازال يسألني عن سفري واجيبه فيدعو لي بالرغد بأسلوب بديع وعبارات جزلة

(١) الريط ، الملاءة، والخيط معروف: والمقصود بالجملتين الدعاء له بالمودة الى بلخ في قابل ، أى طويت أيام البعد وثنيت خيطها ليكون طرفها الاخير مكان طرفها الاول (٢) البردة: الثوب والنجار: الاصل ، ومعنى كونه عدوا فى ثياب صديق ان ظاهره يخدع ويأخذ الالباب فاذا اغتربه المرء قلب له ظهر المجن ، ويدعو الى الكفر . لان من تمامس بالدينار في غير وجوه الحل ربما انحدر الى الكفر . ويرقص على الظفر ، لان عادة النقاد من الصيارفة أن يجعلوا الدينار فوق اظافر أبهامهم ويضربوه بثان ليتكشف لهم حاله وارجع لغة فى رحم رديئه والفصيح رجمه (٣) كدارة العين . مستدير مثلها وينافق بوجين لان على كل من وجهيه نقوشا ليست على الوجه الآخر فهو يشبه المنافق الذي يلقاك

وَأَيُّكَ مِمَّا خَطَبْتُ أَعْلَى   لاَ زِلْتَ لِلْمَكْرُمَاتِ أَهْلاَ
صَلُبْتَ عُوداً وَدُمْتَ جُوداً   وَفُقْتَ فَرْعاً وَطِبْتَ أَصْلاَ
لاَ أَسْتَطِيعُ الْعَطَاءَ حَمْلاً   وَلاَ أُطِيقُ السُّؤَالَ ثِقْلاَ (١)
قَصُرْتُ عَنْ مُنْتَهَاكَ ظَنًّا   وَطُلْتَ عَمَّا ظَنَنْتُ فِعْلاَ
يَا رُجْبَةَ الدَّهْرِ وَالْمَعَالِي   لاَ لَقِيَ الدَّهْرُ مِنْكَ ثُكْلاَ (٢)

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَنِلْتُهُ الدِّينَارَ وَقُلْتُ أَيْنَ مَنْبِتُ هٰذَا الْفَضْلِ فَقَالَ نَمَتْنِي قُرَيْشٌ وَمُهَدِّلِي الشَّرَفُ فِي بَطَائِحِهَا فَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ أَلَسْتَ بِأَبِي الْفَتْحِ الْإِسْكَنْدَرِيِّ. أَلَمْ أَرَكَ بِالْعِرَاقِ. تَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ. مُكَدِّياً بِالْأَوْرَاقِ (٣). فَأَنْشَأَ يَقُولُ.

إِنَّ لِلّٰهِ عَبِيداً أَخَذُوا الْعُمْرَ خَلِيطَا
فَهُمْ يُمْسُونَ أَعْرَاباً وَيُضْحُونَ نَبِيطَا (٤)

بوجه ويلقي عدوك بوجه (١) يثني عليه ويتمدحه بأنه أجابه الى أكثر من طلبته وأدى اليه مالم يكلمه به

(٢) الرجبة كغرفة: السناد، وأصله ان يبنى للنخلة عند جذعها شيء لتتكئ عليه

(٣) مكديا. سائلا ومعنى تكديته بالاوراق انه كان يكتب للناس بحاجته ويسألهم اجابته الى ملتمسه

(٤) النبيط. جماعة من العجم يقطنون بين العراقين ومنه قول ابي العلاء

اين امرؤ القيس والعذارى   اذ مال من تحته الغبيط
استعجم العرب في الموامي   بعدك واستعرب النبيط

المقامة السجستانية

حدثنا عيسى بن هشام . قال . حدا بي إلى سجستان أرب فاقتعدت طيته [1] وامتطيت مطيته . واستخرت الله في العزم جعلته أمامي . والحزم جعلته إمامي . حتى هداني إليها فوافيت دروبها [2] . وقد وافت الشمس غروبها . واتفق المبيت حيث انتهيت فلما انتضى نصل الصباح . وبرز جيش المصباح . مضيت إلى السوق أختار منزلا فحين انتهيت من دائرة البلد إلى نقطتها . ومن قلادة السوق إلى واسطتها [3] . خرق سمعي صوت له من كل

يشير الى قول امرىء القيس .

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت لك الويلات انك مرجلي

تقول وقد مال الغبيط بنا معا عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

والمعنى ان بعض الناس لا يثبتون على حال ولا يستقرون فى زي واحد فبينا تراهم اعرابا اذ تجدهم اعجاما والمراد مطلق التنقل فى مطلق الازمان

(١) أصل الحداء (بضم اوله وكسره) يكون فى الابل يتبع بعضها بعضاً والمراد هنا : ساقني ويقال . حداه وحدى به ، وسجستان اقليم بفارس الشرقية والارب. الحاجة الشديدة واقتعدت. ركبت، وطية الشيء نيته . والمعنى مجازي

(٢) الدروب ، جمع درب وهو أول طريق وكل مدخل الى الروم فهو درب ومنه قول امرىء القيس :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وايقن انا لاحقان بقيصرا

(٣) وافى المريض اجله . اي مات ، ووافت الشمس الغروب ، غربت ،

عِرْقٍ مَعْنًى فَانْتَحَيْتُ وَفْدَهُ[١] . حَتَّى وَقَفْتُ عِنْدَهُ . فَإِذَا رَجُلٌ عَلَى فَرَسِهِ مُخْتَنِقٌ بِنَفَسِهِ . قَدْ وَلَّانِي قَذَالَهُ[٢] . وَهُوَ يَقُولُ : مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي فَأَنَا أُعَرِّفُهُ بِنَفْسِي أَنَا بَاكُورَةُ الْيَمَنِ[٣] .

والبلد والبلدة كل قطعة من الارض مستحيزة عامرة ومنه قول النابغة الذبياني

ها ان ذي عذرة الا تكن نفعت فان صاحبها قد تاه في البلد

وقول بعضهم : وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس

ودائرة البلد . مساحتها المحيطة ونقطة الدائرة مركزها الذي تدور حوله فهو وسطها والقلادة . العقد او كل مايحيط بالعنق مما انتظم من فرائد الدرر والواسطة فيها افضل درة جمعتها القلادة والعادة ان تجعلها الغواني فى المنتصف حيث تتوسط اخواتها وتتدلى على الصدر

(١) خرق سمعي . وصل اليه ، عرق كل شيء . اصله ، انتحيت . قصدت وليست مثلها فى قول امرىء القيس

فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن خبت ذي حقاف عقنقل

وفده . اى الوصول اليه او الجماعة المهطعين اليه المتسارعين فى بلوغه والوفود عليه

(٢) النفس بالتحريك واحد الانفاس ومعنى كونه مختنقا بنفسه انه ردد انفاسه كثيرا فتدافعت الى حلقه وانه حبسها حتى كانه لايطيق الحديث ولا يستطيع الابانه ، والقذال جماع مؤخر الرأس ومعقد العذار من الفرس خلف الناصية والمعنى أنه جاءه من خلفه (٣) كل من بادر الى شيء فقد أبكر اليه فى أي وقت كان والباكورة أول الفاكهة أو هو عام فى كل شيء . . . وكان اسم الرجل (أبا الفتح) والفتح ابتداء فكأنه يعنى اسمه ألغازاً وتعمية

وَأُحْدُوثَةُ الزَّمَنِ [1] أَنَا أُدْعِيَةُ الرِّجَالِ . وَأُحْجِيَةُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ [2]
سَلُوا عَنِّي الْبِلَادَ وَحُصُونَهَا . وَالْجِبَالَ وَحُزُونَهَا . وَالْأَوْدِيَةَ
وَبُطُونَهَا وَالْبِحَارَ وَعُيُونَهَا . وَالْخَيْلَ وَمُتُونَهَا . مَنِ الَّذِي مَلَكَ
أَسْوَارَهَا . وَعَرَفَ أَسْرَارَهَا . وَنَهَجَ سَمْتَهَا . وَوَلَجَ حَرَّتَهَا [3] .
سَلُوا الْمُلُوكَ وَخَزَائِنَهَا . وَالْأَغْلَاقَ وَمَعَادِنَهَا . وَالْأُمُورَ وَبَوَاطِنَهَا
وَالْعُلُومَ وَمَوَاطِنَهَا وَالْخُطُوبَ وَمَغَالِقَهَا . وَالْحُرُوبَ وَمَضَايِقَهَا . مَنِ
الَّذِي أَخَذَ مُخْتَزَنَهَا . وَلَمْ يُؤَدِّ ثَمَنَهَا . وَمَنِ الَّذِي مَلَكَ مَفَاتِحَهَا .
وَعَرَفَ مَصَالِحَهَا [4]

---

(١) الاحدوثة ـ بضم أوله ـ ما يتحدث به كثيراً لغرابته واتداعه أي انه نسيج وحده براعة وشجاعة حتى اتخذه الناس حديثهم في سمرهم ولهجت بذكره ألسنتهم (٢) الاحجية والاحجوة . الكلمة يراد بها غير ظاهر مدلول الفاظها والادعية مثلها : والمعنى انه يستتر تحت منظر عدة ويخفي حقيقة نفسه عن ناظريه وكأنه يدعوهم الى أعمال الفكرة والتروي في اظهار مكنونه

(٣) الاسوار . جمع سور وهو . ما أحاط بالمدينة من حائط أو نحوه : والسمت الطريق والحرة . القطعة المستديرة وأراد به بطون الاودية لان الجبال تحوطها وتستدير عليها والضمير في أسوارها للبلاد وفي أسرارها للحصون وفي سمتها للجبل وفي حرتها للوديان يريد انه خبير بخبيئات الامور عالم بما خفي منها شديد على اقتحام الكربات نزال بمواطن الخوف والذعر (٤) الاغلاق جمع غلق وهو ما توصد به الابواب ومثله المغالق جمع مغلقة كمكنسة وربما كانت الاعلاق بالعين مهملة جمع علق وهو النفيس من كل شيء ومعادنها

أناَ واللهِ فَمَلْتُ ذٰلِكَ وَسَفَرْتُ بَيْنَ الْمُلُوكِ الصِّيدِ. وَكَشَفْتُ أَسْتَارَ الْخُطُوبِ السُّودِ. أناَ وَاللهِ شَهِدْتُ حَتَّى مَصَارِعَ الْعُشَّاقِ . وَمَرِضْتُ حَتَّى لِمَرَضِ الْأَحْدَاقِ . وَهَصَرْتُ الْغُصُونَ النَّاعِمَاتِ وَأجْتَنَيْتُ وَرْدَ الْخُدُودِ الْمُوَرَّدَاتِ (١) . وَنَفَرْتُ مَعَ ذٰلِكَ عَنِ الدُّنياَ . نُفُورَ طَبْعِ الْكَرِيمِ عَنْ وُجُوهِ اللِّئَامِ (٢) . وَنَبَوْتُ عَنِ الْمُخْزِياتِ نُبُوَّ السَّمْعِ الشَّرِيفِ عَنْ شَنِيعِ الْكَلاَمِ (٣) وَالْآنَ لَمَّا أسْفَرَ صُبْحُ الْمَشِيبِ

مواطنها التي تكون فيها ، والمختزن بزنة اسم المفعول المودع في الخزائن لوقت الحاجة والضمير يعود على الملوك وخزائنها والاغلاق ومعادنها وأراد بأنه لم يؤد عنها انه غلب أهلها عليها فتملكها قهراً . المفاتح . جمع مفتاح والقياس مفاتيح غير أن الياء قد تحذف تخفيفا كما فى قوله تعالى . (وعنده مفاتح الغيب) أو هى جمع مفتح على أصله والضمير فيه عائد على الامور وبواطنها والعلوم ومواطنها والخطوب ومغالقها كما انه في مصالحها عائد على الحروب ومضائقها

(١) السفارة بين الملوك السعاية فى الصلح لهم وانما يكون ذلك للقدير العارف بعلل القلوب وأدوائها ، وهصر الغصن أماله وأخذه الى نفسه ، عنى بما ذكر أن له فى كل شيء يداً وأنه لا يفوته أمر حتى يأخذ بحظه منه وانه اقتطف من كل شجرة ثمرة واغترف من كل نهر دلوا وشرب من كل كاس جرعة فلم يترك من شؤون الحياة شأنا الا عرفه ، ولم يبق من لذاتها وشهواتها شيء لم ينل منه بغيته

(٢) نفر كنصر وضرب نفوراً ونفاراً وهو نافر ونفور . تباعد ، واللئام جميع لئيم وهو . من خبث طبعه وسفل أصله (٣) نبا بصره عن الشيء نبوا

وَعَلَتْنِي أُبَّهَةُ الكِبَرِ عَمَدْتُ لِإِصْلَاحِ أَمْرِ الْمَعَادِ بِإِعْدَادِ الزَّادِ (١) . فَلَمْ أَرَ طَرِيقاً أَهْدَى إِلَى الرَّشَادِ . مِمَّا أَنَا سَالِكُهُ (٢) يَرَانِي أَحَدُكُمْ رَاكِبَ فَرَسٍ . نَاثِرَ هَوَسٍ (٣) . يَقُولُ هٰذَا أَبُو الْعَجَبِ . لَا وَلٰكِنِّي أَبُو الْعَجَائِبِ (٤) عَايَنْتُهَا وَعَانَيْتُهَا . وَأُمُّ الْكَبَائِرِ قَايَسْتُهَا وَقَاسَيْتُهَا (٥) وَأَخُو الْأَغْلَاقِ صَعْباً وَجَدْتُهَا وَهَوْناً أَضَعْتُهَا . وَغَالِياً

ونبيا ونبوة : ابتمد ، والمخزيات . الاعمال التي يخجل منها المرء ويندى لهـا وجهه ، وأراد انه لم تخدعه الدنيا بزخرفها ولم تغره بزينتها وان مظاهرها التي نال منها بسبب وأخذ بطرف لم تكن لتجعلها محلا لاكباره أو موطنا لاجلاله واعظامه لانه اشرب نفسه الصدف عنها والميل الى ما يكسب جميل الاحدوثة وطيب الثناء وانه لم يقترف اثما ولم يكتسب حوبا بل صحب يسره زهادة وشجاعته خشية (١) أسفر الصبح . ظهر نوره واضافته لمشيب من قبيل .

و لرمح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الاصيل على لجين الماء

والابهة الجلال والوقار ، والمعاد يوم القيامة

(٢) أبو الفتح كان يدعو الى الله ويبذل النصح للناس ويرشدهم وذلك أفضل الطرق وأعدلها وأقربها هداية ورشداً ، (٣) نثر النظم حل عقده وجعله بددا ورماه متفرقا والهوس خفة العقل لدرجة تقرب من الجنون ومعنى أنه ناثر هوس ، انه يقول كلاما غير صحيح ولا مقبول لما يداخله من جنة ويعتريه من خبال (٤) يقول . انه ليس عجيبا فى شأن واحد بل هو عجيب في الشؤون كلها فلا يجوز أن يسمى أبا عجب وانما الذي يوافق حاله ان يكني أبا العجائب (٥) الافعال المذكورة كلها مصدرها المفاعلة التي تستدعى تدافعا من الجانبين غالبا غير ان المقاساة كالمعاناة مع زيادة الشدة والمعاناة اظهر فى باب

اشْتَرَيْتُهَا . وَرَخِيصاً ابْتَعْتُهَا [١] . فَقَدْ وَاللهِ صَحِبْتُ لَهَا الْمَوَاكِبَ . وَزَاحَمْتُ الْمَنَاكِبَ . وَرَعَيْتُ الْكَوَاكِبَ . وَأَنْضَيْتُ الْمَرَاكِبَ دُفِعْتُ إِلَى مَكَارِهَ نَذَرْتُ مَعَهَا أَلاَّ أَدَّخِرَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَنَافِعَهَا . وَلاَ بُدَّ لِي أَنْ أَخْلَعَ رِبْقَةَ هٰذِهِ الْأَمَانَةِ مِنْ عُنُقِي إِلَى أَعْنَاقِكُمْ [٢] . وَأَعْرِضَ دَوَائِي هٰذَا فِي أَسْوَاقِكُمْ . فَلْيَشْتَرِ مِنِّي مَنْ لاَ يَتَقَزَّزُ مِنْ مَوْقِفِ الْعَبِيدِ . [٣] وَلاَ يَأْنَفُ مِنْ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ [٤] . وَلْيَصُنْهُ مَنْ أَنْجَبَتْ جُدُودُهُ . وَسُقِيَ بِالْمَاءِ الطَّاهِرِ عُودُهُ [٥] . قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ . فَدُرْتُ إِلَى وَجْهِهِ . لإِعْلاَمِ عِلْمِهِ [٦] فَإِذَا هُوَ وَاللهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَنْدَرِيُّ وَانْتَظَرْتُ انْجِفَالَ النَّعَامَةِ بَيْنَ

التفاعل منها وعاين مصدره المعاينة وهي المشاهدة وقايس مصدره المقايسة وهي رد الاشياء الى اشباهها ومصدر عانى المعاناة وقاسى المقاساة (١) يريد بصعوبة وجدانها وغلاء شرائها ما بذله في سبيل الحصول عليها من نصب البدن وتحميل نفسه المشقة كما يريد بهون اضاعتها ورخص بيعها تساهله في تركها وقد بين ذلك فيما بعده

(٢) الربق حبل فيه عدة عرى يشد به البهم وكل عروة ربقة بالكسر والفتح (٣) تقززت نفسه امتنعت من الشيء وأبت أن تفعله (٤) أى لا يرى في نفسه غضاضة من افراد الله بالوحدانية والخضوع له (٥) يعنى انه لايحرص على هذا الموقف غير كريم الاصل شريف النجار حسن المنبت (٦) العرب يجعلون المصادر مفاعيل أحيانا ويريدون أصحابها وربما جعلوها فاعلا كما في

يَدَيْهِ (١) . ثُمَّ تَعَرَّضْتُ فَقُلْتُ : كَمْ يُحِلُّ دَوَاءُكَ هٰذَا ؟ فَقَالَ : يُحِلُّ الْكِيسُ مَا شِئْتَ . فَتَرَكْتُهُ وَانْصَرَفْتُ (٢)

الْمَقَامَةُ الْكُوفِيَّةُ (٣)

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ . كُنْتُ وَأَنَا فِي السِّنِّ أَشُدُّ رَحْلِي لِكُلِّ عَمَايَةٍ . وَأَرْكُضُ طِرْفِي إِلَى كُلِّ غَوَايَةٍ (٤) . حَتَّى

جد جده ، واعلم علمه المراد به : لاعلمه أي انسان هو (١) أجفل الظليم أسرع وذهب في الارض وأراد بالنعامة العامة التي اجتمعت عليه على التشبيه

(٢) أحل كذا : جعله حلالا والمعنى أي مقدار اذا اخذته حل لى الانتفاع بدوائك الذى ذكرته فقال ان المال يجعل كل شيء حلالا فاذا اقرضت الثمن حل لك المبيع ، ولا نرى عبارة السؤال في شيء من البلاغة

(٣) الكوفية نسبة الى الكوفة وهى بلد بالعراق مشهور بينه وبين بغداد ثلاثون فرسخا وهى مدينة العراق الكبرى والمصر الاعظم وقبة الاسلام ودار هجرة المسلمين وأول مدينة اختطها المسلمون بالعراق ، يذكرون انه على مسافة فرسخ منها من الجهة الغربية يقع المشهد الاكبر حيث بركت ناقة على رضى الله عنه وكرم الله وجهه وهو محمول عليها بعد قتله وأن قبره فيه ، ولكن لا نكاد نعتقد ذلك لان المؤرخين لم يجزموا بمكان قبر على من الارض حتى يقال انه بالكوفة ، وعند الله علم ذلك كله

(٤) الفتاء : طراءة السن وحداثته ، والعماية احتجاب القلب عن ادراك صالحه وأراد به لازمه وهو الملاذ المردية والشهوات المهلكة وشد الرحل اليها كناية عن اقترافها والخوض فى مضارها ومثل هذا فى الفقرة بعدها

شَرِبتُ مِنَ العُمْرِ سائِغَهُ. وَلَبِستُ مِنَ الدَّهْرِ سابِغَهُ [1]. فَلَمَّا أَنصَاحَ النَّهارُ بِجانِبِ لَيْلي. وَجَمَعْتُ لِلْمَعادِ ذَيْلي. وَطِئْتُ ظَهْرَ المَرُوضَةِ. لأَداءِ المَفْرُوضَةِ [2]. وَصَحِبَني فِي الطَّريقِ رَفِيقٌ لَمْ أُنكِرْهُ مِنْ سُوءٍ. فَلَمَّا تَجالَيْنا. وَتَخَبَّرْنا بِحالَيْنا. سَفَرَتِ القِصَّةُ عَنْ أَصْلٍ كُوفِيٍّ. وَمَذْهَبٍ صُوفِيٍّ [3]. وَسِرْنا فَلَمَّا أَحَلَّتْنا الكُوفَةُ مِلْنا إِلَى دارِهِ وَدَخَلْناها وَقَدْ بَقَلَ وَجْهُ النَّهارِ وَاخْضَرَّ جانِبُهُ [4]. وَلَمَّا اغْتَمَضَ جَفْنُ اللَّيْلِ وَطَرَّ شارِبُهُ. قُرِعَ عَلَيْنا البابُ. فَقُلْنا: مَنِ

---

(١) يقال: ثوب سابغ اذا كان يشمل البدن جميعه، وعنى بالجملتين انه تمتع من عمره بما اشتهى ونال من دهره ما أراد (٢) انصاح النهار والفجر والبرق. ظهر وأراد بالنهار الشيب وبالليل الشعر الاسود ومثله قول الفرزدق.

والشيب ينهض في الشباب كانه   ليل يصيح بجانبيه نهار

والمروضة الدابة. أوهي الارض لانها مذللة معبدة للانسان والمفروضة الحج

(٣) تجالى (بالجيم التحتيه). تكاشف ومنه قوله تعالى (والنهار إذا جلاها) أي كشفها والمعنى حين كشف كل واحد منا لاخيه عن حاله وأخبره بأمره، وسفرت. وضحت وظهرت، والصوفية. جماعة رغبوا عن الدنيا وزهدوا في متاعها ولبسهم الغالب الصوف واليه ينسبون وقد قال بعضهم:

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه   ولا بكاؤك ان غنى المغنونا

(٤) هم دخلوا عند الغروب وحينئذ تكون الشمس موشكة أن تزول ويكون الظلام آخذا في الظهور من الجانب الثاني ويكون اللون الغالب على الافق من جهته الاخضرار واذا كان ابقال وجه الغلام ظهور الشعر فيه وبدوه يكون

الْقَارِعُ الْمُنْتَابُ ؛ فَقَالَ وَفْدُ اللَّيْلِ وَبَرِيدُهُ . وَفَلُّ الْجُوعِ وَطَرِيدُهُ[1] وَحُرٌّ قَادَهُ الضُّرُّ . وَالزَّمَنُ الْمُرُّ[2] وَضَيْفٌ وَطْؤُهُ خَفِيفٌ . وَضَالَّتُهُ رَغِيفٌ[3] وَجَارٌ يَسْتَعْدِي عَلَى الْجُوعِ . وَالْجَيْبِ الْمَرْقُوعِ[4] . وَغَرِيبٌ أُوقِدَتِ النَّارُ عَلَى سَفَرِهِ . وَنَبَحَ الْعَوَّاءُ عَلَى أَثَرِهِ[5] . وَنُبِذَتْ خَلْفَهُ الْحُصَيَّاتُ . وَكُنِسَتْ بَعْدَهُ الْعَرَصَاتُ[6] . فَنِضْوُهُ

اخضرارا عبر عنه بذلك تشبيها بهذه الهيئة (١) قوم فل : منهزمون ورجل فل كذلك والطريد المطرود والمعنى : لايزال الجوع ينشب فيه أظافيره ولاتزال المسغبة تلحف عليه وتعمل فيه حتى فر يطلب منها مهربا ولكنه لايجد الطريق اليه

(٢) أي انه لولا سوء الحال وماأجده من آلام الأعواز ماسألتكم شيئا

(٣) يريد انه لايجشمهم عظيما ولا يطلب منهم جسيما ولا يثقل كواهلهم بل انما يود أن يشبع بطنه فحسب

(٤) يستعدي : يستنصر أي يطلب من ينصره ، والجيب : أراد به الثوب ، والمعنى انه جمع الى الجوع العري واصطلح عليه الامران ولزمه ألم ظاهر الجسم وألم الامعاء

(٥) معنى الجملتين انه لا أمل له في العودة الى وطنه والاولى مأخوذة من قولهم للمسافر أبعد الله داره وأوقد الناس ناره

(٦) من عادتهم انه اذا نزل بهم من لايحبون يرمون الحصى خلفه متى ارتحل وكأنهم يعنون عدم عودته والاستخفاف به كما لا تعود الحصاة ولا يعبأ لها ، وكذلك اذا مات الميت كنسوا بعده فناء الدار ايأسا من رجعته وتنظيفا للدار من بعده وكنى بهما عن انه لايؤدب

طَلِيحٌ . وَعَيْشُهُ تَبْرِيحٌ . وَمِنْ دُونِ فَرْخَيْهِ مَهَامِهُ فِيحٌ [١] . قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَقَبَضْتُ مِنْ كِيسِي قَبْضَةَ اللَّيْثِ . وَبَعَثْتُهَا إِلَيْهِ وَقُلْتُ : زِدْنَا سُؤَالاً . نَزِدْكَ نَوَالاً [٢] . فَقَالَ : مَا عُرِضَ عَرْفُ الْعُودِ . عَلَى أَحَرَّ مِنْ نَارِ الْجُودِ . وَلَا لُقِيَ وَفْدُ الْبِرِّ . بِأَحْسَنَ مِنْ بَرِيدِ الشُّكْرِ . وَمَنْ مَلَكَ الْفَضْلَ فَلْيُوَاسِ . فَلَنْ يَذْهَبَ الْعُرْفُ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ [٣] ، وَأَمَّا أَنْتَ فَحَقَّقَ اللهُ آمَالَكَ . وَجَعَلَ الْيَدَ الْعُلْيَا لَكَ . قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَفَتَحْنَا لَهُ الْبَابَ وَقُلْنَا : ادْخُلْ . فَإِذَا هُوَ وَاللهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَنْدَرِيُّ فَقُلْتُ يَا أَبَا الْفَتْحِ شَدَّ مَا بَلَغَتْ مِنْكَ الْخَصَاصَةُ [٤] .

---

(١) النضو بكسر أوله وجمعه الانضاء . البعير المهزول ، والطليح التعب الذى لا يقوي على السير ، والتبريح الشدة ، والمهامه جمع مهمه وهو الصحراء ، وفيح . أي متسعة وأراد أن يصف شدة لبعده عن بنيه . يصف ما ناله من وقيعة الدهر به ويشكو ما يلاقيه من مصض وأعياء

(٢) انما يقبض الليث على معظم أجزاء فريسته فذلك كناية عن الكثرة ، والنوال العطاء

(٣) العرف بالفتح الرائحة الزكية والعود طيب معروف ، والمعنى المقصود هنا ان المزيد من شكرانه لهم وثنائه عليهم واجب يؤديه اذا زادوه احسانا وكرما وأراد بالعود نفسه ، ويؤاسى من المؤاساة وهي المساعدة وبذل المعونه ، والعرف بالضم المعروف

(٤) شد من صيغ التعجب أصلها ما أشد حذف حرف التعجب لكثرة استعمال

وَهٰذَا الزِّيُّ خَاصَّةٌ . فَتَبَسَّمَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

لاَ يَغُرَّنَّكَ الَّذِي ... أَنَا فِيهِ مِنَ الطَّلَبْ
أَنَا فِي ثَرْوَةٍ تَشَقُّ ... لَهَا بُرْدَةُ الطَّرَبْ
أَنَا لَوْ شِئْتُ لَاتَّخَذْ ... تُ سُقُوفاً مِنَ الذَّهَبْ (١)

﴿ الْمَقَامَةُ الْأَسَدِيَّةُ ﴾

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كَانَ يَبْلُغُنِي مِنْ مَقَامَاتِ الْإِسْكَنْدَرِي وَمَقَالَاتِهِ مَا يَصْغَى إِلَيْهِ النَّفُورُ وَيَنْتَفِضُ لَهُ الْعُصْفُورُ (٢) وَيُرْوَى لَنَا مِنْ شِعْرِهِ مَا يَمْتَزِجُ بِأَجْزَاءِ النَّفْسِ رِقَّةً . وَيَغْمُضُ عَنْ أَوْهَامِ الْكَهَنَةِ دِقَّةً . (٣) وَأَنَا أَسْأَلُ اللّٰهَ بَقَاءَهُ . حَتَّى أُرْزَقَ

الكلمة والخصاصة الفقر والحاجة الشديدة المناسه

(١) أي : ان حقيقته غير ظاهره لذي يرونه وانه اذا ابدى متربة أو كشف لهم عن عوز فذلك اتشاح بما ليس من لبوسه وارتداء بغير برده

(٢) صغى كرضى . مال ، والنفور ، الذي يبالغ في النفرة والابتعاد ولن يميل مثل هذا الى شيء حتى يأسره ويملك عليه قلبه فهو نعت لكلام الاسكندري بالبلاغة الفائقة والفصاحة الرائعة . وانتفاض العصفور اهتزازه ولعمرك اذا كان الحيوان الذي لايدرك أسرار المقال يهتز اهتزاز الطروب فكيف أنت بالانسان وهو من أعطاه الله المدركة ووهبه التمييز بين غث الاساليب وثمينه

(٣) التكهن . ادعاء علم الغيب ومعرفة المستقبل من غير قاعدة ومنه أخذ

لِقَاءَهُ . وَأَتعجَّبُ مِنْ قُعُودِ هِمَّتِهِ بِحَالَتِهِ . مَعَ حُسْنِ آلَتِهِ وَقَدْ ضَرَبَ الدَّهْرُ شُؤُونَهُ . بِأَسْدَادٍ دُونَهُ وَهَلُمَّ جَرًّا[١] . إِلَى أَنِ اتَّفَقَتْ لِيَ حَاجَةٌ بِحِمْصَ . فَشَحَذَتْ إِلَيْهَا الْحِرْصَ . فِي صُحْبَةِ أَفْرَادٍ كَنُجُومِ اللَّيْلِ . أَحْلَاسٍ لِظُهُورِ الْخَيْلِ[٢] . وَأَخَذْنَا الطَّرِيقَ نَنْتَهِبُ مَسَافَتَهُ . وَنَسْتَأْصِلُ شَأْفَتَهُ وَلَمْ نَزَلْ نَفْرِي أَسْنِمَةَ النِّجَادِ بِتِلْكَ الْجِيَادِ . حَتَّى صِرْنَ كَالْعِصِيِّ . وَرَجَعْنَ كَالْقِسِيِّ[٣] . وَتَاحَ لَنَا وَادٍ فِي سَفْحِ جَبَلٍ ذِي أَلَاءٍ وَأَثْلٍ . كَالْعَذَارَى يُسَرِّحْنَ الضَّفَائِرَ

اسم الكاهن لما كان يدعيه من نحو ذلك ، والمراد ان شعر أبي الفتح كان جليل القدر دقيق الصنعة لا عن الغار أو تعمية ولا من تعقيد أو تنافر فلم يكن يدركه غير ارباب الصياغة من نقدة الكلام (١) ضرب الدهر . أحدث ، والشؤون المحن والصروف والنوائب ، والاسداد : جمع سد وهو ما يجعل بين الشيئين ليحول دون اختلاط أحدهما بالآخر ، والمعنى : ان الزمن عاكسه فلم يمكنه من ادراك الرفه والسعادة (٢) الاحلاس جمع حلس بكسر أوله وهم الذين يلازمون الشيء لا ينفكون عنه يريد انهم فرسان لا يغادرون متون الخيل ولا يفترون عن ركوبها

(٣) نفري . نقطع ، اسنمة . جمع سنام وأصله المرتفع من ظهر البعير ثم استعير للنجد وهو هنا ما أشرف من الارض أي ارتفع والمعنى انهم طفقوا يسيرون سيرا حثيثا بحيث فتتوا أعالي الجبال بحوافر خيلهم حتى لقد ضمرت الخيل وهزلت وتعطفت ولانت فصارت كالعصي (جمع عصا) هزالا ونحافة والقسي لينا وانثناء

٣ — مقامات

وَيَنْشُرْنَ الْغَدَائِرَ (١) وَمَالَتِ الْهَاجِرَةُ بِنَا إِلَيْهَا وَنَزَلْنَا نُغُورُ وَنُغَوِّرُ (٢) وَرَبَطْنَا الْأَفْرَاسَ بِالْأَمْرَاسِ (٣) . وَمِلْنَا مَعَ النُّعَاسِ . فَمَا رَاعَنَا إِلَّا صَهِيلُ الْخَيْلِ . وَنَظَرْتُ إِلَى فَرَسِي وَقَدْ أَرْهَفَ أُذُنَيْهِ . وَطَمَحَ بِعَيْنَيْهِ . يَجُذُّ قُوَى الْحَبْلِ بِمَشَافِرِهِ . وَيَخُدُّ خَدَّ الْأَرْضِ بِحَوَافِرِهِ (٤) ثُمَّ اضْطَرَبَتِ الْخَيْلُ فَأَرْسَلَتِ الْأَبْوَالَ . وَقَطَّعَتِ الْحِبَالَ . وَأَخَذَتْ نَحْوَ الْجِبَالِ (٥) . وَطَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا إِلَى سِلَاحِهِ فَإِذَا السَّبُعُ فِي فَرْوَةِ الْمَوْتِ . قَدْ طَلَعَ مِنْ غَابِهِ . مُنْتَفِخاً فِي إِهَابِهِ . كَاشِراً عَنْ

---

(١) تاح يتيح ويتوح . تهيأ ، وسفح الجبل عرضه وأصله وأسفله والألاء بوزن سماء شجر مر لكنه بهيج المنظر ، والأثل شجر عظيم لا يثمر وقد شبه الألاء والاثل (استقامته وتدلي أغصانه) بالكواعب وهن الجاريات الحسان حين تكون ضفائر شعرهن متدلية (٢) مالت بنا . جعلتنا نميل من اسناد المسبب الى السبب فيه والهاجرة : شدة الحر ، وغار الرجل . نام ، وغور بالتضعيف جاء الغور وهو المستوى من الارض (٣) الامراس الحبال ومنه قول امرئ القيس

كأن الثريا علقت في مصامها بأمراس كتان الى صم جندل

(٤) أرهف أذنيه أي حددهما من قولهم : سيف رهيف الحد ومرهف ، يجذ بجيم تحتيه فذال معجمة . يقطع ، ويخد ، بخاء فوقيه فمهملة يشق ، وخد الارض وجهها وظاهرها

(٥) اذا اشتد الخوف تفككت مفاصل الجسم وتراخت أعصابه فلم يكن في المقدور حبس الاطراف فقد يبول المرء وهو المميز العاقل فكيف بالاعجم من الحيوان

أنيابه . بطرف قد مُلِئَ صلفاً وأنفٍ قد حُشِيَ أنفاً . وصدرٍ لا يبرحه التقلب . ولا يسكنه الرعب [1] . وقلنا خطبٌ مُلِم . وحادثٌ مُهِم . وتبادر إليه من سُرعان الرفقة فتى

أخضرُ الجلدة في بيت العرب   يملأ الدلو إلى عقد الكرب [2]

بقلبٍ ساقه قدر . وسيفٍ كله أثر [3] . وملكته سورة

---

(١) أنما يلبس فروة الموت نفس الموت فكأنه شبه الاسد بالموت في قهر النفوس واغتيالها وهو عكس تشبيه أبي ذؤيب في قوله .

واذا المنية أنشبت أظفارها   الفيت كل تميمة لاتنفع

والغاب . الشجر الملتف الكثير وعادته أن يكون مأوى للوحوش والاهاب الجلد (ومنتفخا في أهابه) كناية عن الكبرياء والصلف .. ومن عادة الذي نزل به الخوف ان يضطرب قلبه فيشتد خفقانه حتى ليخيل انه انتقل من وعائه وهو في الصدر خلف جهاز التنفس فاذا قيل ان قلب فلان لاينتقل من صدره فمعناه انه لايدخل الخوف الى قلبه وهي كناية بديعة

(٢) سرعان : جمع سريع . أي انهم جميعا تسارعوا الى قتال الاسد لمكانتهم في الشجاعة والاقدام ولكن واحدا منهم تبادر فوصل اليه قبلهم والبيت مأخوذ من قول الفضل :

وأنا الأخضر من يعرفني   أخضر الجلدة من بيت العرب

من يساجلني يساجل ماجدا   يملأ الدلو الى عقد الكرب

(٣) أثر السيف (بفتح أوله أو كسره ، وسكون الثاني فيهما) فرنده وجمعه أثور

ٱلْأَسَدِ فَخَانَتْهُ أَرْضُ قَدَمِهِ . حَتَّى سَقَطَ لِيَدِهِ وَفَمِهِ (١) . وَتَجَاوَزَ الْأَسَدُ مَصْرَعَهُ . إِلَى مَنْ كَانَ مَعَهُ . وَدَعَا أَخْيَنُ أَخَاهُ . بِمِثْلِ مَادَعَاهُ (٢) . فَصَارَ إِلَيْهِ . وَعَقَلَ الرُّعْبُ يَدَيْهِ . فَأَخَذَ أَرْضَهُ . وَافْتَرَشَ اللَّيْثُ صَدْرَهُ . وَلٰكِنِّي رَمَيْتُهُ بِإِمَامِي . وَشَغَلْتُ فَمَهُ . حَتَّى حَقَنْتُ دَمَهُ . وَقَامَ الْفَتَى فَوَجَأَ بَطْنَهُ . حَتَّى هَلَكَ الْفَتَى مِنْ خَوْفِهِ . وَالْأَسَدُ لِلْوَجَاةِ فِي جَوْفِهِ (٣) . وَنَهَضْنَا فِي أَثَرِ الْخَيْلِ فَتَأَلَّفْنَا مِنْهَا مَاثَبَتَ . وَتَرَكْنَا مَا أَفْلَتَ . وَعُدْنَا إِلَى الرَّفِيقِ لِنُجَهِّزَهُ

ومعناه : أن السيف لصقله وصفاء جوهره كأنه كله جوهر (١) السررة الحذة ومثلها السوار (كغراب) والمعنى أن رعبه من الاسد وهيبته له تملكا عليه قلبه فتراخت مفاصله واضطربت أعضاؤه حتى أنه ليخيل للرائي أن الارض لم تثبت به . ومثل هذا فى التعبير قولهم عند اشتداد الخوف : ساخت الارض تحت قدميه . وقوله : سقط ليده وفمه كناية عن انكبابه على وجهه وهو مأخوذ من قول قاتل محمد بن طلحة بن عبيد الله :

وأشعث قوام بآيات ربه قليل الاذى فيما ترى العين مسلم
ضممت اليه بالسنان قميصه فخر صريعا لليدين وللفم

أو هو مأخوذ من قولهم : سقط فى يدي فلان اذا أسف واشتد حزنه . ولكنه بعيد (٢) الحين : الهلاك والموت والمعنى أن الاسد حينما قتل الاول تجاوز مكانه ويمم نحو باقي رفقه فتقدم اليه أحدهم فلم يلبث ان حل به مثل ما حل بمن تقدمه (٣) المعنى ان ذلك الرفيق نزل به الخوف وأخذ منه الجزع فسقط كما سقط الذي قبله وهم الاسد ليقضى عليه فتداركته بمشاغلة الاسد

فَلَمَّا حَثَوْنَا التُّرْبَ فَوْقَ رَفِيقِنَا * جَزِعْنَا وَلَكِنْ أَيُّ سَاعَةِ مَجْزَعِ

وَعُدْنَا إِلَى الفَلَاةِ . وَهَبَطْنَا أَرْضَهَا [1] وَسِرْنَا حَتَّى إِذَا ضَمَرَتِ الْمَزَادُ . وَنَفِدَ الزَّادُ أَوْ كَادَ يُدْرِكُهُ النَّفَادُ [2] . وَلَمْ نَمْلِكِ الذَّهَابَ ، وَلَا الرُّجُوعَ . وَخِفْنَا الْقَاتِلَيْنِ الظَّمَأَ وَالْجُوعَ . عَنَّ لَنَا فَارِسٌ فَصَمَدْنَا صَمْدَهُ [3] . وَقَصَدْنَا قَصْدَهُ . وَلَمَّا بَلَغْنَا نَزَلَ عَنْ حُرِّ فَرَسِهِ . يَنْقُشُ الْأَرْضَ بِشَفَتَيْهِ . وَيَلْقَى التُّرَابَ بِيَدَيْهِ . وَعَمَدَنِي مِنْ بَيْنِ الْجَمَاعَةِ . فَقَبَّلَ رِكَابِي . وَتَحَرَّمَ بِجَنَابِي [4] وَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ وَجْهٌ يَبْرُقُ بَرْقَ الْعَارِضِ الْمُتَهَلِّلِ . وَقَوَامٌ مَتَى مَا تَرْقَ الْعَيْنُ فِيهِ تُسْهِلْ وَعَارِضٌ قَدِ اخْضَرَّ . وَشَارِبٌ قَدْ طَرَّ . وَسَاعِدٌ مَلْآنٌ . وَقَضِيبٌ

حتى استطاع المتى أن يقوم فيقر بطن السبع ولكنه أشرف على الهلاك من الرعب

(١) الفلاة الصحراء ، وهبطنا : نزلنا (٢) الضمر والضمور . أصله الهزال ، والمزاد جمع مزادة . وهي قربة الماء ومعنى ضمورها لصوق الجلد ببعضه كما يكون في هزال الحيوان لعدم وجود ما يباعد بينه فهو كناية عن فقدان الماء وبعد . فني . . والمراد انهم صاروا في حالة شديدة (٣) عنّ . ظهر ، صمدنا قصدنا ، ويقال صمد فلان صمد كذا أي اتجه اليه واعتمده والمعنى اننا حين خشينا على أنفسنا الهلاك في هذه الصحراء المجدبة حيث لا نبات ولا ماء ظهر لنا رجل يركب فرسه فاتجهنا اليه ، والمرء في مثل هذه الحال يتلمس من يكشف كربته ويخفف عناءه ولا أقل من أن يدلهم على مورد الماء (٤) عمدني وعمد الى . قصدني واتجه نحوي والمراد من تقبيل الركاب والتحرم بالجناب .

رَيَّانٌ . وَنِجَارٌ تُرْكِيٌّ . وَزِيٌّ مَلَكِيٌّ [١] فَقُلْنَا : مَالَكَ لَا أَبَا لَكَ [٢] ؟ فَقَالَ : أَنَا عَبْدُ بَعْضِ الْمُلُوكِ هَمَّ مِنْ قَتْلِي بِهَمٍّ [٣] . فَهِمْتُ عَلَى وَجْهِي إِلَى حَيْثُ تَرَانِي . وَشَهِدَتْ شَوَاهِدُ حَالِهِ . عَلَى صِدْقِ مَقَالِهِ . ثُمَّ قَالَ : أَنَا الْيَوْمَ عَبْدُكَ . وَمَالِي مَالُكَ . فَقُلْتُ : بُشْرَى لَكَ وَبِكَ [٤] أَدَّاكَ سَيْرُكَ إِلَى فِنَاءٍ رَحْبٍ . وَعَيْشٍ رَطْبٍ [٥] وَهَنَّأَتْنِي الْجَمَاعَةُ وَجَعَلَ يَنْظُرُ فَتَقْتُلُنَا أَلْحَاظُهُ . وَيَنْطِقُ فَتَفْتِنُنَا أَلْفَاظُهُ . فَقَالَ :

الاحترام والتأدب فيه والاجلال مع اظهار الخشوع (١) العارض : أصله السحاب المعترض فى الافق ومن عباراتهم تشبيه الوجه بالماء فى صفائه وقد يضيفونه اليه تارة فيقولون ماء الوجه ومنه

ألا بقية ماء وجه صنته عن أن يباع وقد أبحتك فاشتر

ومن هذا القبيل تسميتهم صفحتى الخد أى جانبيه بالعارضين وهو المراد هنا واخضراره ظهور الشعر فيه . ويقال طر الشارب طرا وطرورا اذا طلع حديدا

(٢) كان بعض شيوخنا يعتقد أن هذه الكلمة لا تقال الا عند الذم وناقشنه في ذلك كثيرا مستشهدا بكثير من أشعار العرب فيتأولها بالذم أو بوقوعها حشوا ونحن نعتقد مجيئها للمعنيين وأصدق شاهد من النثر قول سحيلة الراعية لعامر ابن ظرب العدوانى وكان سيدها : مالك — لا أبالك — ما عراك فى ليلتك هذه ثم قولها له : سبحان الله ! لا أبالك أتبع القضاء المبال الخ ، فى قصة رواها ابن هشام فى سيرته (جزء أول صفحة ١١٦ طبع مصر) (٣) أى أنه عزم على قتلى (٤) أى أنك ستأنس بى كما انى سأرتاح اليك (٥) الفناء ككساء : ما اتسع امام الدار وجمعه افنيه كأكسيه وفنى (بضم فكسر فياء مشددة) والرحب : المتسع وعيش رطب : ناعم رغيد والمعنى : انه بوصوله اليه قد وصل

يَا سَادَةُ إِنَّ فِي سَفْحِ الْجَبَلِ عَيْنًا وَقَدْ رَكِبْتُمْ فَلَاةً عَوْرَاءَ فَخُذُوا مِنْ هُنَالِكَ الْمَاءَ (١) . فَلَوَيْنَا الْأَعِنَّةَ إِلَى حَيْثُ أَشَارَ . وَبَلَغْنَاهُ وَقَدْ صَهَرَتِ الْهَاجِرَةُ الْأَبْدَانَ . وَرَكِبَ الْجَنَادِبُ الْعِيدَانَ (٢) . فَقَالَ : أَلَا تَقِيلُونَ فِي هٰذَا الظِّلِّ الرَّحْبِ . عَلَى هٰذَا الْمَاءِ الْعَذْبِ . فَقُلْنَا : أَنْتَ وَذَاكَ (٣) فَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَحَلَّ مِنْطَقَتَهُ . وَنَحَّى قُرْطُقَتَهُ (٤) فَمَا اسْتَتَرَ عَنَّا إِلَّا بِغِلَالَةٍ تَنِمُّ عَلَى بَدَنِهِ (٥) . فَمَا شَكَكْنَا أَنَّهُ خَاصَمَ الْوِلْدَانَ . فَفَارَقَ الْجِنَانَ . وَهَرَبَ مِنْ رِضْوَانٍ (٦) . وَعَمَدَ إِلَى السُّرُوجِ فَحَطَّهَا وَإِلَى

أي النعمة الموفورة والعيشة الراضية الهنيئة (١) سفح الجبل: أصله أو أسفله واراد بالعين الماء وفلاة عوراء لا تجدون فيها عينا ومعنى ركوبها السير فيها

(٢) الاعنة جمع عنان بكسر أوله وهو سير اللجام وصهرت أحرقت والهاجرة حر الظهيرة و الجنادب الجراد وركوبه العيدان عند شدة الحر

(٣) قال يقيل من باب (باع يبيع) قيلا وقائلة وقيلولة ومقالا ومقيلا وتقيل : نام في نصف النهار ، الرحب: الواسع، أنت وذاك :كلمة يقولونها عند الموافقة على ما يعرضه المقترح وكان المعنى: أنت مطاع ولك ذاك : (٤) المنطقه بوزان مكنسه حزام يشد به الوسط والفعل منه انتطق . أي لبسه . ، ونحى : أبعد، والقرطق بوزان جندب . نوع من اللباس وفعله . قرطق كدحرج . (٥) استتر : اختفى واحتجب ، والغلالة (بكسر أوله) شعار يلبس تحت الثوب ومثلها الغلة : تنم : تكشف عنه وتدل عليه ، والمعنى أنه ماكان يخفى عليهم شيء من بدنه لان الغلالة شفافة لاتحجب منه شيئا

(٦) أي أنا حينما تأملنا بديع تركيبه ونظرنا محاسنه لم نظن ألا أنه

الْأَفْرَاسِ تَخْشَهَا (١) . وَلِلْأَمْكِنَةِ فَرْشَهَا . وَقَدْ حَارَتِ الْبَصَائِرُ فِيهِ وَوَقَفَتِ الْأَبْصَارُ عَلَيْهِ . فَقُلْتُ : يَا فَتَى مَا أَلْطَفَكَ فِي الْخِدْمَةِ . وَأَحْسَنَكَ فِي الْجُمْلَةِ (٢) . فَالْوَيْلُ لِمَنْ فَارَقَتْهُ . وَطُوبَى لِمَنْ رَافَقَتْهُ (٣) . فَكَيْفَ شُكْرُ اللهِ عَلَى النِّعْمَةِ بِكَ . فَقَالَ : مَا سَتَرَوْنَهُ مِنِّي أَكْثَرُ أَتُعْجِبُكُمْ خِفَّتِي فِي الْخِدْمَةِ . وَحُسْنِي فِي الْجُمْلَةِ . فَكَيْفَ لَوْ رَأَيْتُمُونِي فِي الرُّفْقَةِ (٤) أُرِيكُمْ مِنْ حِذْقِي طُرَفًا (٥) . ازْدَادُوا بِي شَغَفًا ؟ فَقُلْنَا : هَاتِ . فَعَمَدَ إِلَى قَوْسِ أَحَدِنَا فَأَوْتَرَهُ (٦) وَفَوَّقَ سَهْمًا فَرَمَاهُ فِي السَّمَاءِ (٧) . وَأَتْبَعَهُ

أحد الولدان الذين يكونون في الجنة فارقها هاربا من رضوان خازنها والموكل بحراستها لأنه ممن لا تقع عليهم العين في هذه الحياة الدنيا ومن أبدع ما قيل في وصف الغلمان قول سبط بن التعاويذي في غلمان الامام الناصر لدين الله

غر أذ صين الجمال برقع ستروا جمال وجوههم بمغافر
من كل خواض الغمار ملحج مرن على سفك الدماء مغامر
صمي الكماة بمقصد من كفه ورمى القلوب من الالحاظ بماثر
يعس منصله وضوء جبينه برقان في ليل العجاج الثائر

(١) أي وضع لها الحشيش (٢) أي أن جملة أحوالك ومجموع صفاتك جميل مستحسن (٣) أي أن هذه الخلال مما يأنس بها من يرافقك ويأسف عليها من تفارقه (٤) يروى بدل الرفقة : الوقعة وهي تقرب تفسير الرفقة بالبأس والشده والمداومة وذلك ان الصداقة هي المؤاساة في شدائد الامور وعظيم الوقائع (٥) الحذق المهارة (٦) أوتر القوس : جعل لها وترا وهو بفتح أوله وثانيه : شرعة القوس ومعلقها (٧) فوق السهم

بآخر فشقّه في الهواء . وقال سأريكم نوعاً آخر ثم عمد إلى كنانتي فأخذها وإلى فرسي فعلاه ورمى أحدنا بسهم أثبته في صدره . وآخر طيّره من ظهره [١] . فقلت : ويحك ما أصنع [٢] قال : اسكت يالكع [٣] . والله لَيَشُدَّنَّ كل منكم يد رفيقه . أو لأغصّنّه بريقه [٤] . فلم ندر ما نصنع وأفراسنا مربوطة وسروجنا محطوطة . وأسلحتنا بعيدة وهو راكب ونحن رجالة والقوس في يده يرشق بها الظهور . ويشق بها البطون والصدور [٥] . وحين

---

(١) الكنانة : جعبة تجعل فيها السهام : والمعنى (بالتضعيف) : سدده أنه امتطى فرسه بعد أن أخذ كنانته ليتمكن من النجاة اذا أعوزته الحال واضطر اليها وكان منه أي رمى واحداً منهم بسهم بقي مرشوقا في صدره ورمى ثانيا بسهم نفذ من ظهره ليريهم قدرته على الرماية

(٢) ويح وويب وويل كلمات تقال في الدعاء بالثبور والهلاك

(٣) اللكع (بوزن صرد) : اللئيم والأحمق ، وقد شاع هذا الوزن في سب المذكر كغدر وفسق كما شاع وزن فعال في سب المؤنث ومنه قول الشاعر

أطوف ماأطوف ثم آوى الى بيت قعيدته لكاع

(٤) أي أما أن يربط كل واحد يدي رفيقه ليتعذر عليه الدفاع عن نفسه فيما أفعل بعد أو لأجعلنه يغص بريقه وهي كناية عن ارهاق نفسه

(٥) أي اننا تحيرنا في أمرنا معه فلم ندر ماذا نصنع وليس فينا من هو متجهز مثله اذ أننا مترجلون وهو راكب وبيده القوس يقتل من قدم

رَأَيْنَا الجِدَّ . أَخَذْنَا القِدَّ (١) . فَشَدَّ بَعْضُنَا بَعْضاً وَبَقِيتُ وَحْدِي . لَا أَجِدُ مَنْ يَشُدُّ يَدِي . فَقَالَ : اخْرُجْ بِإِهَابِكَ (٢) . عَنْ ثِيَابِكَ . فَخَرَجْتُ ثُمَّ نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَجَعَلَ يَصْفَعُ الوَاحِدَ مِنَّا بَعْدَ الآخَرِ . وَيَنْزِعُ ثِيَابَهُ وَصَارَ إِلَيَّ وَعَلَيَّ خُفَّانِ جَدِيدَانِ . فَقَالَ : اخْلَعْهُمَا لَا أُمَّ لَكَ . فَقُلْتُ : هٰذَا خُفٌّ لَبِسْتُهُ رَطْباً فَلَيْسَ يُمْكِنُنِي نَزْعُهُ . فَقَالَ : عَلَيَّ خَلْعُهُ . ثُمَّ دَنَا إِلَيَّ لِيَنْزِعَ الخُفَّ وَمَدَدْتُ يَدِي إِلَى سِكِّينٍ كَانَ مَعِي فِي الخُفِّ وَهُوَ فِي شُغْلِهِ فَأَثْبَتُّهُ فِي بَطْنِهِ . وَأَبَنْتُهُ مِنْ مَتْنِهِ (٣) . فَمَا زَادَ عَلَى فَمٍ فَغَرَهُ (٤) . وَأَلْقَمَهُ حَجَرَهُ (٥) . وَقُمْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَحَلَلْتُ أَيْدِيَهُمْ وَتَوَزَّعْنَا سَلَبَ القَتِيلَيْنِ (٦) وَأَدْرَكْنَا الرَّفِيقَ وَقَدْ جَادَ بِنَفْسِهِ (٧) . وَصَارَ لِرَمْسِهِ . وَصِرْنَا إِلَى الطَّرِيقِ وَوَرَدْنَا حِمْصَ بَعْدَ لَيَالٍ خَمْسٍ . فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى فُرْضَةٍ مِنْ سُوقِهَا (٨) رَأَيْنَا رَجُلاً قَدْ قَامَ عَلَى رَأْسِ ابْنٍ وَبُنَيَّةٍ . بِجِرَابٍ وَعُصَيَّةٍ (٩) وَهُوَ يَقُولُ :

عليه أو هرب منه (١) القد سير من الجلد تربط به الاسارى (٢) الاهاب : الجلد والمعنى أنهم فعلوا ما أمرهم به وشد كل واحد رفيقه فبقى عيسى وحده فاراد منه الفتى أن يتجرد عن ثيابه ليأخذها بلا عناء (٣) المتن : الظهر (٤) فغر فاه : فتحه (٥) كناية عن السكوت التام (٦) توزعنا : اقتسمنا والسلب : ثياب القتيل ومتاعه (٧) جاد بنفسه : مات (٨) الفرضة كالفرجة وزنا ومعنى (٩) عصية : تصغير عصا وفى أمثالهم تلك العصا من العصيه

رَحِمَ اللهُ مَنْ حَشَا فِي جِرَابِي مَكَارِمَهْ
رَحِمَ اللهُ مَنْ رَنَا لِسَعِيدٍ وَفَاطِمَهْ
إِنَّهُ خَادِمٌ لَكُمْ وَهْيَ لاَ شَكَّ خَادِمَهْ

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَقُلْتُ إِنَّ هٰذَا الرَّجُلَ هُوَ الْإِسْكَنْدَرِي الَّذِي سَمِعْتُ بِهِ ، وَسَأَلْتُ عَنْهُ . فَإِذَا هُوَ هُوَ فَدَلَفْتُ إِلَيْهِ [1] . وَقُلْتُ : احْتَكِمْ حُكْمَكَ [2] فَقَالَ : دِرْهَمٌ فَقُلْتُ :

لَكَ دِرْهَمٌ فِي مِثْلِهِ مَادَامَ يُسْعِدُنِي النَّفَسْ [3]
فَاحْسُبْ حِسَابَكَ وَالْتَمِسْ كَيْمَا أُنِيلَ الْمُلْتَمِسْ

وَقُلْتُ لَهُ : دِرْهَمٌ فِي اثْنَيْنِ فِي ثَلَاثَةٍ فِي أَرْبَعَةٍ فِي خَمْسَةٍ حَتَّى انْتَهَيْتُ

والمعنى انهم بعد أن انتهوا من ذلك الفتى سلكوا الطريق الى حمص فوردوها بعد سفر خمس ليال وبيناهم يسيرون اذ وجدوا رجلا قد انتحى ناحية واتخذ له مكانا فرجة من السوق ووقف و مامه فتاة وفتى ومعه جراب ليضع فيه مايحصله وعصا يتوكأ عليها كعادة السائلة والمتسولين

(١) دلفت اليه : سرت نحوه (٢) أى انى جعلت مالى تحت حكمك فاحكم بما شئت فأنى اعطيكه (٣) قال الامام أن معنى مادام يسعدني النفس : مدة دوامي حيا أو أنى اكرر لك ذلك كل عام وما أشبه هذا ونحن نقول : لعله أراد لك درهم مضروبا في مثله مضروبا في العدد التالى له ثم الذى بعده وهكذا مادام نفسى متسعا للتعداد بدليل انه سأله بعد ذلك بقوله : درهم فى اثنين في ثلاثه وهكذا وقوله حتى انتهيت الى العشرين أي انه لم يساعده

وَسِرْنا فَلَمَّا هَجَّرْنا قَالَ: أَلاَ نُغَوِّرُ يَا عِصْمَةُ فَقَدْ صَهَرَتْنَا الشَّمْسُ (١) فَقُلْتُ أَنتَ وَذَاكَ فَمِلْنا الى شَجَرَاتِ الآءِ كَأَنَّهُنَّ عَذَارَى مُتَبَرِّجَاتٌ قَدْ نَشَرْنَ غَدَائِرَهُنَّ. لاَ ثَلاَثٍ تُنَاوِحُهُنَّ (٢) فَحَطَطْنَا رِحَالَنَا. وَ نِلْنَا مِنَ الطَّعَامِ وَكَانَ ذُو الرُّمَّةِ زَهِيدَ الأَكْلِ، وَصَلَّيْنَا بَعْدُ وَآلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا الى ظِلِّ أَثْلَةٍ يُرِيدُ القَائِلَةَ واضْطَجَعَ ذُو الرُّمَّةِ وَأَرَدْتُ أَنْ أَصْنَعَ مِثْلَ صَنِيعِهِ فَوَلَّيْتُ ظَهْرِي الأَرْضَ. وَعَيْنَايَ لاَ يَمْلِكُهُمَا غُمْضٌ. فَنَظَرْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ إِلَى نَاقَةٍ كَوْمَاءَ قَدْ ضَحِيَتْ وَغَبِيطُهَا مُلْقًى (٣) وَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ يَكْلَأُهَا كَأَنَّهُ عَسِيفٌ أَوْ أَسِيفٌ (٤) فَلَهِيتُ عَنْهُما وَمَا أَنَا وَالسُّؤَالَ عَمَّا لاَ يَعْنِينِي

ووصفك الا بمار والمداين (١) هجرنا بالتصعيف : دخلنا فى وقت الهاجرة وهو أشد الاوقات حرا ، ونغور : أى نقيل مأخوذ من الغور وهو المكان المنخفض وأكثر مايكون أن نلقيه ظليلا (٢) الالاء : شجر وريف الظل بهى المنظر ، والعذاري النساء الابكار . والغدائر جمع غديرة وهى الخصلة من الشعر ، والاثل شجر ضخم مرتفع كثير الظل وتناوحهن أي تقع فى مقابلتهن والضمير الظاهر للالاء

(٣) ناقة كوماء : أى مرتفعة عاليه السنام ، وضحيت أي أصابتها الشمس وانما يظهر ذلك اذا عريت والغبيط : هو الرحل الذى يوضع عليه الهودج قال امرؤ القيس

تقول وقد مال الغبيط بنا معا عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل

(٤) يكلأها : يرعاها ويحفظها ، والعسيف : الاجير ، والاسيف :

وَنَامَ ذُو الرُّمَّةِ غِرَاراً (١) ثُمَّ انْتَبَهَ وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَيَّامِ مُهَاجَاتِهِ لِذَلِكَ الْمُرِّيِّ فَرَفَعَ عَقِيرَتَهُ وَأَنْشَدَ يَقُولُ :

أَمِنْ مَيَّةَ الطَّلَلُ الدَّارِسُ ... أَلَظَّ بِهِ الْعَاصِفُ الرَّامِسُ (٢)
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا شَجِيجُ الْقَذَالِ ... وَمُسْتَوْقَدٌ مَا لَهُ قَابِسُ (٣)
وَحَوْضٌ تَثَلَّمَ مِنْ جَانِبَيْهِ ... وَمُحْتَفَلٌ دَارِسٌ طَامِسُ (٤)
وَعَهْدِي بِهِ وَبِهِ سَكْنُهُ ... وَمَيَّةُ وَالإِنْسُ وَالآنِسُ (٥)
كَأَنِّي بِمَيَّةَ مُسْتَنْفِرٌ ... غَزَالاً تَرَاءَى لَهُ عَاطِسُ (٦)
إِذَا جِئْتُهَا رَدَّنِي عَابِسٌ ... رَقِيبٌ عَلَيْهَا لَهَا حَارِسُ
سَتَأْتِي امْرَأَ الْقَيْسِ مَأْثُورَةٌ ... يُغَنِّي بِهَا الْعَابِرَ الْجَالِسُ (٧)

العبد (١) غرارا : ماثلا (٢) الدارس : لذى فنيت آثاره ، ألظ به : أي لازمه ولم يفارقه ، العاصف : الريح الشديدة ، والرامس : الذى يجاب عليه التراب ليخفيه (٣) شجيج القذال : مكسور الراس وأراد الوتد ، المستوقد مكان أشعال النار وليس له قابس أي من يلتمس منه النار لعدم وجودها

(٤) تثلم : تهدم والمحتفل مكان الاجتماع (٥) السكن الساكن أى أنه يعرفه آهلا بالسكان (٦) العاطس الصبح يقول أن حاله مع مية فى عدم وصوله اليها كحال من يستنفر غزالا وقد لاح له الصبح فهو لا يستطيع أمساكه.

(٧) امرؤ القيس مهجوه وهو من بنى مرة بن حجر ، مأثورة : أى قصيدة ترويها الناس حتى يعظم خطرها عليه ويتغنى بها الجالس للعابر والمراد أنها تسير

أَلَمْ تَرَ أَنَّ امْرَأَ الْقَيْسِ قَدْ ... أَلَظَّ بِهِ دَاؤُهُ النَّاجِسُ (١)

هُمُ الْقَوْمُ لَا يَأْلَمُونَ الْهِجَاءَ ... وَهَلْ يَأْلَمُ الْحَجَرُ الْيَابِسُ

فَمَا لَهُمُ فِي الْعُلَا رَاكِبٌ ... وَلَا لَهُمُ فِي الْوَغَى فَارِسُ (٢)

مُمَرْطَلَةٌ فِي حِيَاضِ الْمَلَامِ ... كَمَا دَعَسَ الْأَدَمَ الدَّاعِسُ (٣)

إِذَا طَمَحَ النَّاسُ لِلْمَكْرُمَاتِ ... فَطَرْفُهُمُ الْمُطْرِقُ النَّاعِسُ

تَعَافُ الْأَكَارِمُ أَصْهَارَهُمْ ... فَكُلٌّ أَيَامَاهُمُ عَانِسُ (٤)

فَلَمَّا بَلَغَ هٰذَا الْبَيْتَ تَنَبَّهَ ذٰلِكَ النَّائِمُ وَجَعَلَ يَمْسَحُ عَيْنَيْهِ وَيَقُولُ: أَذُو الرُّمَيْمَةِ يَمْنَعُنِي النَّوْمَ بِشِعْرٍ غَيْرِ مُثَقَّفٍ وَلَا سَائِرٍ. فَقُلْتُ: يَا غَيْلَانُ مَنْ هٰذَا؟ فَقَالَ: الْفَرَزْدَقُ، وَحَمِيَ ذُو الرُّمَّةِ. فَقَالَ:

---

(١) الداء الناجس الذي لا يفتأ ملازما صاحبه ولا ينجح فيه الطب (٢) أي أن هذا المهجو وقبيلته لا يتألمون من الهجاء ولا يتوجعون له كما لا يتألم الحجر ولا يتوجع الصخر وأنهم لم يمتوا الي الفضائل بنسب ولم تكن لهم في الوقائع والحروب يد لعدم وجود الاكفاء الصناديد منهم (٣) ممرطلة: ملطخة. ودعس: وطئ برجله، والادم: الجلد والمعنى أن هذه القبيلة ملطخة باللوم كتلطيخ الجلد الذي يراد دباغه وتذبيع حتى تحط من قدر امرئ القيس لانهم تجافوا عن المحمدة (٤) تعاف: تكره باشمئزاز، وأصهارهم: تزوجهم والايامى: النساء والعانس: التي كبرت دون زواج والمعني ان كرام الناس ينفرون من مصاهرتهم ولذلك تجد بناتهم قد كبرن بدون أن يتقدم لخطبتهن أحد

وَأَمَّا مُجَاشِعٌ الأَرْذَلُونَ فَلَمْ يَسْقِ مَنْبِتَهُمْ رَاجِسُ[1]
سَيَمْقِلُهُمْ عَنْ مَسَاعِي الْكِرَامِ عِقَالٌ وَيَحْبِسُهُمْ حَابِسُ[2]

فَقُلْتُ : الآنَ يَشْرَقُ فَيَثُورُ[3] وَيَعُمُّ هَذَا وَقَبِيلَتَهُ بِالْهِجَاءِ فَوَاللهِ مَا زَادَ الْفَرَزْدَقُ عَلَى أَنْ قَالَ : قُبْحاً لَكَ يَا ذَا الرُّمَيْمَةِ أَتَعْرِضُ لِمِثْلِي بِمَقَالٍ مُنْتَحَلٍ[4] ؟ ثُمَّ عَادَ فِي نَوْمِهِ كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْ شَيْئاً وَسَارَ ذُو الرُّمَّةِ وَسِرْتُ مَعَهُ وَإِنِّي لَأَرَى فِيهِ انْكِسَاراً حَتَّى افْتَرَقْنَا[5] .

الْمَقَامَةُ الأَذْرَبِيجَانِيَّةُ

(١) مجاشع : قبيل الفرزدق . والراجس : السحاب الذي يصحبه رعد شديد والمعنى الدعاء على هذه القبيلة بعدم السقيا و بكثرة الامحال

(٢) يمقل : يمنع ، وعقال وحابس : من آباء الفرزدق ، أى أن هؤلاء الناس لن يتقدموا فى المكرمات وشريف الخصال لان خستهم تمنعهم من ذلك ولؤم طباعهم يحبسهم عنه (٣) يشرق : يغص ، ويثور : يهيج ، والمعني أنه سيجد هذا الكلام كالشجا فى حلقه فيهتاجه ذلك الى هجاء غيلان وقومه

(٤) الرميمة : تصغير الرمة لقب غيلان ، تعرض تتعرض والمقال المنتحل المسروق وقد يكون تعرض من التعريض الذي هو عدم التصريح وموضعه في قوله: يمقلهم عقال ويحبسهم حابس (٥) أي أن غيلان ابتأس كثيرا حين لم يعبأ به الفرزدق ولم يقم له وزنا . . وهذا مثال لمن أعرض عن خصمه احتقارا لشأنه واستخفافا

قالَ عيسَى ابْنُ هِشامٍ : لمَّا أطفَنِي الغِنَى بِفاضِلِ ذَيْلِهِ (١) اتُّهِمْتُ بِمالٍ سَلبْتُهُ. أوْ كنْزٍ أصبْتُهُ (٢). فحَفَزَني اللَّيلُ (٣). وسِرْتُ في الخَيْلِ. وسلَكتُ في هرَبِي مَسالِكَ لمْ يَرْضَها السَّيرُ (٤) . ولا اهتدَتْ إليْها الطَّيرُ . حتَّى طوَيتُ أرضَ الرُّعْبِ وتجاوزتُ حدَّهُ . وصِرْتُ إلى حِمَى الأمْنِ ووَجَدْتُ برْدَهُ . وبلغْتُ أذرَبيجانَ وقدْ حفِيَتِ الرَّواحِلُ (٥) . وأكلتْها المَراحِلُ . ولمَّا بلغتُها

نزَلْنا على أنَّ المُقامَ ثلاثةٌ فطابَتْ لنا حتَّى أقمْنا بِها شَهْرا

فبَينا أنا يوْماً في بعْضِ أسواقِها إذ طلَعَ رجُلٌ برِكْوةٍ قدِ اعتَضدَها (٦) وعَصاً قدِ اعتَمدَها (٧) . ودَنِّيةٍ قدْ تقلَّسَها (٨) . وفُوطةٍ قدْ تطلَّسَها (٩) فرَفعَ عَقيرَتَهُ وقالَ : اللَّهُمَّ يا مُبدِئَ الأشياءِ ومُعيدَها . ومُحْيِيَ العِظامِ

---

(١) أي البسني الزائد من ثوبه وجعله لي كالمنطقة (٢) المعنى أن الناس كانوا في تأويل ثرائي على قسمين قوم يقولون أنه استلب هذه الاموال وجماعة تقول بل عثر على كنز أي مال مخبوء (٣) حفزني : دفعني بشدة وحثني طلبا للهرب (٤) لم يرضها السير : لم يذللها أي أن الناس لم تكن تطرق هذه السبل وهي كناية عن وعورة المسلك وخطورته (٥) حفيت أصابها الحفا وهو رقة القدم من كثرة السير والرواحل الركائب (٦) الركوة وعاء يجمع فيه ما يحصله ، واعتضدها أي جعلها في عضده (٧) توكأ عليها (٨) الدنية القلنسوة وتقلسها لبسها (٩) الفوطة : ثوب سندي ، وتطلسها اتخذها طيلسانا

وَمُبِيدَها . وَخالِقَ الْمِصْباحِ وَمُدِيرَهُ(١) . وَفالِقَ الإِصْباحِ وَمُنيرَهُ وَمُوصِلَ الآلاءِ سابِغَةً إِلينا(٢) . وَمُمْسِكَ السَّماءِ أَنْ تَقَعَ عَلَيْنا . وَبارِئَ النَّسَمِ أَزْواجاً . وَجاعِلَ الشَّمْسِ سِراجاً وَالسَّماءِ سَقْفاً وَالأَرْضِ فِراشاً . وَجاعِلَ اللَّيْلِ سَكَناً وَالنَّهارِ مَعاشاً . وَمُنْشِئَ السَّحابِ ثِقالاً . وَمُرْسِلَ الصَّواعِقِ نَكالاً . وَعالِمَ مافَوْقَ النُّجُومِ . وَما تَحْتَ التُّخُومِ(٣) . أَسأَلُكَ الصَّلاةَ عَلى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ . مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ . وَأَنْ تُعِينَنِي عَلى الْغُرْبَةِ أَثْنِي حَبْلَها(٤) . وَعلى الْعُسْرَةِ أَعْدُو ظِلَّها(٥) . وَأَنْ تُسَهِّلَ لِي عَلى يَدَيْ مَنْ فَطَرْتَهُ الْفِطْرَةَ . وَأَطْلَعْتَهُ الطُّهْرَةَ . وَسَعِدَ بالدِّينِ الْمَتِينِ(٦) . وَلَمْ يَعْمَ عَنِ الْحَقِّ الْمُبِينِ . راحِلَةً تَطْوِي هذا الطَّرِيقَ وَزاداً يَسَعُنِي وَالرَّفِيقَ . قالَ عِيسَى بْنُ هِشامٍ : فَناجَيْتُ نَفْسِي بِأَنَّ هذا الرَّجُلَ أَفْصَحُ مِنْ إِسكَنْدَرِيِّنا أَبِي الْفَتْحِ . وَالْتَفَتُّ الْتِفاتَةً فَإِذا

---

(١) المصباح الشمس ومديره محركه (٢) الآلاء العطايا والنعم وسابغة شاملة

(٣) التخوم في الاصل الحدود والمراد العالم بما تحت الارض السفلى أي بما استتر عنا (٤) أي تقدرني على الغربة فاكبح جماحها كانه جعلها دابة حرونا

(٥) أعدو : أعرق (٦) فطرته أنشأته والفطرة الدين أي تجعل تسهيل

هُوَ وَاللهِ أَبُو الفَتْحِ . فَقُلْتُ : يَا أَبَا الفَتْحِ بَلَغَ هٰذِهِ الأَرْضَ كَيْدُكَ وَانْتَهَى إِلَى هٰذَا الشِّعْبِ صَيْدُكَ [1] ؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَنَا جَوَّالَةُ البِـلَا ... دِ وَجَوَّابَةُ الأُفُقْ

أَنَا خُذْرُوفَةُ الزَّمَا ... نِ وَعَمَّارَةُ الطُّرُقْ

لَا تَلُمْنِي لَكَ الرَّشَا ... دُ عَلَى كُدْيَتِي وَذُقْ [2]

المَقَامَةُ الجُرْجَانِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : بَيْنَا نَحْنُ بِجُرْجَانَ . فِي مَجْمَعٍ لَنَا نَتَحَدَّثُ وَمَا فِينَا إِلَّا مِنَّا [3] . إِذْ وَقَفَ عَلَيْنَا رَجُلٌ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ المُتَمَدِّدِ وَلَا القَصِيرِ المُتَرَدِّدِ . [4] كَثُّ العُثْنُونِ [5] يَتْلُوهُ صِغَارٌ فِي أَطْمَارٍ [6]

أمري على يدي رحل شب على الدين الذى يأمر بالخير واسداء الجميل (١) أي أنك أنجدت فى البلاد وأتهمت فلم تبق بلدة لم تحط بها رحلك ولم تنصب فيها شبا كك (٢) الجوالة الكثير الطواف والجوابة الذي يقطع في سيره كثيرا والخذروفة لعبة تتخذها الصبيان تشبه بها الخيل عند شدة عدوها وسرعة جريانها والعمارة الذى يعمر الطرقات فلا تراها تخلو منه والكدية سؤال الناس واستدرار أكفهم يقول له انى كثير الجولان فلا تعتب علي

(٣) أى ليس بيننا من ننكره (٤) المتردد البالغ نهاية القصر (٥) أى كثير شعر اللحية (٦) جمع طمر وهو الثوب البالى

فَافْتَتَحَ الْكَلامَ بِالسَّلامِ . وَتَحِيَّةِ الْإِسْلامِ فَوَلَّانا جَمِيلاً . وَأَوْلَيْنَاهُ جَزِيلاً (١) . فَقالَ : يا قَوْمُ إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ أَهْلِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ مِنَ الثُّغُورِ الأُمَوِيَّةِ (٢) نَمَتْنِي سُلَيْمٌ وَرَحَّبَتْ بِي عَبْسٌ (٣) . جُبْتُ الآفاقَ . وَتَقَصَّيْتُ الْعِراقَ (٤) . وَجُلْتُ الْبَدْوَ وَالْحَضَرَ وَدارَيْ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ ما هُنْتُ . حَيْثُ كُنْتُ (٥) . فَلا يُزْرِيَنَّ بِي عِنْدَكُمْ ما تَرَوْنَهُ مِنْ سَمَلِي وَأَطْمارِي (٦) فَلَقَدْ كُنَّا وَاللهِ مِنْ أَهْلِ ثَمٍّ وَرَمٍّ (٧) نُرْغِي لَدَى الصَّباحِ وَنُثْغِي عِنْدَ الرَّواحِ (٨)

وَفِينا مَقاماتٌ حِسانٌ وُجُوهُهُمْ وَأَنْدِيَةٌ يَنْتابُها الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ (٩)

---

(١) أي أنه حاملنا بالتحية فاحبناه بإحسن منها (٢) الاموية المنسوبة الى بنى أمية أي أنه يعنى اسكندرية الاندلس لا اسكندرية مصر (٣) سليم وعبس قبيلتان من قبائل العرب ابنتا عم ونمته رفعته ومجدته أي أنه ينتسب اليها (٤) أي بلغت أقصاه وأبعد مسافة فيه (٥) أى انى لم أخلع ثوب العز ولم يكتنفنى الذل ولا الهوان فى أى مكان نزلت به (٦) يزرين أي يحطن من قدرى والسمل والاطمار الثياب البالية (٧) ثم ورم معناهما الاصلاح أي أننا كنا جماعة صالح شؤون غيرنا ونداوى علاتهم ونجبر كسرهم

(٨) أرغى:أعطي الراغية وهي الابل، وأثغي : أعطى الثاغية وهى الغنم والمراد أنهم كانوا يجودون في جميع أوقاتهم بمختلف أنواع المال

(٩) البيتان لزهير بن أبي سلمى ومعناهما أن لنا أمكنة يطرقها العافون

عَلَى مُكْثِرِيهِمْ رِزْقُ مَنْ يَعْتَرِيهِمُ   وَعِنْدَ الْمُقِلِّينَ السَّمَاحَةُ وَالْبَذْلُ

ثُمَّ إِنَّ الدَّهْرَ يَا قَوْمُ قَلَبَ لِي مِنْ بَيْنِهِمْ ظَهْرَ الْمِجَنِّ (١) . فَاعْتَضْتُ بِالنَّوْمِ السَّهَرَ . وَبِالْإِقَامَةِ السَّفَرَ . تَتَرَامَى بِيَ الْمَرَامِي . وَتَتَهَادَى بِي الْمَوَامِي (٢) . وَقَلَمَتْنِي حَوَادِثُ الزَّمَنِ قَلْمَ الصَّمْغَةِ (٣) . فَأُصْبِحُ وَأُمْسِي أَنْقَى مِنَ الرَّاحَةِ وَأَعْرَى مِنْ صَفْحَةِ الْوَلِيدِ (٤) . وَأَصْبَحْتُ فَارِغَ الْفِنَاءِ . صِفْرَ الْإِنَاءِ . مَالِي إِلَّا كَآبَةُ الْأَسْفَارِ . وَمُعَاقَرَةُ السِّفَارِ (٥) . أُعَانِي الْفَقْرَ . وَأُمَانِي الْقَفْرَ . فِرَاشِي الْمَدَرُ (٦) . وَوِسَادِي الْحَجَرُ

فنمنحهم ونجتمع فيها لتدبير شؤوننا وأن حقا على كل فرد منا أن يجود فأما المياسير فلكل شارد ووارد وأما المحاويج فلم يقصر بهم الكرم طبعه وأول القصيدة

صحا القلب عن سلمى وقد كان لا يسلو   وأقفر من سلمى التعانيق فالثقل

(١) أي أن الدهر أنكرني وعاداني ولم يترك لي سبدا ولا لبدا فأما قومي فهم بحيث وصفت لم ينزل بهم مثل ما نزل بي ولم يدهمهم الذي دهمني

(٢) الموامي جمع موماة وهي الصحراء والمعنى أن كل صحراء تسلمني الى أختها فكأنها تهديني الى (٣) اذا اقتلعت الصمغة من شجرتها لم يبق لها أثر وهو يريد أنه لم يبق عليه من بهجة الثراء وروائه مسحة (٤) أي فقيرا جدا ليس عندي من المال الا مثل ما في وجه الوليد أو باطن الكف من الشعر وهو ليس بموجود (٥) السفار . جلدة توضع عند انف البعير ليقاد منه أي أنه مصاحب له دائما فهي كناية عن استمرار اسفاره (٦) المدر صغار الحصي

بآمِدَ مَرَّةً وَبِرَأْسِ عَيْنٍ وَأَحْيَاناً بِمَيَّا فَارِقِينَا
لَيْلَةً بِالشَّامِ ثُمَّتَ بِالْأَهْوَازِ رَحْلِي وَلَيْلَةً بِالْعِرَاقِ (١)

فَمَا زَالَتِ النَّوَى تَطْرَحُ بِي كُلَّ مَطْرَحٍ . حَتَّى وَطِئْتُ بِلَادَ الْحَجَرِ وَأَحَلَّتْنِي بَلَدَ هَمَذَانَ . فَقَبِلَنِي أَحْيَاؤُهَا . وَأَشْرَأَبَّ إِلَيَّ أَحِبَّاؤُهَا (٢) . وَلٰكِنِّي مِلْتُ لِأَعْظَمِهِمْ جَفْنَةً . وَأَزْهَدِهِمْ جَفْوَةً (٣) :

لَهُ نَارٌ تُشَبُّ عَلَى يَفَاعٍ إِذَا النِّيرَانُ أُلْبِسَتِ الْقِنَاعَا

فَوَطَّأَ لِي مَضْجَعاً . وَمَهَّدَ لِي مَهْجَعاً (٤) . فَإِنْ وَنَى لِي وَنِيَةً هَبَّ لِي ابْنٌ كَأَنَّهُ سَيْفٌ يَمَانٍ (٥) . أَوْ هِلَالٌ بَدَا فِي غَيْرِ قَتَمَانَ . وَأَوْلَانِي نِعَماً ضَاقَ عَنْهَا قَدْرِي . وَاتَّسَعَ بِهَا صَدْرِي . أَوَّلُهَا فَرْشُ الدَّارِ وَآخِرُهَا أَلْفُ دِينَارٍ . فَمَا طَيَّرَتْنِي إِلَّا النِّعَمُ . حَيْثُ تَوَالَتْ (٦) . وَالدِّيَمُ لَمَّا انْثَالَتْ . فَطَلَعْتُ مِنْ هَمَذَانَ طُلُوعَ الشَّارِدِ . وَنَفَرْتُ نِفَارَ الْآبِدِ .

---

(١) مثل هذين البيتين فى المعنى قول الشاعر :

يوما بحزوى ويوما بالعقيق وبا لعذيب يوما ويوما بالخليصاء

وكل هذه اسماء مواضع بعينها (٢) أحياؤها أهلوها وأشرأب تطلع وأحباء جمع حبيب (٣) أي أكثرهم قرى للضيفان وأبعدهم من الغلظه والجفاء (٤) أعدلى محلاً أنام فيه ، واليفاع : ما ارتفع من الارض ، وتشب : توقد ، والمعنى اذا بخل الناس جميعا فانه لا يبخل لان ناره موقدة دائما ولو خفيت نيرانهم (٥) أي اذا فترت همته لحظة أسرع ابن يشبه السيف فى مضائه وسرعة نفاذه (٦) أي ما جعلنى أترك ذلك النعيم الا الحياء من تتابع الكرامة وترادف النعمه

أَفْرِى الْمَسَالِكَ . وَأَقْتَفِرُ الْمَهَالِكَ . وَأُعَانِي الْمَمَالِكَ (١) . عَلَى أَنِّي خَلَّفْتُ أُمَّ مَثْوَايَ وَزُغْلُولاً لِي (٢)

كَأَنَّهُ دُمْلُجٌ مِنْ فِضَّةٍ نَبَهٌ فِي مَلْعَبٍ مِنْ عَذَارَى الْحَيِّ مَفْصُومُ (٣)

وَقَدْ هَبَّتْ بِي إِلَيْكُمْ رِيحُ الاحْتِيَاجِ . وَنَسِيمُ الإِنْفَاجِ (٤) . فَانْظُرُوا رَحِمَكُمُ اللهُ لِنِقْضٍ مِنَ الأَنْقَاضِ مَهْزُولٍ (٥) . هَدَّتْهُ الْحَاجَةُ وَكَدَّتْهُ الْفَاقَةُ :

أَخَا سَفَرٍ جَوَّابَ أَرْضٍ تَقَاذَفَتْ بِهِ فَلَوَاتٌ فَهْوَ أَشْعَثُ أَغْبَرُ

جَعَلَ اللهُ لِلْخَيْرِ عَلَيْكُمْ دَلِيلاً . وَلاَ جَعَلَ لِلشَّرِّ إِلَيْكُمْ سَبِيلاً . قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَرَقَّتْ وَاللهِ لَهُ الْقُلُوبُ . وَاغْرَوْرَقَتْ لِلُطْفِ

---

(١) الشارد : النافر وأفرى : أقطع والمسالك الطرق واقتفر : اقتفى اي اتبعها كانها دليلي ومعاناة المهالك استصعاب ما يجده من الشقة في التحوال بها

(٢) المثوى : الاقامة وكنى بام مثواه عن زوجه لانها هي التي من شأنها ان تحمل الرجل على البقاء بداره واراد بزغلوله ولده (٣) الدملج : حلية تلبسها المرأة في معصمها ، والنبه : النفيس ، ومفصوم : مكسور من غير انفصال والمعنى أن هذا الطفل الذي تركته يشبه في جماله وحسنه الدملج النفيس المتخذ من الفضة ولكنه لتغيبي عنه وعدم قيامي عليه منصدع القلب مكسور الفؤاد (٤) الانفاج : الاحتياج الى غير الاهل (٥) أي انهكه التعب وهده الحولان ومعنى هدته الحاجة دلته على الذين يدفعون عنه شرها وكيدها وأراد بقوله كدته الفاقة ان الفقر اتعبه والاملاق انصب بدنه ويروى : هدته (بالتضعيف) : أي أضعفته

كَلَامِهِ الْعُيُونُ(١). وَنِلْنَاهُ مَا تَاحَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ(٢). وَأَعْرَضَ عَنَّا حَامِدًا لَنَا. فَتَبِعْتُهُ فَإِذَا هُوَ وَاللهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَنْدَرِيُّ

الْمَقَامَةُ الْأَصْفَهَانِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ بِأَصْفَهَانَ(٣) أَعْتَزِمُ الْمَسِيرَ إِلَى الرَّيِّ(٤). فَحَلَلْتُهَا حُلُولَ الْفَيِّ(٥). أَتَوَقَّعُ الْقَافِلَةَ كُلَّ لَمْحَةٍ. وَأَتَرَقَّبُ الرَّاحِلَةَ كُلَّ صَبْحَةٍ(٦). فَلَمَّا حُمَّ مَا تَوَقَّعْتُهُ. نُودِيَ لِلصَّلَاةِ نِدَاءً سَمِعْتُهُ(٧). وَتَعَيَّنَ فَرْضُ الْإِجَابَةِ. فَانْسَلَلْتُ مِنْ بَيْنِ الصَّحَابَةِ. أَغْتَنِمُ الْجَمَاعَةَ أُدْرِكُهَا وَأَخْشَى فَوْتَ الْقَافِلَةِ

---

(١) أي أن القلوب عطفت عليه والعيون بكت حزنا له (٢) أعطيناه ما تهيأ لنا حين كان

(٣) اصفهان احدي مدن ايران العظيمة ظلت قاعدة ملكها قبل طهران أمدا طويلا ويقال فيها اصبهان أيضا (٤) اعتزم: أنوي، والري مدينة من مدن ايران أيضا (٥) الفي: هو الفيء، وهو الظل، ولما كان سريع التنقل لا يثبت متي تحولت الشمس شبه نفسه به (٦) القافلة: الجماعة تتآلف في السفر وتتعاون على شئونه بالصحبة، والراحلة بهذا المعنى عينه، واللمحة: اللحظة، والصبحة وقت الصبح، وأراد عموم الاوقات (٧) حم (بالبناء للمجهول): قضي. والمعنى أنني لم أزل أنتظر جماعة الظاعنين لاسير معهم حتى

أَدْرَكَتْهَا الْكَرَى . اسْتَغْنَمْتُ بَرَكَاتِ الصَّلاَةِ . عَلَى وَعْثَاءِ الْفَلاَةِ [1] . فَصِرْتُ إِلَى أَوَّلِ الصُّفُوفِ . وَمَثَلْتُ لِلْوُقُوفِ . وَتَقَدَّمَ الْإِمَامُ إِلَى الْمِحْرَابِ . فَقَرَأَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ . بِقِرَاءَةِ حَمْزَةَ . مَدَّةً وَهَمْزَةً [2] . وَبِي الْغَمُّ الْمُقِيمُ الْمُقْعِدُ فِي فَوْتِ الْقَافِلَةِ وَالْبُعْدِ عَنِ الرَّاحِلَةِ وَتَبِعَ الْفَاتِحَةَ الْوَاقِعَةَ وَأَنَا أَتَصَلَّى نَارَ الصَّبْرِ وَأَتَصَلَّبُ [3] . وَأَتَقَلَّى عَلَى جَمْرِ الْغَيْظِ وَأَتَقَلَّبُ [4] . وَلَيْسَ إِلاَّ السُّكُوتُ وَالصَّبْرُ . أَوِ الْكَلاَمُ وَالْقَبْرُ لِمَا عَرَفْتُ مِنْ خُشُونَةِ الْقَوْمِ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ . أَنْ لَوْ قَطَعْتُ الصَّلاَةَ دُونَ السَّلاَمِ . فَوَقَفْتُ بِقَدَمِ الضَّرُورَةِ ، عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ . إِلَى انْتِهَاءِ السُّورَةِ [5] . وَقَدْ قَنِطْتُ مِنَ الْقَافِلَةِ وَأَيِسْتُ مِنَ الرَّحْلِ وَالرَّاحِلَةِ . ثُمَّ حَنَى قَوْسَهُ لِلرُّكُوعِ . بِنَوْعٍ مِنَ الْخُشُوعِ . وَضَرْبٍ مِنَ الْخُضُوعِ . لَمْ أَعْهَدْهُ مِنْ قَبْلُ [6] . ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَيَدَهُ . وَقَالَ : سَمِعَ اللهُ

إذا تهيأت للسفر سمعت النداء للصلاة (١) وعثاء : مشقة ، والفلاة : الصحراء

(٢) حمزة : أحد القراء وأراد أنه كان يطيل في القراءة ويمد بها صوته فيأخذ وقتا طويلا (٣) صلي اللحم يصليه صليا وأصلاه وصلاه (بالتضعيف) : شواه ، وتصلب : تقوى وتشدد (٤) قلى اللحم : أنضجه في المقلى . والمعنى كان شديد التأذي من تطويل الامام الذي يفوت عليه مصاحبة القافلة

(٥) أي أني علمت أنه ليس لي الا أحد الخلتين فاما أن أصبر فتفوتني الرفقة وأما أن أتعجل بالخروج من الصلاة لدركهم فينقض القوم على متحرجين خروجي فلزمت السكوت على مضض (٦) حنى : عطف وثني . وورد

لِمَنْ حَمِدَهُ . وَقامَ حَتَّى ما شَكَكْتُ أَنَّهُ قَدْ نامَ (١) . ثُمَّ ضَرَبَ بِيَمِينِهِ . وَأَكَبَّ لِجَبِينِهِ . ثُمَّ انْكَبَّ لِوَجْهِهِ (٢) وَرَفَعْتُ رَأْسِي أَنْتَهِزُ فُرْصَةً فَلَمْ أَرَ بَيْنَ الصُّفُوفِ فُرْجَةً (٣) . فَعُدْتُ إِلَى السُّجُودِ . حَتَّى كَبَّرَ لِلْقُعُودِ وَقامَ إِلَى الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ . فَقَرَأَ الفاتِحَةَ والقارِعَةَ . قِراءَةً اسْتَوْفَى بِها عُمْرَ السَّاعَةِ . واسْتَنْزَفَ أَرْوَاحَ الجَماعَةِ (٤) . فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ رَكْعَتَيْهِ وَأَقْبَلَ عَلَى التَّشَهُّدِ بِلَحْيَيْهِ . وَمالَ إِلَى التَّحِيَّةِ بِأَخْدَعَيْهِ . وَقُلْتُ : قَدْ سَهَّلَ اللهُ المَخْرَجَ . وَقَرَّبَ الفَرَجَ . قامَ رَجُلٌ وَقالَ : مَنْ كانَ مِنْكُمْ يُحِبُّ الصَّحابَةَ وَالجَماعَةَ . فَلْيُعِرْنِي سَمْعَهُ ساعَةً . قالَ عِيسَى بْنُ هِشامٍ فَلَزِمْتُ أَرْضِي . صِيانَةً لِعِرْضِي (٥) . فَقالَ : حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لا أَقُولَ غَيْرَ الحَقِّ وَلا أَشْهَدَ إِلَّا بِالصِّدْقِ . قَدْ جِئْتُكُمْ بِبِشارَةٍ مِنْ نَبِيِّكُمْ لَكِنِّي

بالقوس ظهره (١) أي أنه أطال في قيامه حتى اعتقدت أن النوم قد أخذه

(٢) ضرب بيمينه : أهوى بها الى الارض ليعتمد عليها في سجوده ، وأكب لجبينه : سقط في السجود مائلا الى أحد شقيه وقوله : انكب لوجهه معناه اعتدل في سجوده ووجهه نحو الارض وجهه لان الجملة الاولى تعطي أنه كان منحرفا (٣) أي أنه لما ضاق صدره وعيت به الحيلة أراد أن ينتهز فرصة سجود القوم ليهرب فنظر حواليه وخلفه فلم يجد طريقا للخلاص (٤) يريد أن أطالة الامام في صلاته جاوزت الحد وبلغت أقصى درجاتها حتى أنه لتتقدر مسافة صلاته بالامد الذي بيننا وبين قيام الساعة

(٥) ولو أنه خرج بعد تلك المقالة لمزقوا عرضه وانتهكوا ستره

لاَ أُؤَدِّيهَا حَتَّى يُطَهِّرَ اللهُ هذَا الْمَسْجِدَ مِنْ كُلِّ نَذْلٍ يَجْحَدُ نُبُوءَتَه (١). قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَرَبَطَنِي بِالْقُيُودِ. وَشَدَّنِي بِالْحِبَالِ السُّودِ (٢). ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُهُ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ. كَالشَّمْسِ تَحْتَ الْغَمَامِ. وَالْبَدْرِ لَيْلَ التَّمَامِ (٣). يَسِيرُ وَالنُّجُومُ تَتْبَعُهُ (٤). وَيَسْحَبُ الذَّيْلَ وَالْمَلاَئِكَةُ تَرْفَعُهُ. ثُمَّ عَلَّمَنِي دُعَاءً أَوْصَانِي أَنْ أُعَلِّمَ ذَلِكَ أُمَّتَهُ. فَكَتَبْتُهُ عَلَى هذِهِ الْأَوْرَاقِ بِخَلُوقٍ وَمِسْكٍ. وَزَعْفَرَانٍ وَسُكٍّ (٥). فَمَنِ اسْتَوْهَبَهُ مِنِّي وَهَبْتُهُ (٦). وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ ثَمَنَ الْقِرْطَاسِ أَخَذْتُهُ. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَلَقَدِ انْثَالَتْ عَلَيْهِ الدَّرَاهِمُ حَتَّى حَيَّرَتْهُ (٧) وَخَرَجَ فَتَبِعْتُهُ مُتَعَجِّباً مِنْ حِذْقِهِ بِزَرْقِهِ وَتَمَحُّلِ رِزْقِهِ. وَهَمَمْتُ

---

(١) حقيق على كخليق بي معناها حتم على وواجب ألا يكون كذا مثلا (٢) الحبال السود: السلاسل المتخذة من الحديد وأي امرىء يستطيع أن يغادر مكانه في مثل هذا الظرف فيسجل على نفسه النذلة ولؤم الطبع وخسة النفس ويرضى بنكران النبوة وجحد الرسالة (٣) اذا كانت الشمس محتجبة بالغمام كان نورها ساطعا ولم يفرق البصر فلعل هذا وجه التقييد في تشبيه النبي عليه السلام بها (٤) لعله أراد بالنجوم جماعة أصحابه صلى الله عليه وسلم (٥) الخلوق والخلاق بوزن صبور وكتاب نوع من الطيب صناعى والسك بالضم ضرب من الطيب كذلك

(٦) أي من طلب منى أن أهبه له فعلت (٧) أى أن الناس طفقوا يلقون اليه بها من كل جهة حتى احتار في أمره ولم يدر أين يتجه ليأخذها

بِمَسْأَلَتِهِ عَنْ حَالِهِ فَأَمْسَكْتُ . وَبِمُكَالَمَتِهِ فَسَكَتُّ (١) . وَتَأَمَّلْتُ فَصَاحَتَهُ فِي وَقَاحَتِهِ (٢) وَمَلَاحَتَهُ فِي اسْتِمَاحَتِهِ (٣) . وَرَبْطَهُ النَّاسَ بِحِيلَتِهِ (٤) . وَأَخْذَهُ الْمَالَ بِوَسِيلَتِهِ . وَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَنْدَرِيُّ . فَقُلْتُ : كَيْفَ اهْتَدَيْتَ إِلَى هٰذِهِ الْحِيلَةِ ؟ فَتَبَسَّمَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

النَّاسُ حُمْرٌ فَجَوِّزْ ... وَابْرُزْ عَلَيْهِمْ وَبَرِّزْ (٥)

حَتَّى إِذَا نِلْتَ مِنْهُمْ ... مَا تَشْتَهِيهِ فَفَرِّزْ (٦)

---

(١) أي أنه أراد أن يسأله عن أمره ويطلب منه كشف القناع عن حقيقة حاله ولكنه رأى خيرا به ألا يفعل (٢) الوقاحة : سوء الادب وقلة الحياء وأراد أنه خرج كثيرا عن حدود الآداب في كلامه ولم يراع الحياء في مقاله فلرب معذور كعيسى أنومه ترك شؤونه ورب عجلان مثله قيده عن السعي الى صالحه (٣) استماح : طلب العطاء وأصله مأخوذ من ماح يميح اذا ملأ دلوه من البئر قال الراجز

أيها المائح دلوي دونكا ... أني رأيت الناس يحمدونكا

(٤) لم نجد أعرب من حيلة أبي الفتح هذه وكيف لا وهي التي فوتت على عيسي طلبته وأخرته عن قضاء لبانته ؟ (٥) حمر جمع حمار وهو معروف وجوز معناه قد ، وبرز فلان فلانا (مضعفا) تفوق عليه ، وبرز بالتخفيف : ظهر والمعنى أن هؤلاء الذين تراهم يشبهون الحمر في الجهالة والحمق فقد هم حيث تشاء وسر بهم أني أردت واظهر عليهم وانبه بينهم

(٦) فروز معناه : مات أي لا تقصر في رفعة شأنك وظهورك على الناس

المقامة الأهوازية

حدثنا عيسى بن هشام قال: كنت بالأهواز (١) في رفقة مى ما ترق العين فيهم تسهل (٢). ليس فينا إلا أمرد بكر الآمال. أو مختط حسن الإقبال. مرجو الأيام والليال (٣). فأفضنا في العشرة كيف نضع قواعدها. والأخوة كيف نحكم معاقدها. والسرور في أي وقت نتقاضاه. والشرب في أي وقت نتعاطاه. والأنس كيف نتهاداه. وفائت الحظ كيف نتلافاه. والشراب من أين نحصله. والمجلس كيف نزينه (٤)

حتى تنال أمانيك وتبلغ آمالك فاذا انتهت أعراضك ففارقهم ولو بالموت

(١) الاهواز بلد بين البصرة وفارس تشمل تسع كور لكل كورة منها اسم يخصها وهي تجمعهن وهن: رامهرمز، وعسكر مكرم، وتستر، وجنديسابور، وسوس. وسرق، ونهرتيري. وأيذج، ومناذر (٢) تقدم شرح هذه الفقرة وهي شطر بيت لامرىء القيس أوله:

وزحنا يكاد الطرف يقصر دونه   متى ما ترق العين فيه تسهل

ويروي بدل: تسهل، تسفل وهذه الرواية تساعدنا على المعنى الذى أردناه هناك (٣) يريد أن أفراد هذه الجماعة كلهم كانوا من الاحداث صغار السن فأما أمرد لم ينبت عذاره وأما في خط شاربه ولكنه لا يزال غضا في القوة مفتول الساعد، ماضيا في الكروب، مأمولا عند الشدائد

(٤) أي أنهم أرادوا أن ينظموا أوقات سمرهم ويعينوا ساعات لهوهم ويضعوا نموذج الصداقة والمؤاخاة بحيث تكون أعمالهم جارية على مقتضاه

فقالَ أحدُنا : عَلَيَّ البَيْتُ وَالنُّزْلُ (١) . وقالَ آخرُ : عَلَيَّ الشَّرابُ والنُّقْلُ (٢) . ولَمّا أجمعنا عَلى المَسيرِ استقبلنا رَجُلٌ في طِمْرَيْنِ في يُمْناهُ عُكّازةٌ . وَعلى كَتِفِهِ جِنازةٌ (٣) . فتطيَّرْنا لمّا رأينا الجِنازةَ وأعرضنا عنها صفحاً . وطوينا دونها كَشْحاً (٤) . فصاحَ بنا صَيْحةً كادتْ لها الأرضُ تنفطِرُ . والنُّجومُ تنكدِرُ (٥) ، وقالَ : لَتَرَوُنَّها صُغْراً وَلَتَرْكَبُنَّها كَرْهاً وَقَسْراً (٦) . ما لَكُمْ تطَّيَّرونَ مِنْ مَطِيَّةٍ رَكِبها أسلافُكُمْ وسَيَرْكَبُها أخلافُكُمْ (٧) . وتتقذَّرونَ سَريراً وَطِئَهُ آباؤكُمْ

---

(١) النزل بوزن قفل وبضمتين : المنزل أو المكان المهيء للضيافة (٢) النقل بفتح أوله وقد يضم وقيل الضم فيه خطأ : ما يتحذه جماعة الشاربين ليتنقلوا من الشراب اليه وبالعكس

(٣) طمرين : ثوبين خلقين ، والعكازة : العصا الغليظة يكون في آخرها زج ، والجنازة ـ بكسر أوله ـ النعش والميت معا ، وبالفتح : السرير وبها الميت وحده ، والنعش : الخشبة ولا يقال له سرير حتى يكون فيه الميت

(٤) تطيرنا : تشاءمنا ، وطوينا دونها كشحا : أي انحرفنا عنه ، ولم تمل نفوسنا اليه ، ونفرنا منه

(٥) فطره يفطره ويفطره من باب ضرب ونصر شقه ، وانفطر : انشق. وانكدرت النجوم : تناثرت ، والمراد شدة الصيحة وقوة فعلها فيهم

(٦) الصغر بضم أوله : مصدر صغر ككرم ومثله الصغر كعنب والصغار والصغارة بفتحها والصغران بالضم والمعنى : الذلة والهوان ، والكره والقسر بمعنى (٧) تطيرون أي تتشاءمون والاسلاف الآباء ومن في حكمهم والاخلاف

وَسَيَطَؤهُ أبْنَاؤُكُمْ . أَمَا وَاللهِ لَتُحْمَلُنَّ عَلَى هٰذِهِ الْعِيدَانِ . إِلَى تِلْكُمُ الدِّيدَانِ . وَلَتُنْقَلُنَّ بِهٰذِهِ الْجِيَادِ . إِلَى تِلْكُمُ الْوِهَادِ [١] . وَيْحَكُمْ تَطَيَّرُونَ كَأَنَّكُمْ مُخَيَّرُونَ . وَتَتَكَرَّهُونَ . كَأَنَّكُمْ مُنَزَّهُونَ . هَلْ تَنْفَعُ هٰذِهِ الطِّيَرَةُ . يَا فَجَرَةُ . قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَلَقَدْ نَقَضَ مَا كُنَّا عَقَدْنَاهُ . وَأَبْطَلَ مَا كُنَّا أَرَدْنَاهُ [٢] . فَمِلْنَا إِلَيْهِ وَقُلْنَا لَهُ : مَا أَحْوَجَنَا إِلَى وَعْظِكَ . وَأَعْشَقَنَا لِلَفْظِكَ . وَلَوْ شِئْتَ لَزِدْتَ . قَالَ إِنَّ وَرَاءَكُمْ مَوَارِدَ أَنْتُمْ وَارِدُوهَا وَقَدْ سِرْتُمْ إِلَيْهَا عِشْرِينَ حِجَّةً :

وَإِنَّ امْرَأً قَدْ سَارَ عِشْرِينَ حِجَّةً   إِلَى مَنْهَلٍ مِنْ وِرْدِهِ لَقَرِيبُ [٣]

وَمِنْ فَوْقِكُمْ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ . وَلَوْ شَاءَ لَهَتَكَ أَسْتَارَكُمْ .

الابناء ومن شابههم (١) تتعذرون : تجدونه قذرا وتشمئزون منه ، وطئه ركبه وجلس عليه ، والعيدان والاعواد : النعش . قال بعض الشعراء :

أرأيت من حملوا على الاعواد   أرأيت كيف خبا ضياء النادى

والوهاد جمع وهدة وهي ما اطمأن من الارض وانخفض وأراد بها المقابر لانخفاضها عادة (٢) أي أنه حل بعظته وزجره الذي كنا اتفقنا عليه من حضور مجالس اللهو (٣) موارد جمع مورد وهو مكان الورود وأراد بها الموت وما يتبعه ، وأنكم سائرون فى طريقكم اليها لان الدنيا مجاز الآخرة وقطعتم فى سيركم عشرين سنة هي مقدار أعماركم

يُعامِلُكُمْ فِي الدُّنْيا بِحِلْمٍ ، وَيَقْضِي عَلَيْكُمْ فِي الآخِرَةِ بِعِلْمٍ [١] . فَلْيَكُنِ الْمَوْتُ مِنْكُمْ عَلَى ذُكْرٍ ، لِئَلاَّ تَأْتُوا بِنُكْرٍ . فَإِنَّكُمْ إِذَا اسْتَشْعَرْتُمُوهُ لَمْ تَجْمَحُوا . وَمَتَى ذَكَرْتُمُوهُ لَمْ تَمْرَحُوا [٢] . وَإِنْ نَسِيتُمُوهُ ، فَهُوَ ذَاكِرُكُمْ وَإِنْ نِمْتُمْ عَنْهُ فَهُوَ ثَائِرُكُمْ . وَإِنْ كَرِهْتُمُوهُ فَهُوَ زَائِرُكُمْ . قُلْنَا : فَمَا حَاجَتُكَ قَالَ : أَطْوَلُ مِنْ أَنْ تُحَدَّ وَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُعَدَّ . قُلْنَا : فَسَاتِحِ الْوَقْتِ [٣] قَالَ : رَدُّ فَائِتِ الْعُمْرِ . وَدَفْعُ نَازِلِ الأَمْرِ [٤] قُلْنَا : لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيْنَا وَلَكِنْ مَا شِئْتَ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا [٥] . قَالَ : لاَ حَاجَةَ لِي فِيهَا وَإِنَّمَا حَاجَتِي بَعْدَ هَذَا أَنْ تَخِدُوا أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تَعُوا [٦] ...

---

(١) أى أن الله لايخفى عليه شيء مما تكتمونه الناس وهو لو شاء لفضح امركم وأفشى سركم وأذاع حديثكم فعرفه الصادر والوارد ولكنه يحلم عليكم فى الدنيا مع علمه بما تفعلون وسيحاسبكم في الآخرة بمقتضى هذا العلم (٢) جمح : نفر ، ومرح : اشتد فرحه ، والمعنى أنكم اذا جعلتم الموت نصب أعينكم ولم تغفلوا عنه لم تنفروا من الطاعة ولم تفرحوا بلذة عاجلة تتبعها عقوبة باقية دائمة لأن من يتذكر الموت لاينسى مابعده من أهوال القيامة وشدائدها (٣) أى اذكر لنا مايسمح لك به الوقت ولا تحرمنا لذة الانصات لك (٤) يتمنى عليهم أن يعيدوا أليه مافات من عمره وأن يدفعوا عنه الامر الذى ينزل به (٥) أجابوه بأنه ليس فى استطاعتهم أن ينيلوه رغبته أو يحققوا له أمنيته ولكنهم على أهبة أن يعطوه من المادة ماشاء (٦) وخد يخد وخدا : أسرع فى مشيه ، ووعى يعى : فطن وحفظ والمراد انه يطلب منهم أن يجدوا

المَقَامَةُ البَغْدَاذِيَّةُ

حَدَّثَنا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قالَ: اشْتَهَيْتُ الأَزَاذَ (١). وَأَنَا بِبَغْدَاذَ. وَلَيْسَ مَعِي عَقْدٌ عَلَى نَقْدٍ (٢). فَخَرَجْتُ أَنْتَهِزُ مَحَالَّهُ حَتَّى أَحَلَّنِي الكَرْخَ (٣). فَإِذَا أَنَا بِسَوادِيٍّ يَسُوقُ بِالجَهْدِ حِمَارَهُ (٤). وَيُطَرِّفُ بِالعَقْدِ إِزَارَهُ، فَقُلْتُ: ظَفِرْنا وَاللهِ بِصَيْدٍ. وَحَيَّاكَ اللهُ أَبَا زَيْدٍ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ وَأَيْنَ نَزَلْتَ؟ وَمَتَى وَافَيْتَ؟ وَهَلُمَّ إِلَى البَيْتِ (٥). فَقَالَ السَّوادِيُّ: لَسْتُ بِأَبِي زَيْدٍ. وَلَكِنِّي أَبُو عُبَيْدٍ. فَقُلْتُ: نَعَمْ لَعَنَ اللهُ الشَّيْطَانَ. وَأَبْعَدَ النِّسْيَانَ. أَنْسَانِيكَ طُولُ العَهْدِ. وَاتِّصَالُ البُعْدِ (٦). فَكَيْفَ حالُ أَبِيكَ أَشَابٌّ كَعَهْدِي. أَمْ شابَ

السير فى العمل لانه خير لهم من حفظ مايقوله

(١) تقدم فى المقامة الازاذيه أن الازاذ نوع من التمر الجيد (٢) أى والحال أني معدم لامال عندي (٣) المحال: جمع محله والمراد بها الاماكن التي يوجد بها الاراذ وأنتهز المراد منه التمس وأقصد ولكنه جعلها كالغنيمه التي يسارع لانتهارها اللبق والكرخ محل ببغداد والضمير فى أحلني راجع الى الازاذ من اسناد الفعل للسبب (٤) السواد ريف العراق وقراه والنسبة اليه سوادي والمراد رجل من أهله (٥) أراد بالصيد ذلك الرجل ثم أقبل عليه يحادثه ويكالمه ويتدخل معه لينيل منه ماأراد (٦) أخذ يدخل بحيلته فى روع السوادى أنه أليف قديم وصاحب من عهد بعيد فلما أخطأ تكنيته وخشى ألا تجوز حيلته عمد الى انتحال المعاذير بطول أمد الفراق وبعد عهد التلاق

بَعْدِي ؟ فَقَالَ : قَدْ نَبَتَ الرَّبِيعُ عَلَى دِمْنَتِهِ (١) . وَأَرْجُو أَنْ يُصَيِّرَهُ اللهُ إِلَى جَنَّتِهِ . فَقُلْتُ : إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ . وَمَدَدْتُ يَدَ الْبِدَارِ . إِلَى الصِّدَارِ . أُرِيدُ تَمْزِيقَهُ (٢) . فَقَبَضَ السَّوَادِيُّ عَلَى خَصْرِي بِجُمْعِهِ (٣) . وَقَالَ : نَشَدْتُكَ اللهَ لاَ مَزَّقْتَهُ . فَقُلْتُ : هَلُمَّ إِلَى الْبَيْتِ نُصِبْ غَدَاءً . أَوْ إِلَى السُّوقِ نَشْتَرِ شِوَاءً . وَالسُّوقُ أَقْرَبُ . وَطَعَامُهُ أَطْيَبُ . فَاسْتَفَزَّتْهُ حُمَةُ الْقَرَمِ . وَعَطَفَتْهُ عَاطِفَةُ اللَّقَمِ (٤) . وَطَمِعَ . وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ وَقَعَ . ثُمَّ أَتَيْنَا شَوَّاءً يَتَقَاطَرُ شِوَاؤُهُ عَرَقًا . وَتَتَسَايَلُ جُوذَابَاتُهُ مَرَقًا (٥) . فَقُلْتُ : افْرِزْ لأَبِي زَيْدٍ مِنْ هٰذَا الشِّوَاءِ . ثُمَّ زِنْ لَهُ مِنْ تِلْكَ الْحَلْوَاءِ . وَاخْتَرْ لَهُ مِنْ تِلْكَ الأَطْبَاقِ . وَانْضِدْ عَلَيْهَا أَوْرَاقَ

---

(١) المراد بالدمنة القبر وكنى بذلك عن موته

(٢) البدار المبادرة والمسارعة ، والصدار ثوب يلبس مما يلي الجسد والمعنى أنه حين سمع بموت أبيه بادر الى ثوبه ليمزقه اظهارا للجزع وتأكيدا للحيلة بأنه صديق أبيه (٣) جمع اليد بالضم قبضتها والمعنى أنه قبض بكل يده عليه ليمنعه من تمزيق صداره (٤) استفزته : استهوته وحركته بشدة ، والحمة في الأصل ابرة العقرب التي تلسع بها ثم حملت على الشدة مطلقا ، والقرم : الشهوة البالغة لاكل اللحم واللقم السرعة في الاكل والمعنى أن شدة حبه للطعام وعظيم شوقه اليه أسرعا به الى موافقتي (٥) الجوذابة رغيف يخبز وفوقه طائر أو قطعة لحم

الرُّقَاق وَرُشَّ عَلَيْهِ شيئاً مِنْ ماء السُّمَّاق (١) لِيأكُلَهُ أبُو زَيدٍ هَنِيًّا. فنَحَّى الشَّوَّاءُ بِساطُورِهِ (٢). عَلَى زُبْدَةِ تنورِهِ. فَجَعَلَهَا كَالكُحْلِ سَحْقاً، وَكَالطَّحْنِ دَقًّا. ثُمَّ جلسَ وَجلسْتُ. وَلا يئِسَ وَلا يئِسْتُ. حتى استوفَيْنا وَقلْتُ لصاحب الحَلْوَى: زِنْ لأبي زيدٍ مِنَ اللوزينج رطلَيْنِ فهُوَ أجرَى في الحُلوق. وَأمضى في العُرُوقِ. وَلْيَكُنْ لَيْلِيَّ العُمْرِ. يَوْمِيَّ النشرِ (٣). رقيقَ القشرِ. كثيفَ الحَشْوِ لُؤْلُؤِيَّ الدُّهْنِ. كَوْكَبِيَّ اللَّوْنِ. يذوبُ كالصَّمْغِ. قبلَ المَضْغِ. لِيأكُلَهُ أبُو زيدٍ هنيًّا. قال: فوزنه ثُمَّ قعد وقعدْتُ. وجرَّدَ وجرَّدْتُ (٤). حتى استوفيناهُ ثُمَّ قلتُ. يا أبا زيدٍ ما أحوجنا إلى ماءٍ يُشَعْشَعُ بالثَّلْجِ لِيَقْمَعَ هذه الصارَّة ويَفْثأ هذه اللُّقَمَ الحارَّة (٥). إجلِسْ

---

(١) السماق حب صغير أحمر حامض (٢) الساطور سكين عظيمة وبهذا الاسم تعرف عند العامة من أهل مصر (٣) اللوزينج نوع من الحلوي يتخذ من الخبز ويسقى بدهن اللوز ويحشى بالنقل وكونه ليلي العمر أي مما صنع ليلا نهاري النشر أي وظهر نهارا ليكون قد شرب دهنه وعسله

(٤) أي شمر عن ساعده ليسرع في الاكل (٥) يشعشع: يخلط ومن ثم قيل للخمر: مشعشعة لانها تشرب مخلوطة بالماء كثيرا قال.

مشعشعة كأن الحص فيها اذا ما الماء خالطها سخينا

ويقمع: يقهر، والصارة. شدة الحر، ويفثأ: يكسر ويخفف. والمعنى أننا في حاجة الى الماء المخلوط بالثلج ليرد عنا سطوات الحر ويخفف من حدة

يا أبا زيدٍ حتى نأتيك بِسقّاء . يأتيكَ بشَربةِ ماء . ثمّ خرجتُ وَجلستُ بحيثُ أَراهُ وَلا يرَاني أنظرُ ما يصنعُ . فلمّا أبطأتُ عليهِ قام السوادِيُّ إلى حِمارِه فاعتلق الشوّاءُ بإزارِه [1] . وقال : أينَ ثمنُ ما أكلتَ ؟ فقال أبو زيدٍ : أكلتُهُ ضيفًا [2] . فلكمَهُ لكمةً . وثنّى عليهِ بلطمةٍ [3] . ثمّ قال الشوّاءُ : هاكَ . ومتى دعوناكَ [4] زِنْ يا أخا القِحةِ عِشرينَ [5] . فجعلَ السوادِيُّ يبكي ويحلُّ عُقدَهُ بأسنانِه وَيقولُ : كم قلتُ لذاكَ القُرَيدِ . أنا أبو عُبَيدٍ . وهو يقولُ : أنتَ أبو زيدٍ . فأنشدتُ :

أعمَلْ لرزقكَ كلَّ آلهْ ... لا تقعُدَنْ بكلِّ حالهْ [5]

وانهضْ بكلِّ عظيمةٍ ... فالمرءُ يعجِزُ لا محالهْ [6]

هذا الأكل في أجوافنا (١) اعتلق تعلق ومسك أي أن الشواء لم يتركه يخرج بل أمسكه ليستوفي حقه منه (٢) أكلته ضيفا أي كنت مدعوا لتناول هذا الطعام فلا يحل لك أن تطالبني بثمنه لأن الضيف لا يدفع ثمن ما يأكل (٣) هاك : اسم فعل بمعنى خذ والمعنى . تناول من الضرب واللكم ما أنت به حليق (٤) القحة : الوقاحة وسوء الأدب ومعنى زن عشرين : أعط وزن عشرين درهما (٥) المعنى : لا تكن خائر القوي فتقعد عن طلب الرزق وأنت تعلم أنه لا يأتيك حتى تعمل له ولا يقبل عليك حتى تسير اليه بل أجهد نفسك ، وادأب في السعي اليه ، ولا تدخر وسعا في تحصيله (٦) أي أنه لا بد أن يأتي على المرء يوم يعجز فيه عن القيام بحاجته

المَقَامَةُ البَصْرِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: دَخَلْتُ الْبَصْرَةَ وَأَنَا مِنْ سِنِّي فِي فَتَاءٍ. وَمِنَ الزِّيِّ فِي حِبَرٍ وَوِشَاءٍ. وَمِنَ الْغِنَى فِي بَقَرٍ وَشَاءٍ [1]. فَأَتَيْتُ الْمِرْبَدَ فِي رُفْقَةٍ تَأْخُذُهُمُ الْعُيُونُ وَمَشَيْنَا غَيْرَ بَعِيدٍ إِلَى بَعْضِ تِلْكَ الْمُتَنَزَّهَاتِ فِي تِلْكَ الْمُتَوَجَّهَاتِ [2]. وَمَلَكَتْنَا أَرْضٌ فَحَلَلْنَاهَا [3] وَعَمَدْنَا لِقِدَاحِ اللَّهْوِ فَأَجَلْنَاهَا [4] مُطَّرِحِينَ لِلْحِشْمَةِ إِذْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا مِنَّا [5]. فَمَا كَانَ بِأَسْرَعَ مِنِ ارْتِدَادِ الطَّرْفِ حَتَّى عَنَّ لَنَا سَوَادٌ تَخْفِضُهُ وِهَادٌ. وَتَرْفَعُهُ نِجَادٌ [6]. وَعَلِمْنَا أَنَّهُ يَهُمُّ بِنَا فَأَتْلَعْنَا لَهُ [7]

فانتهز فرصة شبابك وقوتك ، و غتنم من فتوتك وحداثة سنك ما يساعدك على القيام بعظائم الامور ، وجلائلها (١) فتاء السن . ميعته وشبابه قال الشاعر :

اذا عاش الفتى مائتين عاما فقد ذهب اللذاذة والفتاء

والوشاء بوزان كساء : نوع من اللباس مطرز والمراد أن عليه ثياب أهل النعمة ومنظرهم والشاء : الشياه . والغنم والبقر هما مال العرب فمن أخذ بنصيب منهما كان موسرا سريا (٢) المربد بوزن منبر : موضع بالبصرة ، والمتنزه : الحديقة والروضة يختلف الناس أليها ترويحا للنفس وأنعاشا للروح وتجديدا للمسرة وهي خطأ في المقامة (٣) ملكتنا : أخذ حسنها بألبابنا وأسر رونقها قلوبنا (٤) عمدنا . قصدنا . قداح . جمع : قدح وأصلها قداح الميسر ، أجلناها حركناها وأدرناها بيننا (٥) متى كانت الرفقة ليس فيها أجنبي لم يكن للحشمة موضع لأن شدة الالفة تسقط الكلفة (٦) الوهاد . المطمئن من الارض والنجاد المرتفع منها (٧) أتلعنا . مددنا أعناقنا ننظر اليه

حتّى أدّاه إلينا سيرُه ولقينا بتحيّة الإسلام . ورددنا عليه مقتضى السلام . ثمّ أجال طرفه فينا وقال : يا قوم ما منكم إلّا من يلحظني شزرا . ويوسعني حزرا (١) . وما ينبّئكم عنّي أصدق منّي . أنا رجل من أهل الإسكندريّة من الثغور الأمويّة . قد وطأ لي الفضل كنفه (٢) ورحّب بي عيش ونمانى بيت ثم جعجع بي الدهر عن ثمّه ورمّه (٣) . وأتلانى زغاليل حمر الحواصل .

كأنّهم حيّات أرض محلة | فلو يعضون لذكّى سمّهم
إذا نزلنا أرسلوني كاسبا | وإن رحلنا ركبوني كلّهم (٤)

---

(١) يلحظني شزرا . ينظر إلىّ بمؤخر عينه ، وهي نظرة الغاضب الساخط ، والحزر . الحدس والتخمين ، والمعنى أنه ليس فيكم أحد لم يغضب لقدومي عليكم ، ولم يبق منكم من لم يجهد نفسه ، وينصب قريحته في استكشاف سرى واستطلاع أمري ، وتبين حقيقتي (٢) وطأ لي كنفه . جعل جانبه لي وطاء كناية عن سعة عيشه

(٣) جعجع بي الدهر . أهانني وأذلني وصب على جام غضبه وأنزل بي محنه وشدائده . وثمه ورمه . أي قليله وكثيره . والمعنى . أن الحال قد تغيرت ، وانقلبت اليسرة عسرة ، وأضحى الغنى فقرا (٤) أتلاني : اتبعني ، وزغاليل : عني بهم أطفاله ، وحمر الحواصل : كناية عن الجوع ، والأرض المحلة : القاحلة التي لا نبات فيها ولا ماء وحياتها أخبث الحيات وأردؤها ، وذكى سمهم أي :

وَنَشَزَتْ عَلَيْنَا الْبِيضُ . وَشَمِسَتْ مِنَّا الصُّفْرُ . وَاكَلَتْنَا السُّودُ . وَحَطَمَتْنَا الْحُمْرُ . و انْتَابَنَا أَبُو مَالِكٍ . فَمَا يَلْقَانَا أَبُو جَابِرٍ إِلاَّ عَنْ عُفْرٍ [١] . وَهٰذِهِ الْبَصْرَةُ مَاؤُهَا هَضُومٌ . وَفَقِيرُهَا مَهْضُومٌ . وَالْمَرْءُ مِنْ ضِرْسِهِ فِى شُغْلٍ . وَمِنْ نَفْسِهِ فِى كَلٍّ [٢] . فَكَيْفَ بِمَنْ!

يَطُوفُ مَا يَطُوفُ ثُمَّ يَأْوِى ... إِلَى زُغْبٍ مُحَدَّدَةِ الْعُيُونِ

كَسَاهُنَّ الْبِلَى شُعْثاً فَتُمْسِي ... جِيَاعَ النَّابِ ضَامِرَةَ الْبُطُونِ [٣]

وَلَقَدْ أَصْبَحْنَ الْيَوْمَ وَسَرَّحْنَ الطَّرْفَ فِى حَيٍّ كَمَيْتٍ . وَ بَيْتٍ

لم يرج منه شفاء وذلك تأكيد لوصفهم بشدة الجوع (١) نشزت علينا . كرهتنا وأترض مصاحبتنا ، البيض . الدراهم شمست . نفرت واشتد جماحها ، الصفر : الدنانير والسود الليالى المهلكة ببردها وشدتها ، وحطمتنا . كسر تنا وفات من عزيمتنا وأوهنت قوانا والحمر السنين المجدبة ، وابو مالك . الفقر والكبر والهرم ، وأبو جابر . الخبز ولم يلقنا ألا عن عفر . أى انه لايزورنا ألا كل حين مرة (٢) ماء هضوم . أى يسرع في هضم المأكل . ورجل مهضوم . غير مرعى الجانب ولا منظور أليه ، ومن نفسه في شغل . أى أنه قد ألهاه أمر نفسه وتحصيل قوته عن النظر ألى غيره وأنه يتعب فى ذلك فكيف يكون حال من يسعى لنفسه وعياله (٣) زغب . جمع أزغب والمراد الاطفال الصغار ومحددة العيون كثيرة الشخوص والنظر لعودته ينتظرون مافي يده . وشعث . أي غير متغيرون لعدم من يرعاهم ويحافظ عليهم

كَالَا بِيَتٍ. وَقَلَبْنَ الْأَكُفَّ عَلَى لَيْتَ. فَفَضَضْنَ عُقَدَ الضُّلُوعِ وَأَفَضْنَ مَاءَ الدُّمُوعِ. وَتَدَاعَيْنَ بِاسْمِ الْجُوعِ

وَالْفَقْرُ فِي زَمَنِ اللِّئَا ... مِ لِكُلِّ ذِي كَرَمٍ عَلَامَهْ

رَغِبَ الْكِرَامُ إِلَى اللِّئَا ... مِ وَتِلْكَ أَشْرَاطُ الْقِيَامَهْ(١)

وَلَقَدِ اخْتَرْتُكُمْ يَا سَادَةُ. وَدَلَّتْنِي عَلَيْكُمُ السَّعَادَةُ. وَقُلْتُ قَسَمًا. إِنَّ فِيهِمْ لَقَسَمًا(٢) فَهَلْ مِنْ فَتًى يُعَشِّيهِنَّ. أَوْ يُغَشِّيهِنَّ. وَهَلْ مِنْ حُرٍّ يُغَدِّيهِنَّ أَوْ يُرَدِّيهِنَّ(٣). قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَوَاللهِ مَا اسْتَأْذَنَ عَلَى حِجَابِ سَمْعِي كَلَامٌ رَائِعٌ أَبْرَعُ. وَأَرْفَعُ وَأَبْدَعُ مِمَّا سَمِعْتُ مِنْهُ لَا جَرَمَ أَنَّا اسْتَمَحْنَا الْأَوْسَاطَ وَنَفَضْنَا الْأَكْمَامَ وَنَحَيْنَا الْجُيُوبَ

---

(١) رغب الكرام الى اللئام: طلبوا منهم ووجهوا اليهم بحاجاتهم، أشراط: علامات والمعنى: أن الفقر وسوء المنظر فى عهد يرتفع فيه اللئيم ويسود الخبيث دليل على الكرم وحسن الخيم وطيب العنصر لان الكرام قد أملقوا وذوي الفضل قد أتربوا ولأن الأدنياء وصغار النفوس وضعاف الاحلام قد ارتفعوا ونبه شأنهم وذلك من اشارات الساعة وعلامات دنوها وهو اشارة لحديث جبريل حين سأل النبي عن علامات الساعه فقال: (وأن تجد الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان) (٢) كناية عن كونهم منجعا يرده العافى وهو من قولهم لمن يخيب فيه الظن: استسمنت ذا ورم (٣) يعشيهن أى يطعمهن العشاء، ويغشيهن بالمعجمة: يكسوهن، ويغديهن: يطعمهن الغداء ويرديهن: يلبسهن الرداء

وَتَلْتُهُ أَنَا مُطْرَفِي (١) وَأَخَذَتِ الْجَمَاعَةُ إِخْذِي . وَقُلْنَا لَهُ : إِلْحَقْ بِأَطْفَالِكَ . فَأَعْرَضَ عَنَّا بَعْدَ شُكْرٍ وَفَّاهُ . وَنَشْرٍ مَلَأَ بِهِ فَمَهُ .

الْمَقَامَةُ الْفَزَارِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ فِي بَعْضِ بِلَادِ فَزَارَةَ مُرْتَحِلاً نَجِيبَةً . وَقَائِداً جَنِيبَةً . تَسْبَحَانِ بِي سَبْحاً (٢) . وَأَنَا أَهُمُّ بِالْوَطَنِ (٣) فَلَا اللَّيْلُ يَثْنِينِي بِوَعِيدِهِ . وَلَا الْبُعْدُ يَلْوِينِي بِبِيدِهِ (٤) فَظَلِلْتُ أَخْبِطُ وَرَقَ النَّهَارِ بِعَصَا التَّسْيَارِ (٥) وَأَخُوضُ بَطْنَ

---

(١) لاجرم : كلمة تقع موقع حقا أو ثبت . واستحللنا الأوسط : حللنا ما عليها من المناطق وهي احزمة يجعل فيها بعض الناس نقودهم ويروى استمحنا وهذه أظهر ، والمطرف : رداء من خز معلم

(٢) فزارة : احدى قبائل العرب والنجيبة : الكريمة من الابل . والجنيبة المطية تأخذها معك في أسفارك لتستريح عليها اذا كلت الاولى : وتقدم مثل ذلك ويسبحان أي انهما لسرعة جريهما وخفة حركتهما يشبهان السابح في اليم (٣) أهم بالوطن : أي أعتزم السير أليه (٤) يثنيني : يعطفني عن مقصدي و لوعيد الزجر والمراد به الشدة والاهوال التي تكون في الليل ، والبيد جمع بيداء وهي الصحراء . والمعنى أنني عزمت عزما صادقا لم يزحزحني عنه خطر الليل وشدته ولا طول المسافة وبعد الشقة (٥) شبه النهار بدوحة قال أنه كان يخبط ورقها بعصا التسيار أي بالسير الشبيه بالعصا

اللَّيْلِ بِحَوافِرِ الخَيْلِ . فَبَيْنَما أَنا فِي أَيْلَةٍ يَضِلُّ فِيها القَطاطُ (١) . وَلاَ يُبْصِرُ فِيها الوَطْوَاطُ (٢) . أَسِيحُ سَيْحاً وَلا سانِحَ إِلاَّ السَّبُعُ . وَلا بارِحَ إِلاَّ الضَّبُعُ (٣) . إِذْ عَنَّ لِي رَاكِبٌ تامُّ الآلاتِ يَؤُمُّ الأَثْلاتِ . يَطْوِي إِلَيَّ مَنْشُورَ الفَلَوَاتِ فَأَخَذَنِي مِنْهُ مَا يَأْخُذُ الأَعْزَلَ مِنْ شاكِي السِّلاحِ لَكِنِّي تَجَلَّدْتُ فَقُلْتُ : أَرْضَكَ لا أُمَّ لَكَ فَدُونَكَ شَرْطُ الحَدِيدِ . وَخَرْطُ القَتَادِ . وَخَصْمٌ ضَخْمٌ . وَحَمِيَّةٌ أَزْدِيَّةٌ . وَأَنا سِلْمٌ إِنْ شِئْتَ : وَحَرْبٌ إِنْ أَرَدْتَ . فَقُلْ لِي مَنْ أَنْتَ (٤) فَقالَ : سِلْماً أَصَبْتَ . فَقُلْتُ : خَيْراً أَجَبْتَ فَمَنْ أَنْتَ ؟ قالَ : نَصِيحٌ إِنْ شاوَرْتَ . وَفَصِيحٌ إِنْ حاوَرْتَ . وَدُونَ اسْمِي لِثامٌ . لاَ تُمِيطُهُ الأَعْلامُ (٥) . قُلْتُ : فَما الطُّعْمَةُ ؟ قالَ : أَجُوبُ جُيُوبَ

---

(١) القطاط على وزن سحاب القطا وهو يضرب به المثل فى الهداية فاذا كان يضل فلا شك أنه لا ينجو من الضلالة أحد قال :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت

(٢) الوطواط : الخفاش طائر معروف يبصر ليلا ولا يرى نهارا (٣) السانح الذى يمر عن يمينك والبارح الذى يمر عن شمالك والمعنى أنه لم يكن يقع نظره ألا على الوحوش من سبع وضبع مرة عن يمينه ومرة عن يساره

(٤) المراد أنه واجهه بكل ماذكر لئلا يظن به الضعف فيحمل عليه ثم تدخل معه فى الحديث ليعرف من هو (٥) نصيح أن شاورت . أى لا يخدعك ولا يغشك بل ينصحك ويفيدك وفصيح أن حاورت . أى : أذا كلمته لم تجد

الْبِلَادِ، حَتَّى أَقَعَ عَلَى جَفْنَةِ جَوَادٍ. وَلِي فُؤَادٌ يَخْدِمُهُ لِسَانٌ. وَبَيَانٌ يَرْقُمُهُ بَنَانٌ (١). وَقُصَارَايَ كَرِيمٌ يَخْفِضُ لِي جَنِيبَتَهُ. وَيَنْفُضُ إِلَيَّ حَقِيبَتَهُ (٢). كَابْنِ حُرَّةٍ طَالِعٍ عَلَيَّ بِالْأَمْسِ طُلُوعَ الشَّمْسِ. وَغَرَبَ عَنِّي بِغُرُوبِهَا، لَكِنَّهُ غَابَ وَمَا غَابَتْ تَذْكَارُهُ. وَوَدَّعَ وَشَيَّعَتْنِي آثَارُهُ. وَلَا يُنَبِّئُكَ عَنْهَا (٣). أَقْرَبُ مِنْهَا. وَأَوْمَأَ إِلَى مَا كَانَ لَبِسَهُ. فَقُلْتُ: شَحَّاذٌ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ أَخَّاذٌ. لَهُ فِي الصَّنْعَةِ نَفَاذٌ. بَلْ هُوَ فِيهَا أُسْتَاذٌ (٤). وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَرْشَحَ لَهُ وَتَسِحَّ عَلَيْهِ (٥). فَقُلْتُ: يَا فَتَى قَدْ جَاءَتْ عِبَارَتُكَ فَأَيْنَ شِعْرُكَ مِنْ كَلَامِكَ. فَقَالَ: وَأَيْنَ كَلَامِي مِنْ شِعْرِي. ثُمَّ اسْتَمَدَّ غَرِيزَتَهُ (٦). وَرَفَعَ

الاخلابة وذرابة وقوة عارضة، وهذه أوصاف ونعوت ولكن لاسبيل الى اسمي ولاطريق لعرفانه لاني لم اتخذ علما اجعله شعاري (١) الطعمة. أي المكسب والحرفة التي تطعم منها وأراد بما ذكره أن حرفته التجوال والطواف لعله يجد كريما يدعوه الى جفنته (٢) قصاراي. أي أنه منتهى أملي، جنيبته. أحد شقي حمله أو الدابة التي تسير جنب دابته والحقيبة وعاء اللباس ونحوه. (٣) أى لايخبرك بما أسداه الى مخبر صادق كنفس الذي نالنى منه وأومأ: أشار (٤) له فى الصنعة نفاذ: أى أنه قدير ماهر وهو فيها استاذ أى معلم تؤخذ عنه أساليبها وفنونها (٥) الرشح: خروج الماء نقطة نقطة كالعرق والسح تدفقه من أعلى والمراد لامناص لك من أعطائه (٦) الغريزة: السجيه واستمدها طلب منها المعونة لتظهر كفاءته ويتضح مقداره

عقيرته (١) . بصوت ملأ الوادي وأنشأ يقول :

بأروع أهداه لي الليل والفلا … وخمس تمس الأرض لكن كلا ولا (٢)

عرضت على نار المكارم عوده … فكان معمّا في السيادة مخولا (٣)

وخادعته عن ماله فخدعته … وساهلته من بره فتسهلا (٤)

فلما تجالينا وأحمد منطقي … بلاني من نظم القريض بما بلا (٥)

فما هز إلا صارما حين هزني … ولا ألفاني إلا في السبق أولا (٦)

فلم أره إلا أغر محجلا … وما تحته إلا أغر محجلا (٧)

---

(١) صاح (٢) أروع : شهم ، اهداه لي الليل : دلني عليه السرى ، والفلا : الصحراء وخمس تمس الارض : المراد بها الارجل لان أصابعها خمسة ولانها تلامس الارض ويروى حمش بالحاء المهملة المضمومة والشين جمع احمش : أي سريع والمراد بها قوائم الفرس وقوله كلا ولا كناية عن سرعة السير وتقارب ملامستها للارض (٣) العود أصله عام في كل مايصيبه الاحراق ثم اختص بنوع معروف ، ومعنى معما مخولا أي له عم وخال : أنه عريق في السيادة قد نالها عن آبائه (٤) خدعه أي خالسه فانخدع أي جازت عليه الحيلة والاصل ان الكريم يستهين بماله ويحتقره فلايعرف أساليب جمعه والتحفظ به (٥) تجالينا : أي أوضح كل منا نفسه للآخر ، أحمد : رضي وأثنى عليه وبلاني : اختبرني (٦) الصارم : السيف المسلول القاطع أي أنه حين اختبرني وجدني كالسيف مضاء وسرعة وألفاني سباقا (٧) الاغر الذي في جبهته بياض ، والمحجل الذي في قوائمه ذلك وينعت بهما الفاضل النابه

فَقُلْتُ لَهُ : عَلَى رِسْلِكَ يَافَتَى (١). وَلَكَ فِيمَا يَصْحَبُنِي حُكْمُكَ فَقَالَ : الْحَقِيبَةُ تَافِيهَا . فَقُلْتُ : إِنَّ وَحَامِلَتَهَا (٢). ثُمَّ قَبَضْتُ بِجُمْعِي عَلَيْهِ وَقُلْتُ : لاَ وَالَّذِي أَلْهَمَهَا لَمْساً . وَشَقَّهَا مِنْ وَاحِدَةٍ خَمْساً (٣) لاَ تُزَايِلُنِي أَوْ أَعْلَمَ عِلْمَكَ (٤) . فَحَدَرَ لِثَامَهُ عَنْ وَجْهِهِ (٥) . فَإِذَا هُوَ وَاللهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ . فَمَا لَبِثْتُ أَنْ قُلْتُ :

تَوَشَّحْتَ أَبَا الْفَتْحِ ... بِهٰذَا السَّيْفِ مُخْتَالاَ (٦)
فَمَا تَصْنَعُ بِالسَّيْفِ ... إِذَا لَمْ تَكُ قَتَّالاَ (٧)

وفى الحديث (أنا قائد الغر المحجلين يوم القيامة) (١) أى أنتظر وتأن (٢) أن : حرف يراد بها الجواب بمعنى نعم أى لك الحقيبة والناقة التى تحملها (٣) ألهمها لمسا : جعل فيها القدرة على الادراك بوجه اللمس ، وشقها من واحده خمسا : أى جعلها فروعا خمسة لأصل واحد والضمير للأصابع واكتفى بما سيذكر من نعوتها واوصافها عن تقدمها لانها تتعين بذلك أو يقال أنه تقدمها فى ضمن الجمع المذكور أنه قبض به عليه مسوغ الاضمار (٤) زايله : برح مكانه وعلم علمه : عرفه والمعنى لا تبرح مكانك ولا تفارقنى حتى تعرفنى بنفسك (٥) حدر لثامه عن وجهه : أي أزاله وكشف عن نفسه ليتضح لى شخصه ويظهر خفيه (٦) توشحت : أي اتخذته وشاحا أو تقلدته ، واختال : أى زهى وأعجب بنفسه والمعنى : انك تقلدت هذا السيف فأعجبت وتكبرت (٧) المعنى : مايفيدك لبس السيف وما يغنيك تقلده وهو لا يتخذ إلا للقتال به والدفاع عن النفس ولست من هذا في العير ولا في النفير

فَصُغْ مَا أَنْتَ حَلَّيْتَ ... بِهِ سَيْفَكَ خَلْخَالًا (١)

الْمَقَامَةُ الْجَاحِظِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: أَثَارَتْنِي وَرِفْقَةً وَلِيمَةٌ (٢) فَأَجَبْتُ إِلَيْهَا لِلْحَدِيثِ الْمَأْثُورِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ. وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ. فَأَفْضَى بِنَا السَّيْرُ (٣) إِلَى دَارٍ

تَرَكَتْ وَالْحُسْنَ تَأْخُذُهُ ... تَنْتَقِي مِنْهُ وَتَنْتَخِبُ

فَانْتَقَتْ مِنْهُ طَرَائِفَهُ ... وَاسْتَزَادَتْ بَعْضَ مَا تَهَبُ (٤)

قَدْ فُرِشَ بِسَاطُهَا. وَبُسِطَتْ أَنْمَاطُهَا. وَمُدَّ سِمَاطُهَا (٥). وَقَوْمٍ قَدْ أَخَذُوا

---

(١) الخلخل : نوع من الحلى تلبسه المرأة فى ساقها والمراد السخرية منه والاستهزاء به أي أنه خير لك أن تجعل هذه الحلية خلخالا لا يفيدك ويغنيك من أن تجعلها لسيف لا تستعمله ولا أنت له أهل

(٢) اثارتنى : حركتني من اثارت الريح الغبار هيجته والوليمة الدعوى للطعام (٣) أفضي بنا السير : انتهي (٤) اى ان هـذه الدار جامعة لانواع المحاسن فكأنها خليت بالحسن وعرض عليها أن تنتقى منه خياره وتنتخب اطايبه فأخذت طريفه اي حديثه وطلبت المزيد على ذلك لتهبه غيرها (٥) الأنماط : جمع مفرده نمط وهو غطاء الفرش وظهارته والسماط من الطعام ما يمد

الوَقتَ بَينَ آسٍ مَخضُودٍ. وَوَرْدٍ مَنضُودٍ. وَدَنٍّ مَقصُودٍ وَنايٍ وَعُودٍ (١) فَصِرْنا إليهِمْ وَصارُوا إلينا (٢). ثُمَّ عَكَفْنَا عَلَى خِوَانٍ قَدْ مُلِئَتْ حِيَاضُهُ وَنُوِّرَتْ رِيَاضُهُ. وَاصْطَفَّتْ جِفَانُهُ. وَاخْتَلَفَتْ أَلْوَانُهُ (٣). فَمِنْ حَالِكٍ بِإِزَائِهِ نَاصِعٌ (٤). وَمِنْ قَانٍ تِلْقَاءَهُ فَاقِعٌ. وَمَعَنَا عَلَى الطَّعَامِ رَجُلٌ تُسَافِرُ يَدُهُ عَلَى الْخِوَانِ. وَتَسْفِرُ بَيْنَ الأَلْوَانِ (٥). وَتَأْخُذُ وُجُوهَ الرُّغْفَانِ. وَتَفْقَأُ عُيُونَ الْجِفَانِ (٦). وَتَرْعَى أَرْضَ الْجِيرَانِ (٧). وَتَجُولُ فِي الْقَصْعَةِ.

---

(١) الآس ما نسميه العامة : الريحان ، ومخضود : عليه وجمه سمعل بضمتين أي اتخذت منه اشكال للزينة فتجمع وتثنى من غير كسر ، وورد منضود : أي بعضه فوق بعض ، والدن : وعاء الخمر ، والناى والعود نوعان من آلات اللهو والطرب (٢) اى استقبلونا وكل منا سار نحو رفيقه (٣) الخوان المائدة قبل ان يكون عليها طعام والجفان جمع جفنة وهي القصعة الكبيرة (٤) حالك : اى اسود شديد السواد وناصع ابيض شديد البياض والقاني الاحمر والفاقع : الاصفر والمراد بيان اختلاف الالوان

(٥) أي أن هذا الرجل كان في سرعة أكله وامتداد يده الى البعيد عنه من اصناف الطعام يشبه المسافر ، وسفر بين القوم فهو سفيرهم أي مشى في الصلح بينهم يشبه توفيقه بين المطاعم ومزجه بعضها ببعض بمكن يكون حاله ذلك (٦) الرغفان : جمع رغيف وهو ذوطاقين أحدهما يكون رقيقا سريع التناول وهو الذي كان ذلك الرجل يبادر اليه والمراد أنه كان يسارع الى أطايب المأكولات حتى انه ليأخذ من الجفنة أحسنها وأفضلها (٧) أي انه لم يكن يتأدب ويراعى حقوق الذين معه بل كان يعدو على الذي أمامهم

كَالرُّخِّ في الرُّقْعَةِ (١) . يَزْحَمُ بِاللُّقْمَةِ اللُّقْمَةَ . وَيَهْزِمُ بِالمُضْغَةِ المُضْغَةَ . وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ سَاكِتٌ لاَ يَنْبِسُ بِحَرْفٍ وَنَحْنُ في الحَدِيثِ نَجْرِي مَعَهُ حَتَّى وَقَفَ بِنَا عَلَى ذِكْرِ الجَاحِظِ وَخَطَابَتِهِ (٢) . وَوَصْفِ ابْنِ المُقَفَّعِ وَذَرَابَتِهِ (٣) . وَوَافَقَ أَوَّلُ الحَدِيثِ آخِرَ الخِوَانِ ، وَزُلْنَا عَنْ ذَلِكَ المَكَانِ (٤) . فَقَالَ الرَّجُلُ : أَيْنَ أَنْتُمْ مِنَ الحَدِيثِ الَّذِي كُنْتُمْ فِيهِ ؛ فَأَخَذْنَا في وَصْفِ الجَاحِظِ وَلَسَنِهِ . وَحُسْنِ سَنَنِهِ في ،

---

(١) الرخ : قطعة فى الشطرنج تسميها العامة (الطابيه) وهي تذهب وتجيء فى نواح أربع لايفضلها الا (الفرز)

(٢) الجاحظ : هو أمام أهل الادب أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني البصري صاحب التصانيف الممتعة والرسائل المبدعة المولود بالبصرة حوالي سنة ١٦٠ ، تربى حتى أصبح اماما فى كل فن فهو راوية ، فيلسوف ، متكلم كاتب ، مترسل ، مؤرخ ، شاعر ، مصنف ، عالم بالحيوان والنبات والجماد ، له من أمهات كتب هذا الفن كتاب الحيوان وكتاب النبات وله غيرهما تأليفات كثيرة في الادب منها البيان والتبيين وكتاب البخلاء وكان سمحا جوادا كثير المواساة لاخوانه

(٣) هو أبو محمد عبدالله بن داذويه المقفع : أحد فحول البلاغة وأساطينها وثانى اثنين مهدا للناس طريق الترسل ورسما لهم معالم صناعة الانشاء أولهما : عبد الحميد بن يحيى (٤) أي أنه اتفق ان أول حديثنا عند انتهاء الأكل فتركنا مكاننا ونحن لم نتشاغل فى البحث والكلام

الفَصاحَةِ وَسُنَنِهِ . فِيما عَرَفْناهُ (١) . فَقالَ : يا قَوْمِ لِكُلِّ عَمَلٍ رِجالٌ . وَلِكُلِّ مَقامٍ مَقالٌ . وَلِكُلِّ دارٍ سُكَّانٌ (٢) . وَلِكُلِّ زَمانٍ جاحِظٌ . وَلَوِ انْتَقَدْتُمْ . لَبَطَلَ ما اعْتَقَدْتُمْ . فَكُلٌّ كَشَرَ لَهُ عَنْ نابِ الإِنْكارِ (٣) . وَأَشَمَّ بِأَنْفِ الإِكْبارِ . وَضَحِكْتُ لَهُ لا جَذْبًا لِما عِنْدَهُ (٤) وَقُلْتُ : أَفِدْنا . وَزِدْنا . فَقالَ : إِنَّ الجاحِظَ في أَحَدِ شِقَّيِ البَلاغَةِ يَقْطِفُ . وَفي الآخَرِ يَقِفُ (٥) . وَالبَلِيغُ مَنْ لَمْ يُقَصِّرْ نِظامُهُ عَنْ نَثْرِهِ . وَلَمْ يُزْرِ كَلامُهُ بِشِعْرِهِ (٦) . فَهَلْ تَرْوُونَ لِلْجاحِظِ شِعْرًا رائِعًا؟ قُلْنا : لا (٧) . قالَ : فَهَلُمُّوا إِلى كَلامِهِ فَهُوَ بَعِيدُ الإِشاراتِ (٨) .

---

(١) اللسن ذلاقة اللسان وشدة انطلاقه في الحجة والحديث وسنن فلان بفتح أوله طريقته ، وبتثليثه منهجه وسبيله (٢) أي أنه ليس من شأنكم أن تغامروا بأنفسكم في هذا الميدان لانكم لستم من أبطاله (٣) كشر له عن نابه أي أظهره وأبانه ويكون ذلك غالبا عند الضحك (٤) أي انى لم انكر عليه كلامه كمن كان معي بل أظهرت له السرور لمقاله لاعلم ما عنده (٥) يقطف : يسير مسرعا والمعنى انه لم يؤت البلاغة كلها لانه اذا نثر أتى بالعجب العجاب واذا شعر قصر دون الغاية (٦) أي وليس هذا من نعت البلغاء لان البليغ من برز في النوعين ولم يعجز عن أحدهما

(٧) أي هل تحفظون من كلام الجاحظ شعراً يروعكم سماعه أي يملك عليكم قلوبكم (٨) هلم : اسم فعل معناه تعال يستعمل هكذا للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث والمعنى : تعالوا ننظر في كلامه والمراد النثر لانهم انتهوا من الحكم على شعره وكونه بعيد الاشارة مما يقدح في فصاحته

قَلِيلُ الاسْتِعارَاتِ[١] . قَرِيبُ الْعِبارَاتِ[٢] . مُنْقَادٌ لِعُرْيانِ الْكَلَامِ يَسْتَعْمِلُهُ . نَفُورٌ مِنْ مُعْتَاصِهِ يُهْمِلُهُ[٣] ، فَهَلْ سَمِعْتُمْ لَهُ لَفْظَةً مَصْنُوعَةً . أَوْ كَلِمَةً غَيْرَ مَسْمُوعَةٍ ؟ فَقُلْنَا : لا[٤] . قالَ : فَهَلْ تُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ مِنَ الْكَلَامِ ما يُخَفِّفُ عَنْ مَنْكِبَيْكَ ، وَيَنِمُّ عَلَى ما فِي يَدَيْكَ ؟ فَقُلْتُ : أَي وَاللهِ . قالَ : فَأَطْلِقْ لِي عَنْ خِنْصِرِكَ . بِما يُعِينُ عَلَى شُكْرِكَ . فَنِلْتُهُ رِدائِي . فَقالَ :

لَعَمْرُ الَّذِي أَلْقَى عَلَيَّ ثِيابَهُ ... لَقَدْ حُشِيَتْ تِلْكَ الثِّيابُ بِهِ مَجْدا
فَتًى قَمَرَتْهُ الْمَكْرُماتُ رِداءَهُ ... وَما ضَرَبَتْ قِدْحاً وَلا نَصَبَتْ نَرْدا[٥]
اعِدْ نَظَراً يا مَنْ حَبانِي ثِيابَهُ ... وَلا تَدَعِ الْأَيَّامَ تَهْدِمُنِي هَدّا

---

(١) قليل الاستعارات : أى ليس انغلاقه وعسر فهمه مبنيا على استعمال الاستعارة التي تحتاج لدقة فهم وأعمال فكر لانه يسلك الى الحقيقة دائما ولا يجري للاستعارة الا نادراً (٢) قريب العبارات : أي متقاربها وذلك يدل على نضوب معينه (٣) يقال : فلان يكسو الفظه بالبلاغة اذا كان يأتي بها رائعة خلابة : وهو يقول : ان الجاحظ يجيء بكلام عريان أى لامسحة عليه من حسن السبك والفصاحة (٤) يسألهم عن كلام الجاحظ هل فيه كلمة لم ينقلها عن سواه ليستدل بذلك علي ما يقول (٥) قامرته فقمرته أي غالبته فغلبته والمعنى ان المكارم غالبت هذا الرجل فغلبته فهو يصفه بالخضوع لسلطان الفضائل والانقياد لصولتها والسير تحت لوائها

وَقُلْ لِلأُولَى إِنْ أَسْفَرُوا أَسْفَرُوا ضُحىً
وَإِنْ طَلَعُوا فِي غُمَّةٍ طَلَعُوا سَعْدَا [1]

صِلُوا رَحِمَ العَلْيَاءِ وَبُلُّوا لَهَاتَهَا
فَخَيْرُ النَّدَى مَا سَحَّ وَابِلُهُ نَقْدَا [2]

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَارْتَاحَتِ الجَمَاعَةُ إِلَيْهِ . وَانْثَالَتِ الصِّلَاتُ عَلَيْهِ [3] . وَقُلْتُ لَمَّا تَآنَسْنَا : مِنْ أَيْنَ مَطْلَعُ هَذَا البَدْرِ ؟ فَقَالَ :

إِسْكَنْدَرِيَّةُ دَارِي
لَوْ قَرَّ فِيهَا قَرَارِي

لَٰكِنَّ لَيْلِي بِنَجْدٍ
وَبِالْحِجَازِ نَهَارِي [4]

---

(١) اسفروا كشفوا عن وجوههم [illegible] والظلمة والمعنى أيهذا الذى منحنى ثوبه جدد النظر في حاجتي فلعله يظهر لك انى استحق عطية أخرى وهبة ثانية وقل لاصحابك الذين من صفتهم انهم اذا ظهروا ظهروا ظهور الضحى وان طلعوا في كربة وظلمة طلعوا طلوع الكوكب السعدى (٢) البيت كله مقول القول في سابقه واللهاة الحلق وهو بفتح أوله ومثله اللها فاما بضم أوله فهو جمع معناه العطايا وفي المثل اللها تفتح اللها أى العطايا تطلق الالسنة بالمديح والمعنى امنحونى ما ترضى عنه العلياء ويتصل معها بنسب ويشفي برحاءها لانها عطشى مقطوعة القرابة فاذا فعلتم ذلك فقد تكفلتم لها بأقرباء يتصل نسبهم بنسبها ويعينونها فى شدتها (٣) الصلاة بكسر أوله جمع صلة وهى المنحة والعطية وانثالت : انهالت وكثر رميها اليه (٤) المعنى ان شمس حياتي بزغت بالاسكندرية وأتمنى الا أبرحها والا يرميني الدهر بما يزحزحني عنها (ومعنى التمني مأخوذ من لو) ولكن الدهر لا يجيبني الى طلبي ولا يساعدني على رغبتي بل يقذف بى في الحجاز طورا وفي نجد تارة أخرى

أَلْمَقَامَةُ ٱلْمَكْفُوفِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ أَجْتَازُ فِي بَعْضِ بِلَادِ ٱلْأَهْوَازِ . وَقُصَارَايَ لَفْظَةٌ شَرُودٌ أَصِيدُهَا . وَكَلِمَةٌ بَلِيغَةٌ أَسْتَزِيدُهَا (١) فَأَدَّانِي ٱلسَّيْرُ إِلَى رُقْعَةٍ فَسِيحَةٍ مِنَ ٱلْبَلَدِ وَإِذَا هُنَاكَ قَوْمٌ مُجْتَمِعُونَ عَلَى رَجُلٍ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ يَخْبِطُ ٱلْأَرْضَ بِعَصاً عَلَى إِيقَاعٍ لَا يَخْتَلِفُ (٢) وَعَلِمْتُ أَنَّ مَعَ ٱلْإِيقَاعِ لَحْناً (٣) . وَلَمْ أَبْعُدْ لِأَنَالَ مِنَ ٱلسَّمَاعِ حَظّاً . أَوْ أَسْمَعَ مِنَ ٱلْفَصِيحِ لَفْظاً (٤) فَمَا زِلْتُ بِالنَّظَّارَةِ أَزْحَمُ هٰذَا وَأَدْفَعُ ذَاكَ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى ٱلرَّجُلِ (٥) وَسَرَّحْتُ ٱلطَّرْفَ مِنْهُ إِلَى حُزُقَّةٍ كَالْقَرَنْبَي أَعْمَى مَكْفُوفٍ . فِي شَمْلَةِ صُوفٍ . يَدُورُ كَالْخُذْرُوفِ (٦) مُتَبَرْنِساً بِأَطْوَلَ مِنْهُ مُعْتَمِداً عَلَى عَصاً

---

(١) اجتاز . أسير وأمر ، والاهواز : بلاد بين البصرة وفارس تقدم تفصيلها ، شرود : جموح نافرة لا تسكن ، والمعنى أنه كان يمر ببلاد الاهواز وغايته التي يتمناها لفظة غريبة لم يسمع بها يستفيدها أو كلمة فصيحة يجعلها زيادة على ما عنده (٢) أي أنه يردد خبط العصا ترديدا متناسبا لا فرق بين أوله وثانيه (٣) المعنى أنى ظننت أنه لا بد أن يكون هذا الترديد مصحوبا بغناء وتلحين ناسب الملحن بينه وبينه (٤) أي أنى لم أذهب بعيدا لئلا يحرمني البعد من احدى الفائدتين بل اقتربت فان لم أستطع أن أعقل عنه التلحين لم يفتني لفظه الفصيح (٥) النظارة : جمع ناظر وهم القوم المجتمعون عليه الناظرون اليه (٦) الحزقة القصير العظيم البطن

فِيهَا جَلَاجِلُ يَخْبِطُ الْأَرْضَ بِهَا عَلَى إِيقَاعٍ غَنِجٍ . بِلَحْنٍ هَزِجٍ . وَصَوْتٍ شَجٍ . مِنْ صَدْرٍ حَرِجٍ [١] . وَهُوَ يَقُولُ :

يَا قَوْمُ قَدْ أَثْقَلَ دَيْنِي ظَهْرِي ... وَطَالَبَتْنِي طَلَّتِي بِالْمَهْرِ [٢]

أَصْبَحْتُ مِنْ بَعْدِ غِنًى وَوَفْرِ ... سَاكِنَ قَفْرٍ وَحَلِيفَ فَقْرِ [٣]

يَا قَوْمُ هَلْ بَيْنَكُمُ مِنْ حُرِّ ... يُعِينُنِي عَلَى صُرُوفِ الدَّهْرِ

يَا قَوْمُ قَدْ عِيلَ لِفَقْرِي صَبْرِي ... وَانْكَشَفَتْ عَنِّي ذُيُولُ السِّتْرِ [٤]

وَفَضَّ ذَا الدَّهْرُ بِأَيْدِي الْبَتْرِ ... مَا كَانَ لِي مِنْ فِضَّةٍ وَتِبْرِ [٥]

والقرنبى احدى دواب الارض تشبه الخنفساء . والشملة بفتح أوله ومثله المشمل والمشملة بكسر أولها . كساء دون القطيفة يديره الرجل على جسده والخذروف لعبة يجعل فيها الصبيان خيطا ويديرونها به تشبه ما يسمي الآن (النحله ، المتخذة من الطين) وهي معروفة في بعض ريف مصر

(١) غنج : حسن ، هزج : ذى ترنم ، شج : أى به آثار الحزن والاسى حرج : ضيق (٢) الطلة : الزوجة ، وانما تطلب الزوجة مهرها اذا كان زوجها لم يؤده اليها أو طلقها وهي تطلب مؤجله ويدور بذهننا أن المعنى : أنها تطالبه بالطلاق لعسره وضيق يده من اطلاق المسبب على السبب

(٣) القفر : الارض المجدبة (٤) عيل : فقد ، والمعنى أن الفقر وسوء الحال أفقدا صبري وذهبا بتجلدى وكشفا أستاري (٥) البتر : القطع شبهه بانسان له يد لكمال قدرته على التفريق وتمزيق الشمل ، والتبر : الذهب قبل سبكه والمعنى : أن الدهر فرق ما اجتمع لى من الذهب وصيرنى مسكينا بائسا

آوِي إلَى بَيْتٍ كَقِيدِ شِبْرِ   خَامِلَ قَدْرٍ وَصَغِيرَ قِدْرِ (١)
لَوْ خَتَمَ اللهُ بِخَيْرٍ أمْرِي   أعْقَبَنِي عَنْ عُسُرٍ بِيُسْرِ
هَلْ مِنْ فَتىً فِيكُمْ كَرِيمِ النَّجْرِ   مُحْتَسِبٍ فِي عَظِيمِ الأَجْرِ (٢)
إنْ لَمْ يَكُنْ مُغْتَنِماً لِلشُّكْرِ ؟

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَرَقَّ لَهُ وَاللهِ قَلْبِي . وَاغْرَوْرَقَتْ لَهُ عَيْنِي . فَنِلْتُهُ دِينَاراً كَانَ مَعِي . فَمَا لَبِثَ أنْ قَالَ :

يَا حُسْنَهَا فَاقِعَةً صَفْرَاءُ   مَمْشُوقَةً مَنْقُوشَةً قَوْرَاءُ (٣)
يَكَادُ أنْ يَقْطُرَ مِنهَا المَاءُ   قَدْ أثْمَرَتْهَا هِمَّةٌ عَلْيَاءُ (٤)
نَفْسُ فَتىً يَمْلِكُهُ السَّخَاءُ   يَصْرِفُهُ فِيهِ كَمَا يَشَاءُ (٥)

---

(١) قدر بفتح أوله . مكانة ، والقدر بالكسر آنية الطبخ والمعنى أني أسكن دارا صغيرة لا تكفي في حال أني غير مشهور ولا صيت لي وآنيتي التي أطبخ طعامي فيها صغيرة وكل هذا كنايات عن شدة الفقر واضمحلال حاله (٢) النجر والنجار . الاصل ومحتسب : صانع لوجه الله غير منتظر جزاء والمعنى . اني أتمنى أن يكون من بينكم رجل طيب الخيم كريم الاصل يسدي الى معروفه ، ويصنع بي خيرا راجيا بذلك وجه الله اذا كان لا يريد أن يفعل لأشكره وأثني عليه

(٣) فاقعة : شديدة الصفرة ، ممشوقة : خفيفة · قوراء : أراد مستديرة والضمير للدنيار باعتباره قطعة من الذهب (٤) أي انها لحسنها وجمال رونقها وبهائها يكاد الماء يتقاطر منها وقد كانت من ثمرات رجل ذي همة عالية ومروءة عظيمة (٥) اي ان هذه الهمة هي نفس فتي من صفته ان الكرم

يا ذَا الَّذِي يَعْنِيهِ ذَا الثَّنَاءْ مايَتَقَصَّى قَدْرَكَ الإِطْرَاءْ [1]

إِمْضِ إِلَى اللهِ لَكَ الْجَزَاءْ [2]

وَرَحِمَ اللهُ مَنْ شَدَّها فِي قَرْنٍ مِثْلِها . وَآنَسَها بِأُخْتِها . فَنَالَهُ النَّاسُ ما نالُوهُ ثُمَّ فارَقَهُمْ وتَبِعْتُهُ وَعَلِمْتُ أَنَّهُ مُتَعامٍ لِسُرْعَةِ ما عَرَفَ الدِّينارَ [3] . فَلَمَّا نَظَمَتْنا خَلْوَةٌ [4] مَدَدْتُ يُمْنايَ إِلَى يُسْرَى عَضُدَيْهِ وَقُلْتُ : وَاللهِ لَتُرِيَنِّي سِرَّكَ . أَوْ لأَكْشِفَنَّ سِتْرَكَ . فَفَتَحَ عَنْ تَوْأَمَيْ لَوْزٍ [5] وَحَدَرْتُ لِثامَهُ عَنْ وَجْهِهِ [6] فَإِذَا وَاللهِ شَيْخُنا أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَنْدَرِيُّ . فَقُلْتُ : أَنْتَ أَبُو الْفَتْحِ ؟ فَقالَ : لا

---

(١) توجه بالخطاب الى الذي منحه القطعة فذكر له ان مقداره يعجز طوق المادحين ويبلد قرائحهم فلا يستطيعون الوفاء له بحق الثناء (٢) اضاف جزاءه الى الله لانه الذى لا يعجزه شيء في الارض ولا في السماء فهو وحده الذى يجزى هذا الممدوح بما يستحقه

(٣) اى انه ظهر لى انه غير مكفوف حقيقة بل هو يتصنع ذلك بدليل سرعة معرفته للدينار ووصفه له على الفور الصفات التي لا تنطبق على سواه

(٤) نظمتنا : جمعتنا ، ومنه قيل للشعر : نظم ، لانه يجمع الكلام المتناسب بعضه الى بعض (٥) التوأم في اصل الوضع : الذى جاء مع غيره فى الولادة ، واللوز معروف ، والتوأم فيه . ان يجتمع فى الواحدة لبان واراد بهما عينيه ، وكنى بذلك عن صحتهما وتناسبهما (٦) يقال : انحدر اذا نزل من اعلى الى اسفل واريد هنا مطلق الانتقال من مكان الى آخر

أَنَا أَبُو قَلَمُونٍ فِي كُلِّ لَوْنٍ أَكُونُ (١)
إِخْتَرْ مِنَ الْكَسْبِ دُونًا فَإِنَّ دَهْرَكَ دُونُ (٢)
زَجِّ الزَّمَانَ بِحُمْقٍ إِنَّ الزَّمَانَ زَبُونُ (٣)
لَا تُكْذَبَنَّ بِعَقْلٍ مَا الْعَقْلُ إِلَّا الْجُنُونُ (٤)

الْمَقَامَةُ الْبُخَارِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى ابْنُ هِشَامٍ قَالَ: أَحَلَّنِي جَامِعَ بُخَارَى يَوْمٌ وَقَدِ انْتَظَمْتُ مَعَ رُفْقَةٍ فِي سِمْطِ الثُّرَيَّا (٥). وَحِينَ احْتَفَلَ الْجَامِعُ بِأَهْلِهِ

---

(١) القلمون: ثوب يراعى عند نسجه ان يظهر فى عدة الوان ، والمعنى انه قلب لا يستقر على حال (٢) يقول: ان هذا الزمن دنىء سافل يواتي الاخساء ، ويقبل على السفلة ، فاذا شئت ان تكون ذا وفر موسرا فاختر من الحرف ماكان دنيئا ليتناسب مع دهرك فيقبل عليك

(٣) الزبون: الناقة التى تدفع حالبها برجليها ، او الحرب التى يدفع بعضها بعضا ، والمعنى لا تطلبن من دهرك ان يسعفك بحاجتك فانه يدفع طالب الخير كالناقة التى تدفع حالبها بل دافعه بالحمق لتظهر عليه و تنال مآربك منه (٤) اى لا تصدق من يقول لك ان نوال اغراضك بالعقل فانه ليس العقل الذى ينيلك الا الجنون

(٥) السمط: السلك ما دام فيه اللؤلؤ ، والثريا: نجوم سبعة مجتمعة لا تفترق والمراد انهم متآلفون متحابون لا يتصور فراقهم كما لا يتصور افتراق الثريا ويروى بدل سمط: سلك وهو ظاهر

طَاعَ اَلَيْنا ذُو طِمْرَيْنِ قَدْ أَرْسَلَ صِوانًا[١] . وَاسْتَتْلي طِفْلاً عُرْيانًا[٢] يَضِيقُ بالضُّرِّ وُسْعُهُ . وَيأْخُذُهُ الْقُرُّ وَيَدَعُهُ[٣] . لا يَمْلِكُ غَيْرَ الْقِشْرَةِ بُرْدَةً . وَلا يَكْتَفي لِحِمايَةِ رِعْدَةٍ[٤] . فَوَقَفَ الرَّجُلُ وَقالَ : لا يَنْظُرُ لِهٰذا الطِّفْلِ إِلَّا مَنِ اللهُ طِفْلُهُ ، وَلا يَرِقُّ لِهٰذا الضُّرِّ إِلَّا مَنْ لا يأْمَنُ مِثْلَهُ[٥] . يا أَصْحابَ الْجُدُودِ الْمَفْرُوزَةِ . وَالأَرْدِيَةِ الْمَطْرُوزَةِ . وَالدُّورِ الْمُنَجَّدَةِ . وَالْقُصُورِ الْمُشَيَّدَةِ[٦] . إِنَّكُمْ لَنْ تأْمَنُوا حادِثًا . وَلَنْ تَعْدَمُوا وَارِثًا . فَبادِرُوا الْخَيْرَ ما أَمْكَنَ . وَأَحْسِنُوا مَعَ الدَّهْرِ ما أَحْسَنَ فَقَدْ وَاللهِ طَعِمْنَا السِّكْباجَ . وَرَكِبْنَا الْهِمْلاجَ . وَلَبِسْنا الدِّيباجَ وافْتَرَشْنا الْحَشايا ، بِالْعَشايا .[٧] فَما رَاعَنا إِلاَّ هُبُوبُ الدَّهْرِ بِغَدْرِهِ .

---

(١) ذو طمرين : اي رجل يلبس ثوبين قد ابلى الدهر جدتهما ، والصوان وعاء الثوب وكنى بارساله عن عدم وجود شيء به (٢) استتلى : جعله تابعا (٣) القر : شدة البرد (٤) القشرة : المراد بها الجلد ، والبردة : الثياب ، والمعنى انه لا يجد ما يقي به جسده ويدفع عنه لفح الحر وزمهرير البرد غير جلده ، ولا يكتفي : اي لا يملك الكفاية التي تحميه من الرعدة وهي اصطكاك الاسنان وقشعريرة البدن من برد ونحوه (٥) المعنى ان الشفقة على هذا الطفل العريان انما تدخل قلب امرئ له اطفال قد اشرب الله قلبه حبهم ولا يرحمه الا انسان يعلم ان الدهر لا يدوم (٦) الخزوز : الثياب تنسج من حرير او منه ومن الصوف ، والاردية الاكسية ، والمطروزة المعلمة ، والمنجدة المزخرفة ، والمشيدة اي المرفوعة (٧) السكباج : لحم يطبخ بالخل ويجعل معه

وانقِلَابُ المجَنِّ لِظَهْرِهِ (١) . فَمَادَ الهِمْلَاجُ قَطُوفاً . وَانقلبَ الدِّيبَاجُ صُوفاً (٢) . وَهَلُمَّ جَرًّا الَى ما تَشاهِدُونَ مِنْ حالى وَزِيِّى . فَهَا نَحْنُ نَرْتَضِعُ مِنَ الدَّهْرِ ثَدْيَ عَقِيمٍ . وَنَرْكَبُ مِنَ الفَقْرِ ظَهْرَ بَهِيمٍ (٣) . فَلَا نَرْنُو إِلَّا بِعَيْنِ اليَتِيمِ . وَلَا نَمُدُّ إِلَّا يَدَ العَدِيمِ (٤) فَهَلْ مِنْ كَرِيمٍ يَجْلُو غَيَاهِبَ هٰذِهِ البُؤُوسِ . وَيَفُلُّ شَبَا هٰذِهِ النُّحُوسِ (٥)

مرق ، والهملاج : الدابة السريعة فى سيرها ، والديباج الحرير ، والحشايا الوسادة المحشوة للجلوس عليها تشبه ما يسمى الآن (شلته)

(١) راعنا : افزعنا ، والمعنى اننا كنا مترفين كما وصفت لكم ولم نشعر الا وقد حاربنا الدهر وأثار علينا عدوه ورمانا بشره (٢) القطوف : الدابة البطيئة فى سيرها والمعنى ان كل شيء قد تبدل وحال عما كان عليه (٣) العقيم المرأة التي لا يولد لها ومن كانت هذه حالها لا يدر ثديها فلا ينتفع بها رضيع فهو كناية عن ان الدهر لا يجود عليهم وانهم لا يحصلون من سعيهم على طائل منه ، والبهيم الذى كل لونه اسود لا يشوبه بياض ومنه قولهم : ليل بهيم اذا اشتدت ظلمته والمراد ان الدهر ألزمهم حالة واحدة (٤) اليتيم الصغير بعد موت ابيه وعادته ان ينكسر قلبه ويحزن فؤاده فاذا نظر الى النعمة على غيره فبعين كسيرة . والعديم : المعدم الذي لا يجد شيئا فاذا هو مديده فانما يمدها مستجديا لا عطيا ومستميحا لا مانحا (٥) يجلو : ينير ، غياهب : ظلمات شبه الفقر والاملاق بليل اشتدت ظلمته استعارة مكنية واسند الظلمات للبؤوس تخييلا ، ويفل : يكسر ، والشبا : جمع شباة وهي سن الرمح او هي حد كل شيء

ثُمَّ قَعَدَ مُرْتَفِقاً (١) وَقالَ لِلطِّفْلِ : أَنتَ وَشأْنُكَ . فقَالَ : ما عَسَى انْ أَقُولَ وَهذا الكلامُ لَوْ اَتِيَ الشَّعْرَ لَحَلَقهُ . أَوْ الصَّخْرَ لَفَلَقَهُ . وَإِنَّ قَلباً لَمْ يُنْضِجْهُ ما قُلْتَ لَنِيءٌ وَقَدْ سَمِعْتُمْ يا قَوْمُ . ما لَمْ تَسْمَعُوا قَبْلَ الْيَوْمِ. فَلْيَشْغَلْ كُلٌّ مِنْكُمْ بِالْجُودِ يَدَهُ . وَلْيَذْكُرْ غَدَهُ . وَافِياً بِي وَلَدَهُ . وَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ . وَأَعْطُونِي أَشكُرْكُمْ . قالَ عِيسَى بْنُ هِشامٍ : فَمَا آنَسَنِي فِي وَحدَتِي أَلَّا خاتَمٌ خَتَمْتُ بِهِ خِنْصِرَهُ (٢) . وَلَمَّا تَناوَلَه أَنْشَأَ يَصِفُ الْخاتَمَ عَلَى الإِصْبَعِ وَجَعَلَ يَقُولُ :

وَمُمَنْطَقٍ مِنْ نَفْسِهِ ... بِقِلادَةِ الْجَوْزاءِ حُسْناً (٣)
كَمُتَيَّمٍ لَقِيَ الْحَبِيـ ... بَ فَضَمَّهُ شَغَفاً وَحُزْناً (٤)

---

(١) مرتفعا بعين مهملة اى فى مكان عال ويروى مرتفقا بمثناة فوقية ومعناه مستندا الى مرفقيه وقال للطفل تحدث أنت عن شأنك وصف لهم حالك

(٢) يقول انه لم يجد حينذاك الا خاتمـا جعله فى اصبعه الخنصر وقد جعل المال كالصديق الذي يؤنسك اذا انفردت ويسليك اذا شجيت ويروح عنك أذا تألمت (٣) المنطقة حزام يشد به الوسط فيدور حوله والفعل منه انتطق أذا لبسها ، والقلادة . نوع من الحلي تتخذ فى الصدور ، والجوزاء : مجموع كواكب ولما كان الخاتم ليس له منطقة خارجة عن ذاته قال ان الدائرة التى اتخذها من نفسه (٤) المتيم : الذى شمه الغرام ونزل به الوجد والشغف : شدة الحب وهو الذي يحل بشغاف القلب والفعل منه شغف بوزن منع ومنه قوله تعالى : قد شغفها حبا واذا كان المحب حين يلقى حبيبه مسلما أو مودعا

مُتَأَلِّفٍ مِنْ غَيْرِ أُسْـ ... رَتِهِ عَلَى الْأَيَّامِ خِدْنَا

عِلْقٌ سَنِيٌّ قَدْرُهُ ... لَكِنَّ مَنْ أَهْدَاهُ أَسْنَى (١)

أَقْسَمْتُ لَوْ كَانَ الْوَرَى ... فِي الْمَجْدِ لَفْظًا كُنْتَ مَعْنَى

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَنُلْنَاهُ مَا تَاحَ لَنَا مِنَ الْفَوْرِ . فَأَعْرَضَ عَنَّا . حَامِداً لَنَا . فَتَبِعْتُهُ حَتَّى سَفَرَتِ الْخَلْوَةُ عَنْ وَجْهِهِ . فَإِذَا هُوَ وَاللهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَنْدَرِيُّ . وَإِذَا الطَّلَا زُغْلُولُهُ . فَقُلْتُ (٢) :

أَبَا الْفَتْحِ شِبْتَ وَشَبَّ الْغُلَامُ ... فَأَيْنَ السَّلَامُ وَأَيْنَ الْكَلَامُ (٣)

فَقَالَ : غَرِيباً إِذَا جَمَعَتْنَا الطَّرِيقُ ... أَلِيفاً إِذَا نَظَمَتْنَا الْخِيَامُ (٤)

يضمه الى نفسه حتى ليخيل للناظر انهما واحد فقد شبه تضام الاصبع الى الخاتم بهذه الهيئة (١) العلق : النفيس الغالى من كل شيء . سني : اى رفيع عظيم . يقول ان هذا الخاتم جميل الرواء رفيع القدر نفيس غير ان ذلك الذي قدمه الى ارفع منه قدرا

(٢) الطلا . ولد الظبية ساعة يولد والصغير من كل شيء ومثله الطلو وجمعه اطلاء وطلاء وطلي وطليان كرعفان وعربان . وزغلوله : ولده

(٣) أي انك لم تفاتحني الحديث ولم تقرئني السلام ولم تسامرني كعادتك مع أنك قد بلغت سنا لا يعذر فيه من نسي رفقته وأهمل واجب خلانه

(٤) أراد الاعتدار له عن تركه سنة الصداقة وواجب الاخوة بأنه تعمد ذلك لئلا يفتضح حاله للناس فقال : نحن أنما نتعارف ونتذاكر حلو الاحاديث ولذيذ الاسمار حينما نكون بنجوة من الناس في موطننا وخيامنا فأما هنا في الطريق فلا سبيل لغير انكارك

فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَكْرَهُ مُخَاطَبَتِي فَتَرَكْتُهُ وَانْصَرَفْتُ

الْمَقَامَةُ الْقَزْوِينِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: غَزَوْتُ الثَّغْرَ بِقَزْوِينَ (١). سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ. فِيمَنْ غَزَاهُ. فَمَا أَجَزْنَا حَزْنًا. إِلَّا هَبَطْنَا بَطْنًا (٢). حَتَّى وَقَفَ الْمَسِيرُ بِنَا عَلَى بَعْضِ قُرَاهَا. فَمَالَتِ الْهَاجِرَةُ بِنَا إِلَى ظِلِّ أَثَلَاتٍ (٣). فِي حُجْرَتِهَا عَيْنٌ كَلِسَانِ الشَّمْعَةِ (٤). أَصْفَى مِنَ الدَّمْعَةِ. تَسِيحُ فِي الرَّضْرَاضِ. سَيْحَ النَّضْنَاضِ (٥) فَنِلْنَا مِنَ الطَّعَامِ مَا نِلْنَا. ثُمَّ مِلْنَا إِلَى الظِّلِّ فَقِلْنَا (٦). فَمَا مَلَكَنَا النَّوْمُ حَتَّى سَمِعْنَا صَوْتًا أَنْكَرَ

---

(١) قزوين احدى بلاد الديلم (٢) أحزنا : قطعنا ، والحزن مما ارتفع من الارض وغلظ ، والبطن : المنخفض السهل والمعنى أننا كنا نعلو تارة ونسفل أخرى ونرتفع أحيانا وننخفض أخرى لان الطريق لم تكن واحدة بل كانت كثيرة المنخفضات والمرتفعات

(٣) الهاجرة : شدة الحر وقد هجر تهجيرا أذا سار فيها وأثلات جمع أثلة وهي شجرة عالية وريفة الظل (٤) يقال : كذا في حجرة كذا أذا كان قريبا منه والمعنى أن بجوار هذه الاشجار عينا ضوؤها يشبه لسان الشمعة أي ضوءها في الصفاء والبريق (٥) الرضراض : الارض ذات الحجارة الصغيرة والحصا ، والنضناض : الحية التى تتلوى دائما والمعنى أن هذه العين تسيل على الارض وتتلوي فوقها كما تتلوي تلك الحيـة (٦) قال يقيل قيولة نام عند

مِنْ صَوْتِ حِمارٍ . وَرَجماً أضعفَ مِنْ رَجْعِ الحُوَارِ (١) . يَشفعُهما صَوْتُ طَبْلٍ كأنَّهُ خارِجٌ مِنْ ماضِغَي أسَدٍ (٢) . فذادَ عَنِ القَوْمِ . رائِدَ النَّوْمِ (٣) . وَفَتَحتُ التَوأمتَيْنِ إليْهِ وَقَدْ حالتِ الأشْجارُ دُونَهُ (٤) . وَأصْغَيْتُ فإذا هُوَ يقُولُ : عَلى ايقاعِ الطُّبُولِ :

أَدْعو ألى اللهِ فهَلْ مِنْ مُجيبْ ألى ذَراً رَحْبٍ وَمَرْعى خَصيبْ (٥)
وَجَنَّــةٍ عَالِيَــةٍ ما تَــنِي قُطوفُهــا دَانِيَــةً ما تَغيبْ (٦)
يا قَوْمُ أنّي رَجُــلٌ تائِبٌ مِنْ بَلَدِ الــكُفْرِ وأمْري عَجيبْ (٧)

القائلة وهى وقت الظهيرة (١) الحوار ولد الناقة ورجعه سيره والمراد أنه سمع صوتا شديدا وسيرا خفيفا (٢) يشفعهما : يجعلهما اثنين . وهما في الحقيقة شيئان ولكنه فرضهما واحدا لصدورهما عن شخص واحد وقد شبه صوت الطبل في جهارته وشدته بصوت الاسد (٣) ذاد : منع ، والرائد : الرجل يسبق القافلة ليختبر لهــا خصب الارض وصلاحها للسير وفي الحديث (والرائد لايكذب أهله) وجري مجرى المثل (٤) التوأمتين : العينين لانهما متشابهتان فكأنهما ولدا معا

(٥) الذرى : الناحيه والجهة ، والرحب : الواسع ، والخصيب المرع الكثير العشب والكلأ ، والمعنى : أنا أدعو لدين الله وهو الناحية المتسعة والمرتع الخصيب فهل يتبعني أحد منكم (٦) ونى ، ينى : تأخر أوقصر أو ابتعد والقطوف : المراد بها الثمار والمعنى أن هذه الجنة التي أدعو أليها كثيرة الثمــار مع قربها وعدم تخلفها عمن يكون فيها ممن يجيبون الدعوة ألى الله في هــذه الحياة (٧) تائب : راجع يؤيده روايتها في بعض النسخ ثائب بالثاء المثلثة

إنْ أكُ آمنتُ فكم ليلةٍ جحدتُ ربي وأتيتُ المُريب (١)
يا رُبَّ خنزيرٍ تمششتُه ومُنكرٍ أحرزتُ منه النصيب (٢)
ثمّ هداني اللهُ وانتاشني من ذلةِ الكفرِ اجتهادُ المُصيب (٣)
فظلْتُ أُخفي الدينَ في أُسرتي وأعبدُ اللهَ بقلبٍ مُنيب (٤)
أسجدُ للاتِ حذارَ العدى ولا أرى الكعبةَ خوفَ الرقيب (٥)
وأسألُ اللهَ إذا جنّني ليلٌ وأضناني يومٌ عصيب (٦)
ربٌّ كما أنّك أنقذتني فنجّني إنّي فيهم غريب (٧)
ثمّ اتخذتُ الليلَ لي مركباً وما سوى العزمِ أمامي جنيب (٨)
فقدْكَ من سيري في ليلةٍ يكادُ رأسُ الطفلِ فيها يشيب (٩)

---

(١) جحدت ربي : أنكرته ولم أومن به . والمريب الذي يتسلط عليك بالشكوك والاوهام أو الذي تفعله وأنت ترتاب فيه (٢) تمششته : أكلت مشاشه والمشاش جمع مشاشة وهي العظمة اللينه (٣) انتاشه : أخرجه

(٤) قلب منيب : معترف بربوبيته سليم (٥) اللات : اسم صنم ، واراد من الكعبة جهة القبلة أي أنه ما كان يتوجه اليها خشية لرقباء من قومه وعشيرته وجعلهم عدى لمعاداتهم له في الدين

(٦) جنه الليل : ستره وأخفاه عن العيون (٧) أي أنه كان يدعو الله أن ينجيه منهم ويتم نعمته عليه التي أولها انقاذه من دينهم (٨) ركب الليل : أي فيه والجنيب الناقة التي يأخذها المسافر جوار ناقته ليركبها اذا تعبت الاولى ، وقد استعارها لعزمه دلالة على أنه كان دائم العزيمة ثابتها (٩) قدا

حَتَّى إذا جُزْتُ بِلادَ العِدَى   إلى حِمَى الدِّينِ نَفَضْتُ الوَجِيبْ[1]

فَقُلْتُ إذْ لاحَ شِعارُ الهُدَى   نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبْ

فَلَمَّا بَلَغَ هذا البَيْتَ قالَ: يا قَوْمُ وَطِئْتُ دارَكُمْ بِعَزْمٍ لا العِشْقُ شاقَهُ[2]. وَلا الفَقْرُ ساقَهُ. وَقَدْ تَرَكْتُ وَراءَ ظَهْرِي حَدائِقَ وَأَعْنابًا. وَكَواعِبَ أَتْرابًا[3]. وَخَيْلًا مُسَوَّمَةً[4]. وَقَناطِيرَ مُقَنْطَرَةً. وَعُدَّةً وَعَدِيدًا. وَمَراكِبَ وَعَبِيدًا. وَخَرَجْتُ خُرُوجَ الحَيَّةِ مِنْ جُحْرِهِ. وَبَرَزْتُ بُرُوزَ الطَّائِرِ مِنْ وَكْرِهِ[5]. مُؤْثِرًا دِينِي عَلَى دُنْيايَ[6]. جامِعًا عُنايَ إلى يُسْرايَ[7]. وَواصِلًا سَيْرِي بِسُرايَ[8]. فَلَوْ دَفَعْتُمُ النَّارَ بِشَرارِها. وَرَمَيْتُمُ الرُّومَ بِجِمارِها.

أي: يكفيك (١) الوجيب: خفقان القلب واضطراب دقاته من خوف أو فزع أو نحوهما، ونفضه: طرحه كأنه شيء يلفظ ويرمى به وذلك تمثيل لشدته وهوله حتى أنه ليكاد يكون كذلك (٢) شاقه: هيجه وأثاره، والمعني: أني لم أنزل بلادكم مشوقا بدواعي العشق ولا مسوقا بالرغبة في الغنى

(٣) الكواعب: الجواري اللاتي برز ثديهن، أترابا: متشابهات في السن لدات (٤) مسومه: معلمه

(٥) برزت: ظهرت، وكر الطائر: عشه (٦) مؤثرا: مفضلا (٧) كناية عن عدم وجود شيء فيها يريد بذلك الدلالة على أطلاقه يديه علامة الفقر (٨) السرى بالضم مقصورا: سير الليل أو أوله خاصة، والسير عام. ولكنه أراد به خصوص السير

وَأَعِنْتُمُونِي عَلَى غَزْوِهَا (١) مُسَاعَدَةً وَإِسْعَاداً . وَمُرْفَدَةً وَإِرْفَاداً . وَلَا شَطَطَ فَكُلٌّ عَلَى قَدْرِ قُدْرَتِهِ . وَحَسَبِ ثَرْوَتِهِ (٢) . وَلَا أَسْتَكْثِرُ الْبَدْرَةَ . وَأَقْبَلُ الذَّرَّةَ . وَلَا أَرُدُّ التَّمْرَةَ (٣) . وَلِكُلٍّ مِنِّي سَهْمَانِ سَهْمٌ أُذَلِّقُهُ لِلِّقَاءِ . وَآخَرُ أُفَوِّقُهُ بِالدُّعَاءِ (٤) . وَأَرْشُقُ بِهِ أَبْوَابَ السَّمَاءِ . عَنْ قَوْسِ الظَّلْمَاءِ . قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَاسْتَفَزَّنِي رَائِعُ أَلْفَاظِهِ (٥) . وَسَرَوْتُ جِلْبَابَ النَّوْمِ (٦) . وَعَدَوْتُ إِلَى الْقَوْمِ (٧) . فَإِذَا وَاللهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَنْدَرِيُّ بِسَيْفٍ قَدْ

بالنهار والمعنى جاعلا وقتى كله سيرا مبادرة الي الحرب والنجاة منهم (١) يطلب منهم أن يمكنوه من غزو بلاد الروم وهو رومي فكأنهم حين يساعدونه على ذلك قد دفعوا النار بشرارها وهي من جنس النار والفقره الثانية من قولهم : ارم فلانا بحجره أي اضربه بقريعه (٢) الشطط : مجاوزة الحد، والمعنى: أنه لا يريد منهم فوق الطاقة ولا مالا يستطيعونه (٣) البدرة الف درهم أو أكثر والذرة النملة الصغيرة أو الجزء من الهباء ويضرب بها المثل في الحقارة والقلة (٤) يقال : ذلق السهم اذا حدده، وفوقه اذا أعده للرمى والمراد باللقاء غزو الروم والمعنى أن من أعانى بما طلبت أكافئه بان أقوم له بالاستعداد لنصرته على عدوه فانفعه عاجلا وبأن أدعو له الله فانفعه آجلا

(٥) استفزنى : استهوانى واستخفنى ، رائع : عجيب . بديع (٦) سروت : ألقيت . خلعت، والجلباب : مايلبس فوق الثياب وأضافته الي النوم من اضافة المشبه به للمشبه كما في قولهم : ذهب الاصيل ، ولجين الماء ، والتماثل بينهما أن كل واحد منهما يعم البدن (٧) عدوت : أسرعت

شَهَرَهُ . وَزِيٍّ قَدْ نَكَّرَهُ [١] . فَلَمَّا رَآنِي غَمَزَنِي بِعَيْنِهِ [٢] وقالَ : رَحِمَ اللّٰهُ مَنْ أعانَنا بِفاضِلِ ذَيْلِهِ . وَقَسَمَ لَنا مِنْ نَيْلِهِ . ثُمَّ أخَذَ ما أخَذَ وَخاوَتُ بِهِ فقلْتُ : أأنْتَ مِنْ أوْلادِ النَّبيطِ ؟ فقالَ : [٣]

أنا حالي مِنَ الزَّما ... نِ كَحالي مَعَ النَّسبْ [٤]

نَسَبي في يَدِ الزَّما ... نِ إذا سامَهُ انْقَلَبْ [٥]

---

(١) شهره : رفعه ، والزي : الهيئة وأراد بقوله : نكره أنه غيره وأخفي نفسه تحت زي لا يعرفه فيه أحـد (٢) أي أشار الى أشارة خفية لا تستر عليه ولا أظهر أمره

(٣) النبيط كـكلمة العجم : يطلقها العرب على كل من ليس عربيا وعلى هذا قال أبو العلاء المعري :

أين امرؤ القيس والعذارى ... اذ مال من تحتـه الغـبيط

استعجم العرب فى الموامى ... بعـدك واستعرب النبيط

والموامي جمع موماة وهي الصحراء . وقيل : هو خاص بالاطلاق على جيل كانوا ينزلون بالبطحاء بين العراقين

(٤) تشبيه مقـلوب يريد أن حاله في انتسابه مثل حال الزمان فـكما أن الدهـر سريع التقلب لا يدوم على حال واحـدة ولا يبقي في زى واحـد فـكذلك هو

(٥) أي أن الزمان قـد امتلك زمام نسبه يصرفه كيف شاء فهو ينتسب طواعيـة للزمن وحسبما يريد وأضافة اليد للزمان تخييل لتشبيهه بالانسان المتصرف الكامل القدرة

أنا أُمسي مِنَ النَّبِيطِ وَأُضحي مِنَ العَرَبِ (١)

المَقَامَةُ السَّاسَانِيَّةُ

حَدَّثَنا عِيسَى بنُ هِشامٍ قالَ : أحلَّتْني دِمَشْقَ بَعضُ أسفاري (٢) . فَبَيْنا أنا يَوْماً عَلَى بابِ دارِي . إذْ طلعَ عَلَيَّ مِنْ بَنِي ساسانَ كَتِيبَةٌ قَدْ لَفُّوا رُؤُوسَهُمْ (٣) . وَطَلَوْا بِالمَغْرَةِ لَبُوسَهُمْ (٤) . وَتَأَبَّطَ كل وَاحِدٍ مِنْهُمْ حَجَراً يَدُقُّ بِهِ صَدْرَهُ (٥) . وَفِيهِمْ زَعِيمٌ لَهُمْ يَقُولُ وَهُمْ يُرَاسِلُونَهُ (٦) . وَيَدْعُو وَيُجاوِبُونَهُ . فَلَمَّا رآني قالَ :

أُرِيدُ مِنْكَ رَغِيفا يَعْلُو خُوَاناً نَظِيفا (٧)

---

(١) أراد أنه يتغير دائما فالاصباح والامساء ليس مرادا بهما معناهما الاصلي بل التحول فى مطلق زمان

(٢) بعض فاعل أحل ، وأسند الاحلال للسفر لانه السبب فيه والداعي اليه (٣) الكتيبة الجماعة من الجيش وأراد بها هنا مطلق الجماعة ، وبنو ساسان المراد بهم الشحاذون والمتسولون

(٤) طلا الشيء بالشيء جعله له طلاء أي دهن ظاهره به والمغرة طين أحمر يجعل صبغا والمراد أنهم أشاروا بذلك الى مسكنتهم وسوء حالهم

(٥) تأبط جعله تحت ابطه ليدق به صدره أي يضرب عليه به وهذه احدى عوائد المتسولين ليستنزلوا الرحمة من قلوب الناس عليهم وليكون أدعى الي الاشفاق بهم (٦) زعيم القوم : رئيسهم ، ويراسلونه : يتابعونه

(٧) الخوان المائدة قبل وضع الطعام عليها

أُرِيدُ مِلْحاً جَرِيشاً   أُرِيدُ بَقْلاً قَطِيفَا (١)
أُرِيدُ لَحْماً غَرِيضاً   أُرِيدُ خَلاًّ ثَقِيفَا (٢)
أُرِيدُ جَدْياً رَضِيعاً   أُرِيدُ سَخْلاً خَرُوفَا (٣)
أُرِيدُ ماءً بِثَلْجٍ   يَغْشَى إناءً طَرِيفَا
أُرِيدُ دَنًّ مُدَامٍ   أَقُومُ عَنْهُ نَزِيفَا (٤)
وَسَاقِياً مُسْتَهَشًّا   عَلَى القُلُوبِ خَفِيفَا (٥)
أُرِيدُ مِنْكَ قَمِيصاً   وَجُبَّةً وَنَصِيفَا (٦)
أُرِيدُ نَعْلاً كَثِيفاً   بِهَا أَزُورُ الكَنِيفَا (٧)
أُرِيدُ مُشْطاً وَمُوسَى   أُرِيدُ سَطْلاً وَلِيفَا (٨)
يَا حَبَّذَا أَنَا ضَيْفاً   لَكُمْ وَأَنْتَ مُضِيفَا (٩)

---

(١) البقل: ما يأكله الناس أثناء طعامهم كالمقدونس مثلا ، وقطيفا : أي ورقا بلا جذر ليكون أدعي الى النظافة

(٢) لحم غريض : طري، وخل ثقيف : شديد الحموضة (٣) السخل : ولد الضأن ، وأبدل منه خروفا ليدل على أنه أراده ذكرا لأن لحم الذكر من الضأن أطيب من لحم أنثاه

(٤) نزيفا : سكران (٥) مستهشا : سريع الطرب ، خفيف الحركة ، كثير الدعابة (٦) القميص والجبة : معروفان ، والنصيف : العمامة (٧) نعلا كثيفا : ثخينا ، وبها يروى (٨) السطل : أناء يوضع الماء فيه معروف عند العامة والمراد أدوات النظافة (٩) المضيف : صاحب الدار الذي يكون

وَالْمالُ طَيفٌ وَلَكِنْ حَوْلَ اللِّئامِ يَحومُ (١)

الْمَقامَةُ القِرْدِيَّةُ

حَدَّثَنا عِيسى ابْنُ هِشامٍ قالَ : بَيْنا أَنا بِمَدِينَةِ السَّلامِ (٢) . قافِلاً مِنَ البَلَدِ الْحَرامِ (٣) . أَمِيسُ مَيْسَ الرِّجْلَةِ (٤) . عَلَى شاطِىءِ الدِّجْلَةِ (٥) أَتَأَمَّلُ تِلْكَ الطَّرائِفَ . وَأَتَقَصَّى تِلْكَ الزَّخارِفَ (٦) . إِذِ انْتَهَيْتُ إِلَى

أن الجهالة وضعف المدارك أمر مستحسن مقبول فى زمننا هذا والعقل منقصة ومذمة :

كم عالم عالم أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذى ترك الاوهام حائرة وصير العالم النحرير زنديقا

(١) الطيف : الخيال الذى يمر بك في نومك . ويحوم : يدور والمعنى أن المال سريع فى انتقاله سرعة الطيف وشيك التحول كثير التردد ولكنه أنما يدور على اللئام ويقع لدى الخبيثين ، فمن شاء أن يثرى أو يكون ذا بسطة من المال فليس له ألا أن يتصف بصفاتهم ويتخلق بأخلاقهم

(٢) مدينة السلام هى بغداد (٣) قافلا : راجعا وآيباء والبيت الحرام المراد مكة (٤) أميس : أتبختر في مشيتى ، والرجلة : نوع من البقل تنبت في مجري السيل وتسارع فى الكبر فيأتيها الماء فيقتلعها وبها يضرب المثل فى الحمق وتسمي البقلة الحمقاء (٥) الدجلة نهر ببغداد هو والفرات صنوان .

(٦) الطرائف : جمع طريفة وهي الامر الجميل المستحدث ومثلها الطرفه بضم أوله واتقصى : أبالغ في البحث كانه من أقصي الشيء بمعنى غايته ونهايته

حلقةَ رجالٍ مُزْدحِمين يَلْوِي الطربُ أعناقَهُمْ وَيَشُقُّ الضحكُ أشداقَهُمْ (١) . فساقني الحرصُ إلى ما ساقَهُمْ . حتّى وقفتُ بِمَسْمَعِ صَوْتِ رَجلٍ دُونَ مَرْأى وَجْهِهِ لِشِدّةِ الهَجْمَةِ . وَفَرْطِ الزَّحْمَةِ (٢) . فإذا هُوَ قَرّادٌ يُرْقِصُ قِرْدَهُ . وَيُضْحِكُ مَنْ عِنْدَهُ . فرقصتُ رَقْصَ المُحْرَجِ (٣) . وَسِرتُ سَيْرَ الأعرجِ (٤) . فوقَ رِقابِ النَّاسِ يَلْفِظُنِي عاتقُ هذا لِسُرَّةِ ذاكَ حتّى افترشتُ لحيةَ رجلينِ . وقعدتُ بعدَ الأَيْنِ (٥) . وقد أشرقَني الخجلُ بريقِهِ (٦) . وأرهقَني المكانُ بضيقِهِ (٧) . فلمّا فرغَ القرّادُ من شُغْلِهِ . وانتفضَ المجلسُ عن أهلِهِ قمتُ وقد كساني الدَّهَشُ حُلّتَهُ (٨) وَوَقَفتُ لأرى صورتَهُ . فإذا هُوَ

---

(١) يعنى أنه ظهرت علائم الغرابة عليهم في التواء أعناقهم وكثرة ضحكهم (٢) يعنى أن زحام الواقفين وكثرتهم منعانى عن رؤيته وان كنت بحيث أسمع صوته (٣) أراد أسرعت فى السير اليه لاكتشاف حاله كما يسرع الكلب الذي عليه صاحبه شدة العدو وسرعة القفز (٤) المراد أنه كان يتلوى في سيره ذات اليمين وذات الشمال

(٥) الاين : التعب والاعياء والكلال، وأراد أنه جلس فى شدة الزحمة فكأنه جلس على وجوه الناس (٦) أشرقني : أغصني ، والخجل : الحياء الشديد والمعني أنى خجلت حتي سال ريقى لدرجة أني غصصت به فاضافة الريق للخجل من اضافة الشيء الي سببه

(٧) ارهقني : كلفني شدة وحملني مشقة (٨) حلته : لباسه ، وشبه الدهش

أثوابَهُ ليُكفَّنَ. وحفِرتْ حُفرتُهُ ليُدْفَنَ (١). فلمَّا رآهُ الإسكندريُّ أخذَ حلقَهُ. فجسَّ عرقَهُ. فقالَ: يا قومُ اتَّقوا اللهَ لا تدفِنوهُ فهوَ حيٌّ وإنَّما عرتْهُ بهتةٌ. وعلتْهُ سكتةٌ (٢). وأنا أُسلِّمُهُ مفتوحَ العينينِ (٣). بعدَ يومينِ. فقالُوا: مِنْ أينَ لكَ ذلكَ؟ فقالَ: إنَّ الرَّجُلَ إذا ماتَ بَرَدَ استُهُ (٤) وهذا الرَّجُلُ قدْ لمستُهُ فعلِمتُ أنَّهُ حيٌّ فجعلُوا أيديَهُمْ في استِهِ. فقالُوا: الأمرُ على ما ذكرَ. فافعلُوا كما أمرَ (٥). وقامَ الإسكندريُّ إلى الميِّتِ. فنزعَ ثيابَهُ ثمَّ شدَّ لهُ العمائمَ (٦). وعلَّقَ عليهِ تمائمَ (٧). وألعقَهُ

هو الظاهر الغالب عليه ومنه قيل لريف العراق ورساتيقها سواد والقطيع جماعة الغنم والسخلة ولد الضأن ذكرا أو أنثى والمعنى ان لنا في هذا المكان لمنفعة (١) المراد من كل هذا الدلالة على ان الجميع قد ايقنوا بموته وتأكدوا من مفارقته الحياة فاشتغلوا بأعداد مايلزم لمواراته التراب اكراما له لان كرامة الميت في سرعة دفنه (٢) عرته: نزلت به ودهته، وبهتة: بغتة أي أمر منعه عن الحديث وشبهه من أمارات الحياة، وسكتة نازلة بالمخ تعطل المرء عن أعمال الأحياء وقد لايكون ميتا فيتوهم من يراه أنه مات (٣) أي حيا

(٤) يروى: برد أبطه وهي أكثر أدبا وتحشما بل وأقرب ألى العقل وذلك أن الابط مكان كثير الدفء في حال الحياة بما يكون من احتماع العضد أليه

(٥) أي أننا وجدنا الامر كما قال فامتثلوا أمره واعملوا بأشارته

(٦) العمائم جمع عمامة وهي علامة الاحياء فوق رءوسهم كالعصائب للاموات (٧) التمائم: جمع تميمه وهي مايوضع على وجه الصبي والمسحور

الزَّيتَ (١) . وَأخلَى لهُ البَيتَ . وقالَ: دَعُوهُ . وَلا تُرَوِّعُوهُ (٢) . وإنْ سَمِعْتُمْ لهُ أنيناً فلاَ تجيبُوهُ . وَخَرَجَ مِنْ عِندِهِ وَقَدْ شاعَ الخَبَرُ وَانْتَشَرَ . بِأنَّ المَيتَ قدْ نُشِرَ . وأخَذَتْنا المَبارُّ مِنْ كُلِّ دارٍ (٣) . وانثالَتْ عَلَيْنا الهَدَايا مِنْ كُلِّ جارٍ (٤) . حَتَّى وَرِمَ كيسُنا فِضَّةً وتِبراً (٥) وامتَلأَ رحلُنا أقِطاً وتَمراً (٦) . وَجَهِدْنا أنْ نَنْهَزَ فُرْصَةً (٧) في الهَرَبِ فَلَمْ نَجِدْها حَتَّى حَلَّ الأَجَلُ المَضْرُوبُ . وَاستُنْجِزَ الوَعْدُ المَكْذُوبُ (٨)

ونحوهما لتقيهما العين كالتعويذ قال بعض الشعراء

بلاد بها حل الشباب تمائمي   وأول أرض مس جلدي ترابها

(١) ألعقه وضع في فمه وأعما ألعقه الزيت ليلين منه مايبس ويطري ماجف

(٢) أي اوكوه ولاتزعجوه بأصواتكم (٣) المبار : جمع مبرة وهي العطية وكأن الميت كان عزيزا لدى الجميع من جيرته وعارفيه حتي لم تبق دار ألاوقد جاءتهما صلة منها (٤) انثالت : انهالت وتتابعت

(٥) التبر : الذهب قبل أن يسك نقودا ، والمراد: أنه وصل أليهما مالم يطق كيسهما حمله حتى لقد ورم أي انتفخ

(٦) الرحل: الوعاء يوضع فيه متاع المسافرين كالعدل ونحوه، والاقط : اللبن يجعل فيه الملح ويجفف وربما سمي جبنا والتمر معروف والمراد ان العطايا لم تقتصر على النقود بل كان منها بعض المطاعم الجافة التي يستطيع المسافر حملها

(٧) جهدنا : أي بذلنا كل ماقي وسعنا لنجد وقتا يشتغل عنا القوم فيه نطلق لانفسنا العنان طلبا للنجاة منهم وخوفا لماعساه أن يكون حينما تفتضح حيلتنا وتظهر خدعتنا (٨) أي طلبوا منا الوفاء بما وعدهم الاسكندري

فَقَالَ الإِسْكَنْدَرِيُّ : هَلْ سَمِعْتُمْ لِهٰذَا العَلِيلِ رِكْزاً (١) . أَوْ رَأَيْتُمْ مِنْهُ رَمْزاً . ؟ (٢) . فَقَالُوا : لا . فَقَالَ : إِنْ لَمْ يَكُنْ صَوَّتَ مُذْ فَارَقْتُهُ . فَلَمْ يَجِئْ بَعْدُ وَقْتُهُ (٣) . دَعُوهُ إِلى غَدٍ فَإِنَّكُمْ إِذَا سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ . أَمِنْتُمْ مَوْتَهُ . ثُمَّ عَرِّفُونِي لِأَحْتَالَ فِي عِلاجِهِ . وَأَصْلاحِ مَا فَسَدَ مِنْ مِزَاجِهِ (٤) . فَقَالُوا : لا تُؤَخِّرْ ذٰلِكَ عَنْ غَدٍ . قَالَ : لا . فَلَمَّا ابْتَسَمَ ثَغْرُ الصُّبْحِ (٥) وَانْتَشَرَ جَنَاحُ الضَّوْءِ فِي أُفُقِ الْجَوِّ . جَاءَهُ الرِّجَالُ أَفْوَاجاً (٦) . وَالنِّسَاءُ أَزْوَاجاً . وَقَالُوا : نُحِبُّ أَنْ تَشْفِيَ الْعَلِيلَ . وَتَدَعَ الْقَالَ وَالْقِيلَ (٧) . فَقَالَ الإِسْكَنْدَرِيُّ : قُومُوا بِنَا إِلَيْهِ ثُمَّ حَدَرَ

---

(١) الركز الصوت الخفي وفي التنزيل (هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا) (٢) رمزا : أشارة . والمراد هل ظهرت عليه امارة الحياة ؟

(٣) أي أن لهذه النمائم وقتا يظهر أذا ظهر صوته فما دام لم يفعل فأن الوقت لم يحن (٤) أي اتركوه ألى غد ليصوت فتظهر فائدة هذه النمائم ومتى فعل ذلك لم تبق من خشية عليه ويريد بهذا تأجيل المواعيد لعله يتمكن من الهرب

(٥) أى حينما لاح النهار وظهرت تباشير الصباح والمراد انهم سارعوا أليه بمجرد طلوع النور وانفلاق الظلام

(٦) جماعات يتلو بعضهم بعضا (٧) العليل : المريض لانهم اعتقدوا ذلك والمعنى انا لانقبل منك التسويف والامهال ولانرضى ألا أن تشفيه كما زعمت

العمائمَ عنْ يَدِهِ [١] وحلَّ العمائمَ عنْ جسَدِهِ [٢] . وَقالَ : أَنِيمُوهُ علي وَجْهِهِ . فأُنِيمَ . ثُمَّ قالَ : أَقِيمُوهُ عَلَى رِجْلَيْهِ . فأُقِيمَ . ثُمَّ قالَ : خَلُّوا عَنْ يَدَيْهِ . فسَقَطَ رَأْسِيًا [٣] وَطَنَّ الإِسْكَنْدَرِيُّ بِفِيهِ [٤] وَقالَ : هُوَ مَيِّتٌ كَيْفَ أُحْيِيهِ ؟ . فأَخَذَهُ الخُفُّ . [٥] وَملَكَتْهُ الأَكُفُّ . وصارَ إذَا رُفِعَتْ عَنْهُ يدٌ وَقَعَتْ عَلَيْهِ أُخْرَى . ثُمَّ تَشاغَلُوا بِتَجْهِيزِ المَيِّتِ . فانسَلَلْنا هارِبِينَ حتَّى أَتَيْنَا قَرْيَةً عَلَى شَفِيرِ وَادٍ [٦] السَّيْلُ يُطَرِّفُها [٧] وَالمَاءُ

---

(١) حدر : أبعدها ونحاها عن مكانها (٢) كانت العمائم فوق رأسه. فقط فعبر عنها بالجسد تعبيرا باسم الكل عن البعض (٣) سقط رأسيا : أي على رأسه علامه على أنه لم يتمالك نفسه ولم يستطع القيام وذلك دلالة الموت. ويروى : راسيا أى ثابتا لايتحرك

(٤) الطنين : صوت الذباب . ولما كان الخجل قد عقد لسانه وحبس صوته عبر به أذ هو أضعف الاصوات

(٥) الخف : الحذاء . وأخذه أي أخذوه به وأراد ضربوه أهانة لقدره واستصغارا لشأنه ويروي الجف بالجيم وهو الكثير من الناس ومعنى ملكته الاكف أنها أحاطت به وتناولته من كل جهة حتى صار كعبد امتلكته فليس في طوقه الفرار منها

(٦) شفير الوادي : أعلا حرفه

(٧) يطرفها أي يجعل بعض أطرافها فى البعض الآخر لانه أذا سال فى طرف انتقل سكانه ألى الطرف الثانى مأخوذ من قولهم طرف الخيل أذا رد بعضها على بعض

يَتَحَيَّفُها(١) . وَأَهْلُها مُغْتَمُّونَ لا يَمْلِكُهُمْ غُمْضُ اللَّيْلِ(٢) . مِنْ خَشْيَةِ السَّيْلِ . فقالَ الإِسْكَنْدَرِيُّ : ياقَوْمُ أَنا أَكْفِيكُمْ هٰذا الْماءَ وَمَعَرَّتَهُ(٣) . وَأَرُدُّ عَنْ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ مَضَرَّتَهُ . فَأَطيعوني . وَلا تُبْرِمُوا أَمْراً دُونِي(٤) . قالوا : وَما أَمْرُكَ ؟ فقالَ : اذْبَحُوا فِي مَجْرَى هٰذا الْماءِ بَقَرَةً صَفْراءَ . وَأْتُونِي بِجارِيَةٍ عَذْراءَ .(٥) وَصَلُّوا خَلْفِي رَكْعَتَيْنِ يَثْنِ اللهُ عَنْكُمْ عِنانَ هٰذا الْماءِ . إِلَى هٰذِهِ الصَّحْراءِ(٦) . فَإِنْ لَمْ يَنْثَنِ فَدَمِي عَلَيْكُمْ حَلالٌ(٧) . قالوا : نَفْعَلُ ذٰلِكَ فَذَبَحُوا الْبَقَرَةَ وَزَوَّجُوهُ الْجارِيَةَ وَقامَ إِلَى الرَّكْعَتَيْنِ

---

(١) يتحيفها : يجور عليها فينقص أطرافها (٢) الغمض : النوم وقد شبهه بأنسان له سطوة ونفوذ يمتلك بهما وأسند أليه الفعل تخييلا.

(٣) معرته : أذاة . ولما كان فى هجوم السيل عليهم خروج لهم من ديارهم وظهور لحرائرهم عبر عن أذاه بالمعرة التى هى الفضيحة والعار

(٤) أي لاتبتوا فى هذا الشأن رأى مالم أشاركم فيه

(٥) عذراء : بكر ، وأراد بتخصيص البقرة بأن تكون صفراء أن يوهمهم أن لهذا اللون خاصة وأنهم متى فعلوا نجحوا فى أملهم ولم تخب ظنونهم وليوجه أفكارهم ألى قصة بنى أسرائيل والقتيل وأن الله اختار لهم هذا اللون فى بقرتهم حيث قال : (أنه يقول أنها بقرة صفراء) الآية

(٦) يثنى يحول وكانه فرض الماء دابة جموحا فأضاف اليه العنان وهو اللجام (٧) أي اذا لم يكن ماأردتم وهو تحويل الماء عنكم بعد هذا الذى أمرتكم به فقد أبحت لكم أن تقتلونى

يُصَلِّيهِمَا . وَقَالَ : يَا قَوْمُ احْفَظُوا أَنْفُسَكُمْ لَا يَقَعْ مِنْكُمْ فِي الْقِيَامِ كَبْوٌ . أَوْ فِي الرُّكُوعِ هَفْوٌ . أَوْ فِي السُّجُودِ سَهْوٌ . أَوْ فِي الْقُعُودِ لَغْوٌ (١) . فَفِي سَهْوِنَا خَرَجَ أَمَلُنَا عَاطِلاً . وَذَهَبَ عَمَلُنَا بَاطِلاً (٢) . وَاصْبِرُوا عَلَى الرَّكْعَتَيْنِ فَسَاقَهُمَا طَوِيلَةً وَقَامَ لِلرَّكْعَةِ الْأُولَى فَانْتَصَبَ انْتِصَابَ الْجِذْعِ (٣) . حَتَّى شَكَوْا وَجَعَ الضِّلَعِ (٤) . وَسَجَدَ . حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ هَجَدَ (٥) . وَلَمْ يَشْجُعُوا لِرَفْعِ الرُّؤُوسِ . حَتَّى كَبَّرَ لِلْجُلُوسِ ثُمَّ عَادَ إِلَى السَّجْدَةِ الثَّانِيَةِ وَأَوْمَأَ إِلَيَّ (٦) فَأَخَذْنَا الْوَادِيَ وَتَرَكْنَا الْقَوْمَ سَاجِدِينَ لَا نَعْلَمُ مَا صَنَعَ الدَّهْرُ بِهِمْ . فَأَنْشَأَ أَبُو الْفَتْحِ يَقُولُ :

---

(١) كبو : أى لا تملوا الوقوف ولا تتعبوا منه فتكبوا أى تقعوا ، هفو . أى لا تسأموا طول الركوع فتسرعوا ألي القيام ، من هفا يهفو أذا أسرع سهو : أى لا تستطيلوا السجود مهما بلغ فيسهو أحدكم فيرفع رأسه ، لغو . أى لا تقرأوا غير الوارد فى السنة مهما امتد أجل القعود

(٢) أى أن نجاح آمالنا موقوف على أداء الصلاة على وجهها الذى ذكرت لكم

(٣) أى وقف معتدلا اعتدال جذع النخلة ثابتا ثباته لا يتحرك ولا يميل

(٤) اذا طال القيام بلا حركة ملت الاعضاء وتألمت الاضلاع وهو قد أطال عليهم حتى أحسوا بذلك (٥) هجد : نام ، أى أنه اطال في السجود حتى حسبوا أن النوم قد غلبه ومع ذلك فأنهم لم يستطيعوا أن يرفعوا رؤوسهم خوفا مما حذرهم منه وهو ضياع المقصود (٦) أومأ الى : أشار لي اشارة

لَا يُبْعِدِ اللهُ مِثْلِي　　وَأَيْنَ مِثْلِيَ أَيْنَا ؟
لِلّٰهِ غَفْلَةُ قَوْمٍ　　غَنِمْتُهَا بِالْهُوَيْنَا !
اكْتَلْتُ خَيْراً لَدَيْهِمْ　　وَكِلْتُ زُوراً وَمَيْناً (١)

الْمَقَامَةُ الْمَضِيرِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى ابْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ بِالْبَصْرَةِ (٢) وَمَعِي أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَنْدَرِيُّ رَجُلُ الْفَصَاحَةِ يَدْعُوهَا فَتُجِيبُهُ . وَالْبَلَاغَةِ يَأْمُرُهَا فَتُطِيعُهُ (٣) . وَحَضَرْنَا مَعَهُ دَعْوَةَ بَعْضِ التُّجَّارِ فَقُدِّمَتْ إِلَيْنَا

---

(١) يقول : أنني رجل داهية يندر وجود مثلي في الدهاء والحيلة ولقد استطعت أن أصل الى ما اغلق دون الناس جميعا بدون كد ولا أجهاد وأخذت منهم عظيما ومع ذلك لم أعطهم شيئا غير الكذب والخداع خفية لا أقوم معه

(٢) البصرة مدينة معروفة اختطها عتبة بن غزوان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب سنة اربع عشرة من الهجرة كانت مساحتها فى عهد خالد القسري فرسخين فى مثلها وبلغ عدد سكانها فى عهد المنصور الخليفة العباسى مبلغا عظيما حتى لقد أرادوا ان يقسموا على من يستحق العطاء ألف ألف درهم فلم يأخذ كل واحد اكثر من درهمين

(٣) اي انه الوحيد المالك لزمام البلاغة والمصرف لاعنتها والقدير على رياضتها وهى لا تعصى له أمرا ولا تخالف له رغبة ماشاء تشاء

مَضِيرَةٌ [١] تُثْنِي عَلَى الْحَضَارَةِ [٢] . وَتَتَرَجْرَجُ فِي الْغَضَارَةِ [٣] . وَتُؤْذِنُ بِالسَّلَامَةِ [٤] . وَتَشْهَدُ لِمُعَاوِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِالْإِمَامَةِ [٥] . فِي قَصْعَةٍ يَزِلُّ عَنْهَا الطَّرْفُ . وَيَمُوجُ فِيهَا الظَّرْفُ [٦] . فَلَمَّا أَخَذَتْ مِنَ الْخِوَانِ

وما كره تكره (١) المضيرة نوع من الطعام يتخذ من اللحم واللبن الحامض وربما أضيف اليه الحليب ثم يوضع على ذلك التوابل والابزار

(٢) أى تدل على أن أهل الحضر أقدر في صنعها من البدو فتشهد لهم بطول الباع

(٣) تترجرج : تموج وتتحرك ، والغضارة القصعة

(٤) أى أن من يأكلها لايتشكي ولا يتألم وذلك من أسباب الاقبال عليها ودواعي التسارع أليها

(٥) كان جلساء معاوية رضي الله عنه يقولون : أن طعامه دسم . ولم يشايعه فى أمامته حال حياة على كرم الله وجهه غير من يريدون ذلك فلو كانت هذه المضيرة عنده لكانت من دواعى التفافهم حوله

(٦) يزل : ينبو ، ويبعد ، ويزلق ، والطرف : العين . ويروي يكل من الكلال وهو الاعياء والتعب ، وأصل الظرف : ذلاقة اللسان وحسن البيان وقوة العارضة فى الذي يأخذ القلب ويملك النفس ، واراد منه هنا مجرد الحسن والجمال من باب أطلاق المسبب وأرادة السبب ، والمعنى أن هذه القصعة كانت براقة كثيرة التألق شديدة اللمعان ، بهجة الرواء حتى أن البصر لايثبت عليها ولا يستطيع أدامة رؤيتها لان أشد الاشياء تفريقا للعين اكثرها وميضا وبريقا وأنها وسيمة بعيدة الجوانب حتي أن الحسن والبهاء ليموجان فيها

مَكَانَهَا (١). وَمِنَ الْقُلُوبِ أَوْطَانَهَا (٢). قَامَ أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَنْدَرِيُّ يَلْعَنُهَا وَصَاحِبَهَا . وَيَمْقُتُهَا وَآكِلَهَا . وَيَثْلِبُهَا وَطَابِخَهَا (٣) . وَظَنَنَّاهُ يَمْزَحُ فَإِذَا الْأَمْرُ بِالضِّدِّ . وَإِذَا الْمِزَاحُ عَيْنُ الْجِدِّ (٤) . وَتَنَحَّى عَنِ الْخِوَانِ (٥) . وَتَرَكَ مُسَاعَدَةَ الْإِخْوَانِ . وَرَفَعْنَاهَا فَارْتَفَعَتْ مَعَهَا الْقُلُوبُ وَسَافَرَتْ خَلْفَهَا الْعُيُونُ (٦) وَتَحَلَّبَتْ لَهَا الْأَفْوَاهُ (٧) . وَتَلَمَّظَتْ لَهَا الشِّفَاهُ (٨) . وَاتَّقَدَتْ لَهَا الْأَكْبَادُ وَمَضَى فِي إِثْرِهَا الْفُؤَادُ (٩) .

---

(١) الخوان — كما سبق مرارا — مايوضع عليه الطعام ومعنى انها أخذت مكانها منه : انها وضعت عليه

(٢) الوطن هو المحل الذي يلازمه الانسان في أغلب حياته ، وذلك كناية عن أن جمال المضيرة قد شغف قلوبهم وحل منها محل الحبيب من قلب المحب

(٣) مقته يمقته مقتا ومقاتة : أبغضه وكرهه ، ومثله مقته (بالتضعيف) فهو مقيت وممقوت ، وثلبه يثلبه — من باب ضرب — لامه ، وعابه ، وطرده ، وثلمه والاسم المثلبة (بفتح اللام وتضم) والمعنى أنه ما فتىء يسب ويشتم ويلوم ويلعن كل من كانت له يد في تقديم هذه المضيرة

(٤) المعنى : أننا ماكنا نتوهم أنه يكون جادا في كلامه لما كانت عليه المضيرة من البهاء والرونق ولكنه كان حقيقة جادا

(٥) تنحى : ابتعد (٦) يعني أننا كنا نتمنى لو دامت أمامنا فلما رفعناها كراهية منا توجهت إليها قلوبنا وانصرفت نحوها أعيننا (٧) أي سال لعابها وجرى ريقها (٨) أصل التلمظ إخراج اللسان : ليأخذ ما على الشفتين من آثار الطعام ، وقد أسنده الى الشفتين لانه لا بد من حركتهما حينذاك ، وكأنهم تخيلوا أنهم طعموا منها فتلمظوا (٩) تقدت : احترقت ، وانما يحترق كبد المرء إذا

وَلكِنا ساعَدْناهُ عَلَى هَجْرِها وَسَأَلْناهُ عَنْ أَمْرِها [١]. فقالَ: قِصَّتي مَعَهَا أَطْوَلُ مِنْ مُصِيبَتِي فِيهَا. وَلَوْ حَدَّثْتُكُمْ بِهَا لَمْ آمَنِ الْمَقْتَ. وَإِضاعَةَ الْوَقتِ [٢]. قُلْنا: هاتِ. قالَ: دَعانِي بَعْضُ التُّجّارِ إِلَى مَضِيرَةٍ وَأَنا بِبَغْدَاذَ وَلَزِمَنِي مُلازَمَةَ الْغَرِيمِ. وَالْكَلْبِ لِأَصْحابِ الرَّقِيمِ [٣]. إِلَى أَنْ أَجَبْتُهُ إِلَيْها وَقُمْنا فَجَعَلَ طُولَ الطَّرِيقِ يُثْنِي عَلَى زَوْجَتِهِ. وَيُفَدِّيها بِمُهْجَتِهِ. وَيَصِفُ حِذْقَها فِي صَنْعَتِها. وَتَأَنُّقَها فِي طَبْخِها [٤]

فقد عزيزا عليه، وذلك كناية عن شدة تألمهم لتفويته عليهم لذة التمتع بأكلها، ومضى الفؤاد: أي أنه قد ذهل كل منا وأحدثه الدهشة فكأنه قد ضاع صوابه وفقد رشده

(١) المعنى اننا وافقناه على مافعل وأظهرنا له الرضا عنه والقبول لتركها غير أننا سألناه عن الذى دعا ألى ذلك أذ لم يكن تركها مما يعد أمرا مرضيا فنسكت عنه (٢) أى أن الحادثة يطول بي شرحها فلو أنى حدثتكم بها لخفت منكم كراهيتى ولم آمن أن يضيع فى سردها وقت نكون في حاجة أليه

(٣) أصحاب الرقيم هم أصحاب الكهف الذين جرى ذكرهم فى الكتاب العزيز فى قوله تعالى: (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) وكان لهم كلب لم يفارقهم. والغريم صاحب الدين وهو لايفارق مدينه ولا يخفف عليه الطلب (٤) يثنى على زوجته: يمدحها ويذكر محاسنها، يفديها بمهجته: يجعل نفسه فداء لها وذلك كناية عن عزتها عليه ومحبته لها، والحذق ـ بكسر أوله وفتحه ـ ومثله الحذاق والحذاقة ـ بكسرها وفتحها كذلك ـ

الْكِبَارُ فِي حُلُولِهَا [1]. ثُمَّ لَا يَسْكُنُهَا غَيْرُ التُّجَّارِ. وَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِالْجَارِ [2]. وَدَارِي فِي السِّطَةِ مِنْ قِلَادَتِهَا [3]. وَالنُّقْطَةِ مِنْ دَائِرَتِهَا كَمْ تُقَدِّرُ يَا مَوْلَايَ أُنْفِقَ عَلَى كُلِّ دَارٍ مِنْهَا؟ قُلْهُ تَخْمِينًا. إِنْ لَمْ تَعْرِفْهُ يَقِينًا [4]. قُلْتُ: الْكَثِيرُ. فَقَالَ: يَا سُبْحَانَ اللهِ! مَا أَكْبَرَ هَذَا

يسكنها من بغداد والحي الذي يقيم به

(١) يقال: نافس وتنافس أذا رغب على وجه المباراة والمسابقة في مكارم الامور ومنه قوله تعالي: (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون). وغايره: عارضه أو باداه، والمعنى أن هذه المحلة افضل محال بغداد وأحسنها لذلك فانك ترى الكبار والعلية يتبارون في سكناها ويتسابقون للحلول بها ويتعارضون في دورها ومنازلها او يتبادلون ذلك فيها

(٢) من وصايا أمير المؤمنين: يابني سل عن الرفيق قبل الطريق والجار قبل الدار، وقد نصح به كرم الله وجهه النصيحة الغالية فأن جار السوء يكدر صفو الحياة ويؤلم نفوس جيرانه، والحديث الشريف: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره) وهذا التاجر يقول أن جميع جيرانه تجار فهو يريد أن يتمدح جيرانه ليلزم من ذلك امتداح نفسه ومنزله. وقد قال بعض الشعراء

يلومونني ان بعت بالرخص منزلي ... ولم يعلموا جارا هناك ينغص
فقلت لهم كفوا الملام فانما ... بجيرانها تغلو الديار وترخص

(٣) السطة: الوسط، وانفس ما يكون في العقود والقلائد من حبات اللؤلؤ الواسطة فكأنه يقول انه يقطن اشرف نقطة في هذه المحلة

(٤) أي أن كنت لاتستطيع أن تقدر على وجه اليقين نفقاتي على هذه الدار فلا بأس من أن تقول كم تتوهم أني انفقت

اَلْغَلَطَ ! تَقُولُ اَلْكَثِيرَ فَقَطْ ؟ وَتَنَفَّسَ الصُّعَدَاءَ [1] . وَقَالَ : سُبْحَانَ مَنْ يَعْلَمُ اَلأَشْيَاءَ . وَانْتَهَيْنَا اَلَي بابِ دَارِهِ . فَقَالَ : هَـٰذِهِ دَارِي ، كَمْ تُقَدِّرُ يا مَوْلَايَ اَنْفَقْتُ عَلَى هَـٰذِهِ الطَّاقَةِ ؟ [2] أَنْفَقْتُ وَاللهِ عَلَيْهَا فَوْقَ الطَّاقَةِ [3] وَوَرَاءَ الفَاقَةِ [4] . كَيْفَ تَرَى صَنْعَتَهَا وَشَكْلَهَا ؟ أَرَأَيْتَ بِاللهِ مِثْلَهَا ؟ أُنْظُرْ اَلَى دَقَائِقِ الصَّنْعَةِ فِيهَا وَتَأَمَّلْ حُسْنَ تَعْرِيجِهَا فَكَأَنَّمَا خُطَّ بِالْبِرْكَارِ [5] . وَانْظُرْ اَلَى حِذْقِ النَّجَّارِ فِي صَنْعَةِ هَذَا الْبَابِ . اتَّخَذَهُ مِنْ كَمْ ؟ . قُلْ: وَمِنْ أَيْنَ أَعْلَم . هُوَ سَاجٌ مِنْ قِطْعَةٍ وَاحِدَةٍ لا مَأْرُوضٌ وَلَا عَفِنٌ . [6] اَذَا حُرِّكَ أَنَّ [7] وَاَذَا نُقِرَ طَنَّ [8] . مَنِ اتَّخَذَهُ يا سَيِّدِي ؟ . اتَّخَذَهُ أَبُو أَسْحٰقَ بْنُ مُحَمَّدٍ

---

(١) أى : اظهر حزنه واسفه بتنفسه من اعماق صــدره تنفسا عاليا على عدم مبالغتي له فى النفقات (٢) النافذة (الشباك) (٣) القدرة والامكان

(٤) الفاقة : الفقر والاملاق ، والمعـني انه انفق عليها مقدارا يسوق اليـه الفاقة ويجلب له الفقر ويجر عليه الاملاق

(٥) البركار ويسمونه أيضا الفرجار : آلة لتحديد الدوائر وتنظيمها يأمن بها الصــانع من اختلاف النسب فى التدوير وهى التى تسمى الآن (برجل) والمعنى ظاهر (٦) الساج : شجر يطول ويرتفع جدا ويوجد بالهند . المأروض الذي أكلته الارض وهي دويبة صغيرة ، والعفن : الذي أصابته الرطوبة

(٧) أي اذا فتح أو أغلق سمــع صوت يشبه الانين (٨) أى واذا دق عليه كان له طنين وذلك دليل سلامته وجودة خشبه وصنعته

لا تَنِضُّ تِجارَتُها فَحَمَلْتُها اليهِ . وعرضتها عليهِ . (١) وساومتُهُ على أن يَشتريَها نَسِيئةً (٢) . والمُدْبِرُ يَحسَبُ النَّسيئةَ عَطِيَّةً (٣) . والمُتَخَلِّفُ يَمتدُّها هدِيَّةً . وسألتُهُ وثيقةً بأصلِ المالِ . ففعلَ وعقدها لي (٤) ثمّ تغافلتُ عن انتِضائهِ (٥) . حتّى كادتْ حاشيةُ حالِهِ ترقُّ فأتيتُهُ فاقتضيتُهُ . واستمهلَني فأنظرتُهُ (٦) . والتمسَ غيرَها من الثيابِ فأحضرتُهُ وسألتُهُ أن يجعلَ دارَهُ رهينَةً لديَّ (٧) . ووثيقةً في يديَّ . ففعلَ ثمّ درَّجتُهُ بالمعامَلاتِ الى بيعِها حتّى حصلتْ لي بجَدٍّ صاعِدٍ (٨)

(فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) أي لا تحزن ولا تشتد بك الحسرة من أجلهم (١) نضت التجارة : كسدت ولم ترج ، وتحولت نقدا بعد أن كانت متاعا (ضدان) والثانى هو المراد هنا ، والمعنى : اني أخذت بعض أثواب لا يتصور أن يتجر فيها لعدم رواج سوقها وحملتها اليه (٢) نسيه : أي مع تأخير الثمن (٣) المدبر هو الذي يسير الى الخلف وأراد منه المفلس لأنه كأنه بعد العز والغنى يسير فى طريق عكس الذي كان يسلكه (٤) الوثيقة . الصك الذى يكتب فيه الدين وعقدها أي حررها والتزم بما فيها (٥) مطالبته بالدين الذى عليه (٦) أى انتظرت حتى علمت انه موشك على الافتقار فجئته أطلب منه الاداء فطلب مني أن أمهله وأمهلته أى أعطيته مهلة (٧) الرهن عين توضع فى يد الدائن لتكون تأمينا له على ماله حتى اذا أفلس المدين استوفى الدائن منها (٨) درجته ، واستدرجته ، معناهما : أدنيته مما أريد على التدرج فتدرج أي دنا وكأن الاصل في اشتقاق هذا اللفظ الدرج الذي هو المرقاة

وَبَخْتٍ مُساعِدٍ . وَقُوّةِ ساعِدٍ . وَرُبَّ ساعٍ لِقاعِدٍ (١) . وَأَنا بِحَمْدِ ٱللهِ مَجْدُودٌ (٢) وَفِي مِثْلِ هٰذِهِ ٱلأَحْوالِ مَحْمُودٌ وَحَسْبُكَ يا مَوْلايَ أَنِّي كُنْتُ مُنْذُ لَيالٍ نائِماً فِي ٱلبَيْتِ مَعَ مَنْ فِيهِ إِذْ قُرِعَ عَلَيْنا ٱلبابُ . فَقُلْتُ : مَنِ ٱلطَّارِقُ ٱلمُنْتابُ (٣) . فَإِذا ٱمْرَأَةٌ مَعَها عِقْدٌ

لانها تدني الانسان شيئاً فشيئاً من علوها ، وجد صاعد : حظ موفور ، وبخت مرتفع

(١) رب ساعد لقاعد : أي أن بعض الناس يكد نفسه ويجهدها ويحملها العناء والمشقة ويجشمها المخاوف والمخاطر ثم لا ينال من سعيه ودأبه ولا يصيب من جده ونصبه شيئاً بل يكون عليه الغرم ولغيره الغنم . وتكون مهمته العمل لسواه الربح والجزاء وذلك مثله كمثل الذبالة تضيء للناس وهي تحترق والجملة بدون الواو مثل ويروى معه وآكل غير حامد ويقال أن أول من قاله النابغة الذبياني وكان قد وفد الى النعمان بن المنذر وفود من العرب فيهم رجل من بني عبس يقال له شقيق فمات عنده فلما حبا النعمان الوفود بعث الى اهل شقيق بمثل حباء الوفد فقال النابغة حين بلغه ذلك : رب ساع لقاعد . وقال للنعمان:

ابقيت للعبسي فضلا ونعمة ٭ ومحمدة من باقيات المحامد

حباء شقيق فوق اعظم قبره ٭ وما كان يحى قبله قبر وافد

أتى اهله منه حباء ونعمة ٭ ورب امرىء يسعى لآخر قاعد

ويروى : اسلمي ام خالد . رب ساع لقاعد . قالوا ان اول من قال ذلك امير المؤمنين معاوية بن ابي سفيان (٢) مجدود : محظوظ

(٣) المنتاب : الذي أتى دارك في وقت لا يأتي فيه الناس وأصله الطارق مرة بعد مرة فاستعير للطارق مطلقا من باب اطلاق المقيد وارادة المطلق وهو معروف عند علماء البيان أو أنه جعل تردده على البيوت التي قبله كأنها تردد

لاَ آلٍ فى جِلدَةِ ماءٍ وَرِقَّةِ آلٍ [١] تَعرِضُهُ لِلبَيعِ . فأَخَذتُهُ مِنها إِخذَةَ خَلْسٍ . وَاْشتَرَيتُهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ [٢] وَسَيَكُونُ لَهُ نَفعٌ ظَاهِرٌ . وَرِبحٌ وَافِرٌ . بِعَونِ اللّهِ تَعالَى وَدَوْلَتِكَ . وَإِنَّمَا حَدَّثتُكَ بِهذَا الْحَدِيثِ لِتَعلَمَ سَعَادَةَ جَدِّى فى التِّجارَةِ . وَالسَّعادَةُ تُنْبِطُ الْمَاءَ مِنَ الْحِجارَةِ [٣] . اللّهُ أَكبَرُ ! لاَ يُنَبِّئُكَ أَصدَقُ مِن نَفسِكَ . وَلاَ أَقرَبُ مِن أَمْسِكَ [٤] . اْشتَرَيتُ هٰذَا الْحَصِيرَ فِى الْمُنَادَاتِ . وَقَدْ أُخرِجَ مِنْ دُورِ آلِ الْفُرَاتِ . وَقتَ الْمُصادَرَاتِ . وَزَمَنَ الغَارَاتِ [٥] . وَكُنتُ أَطلُبُ مِثلَهُ مُنذُ الزَّمَنِ الأَطوَلِ فَلاَ أَجِدُ . وَالدَّهرُ حُبلَى لَيسَ يُدرَى

على بيته وكأنه لم بجئه الابعدأن طرق بيوت جيرانه جميعاً (١) لاَ آل : أصله لآلئ جمع لؤلؤة ثم سهلت الهمزة فجرى مجرى قاضٍ ، والآل :السراب ، وهو الذى يظهر من بعيد كأنه ماء ، يقول:انهذا العقدفي الصفاء واللمعان يشبه الماء وفى الرقة يشبه الآل (٢) ثمن بخس : قليل ، والخلس يشبه السرقة فكأنه حين أخذه بالقليل من الثمن قد سرقه (٣) تنبط : تخرج يقول : ان من رزق السعادة ويمن الطالع وحسن الحظ وجد الربح فى الذى لا يتوهمه فيه وأتاه من حيث لا ينتظره (٤) الله اكبر . كلمة أجراها مجرى التعجب كسبحان الله ، وينبئك : يخبرك ، والمعنى انه لايخبرك عن أحوالك ولا يحدثك بشؤونك أصدق من نفسك لانها هي التى تعلم مقدار الحقيقة كما لا يكون اقرب للصدق ولا ادعي اليه من الحديث عن اقرب ايامك الماضية وهو الامس لانه اعلقها بالذهن (٥) المنادات : يشبه مايسمى الآن (بالمزاد) ، ودور الفرات: منازل عائلة كان لها هذا اللقب وكان بعضهم وزيراً للمقتدر بالله العباسي وهو

مَا يَلِدُ (١). ثُمَّ اتَّفَقَ أَنِّي حَضَرْتُ بَابَ الطَّاقِ. وَهٰذَا يُعْرَضُ فِي الْأَسْوَاقِ. فَوَزَنْتُ فِيهِ كَذَا وَكَذَا دِينَاراً. تَأَمَّلْ بِاللهِ دِقَّتَهُ وَلِينَهُ وَصَنْعَتَهُ وَلَوْنَهُ فَهُوَ عَظِيمُ الْقَدْرِ. لَا يَقَعُ مِثْلُهُ إِلَّا فِي النَّدْرِ (٢). وَإِنْ كُنْتَ سَمِعْتَ بِأَبِي عِمْرَانَ الْحَصِيرِيِّ فَهُوَ عَمَلُهُ وَلَهُ ابْنٌ يَخْلُفُهُ الْآنَ

علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات واصلهم من صريفين من اعمال دجيل وكانوا اجل الناس فضلا وكرما ونبلا ووفاءومروءة وكان (ا والحسن) من افضل الناس واعظمهم جودا وكرما وكانت ايامه مواسم للناس واعيادا ولما جرت الفتنة وخلع المقتدر بالله بن المعتضد العباسي وبويع ابن المعتز ثم استظهر المقتدرعليه واسترجع ملكه واستقرت له الخلافة ارسل الي ابي الحسن علي بن الفرات فأحضره واستوزره وخلع عليه فنهض بتسكين الفتنة احسن نهوض ودبر الدولة في يوم واحد وقرر القواعدواستمال الناس وفي ذلك يقول بعض شعراء الدولة :

ودبرت في ساعة دولة   تحيل بغيرك في اشهر

قالوا : انه تولى الوزارة للمقتدر ثلاث مرات وفي المرة الثالثة قبض عليه ثم قتل سنة ٣١٢ وصودرت امواله ـ فهو يشير بذلك الى انه نفيس عالي القدر عظيم القيمة مما اقتناه الرؤساء واختزنته الامراء ورغبه كبار الدولة (١) شبه الدهر في مجيئه بما لا يفكر فيه واتيانه على خلاف الظنون بالمرأة الحبلى فانك تعلم انها تلد ولكن لا تتحقق من نوعه وكذلك الزمان تعلم ان فيه حوادث ولا تدري ما هي كالتشبيه الذي في قول الشاعر :

والليالي من الزمان حبالى   مثقلات يلدن كل عجيب

(٢) الندر والنادر : : القليل والمعنى : انه لا يتفق مثل هذا الحصير في

في حانُوتِهِ لا يُوجَدُ أعلاقُ الخُضَرِ إلاَّ عِنْدَهُ فَبِحَيَاتِي لا اشْتَرَيْتَ الخُضَرَ إلاَّ مِنْ دُكَّانِهِ . فالمُؤْمِنُ ناصِحٌ لإِخْوَانِهِ : لا سِيَّما مَنْ تَحَرَّمَ بِخِوَانِهِ (١) وَنَعُودُ لِي حَدِيثِ المَضِيرَةِ . فَقَدْ حانَ وَقْتُ الظَّهِيرَةِ . يا غُلامُ الطَّسْتَ وَالماءَ (٢) . فَقُلْتُ : اللهُ أكبرُ رُبَّما قَرُبَ الفَرَجُ . وَسَهُلَ المَخْرَجُ . وَتَقَدَّمَ الغُلامُ . فَقالَ : تَرَى هٰذا الغُلامَ . أنَّهُ رُومِيٌّ

كل حين بل انه يغلب عدم وجوده وذلك بعد وصفه بالنفاسة ودقة الصنعة وجودتها شبه تأكيد (١) حرم الانسان وحريمه : ما يحميه ويقاتل عنه ويمنع دونه ومن هـذا سمي بيت الله بالحرم وفيه يقول الله تبارك وتعالى : (ومن دخله كان آمناً) ويقال تحرم فلان من فلان بحرمة : اى تمنع واحتمى بذمة . وفلان في حريمك اى منعتك وذمتك وحصنك وحمايتك بحيث تلتزم الدفاع عنه ، وابو الفتح سيتناول مع ذلك التاجر المضيرة على خوان واحد فكأنه لاذ بجواره ولجأ اليه ولذلك تجب عليه نصيحته وتوضيح الامر له (٢) الطست والماء مفعولان لفعل مضمر اي احضرهما، والطست كلمة تفردت بها الفرس دون العرب فاضطرت العرب الى ادخالها فى لغتها والامر فى ذلك على وجوه فمنه ما يكون في اللغتين قائما على لفظ واحد وذلك مثل : التنور ، والخمير ، والزمان ، والدين ، والكنز ، والدرهم ، والدينار ، ومنه ما لا وجود له الا فى الفارسية فتعربه العرب بنوع من انواع التعريب كالنحت مثلا او تنقله بحاله وذلك كثير مثل : الكوز ، والابريق ، والطست ، والخوان ، والطبق ، والقصعة ، والخز ، والديباج ، والسندس ، والياقوت ، والفيروزج ، والبلور ، والكعك ، والسميذ ، والدرمك ، والفالوذج ، والجوزينج ، واللوزينج ،

ٱلأَصْلِ عِرَاقِيُّ ٱلنَّشْءِ (١) . تَقَدَّمْ يا غُلامُ وَٱحْسِرْ عَنْ رَأْسِكَ (٢) . وَشَمِّرْ عَنْ سَاقِكَ . وَٱنْضُ عَنْ ذِرَاعِكَ (٣) . وَٱفْتَرَّ عَنْ أَسْنَانِكَ (٤) وَأَقْبِلْ وَأَدْبِرْ . فَفَعَلَ ٱلْغُلامُ ذٰلِكَ . وَقَالَ ٱلتَّاجِرُ : بِٱللهِ مَنِ ٱشْتَرَاهُ؟ ٱشْتَرَاهُ وَٱللهِ أَبُو ٱلْعَبَّاسِ . مِنَ ٱلنَّخَّاسِ (٥) . ضَعِ ٱلطَّسْتَ . وَهَاتِ

والجلاب ، والكرويا ، والقرفة ، والزنجبيل ، والنرجس ، والبنفسج ، والسوسن ، والمسك ، والعنبر ، ومنه نوع انتسبت فارسيته وحكيت عربيته مثل : الكف ، والساق ، والفراش ، والبزاز ، والوزان ، والكيال ، والمساح ، والدلال ، والصراف ، والبيطار ، والخراط ، والغاط ، والصواب ، والخلوق ، والمشجب ، واللهو ، والقمار ، والسفط ، وكما نقلت العرب عن الفارسية فقد نقلت عن لغات اخرى كالرومية وذلك مثل : الفردوس للبستان ، والقسطاس الميزان ، والسجنجل المرآة ، والبطاقة لرقعة فيها رقم المتاع ، والقسطل الغبار ، والنقرس والقولنج : مرضان معروفان ، والترياق دواء السموم ، والقراميد الحجارة ، والقنطار : معروف ، وانما بسطنا الكلام والنقل هنا بعض البسط لنثير همم ادباء امتنا وعلمائها المتمكنين في اللغة ، الضاربين فيها بسهم وفير الى كد قرائحهم واتصال مجهوداتهم لينقلوا أو يعربوا تلك الكلمات التى استحدثت بعد عهود آبائنا ومورثينا ، ولغتنا والحمد لله قد شهد لها العدو والحميم بأنها اوسع اللغات واقواها على احتمال آلاف الكلمات (١) النشء : المنشأ ، والمعنى انه رومى تربى بالعراق وتعلم الخدمة فيها (٢) احسر : اكشف (٣) انض : انزع من نضا ينضو (٤) وافتر : اضحك حتى تكشف عن اسنانك (٥) النخاس : الذى يبيع العبيد ويطلق العبد على الابيض والاسود بالسواء

ٱلإِبْرِيقَ . فَوَضَعَهُ ٱلْغُلامُ وَأَخَذَهُ التَّاجِرُ وَقَلَّبَهُ وَأَدارَ فيهِ ٱلنَّظَرَ ثُمَّ نَقَرَهُ . فَقالَ : ٱنظُرْ إلى هذا ٱلشَّبَهِ كَأَنَّهُ جِذْوَةُ اللَّهَبِ . أَوْ قِطْعَةٌ مِنَ الذَّهَبِ (١) . شَبَهُ الشَّامِ . وَصَنْعَةُ الْعِراقِ (٢) . لَيْسَ مِنْ خُلْقانِ الأَعْلاقِ (٣) . قَدْ عَرَفَ دارَ ٱلْمُلوكِ وَدارَها (٤) . تَأَمَّلْ حُسْنَهُ وَسَلْنِي مَتَى ٱشْتَرَيْتَهُ ؟ ٱشْتَرَيْتُهُ وَاللهِ عامَ ٱلْمَجاعَةِ . وَادَّخَرْتُهُ لِهٰذِهِ السَّاعَةِ . يا غُلامُ ٱلإِبْرِيقَ . فَقَدَّمَهُ . وَأَخَذَهُ التَّاجِرُ فَقَلَّبَهُ . ثُمَّ قالَ : وَأُنْبُوبُهُ مِنْهُ (٥) لا يَصْلُحُ هٰذا الإِبْرِيقُ إِلَّا لِهذا الطَّسْتِ . وَلا يَصْلُحُ هذا الطَّسْتُ إِلَّا مَعَ هٰذا الدَّسْتِ (٦) . وَلا يَحْسُنُ هٰذا الدَّسْتُ إِلَّا فِي هٰذا الْبَيْتِ . وَلا يَجْمُلُ هٰذا الْبَيْتُ إِلَّا مَعَ هٰذا الضَّيْفِ . أَرْسِلِ ٱلْماءَ يا غُلامُ . فَقَدْ حانَ وَقْتُ الطَّعامِ . بِاللهِ تَرَى هٰذا الْماءَ ما أَصْفاهُ

---

(١) اى : ان نحاس هـذا الابرق في صفائه ولمعانه يشبه القطعة من النار لانها تبرق وتلمع او القطعة من الذهب لانها صافية براقة

(٢) أى أنه من نحـاس الشام وكانت مشهورة بجودة نحاسها وقد صنع في العراق وهي اذ ذاك مهبط الحـذق ومغني المهارة (٣) خلقان : جمع خلق وهو البالي ، والأعلاق : جمع علق وهو النفيس ، والمعنى أنه نفيس ولـكن لم يتطرق اليه البلى (٤) أى أنه كان عند بعض الملوك (٥) الانبوب : المـكان الذى ينزل منه المـاء (٦) الدست المكان المهيأ لمقابـلة الضيفان وهو أشرف مايكون في البيت وصدر الدار

أَزْرَقُ كَعَيْنِ السِّنَّوْرِ (١). وَصافٍ كَقَضِيبِ الْبِلَّوْرِ (٢). اُسْتُقِيَ مِنَ الفُرَاتِ (٣). وَاسْتُعْمِلَ بَعْدَ الْبَيَاتِ (٤). فَجَاءَ كَلِسانِ الشَّمْعَةِ. فِي صَفَاءِ الدَّمْعَةِ. وَلَيْسَ الشَّأْنُ فِي السِّقَاءِ. الشَّأْنُ فِي الإِنَاءِ. لا يَدُلُّكَ عَلَى نَظَافَةِ أَسْبَابِهِ. أَصْدَقُ مِنْ نَظَافَةِ شَرَابِهِ (٥). وَهٰذَا الْمِنْدِيلُ سَلْنِي عَنْ قِصَّتِهِ. فَهُوَ نَسْجُ جُرْجَانَ (٦). وَعَمَلُ أَرَّجَانَ. وَقَعَ إِلَيَّ فَاشْتَرَيْتُهُ فَاتَّخَذَتِ امْرَأَتِي بَعْضَهُ سَرَاوِيلاً. وَاتَّخَذْتُ بَعْضَهُ مِنْدِيلاً (٧) دَخَلَ فِي سَرَاوِيلِهَا عِشْرُونَ ذِرَاعاً. وَانْتَزَعْتُ مِنْ يَدِهَا هٰذَا القَدْرَ انْتِزَاعاً (٨). وَأَسْلَمْتُهُ إِلَى الْمُطَرِّزِ حَتَّى صَنَعَهُ كَمَا تَرَاهُ وَطَرَّزَهُ (٩). ثُمَّ رَدَدْتُهُ مِنَ السُّوقِ. وَخَزَنْتُهُ فِي الصُّنْدُوقِ.

---

(١) السنور: القط (٢) البلور، بوزن تنور وسنور وسبطر، : نوع من الزجاج وقال الفيروزبادي: أنه جوهر يريد هذا ويضرب به المثل في النقاء والصفاء (٣) استقي: أخذ (٤) أي ولم نستعمله الا بعد أن ظل ليلته في اناء (٥) أي أن الاناء الذي بات فيه هو سبب صفائه ونظافته ويدلك على ذلك ما تجده في الماء من هذه النعوت والصفات

(٦) المنديل: خرقة تستعمل لتجفيف الايدي من الماء. وأرجان: بهمزة مفتوحه فراء مشددة مفتوحة: احدي بلاد فارس (٧) سراويل: جمع سروال أو سروالة أو سرويل بكسر السين في الثلاثة وبالشين المثلثة لغة وهو نوع من الثياب (٨) انتزعت: أخذت بشدة. والمعنى أنها كانت تريد أن تستبقيه كله لنفسها ضنا به وحرصاً عليه لجودته ونفاسته ولكني لم أشأ أن أوافقها على ذلك بل أخذته منها رغماً عنها (٩) طرزه: وشى أطرافه بالحرير ونحوه

وَأَدَّخَرْتُهُ لِلظِّرَافِ . مِنَ الأَضْيَافِ (١) . لَمْ تُبْذِلْهُ عَرَبُ العَامَّةِ بِأَيْدِيهَا . وَلَا النِّسَاءُ لِمَآقِيهَا (٢) . فَلِكُلِّ عِلْقٍ يَوْمٌ . وَلِكُلِّ آلَةٍ قَوْمٌ (٣) يَا غُلَامُ الْخُوَانَ . فَقَدْ طَالَ الزَّمَانُ . وَالقِصَاعَ . فَقَدْ طَالَ الْمِصَاعُ (٤) . وَالطَّعَامَ . فَقَدْ كَثُرَ الْكَلَامُ . فَأَتَى الغُلَامُ بِالْخُوَانِ . وَقَلَبَهُ التَّاجِرُ عَلَى الْمَكَانِ . وَنَقَرَهُ بِالْبَنَانِ . وَعَجَمَهُ بِالأَسْنَانِ (٥) . وَقَالَ : عَمَّرَ اللَّهُ

والتطريز معروف (١) ادخرته : أبقيته والظراف بكسر أوله : جمع ظريف وهو الحسن الزى الجميل المنظر (٢) أي لم أخرجه لاحد حتى تتبذله العامة فتذله وكأنه جعل استعمال غير الظراف له مذلة وهوانا والفعل يصح قراءته مضعفاً ومن غير تضعيف ، يقال : ذله وأذله واستذله (بتشديد اللام فيهن) كما يقال : أذلته والمعنى أهنته واحتقرته وهونت من شأنه ولم أحسن القيام عليه . والمآقي جمع مؤق وهو مؤخر العين مما يلى الانف فاما مما يلي الصدغ فهو اللحاظ بكسر أوله (٣) يعنى انه لا يجوز ان يجعل كل شيء من النفائس لكل ضيف طارق بل ينبغى ان ترتب على قدر الناس ومستواهم (٤) المصاع بكسر اوله اصله المجالدة ، وما اشبه هذا الحديث البارد والكلام الممل بالمقاتلة والمكافحة ولعمرى لو ان ابا الفتح كان فى معركة القتال لما لقى من الضيق وتألم النفس وشدة الكرب عشير ما لقيه من صاحبه ولما كان يحتمل من بأس خصمه وشجاعته وقوته وجلاده نصف ما لقيه من نذالة هذا وبرود طبيعته

(٥) قلبه على المكان : اي على الفور ، هذا هو الذى يتبادر لنا واصل الاصل فيه ان المرء انما يحصل منه في مكانه الذي يكون فيه احب الاشياء اليه مرعة نفاذ واقتراب مضاء ، ولم نعثر على تعبير مثل هذا ولا حل له ، ونقره ضربه ، والبنان : أطراف الاصابع ، وعجمه بالاسنان : عضه بها ليخبره ،

بَغْدَادَ فَمَا أَجْوَدَ مَتَاعَهَا . وَأَظْرَفَ صُنَّاعَهَا . تَأَمَّلْ بِاللهِ هٰذَا الْخُوَانَ . وَانْظُرْ إِلَى عَرْضِ مَتْنِهِ . وَخِفَّةِ وَزْنِهِ (١) . وَصَلَابَةِ عُودِهِ وَحُسْنِ شَكْلِهِ . فَقُلْتُ : هٰذَا الشَّكْلُ . فَمَتَى الْأَكْلُ (٢) ؟ فَقَالَ : الْآنَ . عَجِّلْ يَا غُلَامُ الطَّعَامَ (٣) . لٰكِنَّ الْخُوَانَ قَوَائِمُهُ مِنْهُ (٤) . قَالَ أَبُو الْفَتْحِ فَجَاشَتْ نَفْسِي (٥) . وَقُلْتُ : قَدْ بَقِيَ الْخُبْزُ وَآلَاتُهُ . وَالْخُبْزُ وَصِفَاتُهُ (٦)

والمعني انه فعل كل هذه الافعال ليمتدحه و يثني عليه (١) عمر الله بغداد : جعلها عامرة آهلة بالسكان ، وارفة النعمة ، رخاء . و المتن في اصل الوضع : الظهر واراد منه المكان الذي يوضع عليه الطعام من الخوان ، واذا كان عريضا اي متسع المساحة او عريض السمك فذلك يقتضي ان يكون وزنه ثقيلا بمقدار سمكه ولكنه اراد ان يبين جودة خشبه الذي صنع منه فذكر انه خفيف لا مثل ما يتبادر الي الذهن من ثقله وصعوبة حمله

(٢) أي : لقد طال بي الانتظار وسمعت منك كثيراً ، ورأيت شكل خوانك ولكن متي يحين الوقت لتحضر الأكل (٣) عجل الطعام · أحضره في العاجل ، والعاجل والعاجلة : ضد الآجل والآجلة ، وهو الوقت الذي يقرب من زمانك الذي انت فيه وقد عجل تعجيلا وتعجل ومنه قوس عجلى بوزان سكرى أذا كانت سريعة السهم (٤) أى أن له مزية خليقة بأن تلتفت أليها وهى أن ظهره وقوائمه التي يقف عليها قطعة واحدة (٥) جاشت : تحركت وغلت قال الشاعر :

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدى أو تستريحى

(٦) الخبز — بالفتح — : مصدر خبز وبابه ضرب ، والخبز — بالضم — معروف . والمعنى : أنه قد بقى أن يتكلم حينما يجيء الطعام على كيفة الخبز

وَالحِنْطَةُ مِنْ أَيْنَ اشْتُرِيَتْ أَصْلاً [١] . وَكَيْفَ اكْتُرِيَ لَها حَمْلاً [٢] .
وَفِي أَيِّ رَحىً طَحَنَ [٣] . وَإِجَّانَةٍ عَجَنَ [٤] . وَأَيَّ تَنُّورٍ سَجَرَ [٥] .
وَخَبَّازٍ اسْتَأْجَرَ . وَبَقِيَ الحَطَبُ مِنْ أَيْنَ احْتُطِبَ . وَمَتى جُلِبَ .
وَكَيْفَ صُفِّفَ . حَتَّى جُفِّفَ . وَحُبِسَ حَتَّى يَبِسَ . وَبَقِيَ الخَبَّازُ
وَوَصْفُهُ وَالتِّلْمِيذُ وَنَعْتُهُ [٦] وَالدَّقِيقُ وَمَدْحُهُ . وَالخَمِيرُ وَشَرْحُهُ .
وَالمِلْحُ وَمَلاحَتُهُ . وَبَقِيَتِ السُّكُرُّجاتُ مَنِ اتَّخَذَها [٧] . وَكَيْفَ

ويشرح لى كيف اشترى آلاته ويصفها وصفا يطيل الامد ويزيد الكمد ثم يتكلم عن الرغفان فينعتها ويمدحها ويثني عليها وفى ذلك المضيعة للوقت وازدياد الالم الناجم عن كثرة كلامه (١) أى : من أى مكان اشترى أصلها وهوالحب (٢) حملا : المراد منه الحامل لأنه هوالذى يكترى وكثيرا مايعبر بالمصدر عن اسمى الفاعل والمفعول كالخلق مرادا به المخلوق

(٣)الرحا : معروفة وهى مؤنثة والمثنى رحوان ورحيان (واوية ويائية) والجمع أرح وأرحاء . ورحاء لغة فيها والتثنية رحاءان ، والجمع أرحيه

(٤) الاجانه : اناء يستعمل فى الغسيل والعجين ونحوهما

(٥) التنور : الموقد الذي يخبز فيه ، وسجره : أشعله وأوقده

(٦) أي أنه بقى الكلام على أشياء كثيرة لانه لن يترك شيئا يتعلق بالطعام نوع تعلق حتى يذكره ويأتي على جملته وتفصيله . والمراد بالتلميذ : فتى الخباز (٧) السكرجات : جمع سكرجه وهى الصحفه وجمعها صحاف كجفنه وجفان وزنا ومعنى والمراد أنه لابد أن يتكلم عن الاوانى التي ستكون فيها ألوان الطعام كيف وقعت له وعند أي الأمراء والملوك كانت ، وأى

انْتَقَذَها (١) . وَمَنِ استَعْمَلَهَا . وَمَنْ عَمِلَهَا . وَالخَلُّ كَيفَ انْتُقِيَ عِنَبُهُ أوْ اشْتُرِيَ رُطَبُهُ (٢) . وَكَيفَ صُهْرِجَتْ مِعْصَرَتُهُ (٣) . وَاستُخْلِصَ لُبُّهُ . وَكَيفَ قُيِّرَ حُبُّهُ (٤) . وَكَمْ يُسَاوِي دَنُّهُ . وَبَقِيَ البَقْلُ كَيفَ احْتِيلَ لَهُ حَتَّى قُطِفَ (٥) . وَفي أيِّ مَبقَلَةٍ رُصِفَ (٦) . وَكَيفَ تُؤُنِّقَ حَتَّى نُظِّفَ (٧) . وَبَقِيَتِ المَضِيرَةُ كَيفَ اشْتُرِيَ لَحْمُهَا . وَوُفِّيَ شَحْمُهَا . وَنُصِبَتْ قِدْرُهَا . وَأُجِّجَتْ نَارُهَا (٨) . وَدُقَّتْ أبْزَارُهَا . حَتَّى أُجِيدَ طَبْخُهَا وَعُقِدَ مَرَقُهَا . وَهٰذَا خَطْبٌ يَطُمُّ (٩) . وَأَمْرٌ لا يَتِمُّ . فَقُمْتُ . فَقَالَ : أيْنَ تُرِيدُ ؟ فَقُلْتُ : حَاجَةً أقْضِيهَا . فَقَالَ :

صانع ماهر ذلك الذى صنعها (١) استخلصها من بائعها

(٢) كان المعروف عندهم أن ذاك خل العنب وخل الرطب خمس ولابد أن يكون أحدها على الخوان وهو سيتكلم عنه وعن كيفية شرائه والسبيل التي سلكها حتى وصل اليه (٣) صهرجت طليت بالصاروج وهو أخلاط من النورة ونحوها (٤) الحب بالضم هنا بمعنى الخابية كالدن وقير طلى بالقار الذي هو القطران (٥) أي قطع ورقه دون جذره

(٦) المبقلة :مكان البقل الذى يزرع فيه،ورصف:أي نظم بعضه بجوار بعض

(٧) تأنق : استعمل الدقة في عمله . والمعنى كيف استعملت الدقة والحذق فى تنظيف هذا البقل مما لابد أن يكون عالقا به من طين ونحوه

(٨) اجحت أي أوقدت وأشعلت قال : لدي حطب جزل ونار تأججا

(٩) يطم : يشتد ويعظم والمعنى أن هذا رزء لاقدرة لي على احتمال مثله

يامَوْلاى تُرِيدُ كَنِيفاً يُزْرِى بِرَبِيعِىّ الأَمِيرِ . وَخَرِيفِىّ الْوَزِيرِ [١] . قَدْ جُصِّصَ أَعْلاَهُ وَصُهْرِجَ أَسْفَلُهُ [٢] وَسُطِّحَ سَقْفُهُ وَفُرِشَتْ بِالْمَرْمَرِ أَرْضُــهُ . يَزِلُّ عَنْ حائِطِهِ الذَّرُّ فَلاَ يَعْلَقُ [٣] . وَيَمْشِى عَلَى أَرْضِهِ الذُّبابُ فَيَزْلَقُ [٤] . عَلَيْهِ بابٌ غِيرَانُهُ مِنْ خَلِيطَىْ ساجٍ وَعاجٍ [٥] . مُزْدَوِجَيْنِ أَحْسَنَ ازْدِواجٍ . يَتَمَنَّى الضَّيْفُ أَنْ يَأْكُلَ فِيهِ . فَقُلْتُ : كُلْ أَنْتَ مِنْ هذَا الْجِرابِ . لَمْ يَكُنِ الْكَنِيفُ فِى الْحِسابِ . وَخَرَجْتُ نَحْوَ الْبابِ . وَأَسْرَعْتُ فِى الذَّهابِ . وَجَعَلْتُ

وبلية لاقبل لى بها فيجب أن أتدارك نفسي بالنجاه منها (١) الربيعي : المكان يتخذ للاقامة فيه أثناء زمن الربيع، والخريفى الذي يتخذ زمن الخريف : ومثلها تبذل الهمة في اجادتها ويقال : أزرى به وازدراه أذا حقره وتهاون بشأنه ، ومنه الزاري على الانسان وهو الذي لايعده شيئا وصاحب المضيرة ـ أضره الله ـ يزعم أن كنيفه خير من ربيعي الامير وأحسن من خريفى الوزير وأنهما بجواره مزدريان مستخف بهما وقبحه الله فما أقل عقله واكثر سماجته وتهوسه وأنه لحرى بأن يقطع عمره بين جدران ذلك الذي أعجبه وراق فى نظره

(٢) جصص طلى بالجص وهو الجير ،وصهرج : تقدم قريبا معناه

(٣) الذر : جمع ذرة وهى أصغر النمل ومنه سمى الرجل (ذرا) وكني (أبوذر) وعلق بالشيء علوقا : تماق ، والمعنى أنه لايثبت ولا يستطيع البقاء لملاسته

(٤) أراد أنه شديد الملاسه أيضا

(٥) غيرانه أي الفواصل بين الواحه ، والعاج : سن الفيل

أَعْدُو [١] وَهُوَ يَتْبَعُنِي وَيَصِيحُ يَا أَبَا الْفَتْحِ الْمَضِيرَةَ . وَظَنَّ الصِّبْيَانُ أَنَّ الْمَضِيرَةَ لَقَبٌ لِي فَصَاحُوا صِيَاحَهُ [٢] . فَرَمَيْتُ أَحَدَهُمْ بِحَجَرٍ . مِنْ فَرْطِ الضَّجَرِ [٣] . فَلَقِيَ رَجُلٌ الْحَجَرَ بِعِمَامَتِهِ . فَغَاصَ فِي هَامَتِهِ [٤] . فَأُخِذْتُ مِنَ النِّعَالِ بِمَا قَدُمَ وَحَدُثَ . وَمِنَ الصَّفْعِ بِمَا طَابَ وَخَبُثَ [٥] . وَحُشِرْتُ إِلَى الْحَبْسِ . فَأَقَمْتُ عَامَيْنِ فِي ذَلِكَ النَّحْسِ فَنَذَرْتُ أَنْ لَا آكُلَ مَضِيرَةً مَا عِشْتُ . فَهَلْ أَنَا فِي ذَا يَا آلَ هَمَذَانَ ظَالِمٌ [٦] . قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَقَبِلْنَا عُذْرَهُ . وَنَذَرْنَا نَذْرَهُ . وَقُلْنَا : قَدِيمًا جَنَتِ الْمَضِيرَةُ عَلَى الْأَحْرَارِ [٧] . وَقَدَّمَتِ الْأَرَاذِلَ عَلَى الْأَخْيَارِ

---

(١) أسير بسرعة (٢) أي أنهم صاروا ينادونى بما سمعوا منه (٣) فرط الضجر : شدة السآمة والملل

(٤) هامة الرجل : رأسه ، وغاص الحجر فيها : أي شجها ودخل فيها

(٥) الصفع : الضرب على القفا خاصة

(٦) أي : هل ظلمتكم حين أنكرت عليكم أكل المضيرة مادام هذا هو السبب أو هل ظلمت فى نذرى هذا

(٧) اللهم أنه لا توجد جناية أعظم أيلاما للنفس وأشد تنكيلا بها من هذه الجريمة وانما اسندها ألى المضيره لانها سببه

وأصبَحنا نَتَباكَى و نَتَشاكَى (١) وَفِينا رَجُلٌ لا يَخْضَلُّ جَفْنُهُ (٢) . وَلا تَبْتَلُّ عَيْنُهُ . رَخِيُّ الصَّدْرِ مُنْشَرِحُهُ . نَشِيطُ القَلْبِ فَرِحُهُ (٣) . فَعَجِبْنا وَاللهِ كُلَّ العَجَبِ . وقُلْنا لهُ : ما الَّذِي أَمَّنَكَ مِنَ العَطَبِ ؟ (٤) . فقالَ : حِرْزٌ لا يَغْرَقُ صاحِبهُ (٥) . وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَمْنَحَ كُلاًّ مِنْكُمْ حِرْزاً لَفَعلْتُ (٦) . فَكلٌّ رَغِبَ إِلَيْهِ وَأَلَحَّ فى المَسْئَلَةِ

الذبيانى وهو الذى أكثر من وصف ليله بالطول والشناعة كقوله :

فبت كان العائدات فرشن لى ... هراسا به يعلى فراشى ويقشب

وقوله : فبت كانى ساورتنى ضئيلة ... من الرقش في أنيابها السم ناقع

وقوله : كليني لهم يا أميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطيء الكواكب

تطاول حتى قات : ليس بمنقض ... وليس الذى يهدى النجوم بآيب

(١) يبكي كل واحد منا سوء حاله ويشكو صروف دهره خشية الغرق وضياع الحياة (٢) اخضل الزرع : تبلل وندى والشيء الخضل : الرطب وجفن العين معروف وعدم ابتلاله كناية عن عدم بكاء صاحبه (٣) رخي الصدر : واسعه وسعة الصدر وانشراحه : كناية عن عدم التألم واطمئنان الخاطر وارتياح الضمير ويقال نشط الرجل بالكسر نشاطا فهو نشيط ، ونشط اذا طابت نفسه ، والمعنى أنه كان بيننا رجل لم يهمل همنا ولم تظهر عليه علامات التأثر ولم يفزعه حالنا ولا جزع مثلنا بل كان على العكس ظاهر السرور طلق الوجه بسام الثغر ضاحك السن (٤) العطب : التلف والهلاك وأمنك منه جعلك تأمن وقوعه ولا تخشى نزوله (٥) الحرز المراد هنا مايكتب في الاوراق ويجعل كالتمائم يعلقه المرء او يحمله لغرض من الاغراض (٦) أمنح : أعطي ، والفعل (منح) من باب قطع والاسم المنحه بكسر أوله والمعنى أن في مقدوري أن

عَليهِ (١) . فقالَ : لَنْ أفعَلَ ذَلِكَ حَتَّى يُعْطِيَني كُلُّ واحِدٍ مِنْكُمْ دِيناراً الآن وَيَعِدني دِيناراً إذا سَلِمَ (٢) . قالَ عِيسى بنُ هِشامٍ : فَنَقَدْناهُ ما طَلَبَ . وَوعَدْناهُ ما خَطَبَ (٣) . وآبتْ يَدُهُ إلى جَيْبِهِ (٤) فأَخرَجَ قِطعَةَ دِيبَاجٍ . فِيها حُقَّةُ عاجٍ (٥) . قَدْ ضُمِّنَ صَدْرُها رِقاعاً وَحذَفَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا بِوَاحِدَةٍ مِنْها (٦) . فَلَمَّا سَلِمَتِ السَّفِينَةُ .

أعطى كل واحد منكم حرزا حتى يأمن على نفسه من الغرق ولا يخشي ثورة البحر فتطمئن نفسه ويثلج صدره ويسترح خاطره ولا يأخذه الفزع فيكون مثلي (١) رغب اليه : طلب منه ، فأما رغبه ورغب فيه وارتغب فيه فمعناها اراده ، ورغب عنه : كرهه ، وألح فى المسألة : أكثر من سؤاله وكرر من طلبه والمعنى : أنه لم يبق من بيننا من لم يطلب منه حرزا يتقى به هياج البحر وشدته ويبالغ في طلبه هـذا واشتدت بنا الرغبة على قـدر شدة الحاجة

(٢) المعني أنه أبى أن يجيبنا ألي مسألتنا ألا اذا أعطيناه الاجر ووعدناه بأجزال العطاء بعد النجاء

(٣) نقدناه : أعطيناه حالا ، ووعدناه ماخطب : أي أعطيناه وعدا اكيدا اننا ننجز له طلبه الثاني بعد النجاة (٤) وآبت يده أى رجعت ولا يستلزم ذلك أن تكون أصلها فيها فكثيرا مايستعمل مثل هذا في معنى صارت (٥) حقة : وعاء صغير ، والعاج : سن الفيل (٦) حذف : أي رمى لكل واحـد منا ورقة من تلك الورقات والرقاع جمع واحده رقعة وهى مايكتب فيه والمعنى أنه أطلع من جيبه وعاء يشتمل عدة أوراق قد كتب فيهن وناول كل واحد منا واحدة

وأحلَّتنا المدينةَ (١) اقتضى النَّاسَ ما وعدُوهُ . فنقدُوهُ (٢) .
وانتهى الأمرُ إليَّ فقالَ : دعوهُ (٣) . فقلتُ : لكَ ذلكَ بعدَ أنْ تُعلِمَني سِرَّ حالِكَ (٤) . قالَ : أنا مِنْ بلادِ الإسكندريَّةِ . فقلتُ : كيفَ نصرَكَ الصَّبرُ وخذلَنا (٥) ؟ فأنشأَ يقولُ :

ويكَ لولا الصَّبرُ ما كُنْ ... تُ ملأتُ الكيسَ تِبرا (٦)
لن ينالَ المجدَ مَنْ ضا ... قَ بما يغشاهُ صدرا (٧)
ثمَّ ما أعقبَني السَّا ... عةَ ما أُعطيتُ ضرّا (٨)

---

(١) أحلتنا ، وصلت بنا حتى حللنا المدينة أي نزلناها واتينا محلاتها
(٢) اقتضي : طلب منهم الوفاء . أي بعد أن نجونا من الغرق ودخلنا المدينة التي قصدناها طالبنا بالوفاء والانجاز بما وعدناه فلم يتخلف أحد منا بل كنا مسراعا ألي أجابة دعوته
(٣) أي أنهم مازالوا يعطونه الواحد بعد الآخر حتى وصلت النوبة الى وبقى على أن أنقده ولكنه بادر ألى أمرهم بتخليتي واعفائي
(٤) المعني : ان لك أن تحكم عليهم بأن يتركوني ولك ان تجاب ألى هذه البغية ولكن بشرط أن تخبرني بأمرك وتشرح لى حقيقتك (٥) شبه الصبر بأنسان يأخذ بيد بعض الناس فيعينها ويترك البعض وأسند اليه فعلا من خواص المشبه به ترشيحا (٦) أي أنه لولا ماتدرعت به من الصبر لما سألتموني وكشفت لكم المسألة ونشأ عن ذلك أني أخذت منكم مالا ملأت به كيسي (٧) يغشاه ينزل به من الحوادث والمعنى أن بلوغ المجد والوصول ألى غاية الرفعة لايكونان مع الجزع والخوف (٨) أعقبني : أورثني . ومنه

بَلْ بِهِ أَشْتَدُّ أَزْراً ... وبِهِ أَجْبُرُ كَسْراً (١)
وَلَوَ أَنِّي الْيَوْمَ فِي الْ ... غَرْقَى لَمَا كُلِّفْتُ عُذْراً (٢)

الْمَقَامَةُ الْمَارِسْتَانِيَّةُ (٣)

قوله تعالى : (فأعقبهم نفاقا)أي أورثهم بخلهم نفاقا . والمعنى : أن الذي أعطيته وهو ماأخذته منكم فى السفينة لم يكن سببا فى أيصال الضر ألى ولم يورثنى شيئا من المساءة

(١) المعنى : أن الذى اخذته لم يتسبب لى عنه ضرر بل بالعكس سيقوى ساعدي ويصلح حالي وينعم عيشى (٢) المعنى : أنى لو كنت غرقت معكم لما كان هناك ضرر علي وذلك لانه لايوجد من يسألنى عن فائدة حرزى فأتكلف له الاعتذار وأعحل أوهن الحجج وأضعف البراهين على صدقى والمراد أن يذكر له أنه كان يعتقد فوزه فى حال نجاتهم بما يأخذه منهم واذا كان الغرق قد كتب عليه معهم فما ضره ألا يأخذ منهم فرأى أن يحتال هذه الحيلة ليبتز منهم مايصلح شأنه ويقيم حاله ويسعد باله

(٣) انا وان كنا نعتقد أن هذه المقامات وما أشبهها قصص متخيلة منتحلة نري مع هذا أنه كما تضم السجون كثيراً من المظلومين والابرياء فكذلك توصد أبواب المارستان على كثير من العقلاء وأرباب النهى ونحن نذكرهنا حادثة تاريخيا عن رجل منهم قد يكون أمس بالادب من الحادث الذى ذكره البديع ولو أن المتنبي كما استظهر أحد أدباء هذا العصر كان مجنونا فكم فى الناس من يود بجدع الانف لنفسه مثل هذا الجنون ـ قال أبو بكر الازهر : حدثنى المبرد قال : قال لى المازني : أنت تنصرف من مجلسنا فتصير الى مواضع المجانين

حدثنا

والمعالجين فما معنى ذلك ؟ قال: فقلت : أعزك الله تعالى ان لهم طرائف من الكلام قال : فأخبرني باعجب مالقيته من المجانين . فقلت : دخلت يوما اليهم فمررت على شيخ منهم وهو جالس على حصير قصب فجاوزته الي غيره فقال : سبحان الله تعالى .. أين السلام ؟ من المجنون أنا أو أنت ؟ فاستحييت منه فقلت : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فقال : لو كنت ابتدأت لاوجبت علينا حسن الرد على أنا نصرف سوء أدبك على أحسن جهاته من العذر لانه كان يقال : ان للقادم على القوم دهشة ، أجلس أعزك الله عندنا وأومأ الى موضع من الحصير فقعدت ناحية استجلب مخاطبته فقال لي وقد رأى معي محبرة : أري معك آلة رجلين أرجو ألا تكون أحدهما ، أتجالس أصحاب الحديث الاغثاث أو الادباء أصحاب النحو والشعر ؟ فقلت : الادباء ، قال : أتعرف أبا عثمان المازني ؟ قلت : نعم ، قال : أتعرف الذي يقول فيه ؟

وفتى من مازن أستاذ أهل البصره
أمه معرفة وأبوه نكره

فقلت : لا أعرفه ، فقال : أتعرف غلاماً له نبغ في هذا العصر معه ذهن وله حفظ وقد برز في النحو يعرف بالمبرد ؟ فقلت : أنا والله عين الخبير به ، قال : فهل أنشدك شيئا من شعره ؟ قلت : لاأحسبه يحسن قول الشعر ، قال: ياسبحان الله ! أليس هو القائل ؟ .

حبذا ماء المناقيد بريق الغانيات
بهما ينبت لحمى ودمى أى نبات
أيها الطالب أشهى من لذيذ الشهوات
كل بماء المزن تفاح خدود الفتيات

قلت : قد سمعته ينشدهذا فى مجلس الانس ، فقال : يا سبحان الله ! أولا يستحي أن ينشد مثل هذا حول الكعبة ؟ ثم قال : وما تسمع ما يقولون فى نسبه ؟ قلت : يقولون : هو من الازد أزد شنوءة ثم من ثماله ، قال : قاتله الله ما أبعد غوره ! أتعرف قوله ؟

سألنا عن ثمالة كل حي فقال القائلون : ومن ثماله ؟
فقلت : محمد بن يزيد منهم فقالوا : زدتنا بهم جهاله
فقال لي المبرد : خل قومي فقومى معشر فيهم نذاله

فقلت : أعرف هذا لعبد الصمد بن المعدل يقولها فيه ، فقال : كذب من ادعاها ، هذا لرجل لا نسب له يريد أن يثبت له بهذا الشعر نسبا ، فقلت : أنت أعلم ، فقال : يا هذا قد غلبت خفة روحك على قلبي وقد أخرت ما كان يجب تقديمه ، ما الكنية أصلحك الله ؟ قلت : أبو العباس ، قال : فما الاسم ؟ قلت : محمد ، قال : فالاب ؟ قلت يزيد : قال : قبحك الله ، أحوجتنى الى الاعتذار مما قدمت ذكره ، ثم وثب باسطاً يده يصافحنى فرأيت القيد فى رجله الى خشبة فأمنت غائلته ، فقال : يا أبا العباس ، صن نفسك عن الدخول الى هذه المواضع فليس يتهيأ أن تصادف مثلي على مثل هذه الحالة ، أنت المبرد أنت المبرد ؟؟ وجعل يصفق ، وانقلبت عينه ، وتغيرت حالته ، فبادرت مسرعاً خوفاً أن تبدر لى منه بادرة ، وقبلت — والله — منه فلم أعاود الى مجلس بعدها

ولسنا ندري أي كارثة أصابت ذلك الفكر الناضج ، والعقل السديد فشدته الي السارية ، وغادرته حليف القيود والاغلال ؟ ولكن الجنون فنون ، ولعله كان مجنوناً بجنون العظمة ، أو جنون العبقرية ، وأهل العبقرية النابغون — على رأي مذهب

مارستانَ البَصْرَةِ (١) ومعي أبو داودَ المتكلمُ (٢) فنظرتُ الى مجنونٍ تأخذني عينُه وتدعى (٣) فقالَ : إنْ تصدق الطيرُ فأنتم غرباء (٤). فقلنا : كذلكَ . فقالَ : منِ القومُ للهِ أبوكم ؟ فقلتُ : أنا عيسى ابنُ هشامٍ وهذا أبو داودَ المتكلمُ . فقالَ : العسكري ؟ قلتُ : نعم . فقالَ : شاهتِ الوجوهُ وأهلُها (٥) إنَّ الخيرةَ للهِ لا لعبدِه . والأمورَ بيدِ اللهِ لا بيدِه (٦)

طبائع الانسان ــ في منزلة آخذة بطرفى العقل والجنون

(١) المارستان مكان تداوى فيه المجانين (٢) المتكلم أى أحد علماء الكلام وهو النظر فى العقائد (٣) كناية عن توجيه نظره اليه ، وتأميله فيه (٤) كان من عوائد العرب أن يعرفوا حوادثهم وما جريات أحوالهم بان يزجروا طيرا فان مر بهم يمينا تفاءلوا وان مر شمالا تشاءموا وأشهرهم فى ذلك بنو لهب قال الشاعر :

خبير بنو لهب فلا تك ملغيا   مقالة لهبي اذا الطير مرت

وقال بعض الشعراء :

فان زجروا طيرا بنحس تمر بى   زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا

(٥) أي بئست هذه الوجوه وقبح أهلها (٦) أبو داود أحد المعتزلة الذين يقولون أن العبد خالق أفعال نفسه والمجنون يرد عليه هذا القول ، ومجمل القول في هذه المسألة التى ثارت عجاجتها بين الفرق الاسلامية انهم انقسموا في الرأي على ثلاثة أوجه ، فقالت الجماعة : أن الله تعالى هو خالق أفعال العبد اختيارية أو اضطرارية لكن للعبد كسبا يقتضى أن يوجه قدرته وارادته نحو

العمل فيختار أحد النجدين، وبه يثاب ، وعليه يعاقب ، ونصوص الكتاب تشهد لهم ، قال الله تبارك وتعالي : (والله خلقكم وما تعملون ، الله خالق كل شيء ، خلق كل شيء فقدره تقديرا ، انا كل شيء خلقناه بقدر ، فعال لما يريد) وقال المعتزلة : الموجد للاختيارية منها هو العبد بل قال بعضهم : الخالق لها هو العبد

واستدلوا على ذلك بأنه لولا استقلال العبد بفعله الاختياري لما كان هناك معنى للتكاليف الشرعية ولبطل المدح والذم والثواب والعقاب ولم يبق لبعثة الرسل أنزال الكتب ودعوة الناس الى الايمان والطاعات فائدة قطعية بل مقتضى الحكمة الالهية أن يجعل الثواب والعقاب ونحوهما متصلين بسبب من فعل العبد لا ان يكون منشأهما شيئا كان هو سبحانه الخالق له وموجده وكيف يكون من عدل الله وقضائه أن يحاسب انسانا على ما لم يفعله ولم يكن له فيه اختيار . وهو مردود بأن صحة التكليف وما معه لا تتوقف على كون العبد هو الموجد للفعل والخالق له بل يكفي فيها اختياره وصرف قدرته وارادته اليه وان فائدة البعثة وما معها لا يلزم أن تكون سبباً في ايجاد العبد فعل الخير وانشائه وخلقه بل يكفي في فائدتها أن تكون داعية للعبد الي صرف قدرته وتوجيه ارادته الى الفضائل والخيرات ، وقال الجبرية : لا اختيار للعبد في شيء من أفعاله أصلا لان العبد وجميع صفاته من قدرة وارادة وعلم وغيرها وجميع أفعاله صادرة من الله تعالي ، والعبد لا يعلم تفاصيل فعل من أعمال نفسه والاختيار تابع للعلم ، وهو مدفوع بأنه لوكان مسلوب الاختيار لم يكن هناك فرق بين حركة البطش وحركة الارتعاش ، ولما صح تكليفه وبأن الكسب ـ وهو رأي الجماعة ـ لا يتوقف على العلم التفصيلي بل يكفي فيه

أَلى المَقْدُورِ قَهْراً (١) وَلَوْ كُنْتُمْ فى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ القَتْلُ أَلى مَضَاجِعِهِمْ. أَفَلَا تَنْصِتُونَ. إِنْ كَانَ الأَمْرُ كَمَا تَصِفُونَ؟. وَتَقُولونَ : خالِقُ الظُّلْمِ ظالِمٌ ! أَفَلا تَقُولُونَ : خالِقُ الهُلْكِ هالِكٌ (٢) ؟

العلم الاجمالى فأما الذي يتوقف على العلم التفصيلى فهو الخلق والايجاد وهو رأي المعتزلة ، قالوا : وكان أبو العلاء المعري يري رأى الجبرية حيث يقول :

رماه فى اليم مكتوفا وقال له : اياك اياك أن تبتل بالماء

ونحن نفوض علم ذلك الى الله تعالي فان فيلسوف المعرة كان حائراً مضطربا تتنازعه أفكار كثيرة ولم يقف عند حد مذهب جماعة يصح أن ينسب اليه

(١) المجوس : جماعة اتخذت من دون الله آلهة نسبوا اليهم خلقهم وايجادهم واعتقدوا أن بيدهم زمام امورهم ، والمجنون يقول لابى داود انه من مجوس المسلمين وذلك لانه من جماعة المعتزلة الذين يرون للعبد قدرة على الخلق والايجادفكانهم اشبهوا المجوس فى اسنادهم الانشاء لغيره سبحانه وتعالى ، وجبرا قسرا ، والمعني : انه يرد عليه بان ظاهر حاله فى حياته ينقض مذهبه فانه قد ولد دون ان يختار ، وتنزل به المحن ، وتعتريه الشدائد ، وتحيط به الملمات . من غيران يكون له راى في شيء من ذلك فكيف يعتقد انه مخير فى شؤونه مريد والآية التى ذكرها تؤيد دعواه ، وتقيم حجته

(٢) من ادلة المعتزلة على دعواهم قولهم : ان من الافعال قبيحا كالكفر والظلم وبقية المعاصى ، وخالق القبيح قبيح ، والله تعالي منزه عن القبيح فيجب ألا يكون خالقه وحينئذ يلزم ان يكون العبد خالقا لافعاله ، وهو مردود بانه لا يقبح من الله جلت قدرته شيء لانه الحكيم القادر على كل شيء القائم على كل نفس

أَتَعلَمُونَ يَقيناً . أَنَّكُمْ اخبثُ مِنْ إبْليسَ دِيناً ؟ قالَ : رَبٌّ بِما
أَغوَيْتَني . فَأَقَرَّ وَأَنكَرتُمْ . وَامنَ وَكَفَرْتُمْ (١) . وَتَقُولونَ : خُيِّرَ
فاخْتارَ (٢) . وَكَلاَّ فَإِنَّ المُختارَ لا يَبْعَجُ بَطْنَهُ (٣) . وَلا يَفقَأُ عَيْنَهُ (٤) .
وَلا يَرْمِي مِنْ حالِقٍ ابْنَهُ (٥) . فَهَلِ الإِكْراهُ . أَلَّا ما تَراهُ (٦) ؟؟
وَالإِكْراهُ مَرَّةً بِالمَرَّةِ

بما كسبت وانما القبيح كسب القبيح وهو الامر الذي تتعلق به قدرة العبد وارادته وقد نقض المجنون دعواهم بانه لو صح ان يكون خلق القبيح قبيحا للزم منه ان يكون كل خالق شيء متصفا بمخلوقه ويلزم من هذا ان يكون خالق الموت ميتا وهم يعتقدون ان الله خالق الموت لانه اضطراري ولعمري ان ذلك رد في نهاية الاحكام وغاية القوة

(١) أي أن ابليس أسند الاغواء الي الله تعالى وهو شركما تقولون فأقر بإيكال الامر كله لله واسناده اليه وانتم أنكرتم ذلك وآمن بقضاء الله وقدره ولم تذعنوا لهما (٢) احدي دعاوى المعتزلة ، يقولون : ان الله عرض الافعال خيرها وشرها على العبد فاختار منها لنفسه الاعمال التي نهجها وسار عليها (٣) بعج بطنه بالسكين : شقه ، فهو مبعوج وبعيج ، وبابه قطع (٤) فقأ عينه وبخقها ـ وبابه قطع ـ : غورها واتلفها (٥) حالق : مرتفع ، أي : لو كان للعبد الاختيار الذى تدعونه انتم لما اختار هذه المضرات الظاهر ضررها البين نكالها (٦) اى هل تعرف لذلك الاكراه معنى غير ذلك السوق الذي تري العباد يسيرون بمقتضاه ؟ وهل يمكنك ان تفهم له مغزي او تتبين له طريقا غير ذلك الظاهر الذى ساق الناس الى أعمالهم فتراهم مسخرين ولا قدرة

وَمَرَّةً بِالدِّرَّةِ [١] . فَلْيَخْزِكُمْ أَنَّ الْقُرْآنَ بَغِيضُكُمْ . وَأَنَّ الْحَدِيثَ يَغِيظُكُمْ [٢] . إِذَا سَمِعْتُمْ: (مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلاهَادِيَ لَهُ) أَلْحَدْتُمْ [٣] . وَإِذَا سَمِعْتُمْ: (زُوِيَتْ لِيَ الْأَرْضُ فَأُرِيتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا) جَحَدْتُمْ [٤] . وَإِذَا سَمِعْتُمْ: (عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ حَتَّى هَمَمْتُ أَنْ أَقْطِفَ ثِمَارَهَا .

لاحدهم على معاندته والوقوف فى طريقه (١) المرة : العقل والمراد ان الاكراه نوعان : نوع خفى ، وهو التسلط على المشاعر وقهر العقل وغلبته . ونوع ظاهر وهو السوق بالعصي ، ويخيل لى ان فى هذا نوع ميل الى مذهب الجبرية الذين يقولون بجبر العبد وعدم اختياره وذلك ان مذهب الجماعة وسط بين المذهبين كما أسلفنا (٢) البغض : المقت والكراهية ، والبغيض الممقوت والمكروه والمعنى : ان من أسباب خزيكم وخجلكم ان يكون كتاب الله ممقوتا عندكم غير محبوبا لديكم لانه ناطق بالحجة ضدكم (٣) ألحد في دين الله : حاد عنه وعدل ولحد من باب قطع : لغة فيه ، وقرئ قوله تعالي : (لسان الذين يلحدون اليه) بها ، والتحد : مثله ، والمعنى أنكم حينما تسمعون نسبة الاضلال الذي هو شر للعبد الي الله فى محكم كتابه تميلون وتتأولون وتنتحلون وتقولون الذي لاينطبق مع القرآن فى شيء (٤) زوي الشيء يزويه زيا : جمعه وقبضه والحديث من خوارق العادات ، والمعتزلة لاينكرونها ، وانما ينكرون المعراج وهو صعود النبى صلى الله عليه وسلم الى ما فوق السموات السبع حيث لا يعلم الا الله ، ويقولون : انما كان فى النوم لا فى اليقظة كما روى فى حديث عائشة وهذا الحديث يقرب الاستدلال على انه كان حقيقة وفى اليقظه كما يقول الجماعة فهو يقول له انكم حينما يذكر لكم هذا الحديث تجحدون أي تنكرون نسبته الى الرسول لانه يدحض مدعاكم ويقيم الحجة عليكم

وَعُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ حَتَّى اتَّقَيْتُ حَرَّهَا بِيَدِي) أَنْغَضْتُمْ رُؤُسَكُمْ وَلَوَيْتُمْ أَعْنَاقَكُمْ [١] . وَإِنْ قِيلَ : عَذَابُ الْقَبْرِ تَطَيَّرْتُمْ [٢] . وَإِنْ قِيلَ : الصِّرَاطُ تَغَامَزْتُمْ [٣] . وَإِنْ ذُكِرَ الْمِيزَانُ قُلْتُمْ : مِنَ الْفِرْغِ كِفَّتَاهُ [٤]

---

(١) نغض رأسه من باب نصر وجلس : تحرك ، وأنغض فلان رأسه أي حركه كالمتعجب ومنه قوله تعالى : (فسينغضون اليك رءوسهم) ويقال: نغضه (متعديا) أيضا ، والمعنى : انكم حين تسمعون ذكر الجنة والنار بما يدل على وجودها اليوم تتعجبون و تعرضون عن القائل لانكم ترون كلامه كالشجا فى حلوقكم ، والمعتزلة ينكرون وجود الجنة والنار اليوم فاما الجماعة فيقولون انهما موجودتان الآن مخلوقتان قبل خلق الانسان بدليل ما ذكره الله تعالى من قصة آدم وحواء واسكانهما في الجنة واخراجهما منها ولقوله تعالى: (أعدت للمتقين ، أعدت للكافرين) والصيغة تقتضي الوجود بالفعل فى هذه الاثناء

(٢) تطيرتم : تشاءمتم، والمعتزلة ينكرون العذاب فى القبر والحديث ناطق بتسفيههم والرد عليهم فقد قال صلى الله عليه وسلم : (القبر أما روضة من رياض الجنة واما حفرة من حفر النار ، مر على قبرين فقال : أنهما ليعذبان وما يعذبان في كثير أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول وأما الآخر فكان يمشي بين الناس بالنميمة) وقال الله تعالى: (أغرقوا فأدخلوا ناراً ، النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب)

(٣) من دعاوي المعتزلة أن الصراط المذكور فى الكتاب هو الطريق المعنوي وليس هناك كما يقول الجماعة جسر ينصب على شفير النار يجتازه المؤمنون وتزل عليه أقدام المبطلين وصريح الكتاب والحديث ضدهم فقد ورد في الحديث وصفه وذكر كيفية العبور عليه واجتيازه (٤) أي تهزأتم

وَانْ ذُكِرَ الْـكِتابُ فلِمْ : مِنَ القِدِّ دفّتاهُ [١] . يا أَعداءَ الْـكِتابِ وَالْحديثِ بِماذا تَطّـيّرونَ ؟ . أَباللهِ وَآياتِهِ وَرَسـُولِهِ تَسْتَهزِؤُنَ ؟ . إِنّما مَرقَتْ مارِقَةٌ فَـكانوا خَبَثَ الْحَديثِ [٢] . ثُمَّ مَرَقْتُمْ مِنْها فَأَنْتُمْ خَبَثُ الْخَبيثِ [٣] . يامَخانيثَ الْخَوارِجِ تَرَوْنَ رَأيَهُمْ إِلّا القِتالَ ! [٤] وَأَنْتَ يا ابْنَ هِشامٍ تُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَتَـكْفُرُ بِبَعْضٍ؟ . سَمِعْتُ أَنّكَ

بذلك، والفرغ بكسر أوله : الفراغ ،والمرادعدم وجوده والله يقول: (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة . فأما من خفت موازينه . وأما من ثقلت موازينه)

(١) القد ــ بكسر أوله ــ: الجلد أي أدعيتم أنه حادث ووصفتموه بصفات الحوادث ،والقول الفصل أن القـديم هو صفة الله الكلامية فأما الحروف التى نقرأها والـكاغد والورق فمحدثة

(٢) خبث الحديد وغيره بفتحتين : ماينفاه الـكير ، ويقال : مرق السهم من الرميـة أذا خرج من الجانب الآخر، وبابه دخـل ومنه سميت الخوارج مارقة لقوله صلى الله عليه وسلم : (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) والمعنى أنه خرجت جماعة فكانت للحديث كالصدأ للحديد

(٣) ثم خرجتم أنتم عنها فـكان خبثكم أشد

(٤) الخوارج : جمـاعة خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقاموا فى وجهه يفسقونه ويحـاربونه لتحكيمه عمرا وأبا موسى وقالوا ليس الحكم الا لله فـكل من أسنده لغيره فقد فسق ، والمعتزلة يرون أن واحدا من الامامين (على ومعاوية) قد فسق ولكنهم لم يجزموا بواحد بعينه وهم لايرون قتاله ولذلك فان الجنون جعلهـم مخانيث الخوارج لانهـم بينهم

افترشت منهم شيطانة (١)! ألم ينهك الله عز وجل ان تتخذ منهم بطانة (٢)؟ ويلك هلا تخيرت لنطفتك ، ونظرت لعقبك (٣).
ثم قال : اللهم ابدلني بهؤلاء خيراً منهم وأشهدني ملائكتك (٤) قال عيسى ابن هشام : فبقيت وبقي أبو داود لا نحير جوابا (٥) ورجعنا عنه بشر وإني لأعرف في أبي داود انكساراً حتى أردنا الافتراق قال : يا عيسى هذا وأبيك الحديث فما الذي اراد بالشيطانة ؟ قلت : لا والله ما أدرى غير أني هممت أن أخطب ألى أحدهم ولم أحدث بما هممت به أحداً . والله لا أفعل ذلك أبداً . فقال : ماهذا والله ألا

---

(١) تزوجت امرأة منهم كالرجل الذي يتطبع بطبائع النساء بين الرجال
(٢) بطانة الرجل ووليجته : خاصته ومن يشتد بهم أزره ويقوى ساعده ولعل أصله بطانة الثوب ضد ظهارته لأن بها يقوى الثوب ويكون أكثر تحملا (٣) في الحديث : (تخيروا لنطفكم فان العرق دساس ، أياكم وخضراء الدمن قالوا : وما هي يارسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء ، لاتجعلوا نطفكم الا في طهارة) فكل هذا حث علي اختيار الزوجة وانتخابها من طواهر النساء وفضلياتهم
(٤) اشهدني : أرني ، والمراد اخرجني من هذه الحياة التي تجمعني بهؤلاء الاقذار وادعني ألى الحياة الأخرى لالقي ملائكتك
(٥) يقال كلمته فما أحار جوابا : أي مارجع ، وقال الاخطل :
هلا ربعت فتسأل الاطلالا ولقد سألت فما أحرن سؤالا

شَيْطانٌ . في أَشطانٍ (١) فَرَجَعْنا أليْهِ . وَوَقَفْنا عَلَيْهِ . فابتَدَرَنا بالمقالِ وَبَدَأَنا بالسُّؤالِ . فقالَ : لَعَلَّكُما آثَرْتُما . أَنْ تَعرِفا مِنْ أَمْري ما أَنكَرْتُما (٢) . فقُلْنا : كُنْتَ مِنْ قَبْلُ مُطَّلِعاً عَلى أُمُورِنا . وَلَمْ تَعْدُ الآنَ ما في صُدُورِنا (٣) . فَفَسِّرْ لَنا أَمْرَكَ . وَاكْشِفْ لَنا سِرَّكَ . فقالَ :

أنا يَنْبُوعُ العَجائِبْ ... في احتِيالي ذُو مَراتِبْ (٤)

أنا في الحَقِّ سَنامٌ ... أنا في الباطِلِ غارِبْ (٥)

أنا إِسْكَنْدَرُ داري ... في بِلادِ اللهِ سارِبْ (٦)

أَغْتَدي في الدَّيْرِ قِسِّيساً وفي المَسْجِدِ راهِبْ (٧)

ومنه يقال حاورته أي راجعته ، وهو حسن الحوار ، وكلمته فما رد الى محوره

(٣) يقال : عندي شطن قوى وهو الحبل يستقى به وتربط به الدابة وجمعه أشطان (٤) آثرتما : فضلتما ومنه قوله تعالى : (لقد آثرك الله علينا) أي فضلك ، والمعنى أني أري في عودتكما أنكما فضلتما أن تتبينا ماخفي عليكما من أمري (٥) تعد : تجاوز ، والمعني انك الآن كدى قبل قد تفرست فينا فلم تخطيء فراستك ولم يخب ظنك

(٦) أي أنا مصدر كل عجيبة ، ومورد كل غريبة ، ومعدن كل شارده

(٧) السنام : أعلى ظهر البعير ، والغارب : كاهله ، وهو مرتفع أيضا ، والمعنى أنه اذا أراد الحق كان في أعلى مكان منه وأن شاء الباطل برع فيه أيضا

(٨) السارب : الذاهب في الارض نهارا كالهائم الذي لا يدري ان يتوجه

(٩) أي أنه ذو ألوان فتارة يدعو الى هذا وطورا الى ذاك والمراد مجرد التقلب الى الوان مختلفة

المَقامَةُ المَجاعِيَّةُ

حَدَّثَنا عِيسَى بنُ هِشامٍ قالَ : كُنْتُ بِبَغْدادَ عامَ مَجاعَةٍ [١] . فَمِلْتُ إلى جَماعَةٍ . قَدْ ضَمَّهُمْ سِمْطُ الثُّرَيَّا [٢] . أَطْلُبُ مِنْهُمْ شَيْئًا . وَفِيهِمْ فَتًى ذُو لُثْغَةٍ بِلِسانِهِ [٣] . وَفَلَجٍ بِأَسْنانِهِ [٤] . فَقالَ : ما خَطْبُكَ [٥] ؟ قُلْتُ : حالانِ لا يُفْلِحُ صاحِبُهُما : فَقِيرٌ كَدَّهُ الجُوعُ [٦] . وَغَرِيبٌ لا يُمْكِنُهُ الرُّجُوعُ [٧] . فَقالَ الغُلامُ : أَيُّ الثُّلْمَتَيْنِ تُقَدِّمُ سَدَّها [٨] ؟ قُلْتُ : الجُوعُ قَدْ بَلَغَ مِنِّي مَبْلَغًا [٩] ! قالَ : فَما تَقُولُ فِي رَغِيفٍ عَلَى خُوانٍ نَظِيفٍ . وَبَقْلٍ قَطِيفٍ [١٠] . إلى خَلٍّ ثَقِيفٍ [١١] .

---

(١) قحط . أمحال . جدب . شدة (٢) السمط : السلك ما دام اللؤلؤ منظوما به والا فهو سلك . والثريا : مجموع كواكب يشبهون بها الجماعات المتآلفة (٣) أى أنه يبدل بعض الحروف ببعض (٤) الفلج تباعد ما بين الاسنان وهو من محاسنها (٥) ما حاجتك ؟ او ماهو الأمر الذى آلمك فجئت تشكو منه ؟ (٦) كده : أتعبه ، وأجهده ، ونال منه ، وأعياه (٧) أى لا يستطيع العودة الي وطنه ، ولا يقدر على الأوبة لداره (٨) الثلمة : هى الشق فى الحائط ونحوه وليس مما يرتاب فيه أن الجوع والاغتراب أكبر ما ينزل بسعادة المرء فيعطلها (٩) أي أنى أفضل رد عادية الجوع لأنه أقوى وآكد وقد أصبح وطؤه على ثقيلا ، وعبئه متعبا كادا ، وقد تحملت له العناء والمشقة ، وشربت منه الامرين ، تخلصنى منه أو لا ، ونجنى من آلامه بادىء ذي بدء (١٠) الخوان : المائدة قبل أن يوضع عليها طعام فاذا وضع فهي مائدة (١١) بقل قطيف : مقطوف : أي ورق بلا جذور ، وخل ثقيف

وَلَوْنٍ لطيفٍ . أَلى خَرْدَلٍ حِرِّيفٍ (١) . وَشِواءٍ صَفيفٍ . أَلى مِلْحٍ خَفيفٍ (٢) . يُقَدِّمهُ أَليكَ الآنَ مَنْ لا يَمْطُلُكَ بِوَعْدٍ (٣) وَلا يُعَذِّبُكَ بِصَبْرٍ . ثُمَّ يَعُلُّكَ بَعْدَ ذلِكَ (٤) بأَقْداحٍ ذَهَبِيَّةٍ . مِنْ راحٍ عِنَبِيَّةٍ (٥)

حامض جدا (١) اللون : الدقل ، وهو نوع من النخل ، وهو جمع واحدته لينة وأصلها لونة بالواو ولكن لما انكسر ماقبلها انقلبت ياء ومنه قوله تعالى: (ما قطعتم من لينة) وثمرها سمين يسمى العجوة، وقد تجمع على لين ، والمراد هنا نبيذ ذلك التمر ، والخردل حب شجر معروف ، وحريف : أي له لذعة في اللسان وأصل هذه الكلمة (الحرف) بوزن قفل : وهو حب الرشاد ، وانما يستحب مثل ذلك أثناء الطعام لانه يجدد الشهوة الى الاكل (٢) الشواء بكسر الشين : اللحم المشوي . والقطعة منه شواءة ، والفعل : شوي يشوى شيا وتقول: انشوي اللحم ، ولا تقل. اشتوي ، والصفيف ـ بوزن أمير ـ :ماصف في الشمس ليجف أو على النار لينشوى، والمعني : هل تريد أن أقدم لك لحما قد جعل شواء وأجيئك معه بقليل من الملح ليساعدك على الاكل (٣) لايسوفه عليك بل يسرع لك بالانجاز والتنفيذ (٤) أصل العل الشرب مرة بعد أخري وأراد منه هنا مطاق شيء يجيء بعد آخر (٥) أى : خمر متخذة من العنب

وقد أولع الشعراء قديمهم وحديثهم بالكلام عنها ووصفها ، قال أمير المؤمنين عبد الله بن المعتز :

وحلو الدلال مليح الغضب ... يشوب مواعيده بالكذب
سقاني وقد سل سيف الصبا ... ح والليل من خوفه قد هرب
عقارا اذا ما جلتها السقا ... ة ألبسها الماء تاج الحبب
فأصلح بيني وبين الزمان ... وأبدلني بالهموم الطرب

ذاكَ أحَبُّ إليكَ أمْ أوْساطٌ مَحْشُوَّةٌ (١) . وَأَكْوابٌ مَمْلُوَّةٌ (٢) .
أَنْقالٌ مُمَدَّدَةٌ (٣) . وَفُرُشٌ مُنَضَّدَةٌ (٤) . وَأَنْوارٌ مُجَوَّدَةٌ (٥)

وما العيش الا لمستهتر ... تظل عواذله فى شغب
يهيم الى كل ما يشتهي ... وان رده العذل لم ينجذب
ويسخو بما قد حوت كفه ... ولا يتبع المن ما قد وهب
فكم فضة فضها فى سرو ... ر يوم وكم ذهب قد ذهب

المبرز فى هذه الحلبة ذو المعانى الفياضة والاساليب المستملحة هو الحسن بن
انى أبو نواس الذى يقول :

وكأس كمصباح السماء شربتها ... على قبلة أو موعد بلقاء
أتت دونها الايام حتى كأنها ... تساقط نور من فتوق سماء
ترى ظهرها من ظاهر الكاس ساطعا ... عليك ولو غطيتها بغطاء

لابن الرومى كلام جزل وشعر رائع فى هذا الباب وهو الذى يقول :

يمل كل شراب من يعاقره ... وشارب الراح مشعوف بها عانى
كريقة المرء لا تنفك فى فمه ... وما يمل لها طعم لانسان

(١) أى أماكن جمعت كثيرا من الطراف (٢) الاكواب . جمع كوب
هو الكوز مالم يكن به عروة وأراد بها أكواب الخمر وكؤوسها (٣) أنقال
مع نقل وهو بفتح أوله ماينتقل عليه من الخمر ومنه اليها (٤) نضد متاعه
ن باب ضرب ـ وضعه منتظما مرتبا مصفوفا ، ونضده تنضيدا أيضا : للمبالغة
، وضعه متراصفا (٥) جاد الشيء يجود جودة (بفتح الجيم وضمها) ، صار
بيدا ، واجاده وجوده : صيره كذلك ، ومعنى تجويد الانوار : انه قد أجيد
راجها وتؤنق في مسارجها

وَمُضَرِبٌ مُجِيدٌ (١) . لهُ مِنَ الْغَزَالِ عَينٌ وَجِيدٌ (٢) ؛ فإِنْ لَمْ تُرِدْ هٰذا وَلا ذَاكَ . فَما قَوْلُكَ فى لَحْمٍ طَرِيٍّ . وَسَمَكٍ نَهْرِيٍّ (٣)

---

(١) التطريب فى الصوت : مده وتحسينه ، ولو كان المطرب مأخوذا من هذا لكان على زنة اسم الفاعل من المضعف ، ولعله مأخوذ من أطرب بمعنى بعث الطرب الي غيره مع ملاحظة ذلك المعني ، والطرب : خفة تصيب الانسان لشدة حزن أو سرور (٢) الجيد : العنق ومثل هذا قول المجنون :

فعيناك عيناها وجيدك جيدها ... سوي ان عظم الساق منك دقيق

ومن بديع ما قيل فى القيان قول ابن الرومي :

ظبية تسكن القلوب وترعا ... ها وقمرية لها تغريد
حسنها فى العيون حسن جديد ... فلها فى القلوب حب جديد
تتغنى كأنها لا تغنى ... من سكون الاوصال ، وهي تجيد
مد فى شأو صوتها نفس كا ... ف كانفاس عاشقيها مديد
وأرق الدلال والغ... منه ... وبراه الشجا فكاد يبيد
فتراه يموت طورا ويحيي ... مستلذ بسيطه والنشيد
فى هوي مثلها يخف حليم ... راجح حلمه ويغوي رشيد
خلقت فتنة غناء وحسنا ... ما لها فيهما جميعا نديد
لى حيث انصرفت منها رفيق ... من هواها وحيث حلت قعيد
عن يميني وعن شمالى وقدا ... مى وخلفي فأين عنه أحيد

(٣) لحم طري : أي لايجهد المعدة ولا يحملها مشقة كلحم الطير ، والسمك النهري : المستخرج من النهر ، وهو أكثر طراءة من سمك البحر الملح ، والمعني : اذا كنت لا تستطيع الموافقة على حضور مجلس الغناء ومشاركة الندماء فى احتساء الخمر فماذا تري فى مثل هذا

وَبَاذِنْجَانٍ مُقْلًى . وَرَاحٍ قُطْرُبُلِّيٍّ (١) . وَتُفَّاحٍ جَنِيٍّ (٢) . وَمَضْجَعٍ وَطِيٍّ (٣) . عَلَى مَكَانٍ عَلِيٍّ (٤) . حِذَاءَ نَهْرٍ جَرَّارٍ . وَحَوْضٍ ثَرْثَارٍ (٥) . وَجَنَّةٍ ذَاتِ أَنْهَارٍ ؛ قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَقُلْتُ : أَنَا عَبْدُ الثَّلَاثَةِ (٦) . فَقَالَ الْغُلَامُ : وَأَنَا خَادِمُهَا لَوْ كَانَتْ (٧) . فَقُلْتُ : لَا حَيَّاكَ اللهُ . أَحْيَيْتَ شَهَوَاتٍ قَدْ كَانَ الْيَأْسُ أَمَاتَهَا (٨) . ثُمَّ قَبَضْتَ لَهَاتَهَا (٩) . فَمِنْ أَيِّ الْخَرَابَاتِ أَنْتَ (١٠) ؟ . فَقَالَ :

---

(١) قطربل : قرية بالعراق شهيرة بالخمر وقال أبو نواس :

قطربل مربعي ولي بقري الكر خ مصيف وأمي العنب

ترضعني درها وتلحفني بظلها والهجير يلتهب

(٢) يقال : ثمر جني إذا كان حين اقتطافه قريبا ، والفاكهة أجود ما تكون إذا كانت كذلك (٣) مضجع وطي : لين ، هانيء ، لا تمل النوم فيه (٤) مرتفع ، وذلك من دواعي الرغبة (٥) أي يسمع به صوت الماء دائما لدوام جريه (٦) أي أريد كل هذه الامور التي ذكرت (٧) أي كما أنك تشتاقها وتتمنى وجودها بين يديك فكذلك أنا ولكن الحصول عليها عسير (٨) أي أثرت في نفسي دواعي الشهوة الى أشياء كان الفقر قد أيأسني من بلوغها (٩) اللهاة : الهنة المطبقه في أقصى سقف الفم ، والجمع اللها واللهوات واللهيات أيضا ، والمعنى : أنك بعد ان هيجت ساكن الشهوة الى ما ذكرت من المطعم والمشرب لم تنقع الغلة ولم تبل الاوام بل تركتني أتألم وأتضجر (١٠) والخرابات : الامكنة المتخربة التي لا يسكنها أحد ، ويزعمون أنها تكون مأوي الشياطين ، فالمعنى : أنت شيطان من أي مكان

أنا مِنْ ذَوِي الإِسْكَنْدَرِيَّهْ ... مِنْ نَبْعَةٍ فِيهِمْ زَكِيَّهْ (١)

سَخُفَ الزَّمانُ وَأَهْلُهُ ... فَرَكِبْتُ مِنْ سُخْفِي مَطِيَّهْ (٢)

اَلْمَقَامَةُ الْوَعْظِيَّةُ

حَدَّثَنا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قالَ: بَيْنا أنا بِالْبَصْرَةِ أَمِيسُ (٣). حَتَّى أَدَّانِي السَّيْرُ إِلَى فُرْضَةٍ قَدْ (٤) كَثُرَ فِيها قَوْمٌ عَلَى قَائِمٍ يَعِظُهُمْ وَهُوَ يَقُولُ: أَيُّها النَّاسُ إِنَّكُمْ لَمْ تُتْرَكُوا سُدًى (٥). وَإِنَّ مَعَ الْيَوْمِ غَداً (٦) وَإِنَّكُمْ وَارِدُو هاوِيَةٍ (٧). فَأَعِدُّوا لَها ما اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ. وَإِنَّ بَعْدَ الْمَعاشِ مَعاداً (٨). فَأَعِدُّوا لَهُ زاداً. أَلا لا عُذْرَ فَقَدْ بُيِّنَتْ لَكُمُ الْمَحَجَّةُ (٩). وَأُخِذَتْ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةُ. مِنَ السَّماءِ بِالْخَبَرِ.

---

(١) أي أنا من أصل أصيل في الاسكندريه (٢) السخف ـ بوزن القفل ـ: رقة العقل، وبابه طرب فهو سخيف، والمعنى ان الزمان وأهله قد رقت عقولهم وضعفت أحلامهم فالتزمت ان أكون مثلهم فتعمدت السخف وتصنعت الجهالة

(٣) أى اختال في مشيي، واتبختر في سيري (٤) فرضه: فرجة، ثلمة

(٥) أى هملا لاراعي لكم (٦) أي ان كنتم تظنون أنكم تفرون اليوم فان الغد ملاقيكم فاعدوا له (٧) الهوة في الاصل: الحفرة العميقة واراد منها القبر (٨) المعاد: الرجوع والمعنى أن بعد هذه الحياة حياة أخرى ترجعون فيها الى الله وكما أنكم لا تحيون هنا الا بالزاد وأنتم تتكالبون عليه فاجمعوا شيئا من الزاد تستمدون منه هناك وهو العمل الصالح (٩) المحجة: الطريقة

وَمِنَ الأَرْضِ بِالعِبرِ [١] . ألا وَإنَّ الَّذِي بَدأَ الخَلْقَ عَلِيمًا . يُحْيِي العِظَامَ رَمِيمًا [٢] ألا وَإنَّ الدُّنيـا دَارُ جِهَازٍ . وَقَنطَرَةُ جَوَازٍ [٣] . مَنْ عَبَرَهَا سَلِمَ . وَمَنْ عَمَرَهَا نَدِمَ [٤] . ألا وَقَدْ نَصَبَتْ لَكُمُ الفَخَّ وَنَثَرَتْ لَكُمُ الحَبَّ . فَمَنْ يَرْتَعْ . يَقَعْ . وَمَنْ يَلقُطْ . يَسقُطْ [٥] ألا وَإنَّ الفَقْرَ حِلْيَةُ نَبِيِّكُمْ فَاكْتَسُوهَا . وَالغِنَى حُلَّةُ الطُّغيـانِ فَلا

الواضحة ، والحجة البرهان (١) أي نزل عليكم من السماء دليل الشرع وبين أيديكم دليل العقل وهو التدبر في الاكوان وملكوت الارضين والعبرة بالكسر : الاسم من الاعتبار وجمعها عبر (٢) بدأ الخلق : أنشأه أول مرة ، والرميم : البالي ، وهو فعيل من قولهم : رم العظم يرم رمة بكسر الراء في الاخيرين اذا بلي وتقادم عليه العهد والمعنى : أن الله جلت قدرته قد أنشأكم أول مرة وأوجدكم بداءة عالما بكم خبيرا بما تكونون عليه وأنه لن يعجز على اعادتكم ليعرضكم على الحساب ويناقشكم فيما أسلفتم فى أيام حياتكم الاولى وأذا كان حاله كذلك فقد وجب على عبده الا يلهو عن مراقبته وحساب نفسه

(٣) جهاز العروس والسفر ـ بفتح الجيم وكسرها ـ : متاعه وحوائجه التي يأخذها معه المسافر ، والجواز : المرور ، والسلوك ، والسير، والمعنى : أن هذه الحياة ليست الا سوقا تتجهزون منها لسفركم الطويل ، وطريقا تسلكونه الي مقصدكم الذى تريدونه فانتقوا من المتاع ماتعلمون أنه يعينكم فى سفركم ولا يضركم ، واسلكوا الطريق التى لا يشوبها عوج ولا تنهشكم أسودها

(٤) عبرها : تخطاها ، وعمرها : أقام فيها العمارات (٥) أي أن الدنيا

تَلْبَسُوهَا (١) . كَذَبَتْ ظُنُونُ الْمُلْحِدِينَ . الَّذِينَ جَحَدُوا الدِّينَ . وَجَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٢) . إِنَّ بَعْدَ الْحَدَثِ جَدَثاً (٣) . وَإِنَّكُمْ لَمْ تُخْلَقُوا عَبَثاً (٤) . فَحَذَارِ حَرَّ النَّارِ (٥) . وَبَدَارِ عُقْبَى الدَّارِ . أَلَا وَإِنَّ

كصياد ينصب حبائله للطير لا يريد بذلك منفعة الطير ولكنه يريد منفعة نفسه فكل طائر يلتقط الحب يقع فى هذه الأحبوله (١) المعنى : لا يزدهيكم رونق الغنى ولا تغرنكم مظاهره ولا يخدعكم سرابه اللألاء فانه عرض زائل ومتاع قليل وهو مع ذلك مثار الاغترار ومنشأ التهلكة ورداء من لبسه نسى الله واتبع هواه فأضله وأرداه ، ولا تأنفوا الفقر ، ولا تنفروا من الاملاق فانه يذكركم بالخالق دائماً ويحثكم على طاعته ورضوانه ، ولقد خير النبي عليه السلام فى أن يكون له مثل جبل أحد ذهباً فقال : لا ، يا رب ، أجوع يوماً فأحمدك ، وأشبع يوماً فأشكرك . فتشبهوا به وسيروا سيرته وانهجوا طريقه

(٢) عضين . جمع عضه وهى الفرقة، كانوا يختلفون فى تأويله بالسحر والكهانة والاساطير ، والمعنى : ان هؤلاء الذين عاندوا النبي ولم يقبلوا قوله واستكبروا عن الاستجابة له قائلين : ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين . — قد كذبوا فى هذه الدعوى ، وضلوا عن الصراط فلا تسمعوا لهم ولا تقولوا بقولهم (٣) الحدث : الحياة فى هذه الدنيا . والجدث : القبر (٤) عبثا: بلا حكمة وأراد من هذا أن يبين لهم أن المعاد أمر يقتضيه العقل ولا يأباه كل ذى فكر لان من اعتقد أنه لم يوجد في هذه الحياة ليتمتع بملذها وينتاج منعائمها ثم لا يكون بعد ذلك شيء فقد ضل ضلالا بعيداً بل لا بد وأن تكون هناك حكمة في هذا الوجود هى ، أثابة الخيرين والتنكيل بالاشرار (٥) حذار: اسم فعل بمعنى احذروا وبدار اسم

الْعِلْمِ أَحْسَنُ عَلَى عِلَّاتِهِ . وَالْجَهْلَ أَقْبَحُ علي حَالَاتِهِ [1] . وَإِنَّكُمْ أَشْقَى مَنْ أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ . إِنْ شَقِيَ بِكُمُ الْعُلَمَاءُ [2] . النَّاسُ بِأَئِمَّتِهِمْ . فَإِنِ انْقَادُوا بِأَزِمَّتِهِمْ . نَجَوْا بِذِمَّتِهِمْ [3] . وَالنَّاسُ رَجُلَانِ : عَالِمٌ يَرْعَى . وَمُتَعَلِّمٌ يَسْعَى . وَالْبَاقُونَ هَامِلٌ نَعَامٍ . وَرَاتِعٌ أَنْعَامٍ [4] . وَيْلُ عَالٍ أَمِرَ مِنْ سَافِلِهِ . وَعَالِمِ شَيْءٍ مِنْ جَاهِلِهِ [5] . وَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ كَانَ قَائِمًا يَعِظُ النَّاسَ وَيَقُولُ : يَا نَفْسُ حَتَّامَ إِلَي الْحَيَاةِ رُكُونُكِ . وَإِلَى الدُّنْيَا وَعِمَارَتِهَا سُكُونُكِ [6] . أَمَا اعْتَبَرْتِ بِمَنْ مَضَي مِنْ أَسْلَافِكِ . وَبِمَنْ وَارَتْهُ الْأَرْضُ مِنْ أُلَّافِكِ [7] . وَمَنْ فُجِعْتِ بِهِ مِنْ

فعل معناه بادروا (١) أى أن العلم وأن كان فيه تعب ومشقة ولكنه حسن وجميل بخلاف الجهل وأن صحبته الدعة والراحة (٢) المعنى اذا لم تهتدوا بهدى العلماء ولم تنهجوا سبيلهم فقد حلت بكم الشقوة (٣) أى ليس الناس الا بقوادهم وهم أئمة الدين فان أسلموا لهم زمامهم نجوا وان جمحوا هلكوا (٤) أى لا يعد انساناً الا واحد من اثنين عالم أو متعلم، وهو من حديث علي: كن عالماً أو متعلماً ولا تكن الثالثة فتهلك (٥) ليس أشق على النفس ولا أنكى بها من سافل يأتمر العلية بأمره أو جاهل يرشد العالم الى ما لا يعلمه (٦) ركن اليه — من باب دخل ، وركن أيضاً بالكسر — : مال وسكن ، والمعنى : ألا ترتدعين أيتها النفس الغاوية عن الميل الى لذات الدنيا وشهواتها وتخلعين عنك ثوب التكالب على جمعها واقامة العمائر بها (٧) يقال : ألفت الموضع آلفه إلفا ، وألفته أولفه أيلافاً ، وأؤالفه مؤالفة وإلافا : أى أحببته ورغبت فيه ، ومنه: الالف يقال : حنت الالف الى الالف ، والاليف وجمعه

إخْوانِكَ . وَنُقِلَ إلى دارِ الْبِلَى مِنْ أَقْرانِكَ[1] ؟؟

فَهُمْ في بُطُونِ الأَرْضِ بَعْدَ ظُهُورِها مَحاسِنُهُمْ فيها بَوالٍ دَوائِرُ[2]
خَلَتْ دُورُهُمْ مِنْهُمْ وَأَقْوَتْ عِراصُهُمْ وَساقَتْهُمُ نَحْوَ المَنايا المَقادِرُ[3]
وَخَلَّوْا عَنِ الدُّنْيا وَما جَمَعُوا لَها وَضَمَّتْهُمُ تَحْتَ التُّرابِ الْحَفائِرُ[4]

ألائف بزنة تبيع وتبائع فأما الآلاف فجمع آلف بمعنى محب وراغب، بزنة كافر وكفار ، والمعنى . ألم تكن لك بمن سبقك من الناس موعظة فتهتدي الى ما ينجيك ؟ ثم ألم تأخذك الحسرة على نفسك بعد ما تبين لك أن اخوانك ومحبيك ومن كنت تركن اليهم قد صاروا الي الاجداث وتواروا تحت التراب ؟؟؟

(١) الفجيعة : الرزيئة . وقد فجعته المصيبة — من باب قطع — وفجعته أيضا تفجيعا : أو جعته وآلمته ، والأقران جمع واحده قرن وهو بفتح أوله: مثلك في السن تقول :هو على قرني أي على سني ، وبكسره قريعك في الشجاعة وضريبك والمعنى : ألا تردعك المصائب التي نزلت بعشرتك واخوانك فتألمت لها نفسك ثم ألم يحزنك انتقال لداتك وقرنائك الى الحياة الثانية فتعتبر بهم

(٢) بوال : جمع بال وهو الخلق الرث ودوائر جمع دائر وهو الهالك

(٣) أقوت : خلت وأقفرت ، قال النابغة :

يادار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد

والعراص: جمع عرصة وهي الفضاء بين الدور، والمقادر: الأقضية ، وأحكام الله

(٤) المعنى : أنهم نزحوا عن هذه الحياة تاركين أموالهم وذخائرهم التي قضوا أعمارهم فى جمعها وتحصيلها واستنفدوا أيامهم في الكدح لها والجد عليها وكأنهم كانوا لا يظنون وراءهم مثل ذلك اليوم فلما ذهبوا ضمت أجسامهم حفرة صغيرة ووسعهم جحر ضيق وكانت الدنيا كلها تضيق فى وجوههم

كم اختلست أيدى المنون . من قرون بعد قرون [١] . وكم غيرت بيلاها . وغيبت أكثر الرجال فى ثراها ؟؟؟

وأنت على الدنيا مكب منافس ... لخطابها فيها حريص مكاثر [٢]

على خطر تمشي وتصبح لاهيا ... أتدرى بماذا لو عقلت تخاطر ؟ [٣]

وإن امرأ يسعى لدنياه جاهدا ... ويذهل عن أخراه لاشك خاسر [٤]

أنظر إلى الأمم الخالية [٥] . والملوك الفانية [٦] . كيف انتسفتهم الأيام [٧]

---

(١) أى أن الموت أباد كثيرا من جماعات الناس وأفنى العديد من الأمم والقرون : جمع قرن وهو أهل الزمان الواحد قال الشاعر :

اذا ذهب القرن الذى أنت فيهم ... وخلفت فى قرن فأنت غريب

وهو أيضاً ثمانون سنة وقيل ثلاثون سنة

(٢) أكب فلان على كذا وانكب : لزمه وما فتىء يفعله ، والمنافسة : المباراة والتسارع الى العمل ، والتكاثر : المكاثرة فى الاعمال والاموال ونحوهما أي المغالبة فى كثرتهما والمعنى أنك مقبل على الدنيا تجمع لذاتها وتنافس فيها أهلها في حرص منك ومغالبة ومنافسة كأنك تعتقد دوام الحال لك

(٣) أي أنك تسير فى الدنيا سيرا خطيرا بحيث لو عقلت لعلمت أنك تعرض بنفسك للشقاوة والهلاك

(٤) والمعني أنه لا ريب فى أن الذى يكون همه تحصيل الدنيا دون أن يهتم بشأن حياته الاخرى سيخسر فى صفقته ويؤوب بالخذلان المبين

(٥) الماضية (٦) التى ذهبت من قبل (٧) انتسفتهم : أي أهلكتهم ولم

وَأَفْنَاهُمُ الْحِمَامُ (١) فَانْمَحَتْ آثارُهُمْ . وَبَقِيَتْ أَخْبارُهُمْ . (٢)

فَأَضْحَوْا رَمِيماً فِي التُّرَابِ وَأَقْفَرَتْ مَجَالِسُ مِنْهُمْ عُطِّلَتْ وَمَقَاصِرُ (٣)

وَخَلَّوْا عَنِ الدُّنْيَا وَمَا جَمَعُوا بِهَا وَمَا فَازَ مِنْهُمْ غَيْرُ مَنْ هُوَ صَابِرُ

وَحَلُّوا بِدَارٍ لَا تَزَاوُرَ بَيْنَهُمْ وَأَنَّى لِسُكَّانِ الْقُبُورِ التَّزَاوُرُ (٤)

---

(١) الحمام بالكسر الموت (٢) أنمحت وامحت : حفيت ولم يبق لها أثر وامتحت لغة فيه ضعيفة ، والمعني أن آثارهم ومصنوعاتهم لم يبق منها شيء غير الذكري والأخبار ، وما أبدع قول أمير الشعراء في هذا العصر (شوقي بك) في هذا المعنى :

كل حى على المنية غاد تتوالى الركاب والموت حاد

ذهب الاولون قرنا فقرنا لم يدم حاضر ولم يبق باد

هل ترى منهم وتسمع عنهم غير ذكرى مآثر وأيادى ؟

(٣) أقفرت : خلت ، قال عبيد بن الابرص :

أقفر من أهله ماحوب فالقطبيات فالذنوب

والمقاصر : المقاصير جمع مقصورة وهي الدار التي يختص بها صاحبها والمعنى : أنهم أصبحوا تحت التراب عظاما بالية وأجساما نخرة في حين أن مجالس لهوهم ومغاني أنسهم في هذه الحياة الدنيا قد خلت منهم ، وأن مساكنهم التي كانوا قد قصروها على أنفسهم وكانت تتحلى بهم كما تتحلى الحسناء بنفيس القلائد أصبحت معطلة منهم (٤) أي انهم في أخراهم لا تنتقل أجسامهم لزيارة بعضهم كما كانوا هنا بذلك من علامات الوحشة ، لأن العزلة من أكبر دواعى الانقباض وأسباب الاستيحاش

فما إنْ تَرَى إلاَّ رُمُوساً ثَوَوْا بِها   مُسَطَّحَةً تَسْفِي علَيْها الأَعاصِرُ(١)

كَمْ عايَنْتَ مِنْ ذِي عِزَّةٍ وَسُلْطانٍ . وَجُنُودٍ وأَعْوانٍ . قَدْ تَمَكَّنَ مِنْ دُنْياهُ . وَنالَ مِنها مُناهُ . فَبَنَى الْحُصُونَ وَالدَّساكِرَ . وَجَمَعَ الأَعْلاقَ وَالْعَساكِرَ(٢) .

فَما صَرَفَتْ كَفَّ الْمَنِيَّةِ إذْ أَتَتْ   مُبادِرَةً تَهْوِي إلَيْهِ الذَّخائِرُ(٣)

وَلا دَفَعَتْ عَنْهُ الْحُصُونُ الَّتِي بَنَى   وَحَفَّتْ بِها أَنْهارُها والدَّساكِرُ(٤)

وَلا قارَعَتْ عَنْهُ الْمَنِيَّةَ حِيلَةٌ   وَلا طَمِعَتْ في الذَّبِّ عَنْهُ الْعَساكِرُ(٥)

يا قَوْمُ الْحَذَرَ الْحَذَرَ . وَالْبِدارَ الْبِدارَ . مِنَ الدُّنْيا وَمَكايِدِها . وَما نَصَبَتْ لَكُمْ مِنْ مَصايِدِها . وَتَجَلَّتْ لَكُمْ مِنْ زِينَتِها . وَاسْتَشْرَفَتْ

---

(١) رموسا: جمع رمس وهو القبر، وثوى يثوى ثواء: أقام، والأعاصر: جمع أعصار وهى الريح الشديدة ، وتسفى عليها : تحمل الغبار اليها

(٢) الحصن : البناء حول القرية أو المدينة ، والاعلاق : النفائس والعسكر : الجيش ، وعسكر: هيأه (٣) الذخائر : جمع ذخيرة ، وهي فاعل صرفت في أول البيت ، والمعنى : أنه لم تنفعه ذخائره ، ولم تدفع عنه ضرا ولم تجلب له خيرا (٤) الدساكر جمع دسكرة وهى البناء الذى يكون كالقصر من حوله بيوت

(٥) قارعت : دافعت ، والذب : الذود ، والمنع ، والدفاع ، والمعنى: أن حيله وأفكاره التى كان يدبر بها ملكه لم تدافع عنه حين نزل الموت به ولا أمكن لجيوشه التى أعدها لمحاربة الاعداء والكفاح والجلاد أن تمنع عنه أو

لَـكُمْ مِنْ بَهْجَتِها (١).

وَفِي دُونِ ما عايَنْتَ مِنْ فَجَعاتِها   أَلى رَفْضِها داعٍ وَبِالزُّهْدِ آمِرُ (٢)

فَجِدَّ وَلا تَغْفُلْ فَعَيْشُكَ بائِدٌ   وَأَنْتَ أَلى دارِ الْمَنِيَّةِ صائِرُ (٣)

وَلا تَطْلُبِ الدُّنْيا فَإِنَّ طِلابَها   وَإِنْ نِلْتَ مِنْها رَغْبَةً لَكَ ضائِرُ (٤)

وَكَيْفَ يَحْرِصُ عَلَيْها لَبِيبٌ. أَوْ يُسَرُّ بِها أَرِيبٌ. وَهُوَ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ فَنائِها (٥)؟ أَلا تَعْجَبُونَ مِمَّنْ يَنامُ وَهُوَ يَخْشَى الْمَوْتَ. وَلا يَرْجُو الْفَوْتَ (٦)؟

تحميه لأن الموت سلطان قاهر لا قدرة لمخلوق على رفعه (١) المعنى : حاذروا من الدنيا ولا تأمنوا لها ولا تنخدعوا بها فقد نصبت لكم الفخاخ ونشرت بينكم العيون والرقباء لتستطلع أمركم ثم تأخذ كم في اشراكها ، ألا وان من اشراكها ونخاخها ذلك الرواء الظاهرى وتلك الزينة الخادعة التى تظهر لكم فيها وهذه البهجة وذلك الرونق الخلاب الذي تطالع عليكم به (٢) أى أن أقل من الذى شاهدته من أفعال دنياك كفيل بأن يردعك عن غيك ويسير بك ألى رشدك (٣) بائد : هالك ، أى أن ما أنت فيه من متاع هذه الفاتنة شيء مصيره ألى الزوال فلا تغفل عن ذلك واجتهد في الذى يدوم ويبقى (٤) ضائر : مضر ، وهو خبر أن ، والمعنى أن طلب الدنيا ولو كان يعقبه نوال شيء منها لا يفيدك بل يضرك (٥) أي لا يتصور أن يحرص على الدنيا رجل آتاه الله حصافة الرأى ورزقه سداده لان من كان ذلك شأنه فهو لا شك واثق تمام الثقة بأنها لا تدوم ولا تبقى

(٦) أرادمن النوم التقصيرفى أعمال البر والخير، والمعني : أنه من أشد ما يدعو ألى العجب ويثير دواعى الغرابة ان يغفل امرؤ عن صنائع المعروف

أَلَا لَا وَلٰكِنَّا نَغُرُّ نُفُوسَنَا ... وَتَشْغَلُهَا اللَّذَّاتُ عَمَّا نُحَاذِرُ (١)

وَكَيْفَ يَلَذُّ الْعَيْشَ مَنْ هُوَ مُوقِنٌ ... بِمَوْقِفِ عَدْلٍ؛ حَيْثُ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٢)

كَأَنَّا نَرَى أَنْ لَا نُشُورَ وَأَنَّنَا ... سُدًى مَا لَنَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مَصَايِرُ! (٣)

كَمْ غَرَّتِ الدُّنْيَا مِنْ مُخْلِدٍ إِلَيْهَا (٤) وَصَرَعَتْ مِنْ مُكِبٍّ عَلَيْهَا. فَلَمْ تَنْعَشْهُ مِنْ عَثْرَتِهِ. وَلَمْ تُقِلْهُ مِنْ صَرْعَتِهِ. وَلَمْ تُدَاوِهِ مِنْ سَقَمِهِ وَلَمْ تَشْفِهِ مِنْ أَلَمِهِ (٥).

وهو يعتقد أن وراء هذه الحياة موتا وان بعد ذلك اللقاء فراقا وليس عنده أمل فى أن ينسأله في أجله ويؤخر موعده

(١) أي أننا لا نتعجب من الذي يرقب الموت ولا يظن أنه مفلته ثم ينام ملء عينيه بل نحن نغر ونخدع أنفسنا ،تستهوينا اللذائذ والشهوات وتنسينا ذلك الذي نخافه ونخشاه وهولنا بالمرصاد وذلك هو الموت

(٢) بلاه يبلوه ، وأبلاه وابتلاه : اختبره ، وجربه ، والسرائر : جمع سريرة وهي ما انطوت عليه نفسك وقر فى ضميرك ، والمعنى أنه لا يجد للعيش طعما ولا مساغا ولا يستلذه كل انسان علم أنه سيعرض على الله فى يوم يؤخذ فيه بالنواصي والاقدام وتفتضح السرائر وتظهر المكنونات (٣) النشور : البعث والمعنى أن أعمالنا هذه تشبه أعمال من لا يدين بالبعث ويعتقد أننا أوجدنا فى هذه الحياة بلا راع يكلمنا ولن نصير اليه فيحاسبنا (٤) مخلد اسم فاعل من أخلد بمعنى سكن واستراح وهدأ

(٥) صرعت : غلبت وقهرت ، ونعشه ـ من باب قطع ـ : رفعه ، ولا يقال : أنعشه ، والعثرة : الكبوة ، والمعني : أن هذه الدنيا قد قهرت بصروفها

بَلِي أَوْرَدَتْهُ بَعْدَ عِزٍّ وَرِفْعَةٍ ... مَوَارِدَ سُوءٍ ما لَهُنَّ مَصَادِرُ (١)
فَلَمَّا رَأَى أَنْ لا نَجَاةَ وَأَنَّهُ ... هُوَ الْمَوْتُ لا يُنْجِيهِ مِنْهُ الْمُوَازِرُ (٢)
تَنَدَّمَ لَوْ أَغْنَاهُ طُولُ نَدَامَةٍ ... عَلَيْهِ وَأَبْكَتْهُ الذُّنُوبُ الْكَبَائِرُ (٣)

بَكَى عَلَى ما سَلَفَ مِنْ خَطَايَاهُ . وَتَحَسَّرَ عَلَى ما خَلَّفَ مِنْ دُنْيَاهُ حَيْثُ لَمْ يَنْفَعْهُ الِاسْتِعْبَارُ (٤) . وَلَمْ يُنْجِهِ الِاعْتِذَارُ (٥) .

كل من سكن اليها وهدأت نفسه لها فلم ترفعه من كبوة ولم تأخذ بيده بل بقي يرزح تحت أعبائها واستمر منقلا بمتاعبها وآلامها

(١) المورد ومثله الورد ـ بكسر أوله ـ : مكان الورود ، والمصدر ومثله الصدر ـ بفتحتين ـ : الاوبة ، والرجوع وهو من قولهم : صدر عن الماء وعن البلاد ـ من بابي نصر ودخل ـ أي رجع ، والمعنى : أن هذه الدنيا قد ذهبت به وأخذته ألي أماكن يلقي فيها الجهد والاعياء بعد أن لبس ثوب العز ، وتقلد وسام الرفعة وليست له أوبة ولا رجعة عنها (٢) المؤازر : المساعد ، والمعاضد ، والناصر

(٣) أي أنه حين علم أن الموت نازل به لا يدفعه عنه صديق ولا حميم أسف على تفريطه ولكن الاسف لا يجديه ، وبكى طويلا على ما قدم من ذنوب وآثام واجترح من خطايا وسيئات .

(٤) الاستعبار : البكاء مأخوذ من العبرة بالفتح وهى الدمعة

(٥) أي أنه لا ينجو أذا اعتذر ، والمعنى : أنه بكى وأذرف دمع عينه سخينا فى موقف لايفيده ذلك فيه ، ومكان لا تنفعه الانابة به ولا تنقذه المعذرة

أحاطَتْ بِهِ أَحزانُهُ وَهُمُومُهُ ... وَأَبلسَ لَمّا أَعجَزَتهُ المَعاذِرُ (١)

فَلَيسَ لَهُ مِن كُربَةِ المَوتِ فارِجٌ ... وَلَيسَ لَهُ مِمّا يُحاذِرُ ناصِرُ (٢)

وَقَد خَسِئَت فَوقَ المَنِيَّةِ نَفسُهُ ... تُرَدِّدُها مِنهُ اللُّهى وَالحَناجِرُ (٣)

فَإِلى مَتى تُرَقِّعُ بِآخرَتِكَ دُنياكَ (٤) . وَتَركَبُ فى ذاكَ هَواكَ ؟ إِنّى أَراكَ ضَعيفَ اليَقينِ يا راقِعَ الدُّنيا بالدِّينِ ! أَبِهذا أَمرَكَ الرَّحمنُ . أَم عَلى هذا دَلَّكَ القُرآنُ (٥) ؟

تُخَرِّبُ ما يَبقى وَتَعمُرُ فانِياً ... فَلا ذاكَ مَوفُورٌ وَلا ذاكَ عامِرُ (٦)

---

(١) أبلس : حزن، والمعاذر : جمع معذرة وفى الامثال (المعاذر مكاذب) والمعى أن همومه وأحزانه تجمعت عليه فأراد أن يعتذر لينجو منها فلم يستطع الى الاعتذار سبيلا فاشتد غمه (٢) فارج : مفرج (٣) خسئت : بعدت أو طفت واللها جمع لهاة وهى اللحمة التى تشرف على الحلق عند أقصى سقف الفم والحناجر جمع حنجرة وهى مكان خروج الصوت والنفس ، والمعني : أن نفسه بعدت عن جسمه وطفت عليه حينما نزلت المنية به وقد طفقت لهاته وحنجرته تردد صوته وترجع أنفاسه ، وذلك يكون عند الحشرجة في أغلب الناس (٤) أى تصلح دنياك بافساد آخرتك وهو مثل قول الشاعر :

نرقع دنيانا بأفساد ديننا ... فلا ديننا يبقي ولا ما نرقع

(٥) المعنى : أنك ـ أبهذا الذي تصلح دنياك بافساد دينك وتلم شعثها وترأب صدعها بتشتيت شمله وتفريق مجتمعه ـ لم تكن قوي الايمان شديد الاعتقاد لان هذه خصلة لم يأمرك بها الله ولم يقرك عليها كتابه فتجتهد في تحصيلها وتدأب على العمل بها (٦) المعنى على الاستفهام التوبيخي ومعناه أنه ليس بالحكمة ولا

فَمَنْ لَكَ إِنْ وَافَاكَ حَتْفُكَ بَغْتَةً
وَلَمْ تَكْتَسِبْ خَيْرَ ٱلَّذِي ٱللهِ عَاذِرُ[١] ؟
أَتَرْضَى بِأَنْ تَقْضِي ٱلْحَيَاةَ وَتَنْقَضِي
وَدِينُكَ مَنْقُوصٌ وَمَالُكَ وَافِرُ[٢] ؟؟

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَقُلْتُ لِبَعْضِ ٱلْحَاضِرِينَ: مَنْ هٰذَا؟ قَالَ: غَرِيبٌ قَدْ طَرَأَ لَا أَعْرِفُ شَخْصَهُ فَاصْبِرْ عَلَيْهِ إِلَى آخِرِ مَقَامَتِهِ. لَعَلَّهُ يُنْبِئُ بِعَلَامَتِهِ. فَصَبَرْتُ فَقَالَ: زَيِّنُوا ٱلْعِلْمَ بِٱلْعَمَلِ وَٱشْكُرُوا ٱلْقُدْرَةَ بِٱلْعَفْوِ[٣] وَخُذُوا الصَّفْوَ وَدَعُوا ٱلْكَدَرَ يَغْفِرِ ٱللهُ لِي وَلَكُمْ.

أصالة لرأي أن تخرب دينك وهو أمر يبقى لك وينفعك عند الله وتصلح دنياك وهي ذاهبة عنك أن اليوم أو غدا ثم لا تؤوب لك فكأنك قد خسرت بذلك الأمرين وضاع عليك المنفعتان لان عمار الدنيا لا يبقى ولان الدين بعملك غير عامر

(١) المعنى : هب أنك كنت تقول في نفسك بأنك تتوب فيما بعد فهل ضمنت ذلك وأخذت به عهدا وكيف يكون حالك لو جاءك الموت قبل أن تستعد للانابة وتعمل بالتوبة ؟ أو تجد عند الله من يعتذر عنك أو يقبل معذرتك ان قدمتها ؟ ؟

(٢) المعنى هل يعجبك ويروق في نظرك أن تترك هذه الحياة ومالك كثير لا يحصره العد وأنت لم تكسب في دينك شيئا

(٣) أي أن الله أنعم عليكم بنعمة القدرة فاشكروا له عليها بالعفو عمن أساء اليكم

ثُمَّ أَرَادَ الذَّهابَ فَمَضَيْتُ على أثَرِهِ فقلتُ : مَنْ أنتَ ياشَيْخُ ؟ فقالَ : سُبْحانَ اللهِ ! لمْ تَرْضَ بِالحِلْيَةِ غَيَّرْتَهَا حَتَّى عَمَدْتَ إلَى المَعْرِفَةِ فَأَنْكَرْتَهَا [١] . أنا أبُو الفَتْحِ الإسْكَنْدَرِيُّ . فَقُلْتُ : حَفِظَكَ اللهُ فما هذا الشَّيْبُ [٢] ؟ فقالَ :

نَذِيرٌ وَلَـكِنَّهُ ساكِتٌ ... وَضَيْفٌ وَلَـكِنَّهُ شَامِتُ [٣]
وَإشْخاصُ مَوْتٍ وَلَـكِنَّهُ ... إلَى أنْ أُشَيِّعَهُ ثابِتْ [٤]

المَقامَةُ الأَسْوَدِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشامٍ قالَ : كُنْتُ أَتَّهِمُ بِمالٍ أَصَبْتُهُ . فَهِمْتُ على وَجْهِي هارِباً حَتَّى أتَيْتُ البادِيَةَ فأدَّتْنِي الهَيْمَةُ [٥] . إلَى ظِلٍّ

(١) أي لم تكتف بأن ادعيت تغيير حالى وشكلى فجئت تنكر معرفة اسمي وكنيتي

(٢) أي أن العذر لي أني لم أرك بهذا الشيب

(٣) ينذرني بالموت ودنو الاجل ولكن مع الصمت ، وضيف نزل بي غير أنه شامت

(٤) أشخاص موت أزعاجه والرسول المخبر به وعادة الرسول أن يرجع بعد تأدية رسالته ولكن هذا لا يرتحل حتى أودعه بترك الحياة

(٥) هام على وجهه يهيم اذا سار عن غير قصد معلوم والواحدة منه هيمة

خَيْمَةٍ فَصادَفْتُ عِنْدَ أَطْنابِها فَتًى [1] . يَلْعَبُ بِالتُّرَابِ . مَعَ الأَتْرَابِ [2] . وَيُنْشِدُ شِعْراً يَقْتَضِيهِ حالُهُ . وَلا يَقْتَضِيهِ ارْتِجالُهُ [3] . وَأَبْعَدْتُ أَنْ يُلْحِمَ نَسِيجَهُ [4] . فَقُلْتُ : يا فَتَى الْعَرَبِ أَتَرْوِي هٰذا الشِّعْرَ أَمْ تَعْزِمُهُ [5] ؟ فَقالَ : بَلْ أَعْزِمُهُ وَأَنْشَدَ يَقُولُ :

إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ صَغِيرَ السِّنِّ ... وَكانَ فِي الْعَيْنِ نُبُوٌّ عَنِّي

فَإِنَّ شَيْطانِي أَمِيرُ الْجِنِّ ... يَذْهَبُ بِي فِي الشِّعْرِ كُلَّ فَنِّ

حَتَّى يَرُدَّ عارِضَ التَّظَنِّي ... فَامْضِ عَلَى رِسْلِكَ وَاغْرُبْ عَنِّي [6]

---

(١) الطنب بضمتين: حبل طويل يشد به سرادق البيت أو الوتد وجمعه أطناب وطنبة والمراد هنا الكناية عن القرب منها (٢) الترب بكسر أوله اللدة وسنينك ومن ولد معك وهي تربى والجمع أتراب (٣) أي أن هذا الشعر يصف حاله التي هو عليها تماما فالحال يقتضيه ولكن سنه وكونه مرتجلا يبعدان أن يكون الشعر له (٤) أي وكنت في نفسى أعتقد أنه من العسير عليه أن يكون أبا عذرة هذا الشعر وصاحبه (٥) رواية الشعر حفظه ونقله عن الغير وعزمه صياغته ونظمه وأصل العزم النية الحاملة على العمل أريد منه هنا العمل لانه مسبب عنها (٦) تعتقد العرب أن لكل شاعر هاجساً من الجن يلقى اليه بشعره كما يقولون ان هاجس امرىء القيس كان اسمه لافظ بن لاحظ وسيأتي لذلك ذكر فى المقامة الابليسية، ونبو العين: تجافيها لحمارة المنظور اليه، والتظني: الظن والمعنى : لا يحطن من قدرى ولا يزرين بقدري في نظرك أن تراني صغير السن وأن تجد فى منظري مدشاً لابتعاد عيون الناس عني وتجافيها دونى لأن الشيطان الذي يملي على هذا الشعر ليس أحد السوقة من الشياطين بل هو

فقُلتُ : يا فتيَ العرَبِ أدّتني إليكَ خيفةٌ فهلْ عندكَ أمنٌ أو قِرى ؟ (١)
قالَ : بيتَ الأمنِ نزلتَ . وأرضَ القِرى حللتَ (٢) . وقامَ فعلِقَ
بكُمّي . فمشيتُ معهُ إلى خيمةٍ قدْ أسبلَ سِترُها (٣) . ثمَّ نادى :
يا فتاةَ الحيِّ هـذا جارٌ نبتْ بِهِ أوطانُهُ (٤) . وطلَبهُ سلْطانُهُ (٥) .
وحداهُ إلينا صيتٌ سمِعهُ . أوْ ذِكرٌ بلغَهُ (٦) . فأجيري بِهِ (٧) . فقالَتِ
الفتاةُ : اسكُنْ يا حضَرِيُّ

أياحضَرِيُّ اسكُنْ ولا تخشَ خيفةً فأنتَ ببيتِ الاسوَدِ بنِ قنانِ

رئيسهم وأميرهم وقوة الخيال وشدة العارضة يتبعان ذلك وانه ليملي الي الشعر الجيد المصقول المتين في جميع الأبواب وكل الافانين ليدمع عني مظنة انتحال ما ليس لي وخير لك بعد أن عرفت ذلك كله ألا تقف حائراً مرتابا في أمري

(١) الخيفة : الخوف — والمعنى انني انما لجأت الي هنا من الخوف فأنا في حاجة للأمن وقد سرت طويلا حتى نال مني الجوع وأحتاج الى القرى وهى الضيافة (٢) أي انك قد جئت بيتا لا يخاف اللاجيء اليه واداك السير الى أرض أهلها كرام يرحبون بالضيف ويكرمون نزله (٣) علق بكمي : أمسك بي وكأنه لحرصه على اكرامه يخشى أن يفلت منه (٤) الظاهر أن المراد بالجار هنا المستجير وربما صح ارادة معناه المعروف ويكون جواره لهم فيما يقيمه بينهم ، ونبت به أوطانه أي اشتد عليه المقام فيها كأنما لفظته الى غيرها فهو حقيق بأن تكرمي مثواه وتبالغي في العناية به (٥) ويروي : وطلبه ، أي بحث عنه لينكل به (٦) حداه : ساقه — والمعنى أن الذي جاء به الينا شهرة عرفها عنا (٧) لعل في هذه الكلمة قرينة على ارادة ما رأيناه في معنى

أعز بَنِ أُنثيَ مِنْ مَعَدٍّ وَيَعرُبٍ ... وَأَوفاهُمْ عَهْداً بِكُلِّ مكانِ (١)
وَأَضْرَبهمْ بِالسَّيفِ مِنْ دُونِ جارِهِ ... وَأَطْعَنهمْ مِنْ دُونِهِ بِسِنانِ (٢)
كأنَّ المَنايا وَالعَطايا بِكَفِّهِ ... سَحابانِ مَقْرُونانِ مُؤتَلِفانِ (٣)
وَأَبيَضَ وَضّاحِ الجَبِينِ إذا انتَمى ... تَلاقَى إلي عيصٍ أغرَّ يَمانِي (٤)
فَدُونكَهُ بيتَ الجِوارِ وَسَبْعةٌ ... يَحُلُّونَهُ شَفْعَتَهمْ بِثَمانِ (٥)

الجار (١) يعرب ابن قحطان: أول من تكلم بالعربية في رأي كثير من المحققين ويستدلون على ذلك بمثل قول حسان: تعلمتم من منطق الشيخ يعرب. ومعد بن عدنان: الجد التاسع عشر للنبي صلى الله عليه وسلم. والمعنى أن الممدوح الذي نزلت داره عزيز منيع الحمى لا يخشى على جاره ضيم

(٢) المعنى أنه يذب عمن لجأ اليه ويدفع عنه عدوان مريديه ولا يألو في ذلك جهدا (٣) المنايا: جمع منية وهي الموت، والمعنى: كأنه من فرط شجاعته وكرمه قد اقترن الجود والاقدام بيده فصارا سحابين. أحدهما ينفع الغلة ويحيي موات الارض ويعشب جديبها. وثانيهما ينزل كسفاً على قوم فيفنيهم ويستأصل شأفتهم. وهذا البيت في نظرنا خير من قول طرفة بن العبد

يداك يد خيرها يرتجى ... وأخرى لأعدائها غائظة

(٤) انتمي: انتسب، عيص: أصل، مأخوذ من العيص الذي هو الشجر ينبت بعضه في أصول بعض، وقولهم والمرء يشبه عيصه أي أصله دليل، والمراد من بياضه نقاء عرضه، والمعنى أنه اذا انتسب فانما ينتسب الى أشرف أصل وأطيب أرومة من نسب اليمانية (٥) أي أقبل عليه فانه بيت اللاجئين ودار المستجيرين وان عنده سبعة نزلوا به مثلما نزلت وستكون أنت ثامنهم

فَأَخَذَ الْفَتَى بِيَدِي إِلى الْبَيْتِ الَّذِى أَوْمَأَتْ إِلَيْهِ [1]. فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَبْعَةُ نَفَرٍ فِيهِ. فَمَا أَخَذَتْ عَيْنِي إِلاَّ أَبَا الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِىَّ فِي جُمْلَتِهِمْ [2] فَقُلْتُ لَهُ: وَيْحَكَ بِأَىِّ أَرْضٍ أَنْتَ؟ فَقَالَ:

نَزَلْتُ بِالأَسْوَدِ فِى دَارِهِ ... أَخْتَارُ مِنْ طَيِّبِ أَثْمَارِهَا [3]
فَقُلْتُ: إِنِّى رَجُلٌ خَائِفٌ ... هَامَتْ بِىَ الْخِيفَةُ مِنْ ثَارِهَا [4]
حِيلَةُ أَمْثَالِى عَلى مِثْلِهِ ... فِي هذِهِ الْحَالِ وَأَطْوَارِهَا [5]
حَتَّى كَسَانِى جَابِراً خَلَّتِي ... وَمَاحِياً بَيِّنَ آثَارِهَا [6]

---

(١) أومأت: أشارت (٢) المعنى: أنى لم أعرف أحداً منهم غيره ولذلك فان عيني أطالت النظر اليه، والتحديق فيه (٣) أي: أنا مثلك جئت هذه الدار مستأمناً فأنزلت مكانا رحبا وخيروني في أموالهم فأنا بينهم أختار أطيبها وأكرمها

(٤) يريد انه حين استجاره ذكر له خوفه وانه غير آمن على نفسه من جماعة يتعقبونه طلبا لثاراتهم وأضاف الثار للخيفة في قوله: (ثارها) كما يضاف السبب للمسبب

(٥) المعنى: ان العفاة كلهم يتحيلون على ذوي المكارم بمثل هذه الحيلة التي تحيلت بها عليه وانه لن يسأل عن حقيقة أمري ليتبين صدق حديثي أو كذبه لأن شرف النفس وكرم الطبع لا يوجبان ذلك (٦) جبر الكسر يجبره جبراً: أي عالجه وأصلح فاسده، والخلة ـ بفتح أوله ـ: الفقر والحاجة، والبين الظاهر، ومحا يمحو محواً: أزال، والمعنى انه لم يزل يحتال حيلته الى أن كساه

خُذْ مِنَ الدَّهْرِ وَنَلْ مَا صَفَا ... مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنْقَلَ عَنْ دَارِهَا (١)
إِيَّاكَ أَنْ تُبْقِيَ أُمْنِيَّةً ... أَوْ تَكْسَعَ الشَّوْلَ بِأَغْبَارِهَا (٢)

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَقُلْتُ يَا سُبْحَانَ اللهِ! أَيَّ طَرِيقِ الْكُدْيَةِ لَمْ تَسْلُكْهَا (٣)؟ ثُمَّ عِشْنَا زَمَانًا فِي ذَلِكَ الْجَنَابِ حَتَّى أَمِنَّا. فَرَاحَ مُشَرِّقًا وَرُحْتُ مُغَرِّبًا (٤)

الْمَقَامَةُ الْعِرَاقِيَّةُ

كسوة جبر بها فقره وأزال آثار املاقه (١) أي : لا تترك شيئاً مما يجلب لك السرور وصفاء النفس وانشراح الخاطر دون أن تأخذ منه طرفا وتنال حظك منه وإياك أن تدخر في ذلك وسعاً أو تألو جهداً فان أيام الحياة قليلة لا تحتمل أن تنغصها ولا تكفي لتكديرها بالمخاوف والمزعجات وسوف تنقل عنها فاغتنم أيامها وانهز عمرك بها فليست الحياة الا اختلاسات تختلسها من يد الزمن وفرص تغتنمها من بين أوقاته (٢) الشول : الناقة أتى على ولادتها سبعة اشهر ، ويقال : كسع الناقة بغبرها اذا ضرب اخلافها بالماء ليرجع اللبن فتكون أقوى وأشد ، يريدون بهذا ادخاره للأيام المقبلة (وأخلاف الناقة كثدي المرأة) والمعنى لا تدخر شيئاً للزمن القابل فاعا دهرك الحاضر ولك الساعة التي انت فيها (٣) الكدية : سؤال الناس واستجداؤهم وطلب عطاياهم والمعنى انك عرفت طرق الاستجداء كلها فلم تترك طريقا الا سلكته ولا بابا من أبوابها الا ولجته (٤) اي لم نزل في جوار ذلك الرجل الكريم حتى افرخ روعنا ثم تفرقنا فسرت الى وطني وسار الى نصب شباكه

حَدَّثَنا عِيسَى بنُ هِشامٍ قالَ : طُفْتُ الآفاقَ . حَتَّى بَلَغْتُ العِرَاقَ (١) . وَتَصَفَّحْتُ دَوَاوِينَ الشُّعَرَاءِ . حَتَّى ظَنَنْتُنِي لَمْ أُبْقِ فِي القَوْسِ مِنْزَعَ ظَفَرٍ (٢) . وَأَحَلَّتْنِي بَغْدَادُ فَبَيْنَمَا أَنَا عَلَى الشَّطِّ أَذْ عَنَّ لِي فَتًى فِي أَطْمَارٍ يَسْأَلُ النَّاسَ وَيَحْرِمُونَهُ (٣) فَأَعْجَبَتْنِي فَصَاحَتُهُ . فَقُمْتُ أَلَيْهِ أَسْأَلُهُ عَنْ أَصْلِهِ وَدَارِهِ . فَقَالَ : أَنَا عَبْسِيُّ الأَصْلِ إِسْكَنْدَرِيُّ الدَّارِ (٤) . فَقُلْتُ : ما هٰذَا اللِّسانُ . وَمِنْ أَيْنَ هٰذَا البَيَانُ (٥) ؟ فَقالَ : مِنَ العِلْمِ . رُضْتُ صِعَابَهُ (٦) . وَخُضْتُ بِحَارَهُ .

---

(١) العراق: بلاد من عبادان ألى الموصل طولا ومن القادسية ألى حلوان عرضا سميت بذلك لتواشج عراق النخل والشجر فيها أو لانه استكف ارض العرب أو سمى بعراق المزادة لجلدة تجعل على ملتقي طرفى الجلد أذا خرز في أسفلها لان العراق بين الريف والبر أو لانه على عراق دجلة والفرات أي شاطئها أوهى كلمه معربة عن ايران شهر ومعناه كثيرة النخل والشجر

(٢) المنزع بوزن منبر: السهم، والظفر: الفوز والغلبة، وأضيف المنزع اليه لانه أداته وآلته التى تستعمل من أجله، والمعنى: أنه زاول كتب الشعر وقرأ دواوينه حتي توهم في نفسه أنه استقصى جميعها ولم يبق شيء لم يطلع عليه

(٣) أي : ظهر لي شاب يلبس أثوابا خلقة وهو يطلب من الناس فلا يعطونه ويسألهم فلا يجيبونه بل يردونه بخيبته (٤) المعنى : ان أصلي ومنشأى من العرب من قبيلة عبس ولكنى أقيم بالاسكندرية وهى أحدي بلاد الاندلس

(٥) أى : ماهذه البلاغة وما تلك الحصافة ؟ ومن أين لك هذا المنطق الفصيح وذلك اللفظ الانيق ؟ (٦) راض يروض رياضا ورياضة: ذلل، والصعاب

فَقُلْتُ : بِأَى الْعُلُومِ تَتَحَلَّي (١) ؟ فَقالَ : لى فى كلّ كِنانَةٍ سَهْمٌ فأيَّها تُحْسِنُ (٢) ؟ فَقُلْتُ : الشِّعْرَ . فَقالَ : هَلْ قالَتِ الْعَرَبُ بَيْتاً لا يُمْكِنُ حَلُّهُ (٣) ؟ وَهَلْ نَظَمَتْ مَدْحاً لَمْ يُعْرَفْ أَهْلُهُ (٤) ؟ وَهَلْ لَها بَيْتٌ سَمُجَ وَضْعُهُ . وَحَسُنَ قَطْعُهُ (٥) ؟ وَأَىُّ بَيتٍ لا يَرْقَأُ دَمْعُهُ (٦) ؟ وَأَىُّ بَيت يَثْقُلُ وَقْعُهُ (٧) ؟ وَأَىُّ بيتٍ يَشُجُّ عَرُوضُهُ وَيَأْسُو ضَرْبُهُ (٨) ؟

جمع صعبة وهي الجامح الحرون وكانه شبه العلم بالدابة الى يكون شأنها ذلك لاستيلائه عليه وتفوقه فيه (١) أي : ان العلوم كثيرة وفنونها متشعبة فبأي فرع تستمسك وأى نوع قد ضربت فيه بسهم وفير

(٢) الكنانة: الوعاء الذى توضع فيه السهام، والمعنى: أنى حزت من كل فن طرفا وأخذت من كل نبعة سهما، وأنت أي علم تعرف حتى أناقشك فيه وأحاورك ؟

(٣) حله : نثره وذلك ان الشعر متى نثر تغير وزنه واختل ، وهذا البيت لايكون كذلك بل يبقى موزونا فكانه لايمكن فيه الحل

(٤) أى هل لها كلام لم يعرف الذي قيل فيه

(٥) أى أن معناه ردىء واقتطاعه عما قبله وعدم اتصال معناه بمعناه حسن

(٦) رقأ الدمع والدم : سكن ، وبابه قطع ، والمعنى هل تعرف للعرب بيتا كله مدامع وعبرات لاتسكن ولا تغيض ؟

(٧) أي يعسر النطق به لتنافر بين الفاظه أو يعسر الوصول الى معناه لتعقيد في أسلوبه أو أن الفاظه تمثل لك شدة وبأسا ونحوها (٨) يشج : يكسر ، ويأسو : يداوى، وعروض البيت: الكلمة الاخيرة فى المصراع الاول وضربه : الكلمة الاخيرة فى المصراع الثانى ، والمعنى : ان القارىء اذا وصل الى العروض حسب هناك ضربا وشجارا واذا وصل الضرب ألفى ودادة وسلاما

وَأَيُّ بَيتٍ يَعْظُمُ وعِيدُهُ وَيَصْغُرُ خَطْبُهُ (١) ؟ وَأَيُّ بَيتٍ هُوَ أَكْثَرُ رَملاً مِن يَبْرِينَ (٢) ؟ وَأَيُّ بَيتٍ هُوَ كَأَسْنانِ الْمَظْلُومِ . وَالْمِنْشارِ الْمَثْلُومِ (٣) ؟ وَأَيُّ بَيتٍ يَسُرُّكَ أَوَّلُهُ وَيَسُوءُكَ آخِرُهُ (٤) ؟ وَأَيُّ بَيتٍ يَصْفَعُكَ باطِنُهُ، وَيَخْدَعُكَ ظاهِرُهُ (٥) ؟ وَأَيُّ بَيتٍ لا يُخْلَقُ سامِعُهُ . حَتَّى تَذْكَرَ جَوامِعُهُ (٦) ؟ وَأَيُّ بَيتٍ لا يُمْكِنُ لَمْسُهُ (٧) ؟ وَأَيُّ بَيتٍ يَسْهُلُ عَكْسُهُ (٨) ؟ وَأَيُّ بَيتٍ هُوَ أَطْوَلُ مِنْ مِثْلِهِ، وَكَأَنَّهُ لَيسَ مِنْ أَهْلِهِ (٩) ،

---

(١) أي انه جاء في صورة عظيمه من صور الوعيد ولكن شأنه صغير قلما يهتم به (٢) يبرين، ويقال فيه: ابرين، موضع بازاء الاحساء كثير الرمال والمعنى ان البيت فيه ما يمثل لك ذلك ويزيد عنه (٣) المنشار : آلة النجار وهو معروف والمثلوم : المتكسر ، واسنان المظلوم: اى المضروب على فمه ظلما تكون متكسرة متباعدة والبيت يشبه ذلك لكثرة شينا ته التي لكل واحدة منها اسنان ثلاث (٤) اي اذا وصفت بأوله فرحت وان وصفت بآخره ألمت (٥) اي ان سبك الفاظه واختيارها يوهمك ان له معنى جليلا فاذا تكشفت عنه كان له أثر سيء في نفسك (٦) اي ان السامع لا يستطيع ان يفهم معناه الذى اريد منه حتى يأتى المتكلم على آخره (٧) المعنى ان ما اشتمل عليه البيت من الالفاظ التي تدل على معان ليس من الميسور لمسها بل ولا الدنو منها كالبرق والغيم (٨) عكس البيت : جعل صدره عجزاً وعجزه صدرا (٩) الابيات المتفقة في بحر واحد تكون متقاربة متجانسة في هذه الصفة ويكون بينها ارتباط كآصرة القرابة والاهلية ، والمعنى : اى بيت هو اكثر حروفا وكلمات

وَأيُّ بَيتٍ هُوَ مَهِينٌ بِحَرْفٍ . وَرَهِينٌ بِحَذْفٍ (١) ؟ ؟ ؟

قَالَ عيسي بنُ هِشامٍ : فَوَاللهِ ما أَجَلتُ قِدْحاً فِي جوَابِهِ . (٢) وَلا اهْتَدَيتُ لِوَجْهِ صوَابِهِ . إِلَّا : لا أَعْلمُ (٣) . فَقالَ : وَما لا تَعْلَمُ أَكثَرُ (٤) فَقلتُ : ما لَكَ مَعَ هٰذا الفَضْلِ . تَرْضَى بِهٰذا العَيْشِ الرَّذْلِ (٥) ؟ فَأَنْشأَ يَقولُ :

بُؤْساً لِهٰذا الزَّمانِ مِنْ زَمَنٍ ... كُلُّ تَصارِيفِ أَمْرِهِ عَجَبُ (٦)

أَصْبَحَ حَرْباً لِكُلِّ ذِي أَدَبٍ ... كَأَنَّمَا سَاءَ أُمَّهُ الأَدَبُ (٧)

فَأَجَلتُ فِيهِ بَصَرِي . وَكَرَّرْتُ فِي وَجْهِهِ نَظَرِي (٨) . فَإِذا هُوَ أَبُو الفَتْحِ

من بيت آخر مثله في البحر بحيث لو قرأهما واحد لم يعتقد انهما من بحر واحد ولم يثق بأن بينهما ذلك الارتباط (١) مهين: أي بما اشتمل عليه من الهجاء ورهين بحذف : أى أنه متى حذف منه شيء انقلب معناه

(٢) أجلت : حركت ، والمعنى : أن كلامه وقع عندي موقع الغرابة فلم أستطع أن أضرب في تفهمه بسهم (٣) المعني: أنى لم أعرف من وجوه الصواب شيئا أجيبه به ألا قولى فى كل مسألة: لا أعلم (٤) المعنى أنك تصورت فى هذا أنك لا تعرفه ولكن الذي لا يمكنك أن تتصور عنه شيئا بالسلب أو الايجاب أكثر (٥) الرذل : المرذول، والمعنى:أن علو كعبك وارتفاع شأوك لا يليق بهما ظاهر حالك (٦) بؤسا : قبحا ومذمة ، تصاريف أمره : تدبيراته في شؤونه وأحواله ، والمعنى : أن كل ما يفعله هذا الزمن القبيح عجيب جدا وموضع للغرابة والاستنكار (٧) المعنى : أن هذا الدهر لا يعاكس ألا أهل الفضل وذوي الآداب كأن له ثأرا عندهم (٨) أى أنني أدمنت النظر أليه

ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ . فَقُلْتُ : حَيَّاكَ ٱللّٰهُ وَأَنْعَشَ صَرْعَكَ [١] إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَمُنَّ عَلَيَّ بِتَفْسِيرِ مَا أَنْزَلْتَ . وَتَفْصِيلِ مَا أَجْمَلْتَ . فَعَلْتَ . فَقَالَ : تَفْسِيرُهُ : أَمَّا ٱلْبَيْتُ ٱلَّذِي لَا يُمْكِنُ حَلُّهُ فَكَثِيرٌ وَمِثَالُهُ قَوْلُ ٱلْأَعْشَى [٢]

وظللت أتفرس فى وجهه لأعرف من هو (١) أنعش صرعك : أقامك من سقطتك وهى لغة رديئة أن صح ورودها وقد أسلفنا ذلك

(٢) هو : أبو بصير ميمون الاعشى بن قيس بن جندل رابع فحول الجاهلية ، وأمدحهم للملوك ، وأوصفهم للخمر ، وأغزرهم شعرا ، وأكثرهم عروضا وافتنانا وطوالا جيادا ، وينتهى نسبه ألى بكر بن وائل، وكان من أهل اليمامة يسكن قرية منها تسمى منفوحة ونشأ فى بدء أمره راوية لخاله المسيب بن علس أحد الشعراء المقلين المجيدين وكان الاعشى يطرى شعره ويأخذه منه حتى اذا جاد شعره ونبه شأنه قصد الملوك والاجواد وطوف أليهم الآفاق وأقاصى البلدان مادحا لهم مستجديا عطاياهم وهو أول من مدح فى شعره بالسؤال وطلب الحاجة وكان ينتاب بالمدح بنى عبد المدان ملوك نجران وأساقفتها يقيم عندهم ما يشاء يشرب الخمر ويسمع الغناء ويأخذ عنهم بعض آرائهم فى العقائد فجاد لذلك وصفه للخمر وظهر بعض معتقدهم فى شعره كما كان ينتاب ملوك الحيرة وخاصة الاسود أخا النعمان بن المنذر وما زال هذا شأنه حتى طمع في جوائز كسرى فرحل أليه يمدحه بالشعر العربى فأجزل عطاءه وان لم يرق عنده شعره لسوء ترجمته له

وعمي الاعشى ، وطال عمره حتى كان الاسلام وعظم أمر النبى صلى الله عليه وسلم بين العرب فأعد له قصيدة يمدحه بها أولها

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا ... وبت كما بات السليم مسهدا

دَرَاهِمُنَا كُلُّهَا جَيِّدٌ   فَلَا تَحْبِسَنَّا بِتَنْقَادِهَا

وَأَمَّا الْمَدْحُ الَّذِي لَمْ يُعْرَفْ أَهْلُهُ فَكَثِيرٌ وَمِثَالُهُ قَوْلُ الْهُذَلِيِّ (١) :

وَلَمْ أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ   عَلَى أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضِ

وَأَمَّا الْبَيْتُ الَّذِي سَمُجَ وَضْعُهُ . وَحَسُنَ قَطْعُهُ . فَقَوْلُ أَبِي نُوَاسٍ (٢) :

ومنها : فأقسمت لا أرثى لها من كلالة   ولا من وجي حتى تلاقى محمدا

متى ما تناخى عند باب ابن هاشم   تراحى وتلقى من فواضله ندي

نبي يري ما لا يرون وذكره   أعار لعمري في البلاد وأنجدا

وقصده بالحجاز فلقيه كفار قريش وصدوه عن وجهه على أن يأخذ منهم مائة ناقة ويرجع ألى بلده لتخوفهم أثر شعره ففعل ولما قرب من اليمامة سقط عن ناقته فدقت عنقه ومات ودفن ببلدته منفوحة باليمامة

ومعنى البيت المذكور : لا تضيع علينا الوقت لتفرز نقودنا وتتبين زيفها من جيدها فأنها لا تشتمل زيوفا ، وأما كونه غير قابل للحل فمعناه أنه جاء كما يجيء النثر ليس فيه تقديم ولا تأخير فلا يمكن أن يصاغ في صورة غير هذه ثم لو أنك قلت : دراهمنا جيد كلها ، لم يختل الوزن

(١) شعراء هذيل كثيرون منهم أبو بكر الشاعر الاسلامي الصحابي وأبو صخر مادح عبد الملك بن مروان وهو أحد شعراء الدولة الاموية وأبو خراش الذي ينسب له هذا البيت وسببه أن رجلا قد ألقى رداءه على أخيه ليحميه من أعدائه ويجيره من خصومه وقبله :

حمدت إلهي بعد عروة إذ نجا   خراش وبعض الشر أهون من بعض

فوالله ما أنسي قتيلا رزئته   بجانب قوسى ما مشيت على الارض

ونسبه الاستاذ الامام للاعشي (٢) هو أبو الحسن على بن هاني الشاعر المتفنن

فبِتْنا يَرانا اللهُ شَرَّ عِصابَةٍ ... تُجَرِّرُ أذيالَ الفُسُوقِ ولا فَخْرُ

الماجن، الجاد، صاحب الصيت الطائر، والشعر السائر، ورأس المحدثين بعد بشار وهو فارسي الاصل ولد بقرية من كورة خوزستان (شرقي البصره) سنة ١٤١ ونشأ يتيما فقدمت به أمه البصرة بعد سنتين من مولده فتعلم العربية ورغب فى الادب فلم تعبأ أمه بحاله وأسلمته ألى عطار بالبصرة فمكث عنده لا يفتر عن معاناة الشعر والاختلاف ألى الادباء والمجان ألى أن صادفه عند العطار والبة بن الحباب الشاعر الماجن الكوفى فى أحدى قدماته ألى البصرة فأعجب كل منهما بالآخر فأخرجه والبة معه ألي الكوفة فبقى معه ومع ندمائه من خلعاء الكوفة وتخرج عليهم فى الشعر وفاقهم جميعا وقدم بغداد وقد أربت سنه على الثلاثين فاتصل ببعض الامراء وبلغ خبره الرشيد فأذن له فى مدحه فمدحه بقصائد طنانة وكان يقصد بعض عمال الولايات ويمدحهم ومنهم الخصيب عامل مصر ثم انقطع ألى محمد الامين وثبت عنده بعض ما يوجب تعزيره فسجنه ولم يلبث بعد أن خرج من السجن أن مات سنة ١٩٩

وكان أبو نواس جميل الصورة ، فكه المحضر، كثير الدعابة ، حاضر البديهة متينا فى اللغة والشعر والادب متعصبا لليمانية على المضرية وأكثر علماء الشعر ونقدته على أن أبا نواس أشعر المحدثين بعد بشار وأكثرهم تفننا ، وأرصنهم قولا ، وأبدعهم خيالا ، مع دقة لفظ ، وبديع معنى ومن جيد شعره :

تقول غداة البين أحدي نسائهم ... لى الكبد الحرى فسر ولك الصبر

وقد خضبتها عبرة فدمعها ... على خدها خد وفى نحرها نحر

وقالت : ألى العباس؟ قلت : فمن اذاً؟ ... ومالي عن العباس معدي ولا مقصر

فهل يكفلن ألا براحته الندي ... وهل يزهون ألا بأوصافه الشكر؟؟

والبيت المذكور في المقامة مقطوع عما قبله لانه قد ذكر قبل ذلك أنواع اللذائذ التى

وأمَّا البيتُ الَّذي لا يَرْقأُ دَمْعُهُ فقولُ ذي الرُّمَّةِ [١]:

ما بالُ عَيْنِكَ مِنْها الماءُ يَنْسَكِبُ كأنَّهُ مِنْ كُلًى مَفْرِيَّةٍ سَرَبُ [٢]

فإنَّ جَوامِعَهُ: إمَّا ماءٌ، أوْ عينٌ، أوِ انْسِكابٌ، أوْ بَوْلٌ، أوْ نَشيئَةٌ، أوْ أسْفَلُ مَزادَةٍ، أوْ شِقٌّ، أوْ سَيَلانٌ. وَأمَّا البَيتُ الَّذي يَثقُلُ وَقْعُهُ فمِثْلُ قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ [٣]:

اغتنموها فى ليلتهم، وقد أحسن فى هذا القطع (١) ذو الرمة: هو غيلان صاحب مي (تقدمت ترجمته) ولا يرقأ دمعه أي لا يجف لكثرته وقد بين البديع معنى هذا فى المقامة

(٢) الكلية، والكلوة - بضم أولها - ولا تقل كلوة بالكسر - : أحدي لحمتين منتبرتين حمراوين لازقتين بعظم الصلب عند الخاصرتين فى كظرين من الشحم والجمع كليات وكلى، ومفرية: أى مقطوعة، وسرب: سائل من قولهم: سربت المزادة فهى سربة - وبابه فرح - : أي سالت واذا تقطعت الكلى سال بول المرء من دون أن يقدر على حبسه. وما أسمج هذا التشبيه وأبرده !!!

(٣) هو ابو الحسن على بن العباس بن جريج الرومى مولي بنى العباس الشاعر، المكثر، المطبوع صاحب النظم العجيب، والتوليد الغريب، والمعاني المخترعة والاهاجى المقذعة، ولد ببغداد سنة ٢٢١ ونشأ بها وأقام كل حياته وكان كثير التطير جدا وله فيه أخبار عريبة حتى كان أصحابه أذا أرادوا أن يعبثوا به أرسلوا اليه من يتطير من أسمه فلا يخرج من بيته ويمتنع من التصرف سائر يومه وكان القاسم بن عبيد الله وزير المعتز يخاف هجوه ويخشى فلتات لسانه ويقال: أنه دس عليه من أطعمه خشكنانه (ترادف مايسمي الآن «بسكويتا»)

وَقَالَ لِنَفْسي: أَيُّها النَّفْسُ أَمْهِلِي   اذا مَنَّ لَمْ يَمْنُنْ بِمَنٍّ يَمُنُّهُ

وَأَمَّا البَيتُ الَّذى تَشجُّ عَرُوضُهُ وَيَأْسُو ضَرْبُهُ فَمِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

مسمومة فأكلها ثم أتى منزله وأقام به أياما ومات سنة ٢٨٣ ببغداد ، وقيل: بل مرض ووصف له الطبيب دواء فيه سم فغلط فى مقداره وأكثر منه فمات ، وقال ابن الرومي الشعر فى كل غرض ولا سيما الوصف والهجاء ونبغ في الشعر نبوغا لم يقصر به كثيرا عن درجة البحترى ، وربما فاقه في اختراع المعاني النادرة وتوليدها من معاني من سبقه بشكل جديد ووضعها في قالب أحسن وكان اذا اخترع المعنى أو ولده من كلام غيره لا يزال يستقصي فيه وينظمه بوجوه مختلفة حتى لايدع فيه بقية، وهو ممن جمع صقال اللفظ، واجادة المعنى، ويكفيه فضلا أن يكون المتنبي أحد رواة ديوانه والآخذين عنه . ومن معانيه البديعة قوله :

واذا امرؤ مدح امرأ لنواله   وأطال فيه فقد أطال هجاءه

لولم يقدر فيه بعد المستقى   عند الورود لما أطال رشاءه

وقوله وقد غاب عن بغداد فى بعض أسفاره :

بلد صحبت به الشبيبة والصبا   ولبست ثوب اللهو وهو جديد

فاذا تمثل فى الضمير رأيته   وعليه أغصان الشباب تميد

وقوله وهو يجود بنفسه :

غلط الطبيب على غلطة مورد   عجزت موارده عن الاصدار

والناس يلحون الطبيب وانما   غلط الطبيب أصابة الاقدار

ومعنى البيت الذى بالمقامة : أن الممدوح أن أحسن لا يطلب شكر أحسانه ولم يرج من ورائه خيرا لنفسه فهو يمن بطبعه ، ومعنى أنه ثقيل الوقع : انك تجد فى عبارته نبوا وجفاء لتكرار المن اربع مرات

دَلَفْتُ لَهُ بِأَبْيَضَ مَشْرَفِيٍّ كَمَا يَدْنُو الْمُصَافِحُ لِلسَّلَامِ [1]

وَأَمَّا الْبَيْتُ الَّذِي يَعْظُمُ وَعِيدُهُ وَيَصْغُرُ خَطْبُهُ فَمِثَالُهُ قَوْلُ عَمْرو ابْنِ كُلْثُوم [2] :

---

(١) عروض هذا البيت (مشرف) وهو السيف ومن خصاله أنه يكسر ويميت (وضربه السلام) وهو الامن ومن خصائصه تطبيب الآلام ، ودلفت : سرت

(٢) هو ابو الاسود عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبي سيد تغلب وفارسها واحد فتاك العرب وشعرائها المشتهرين بقصيدة واحدة والمجيدين للفخر ، وأمه ليلى بنت مهلهل أخي كليب ، نشأ عمرو فى قبيلة تغلب بالجزيرة الفراتيه شجاعا ، همماما ، خطيبا ، جامعا لخصال الشرف ، وساد قومه وهو ابن خمس عشرة سنة ، وقاد الجيوش مظفرا فى كثير من أيامهم ، وأكثر ماكانت فتن تغلب وحربها مع أختها بكر بن وائل بسبب الحرب المشؤومة المشهورة بحرب البسوس وكان آخر صلح لهم فيها على يد عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة من آل المنذر ولم تمض مدة يسيرة حتى حدث بين وجوه القبيلتين ملاحاة ومشادة ومشاحة في مجلس عمرو بن هند قام أثناءها شاعر بكر الحارث بن حلزة اليشكري وأنشد قصيدته المشهورة وما فرغ منها حتى ظهر لعمرو بن كلثوم ان هوى الملك مع بكر فانصرف بن كلثوم وفي نفسه مافيها . ثم خطر في نفس ابن هند أن يكسر من أنفة تغلب باذلال سيدها وهو عمرو بن كلثوم فدعاه وأمه ليلى بنت مهلهل وأغرى هندا أمه أن تستخدمها فى قضاء أمر فصاحت ليلى : واذلاه ، فثار به الغضب وقتل ابن هند في مجلسه ثم رحل توا الى بلاد الجزيرة وأنشد معلقته التى أولها

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الاندرينا

كَأَنَّ سُيُوفَنا مِنَّا وَمِنْهُمْ   مَخارِيقٌ بِأَيْدِي لاعِبِينا

وَأَمَّا البَيْتُ الَّذِي هُوَ أَكْثَرُ رَمْلاً مِنْ يَبْرِينَ فَمِثْلُ قَوْلِ ذِي الرُّمَّةِ (١) :

مُعْرَوْرِيًا رَمَضَ الرَّضْراضِ يَرْكُضُهُ   وَالشَّمْسُ حَيْرَى لَها فِي الجَوِّ تَدْوِيمُ

وَأَمَّا البَيْتُ الَّذِي هُوَ كَأَسْنانِ المَظْلُومِ. وَالمِنْشارِ المَثْلُومِ فَكَقَوْلِ الأَعْشَى (١) :

وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الحانُوتِ يَتْبَعُنِي

شاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ (٢)

وَأَمَّا البَيْتُ الَّذِي يَسُرُّكَ أَوَّلُهُ وَيَسُوؤُكَ آخِرُهُ فَكَقَوْلِ امْرِئِ القَيْسِ :

ومن سامي فخره قوله وهو يتوعد عمرو بن أبي حجر الغساني :

ألا فاعلم ـ أبيت اللعن ـ أنا   على عمد سنأتي مانريد
تعلم أن محملنا ثقيل   وأن ذياد كبتنا شديد
وأنا ليس حي من معد   يوازننا أذا لبس الحديد

والمخاريق : الخرق المفتولة التي يلعب بها الصبيان وليس أهون خطبا منها ولاتجد أخف ضرر فيها ومن هذا كان هذا البيت صغير الشأن وأن كان سياقه في أمر عظيم وهو تشبيه حالهم وأقدامهم على العدو رافعي السيوف

(١) ذو الرمة تقدم . وليس في البيت مايفيد كثرة الرمل كما ذكر اللهم ألا أذا أراد كثرة الراءات في البيت ولكنه بعيد جد البعد

(٢) تقدمت ترجمة الأعشى، والبيت من معلقته التي يقول في أولها :

ودع هريرة أن الركب مرتحل   وهل تطيق وداعا أيها الرجل ؟

والحانوت : دكان الخمار يذكر ويؤنث والشاوي الذي يشوى اللحم والمشل بكسر

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبِلٍ مُدْبِرٍ معاً كجُلمودِ صخرٍ حطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ [(١)]

وأما البيتُ الذي يَصفَعُكَ باطِنُهُ ويَخدَعُكَ ظاهِرُهُ فكقَوْلِ القائِلِ

عاتَبتُها فبَكَتْ وقالتْ يا فتي نجاكَ رَبُّ العَرْشِ مِنْ عتَبي

وأما البَيتُ الذي لا يَخلُقُ سامِعُهُ حتى تُذكر جوابُهُ فكقولِ طَرَفَةَ :

وُقوفاً بِها صَحْبي عليَّ مَطِيَّهُمْ يقُولونَ : لا تَهْلِكْ أَسًى وتَجَلَّدِ [(٢)]

فإنَّ السَّامِعَ يَظُنُّ أنَّكَ تُنشِدُ قَولَ امرِىءِ القَيْسِ . وأمَّا البيتُ الذي لا يُمكِنُ لمسُهُ فكقَولِ الخُبزُرزِّيِّ :

الميم وفتح الشين : المستحث والجيد السوق ، وقيل الذي يشل اللحم في السفود ، والشلول بفتح الشين مثل المشل ويروي : نشول بفتح النون وهو الذي يأخذ اللحم من القدر ، ويرى شلشل بصيغة المصغر ، والشاشل بضم الشينين كقنفذ : الخفيف اليد في العمل والمتحرك والشول بفتح فكسر هو الذي يحمل الشيء وقيل هو المعني بحاجته ويروي شمل وهو الطيب النفس والرائحة (١) مكر مفر بكسر ميمهما على وزان مفعل الموضوع للمبالغة ومعنى مقبل مدبر معا أنه سلس العنان شديد العدو وقد شبهه في عدوه بالحجر لأنه يطلب الانحطاط بطبعه من غير واسطة فكيف أذا أعانته قوة دفاع السيل من مرتفع عال

(٢) البيت في معلقة امريء القيس وقافيته : (وتجمل) وهي اكثر دورانا على الألسنة وشهرة من معلقة طرفة فقبل أن يذكر القاريء القافية لايدرى السامع أنه ينشد لطرفة

تَقَشَّعَ غَيمُ الهجرِ عَنْ قَمرِ الحُبِّ
وَأَشرَقَ نُورُ الصُّلحِ مِنْ ظُلمَةِ العَتْبِ (١)

وَكَقَولِ أبي نُوَاسٍ :

نَسِيمُ عَبِيرٍ في غِلالَةِ ماءِ وَتِمثَالُ نُورٍ في أدِيمِ هَوَاءِ (٢)

---

(١) لم نقف على ترجمة حقيقية تثبت هذا البيت لشاعر ولكن الذي عثرنا عليه ترجمة لرجل اسمه (نصر بن احمد الخبزارزي) قال عنه أبو منصور الثعالبي : وقد بلغني من غير جهة انه كان أمياً لا يتهجى وكانت حرفته خبز خبز الارز فى دكانه بمربد البصرة فكان يخبز وينشد أشعاره المقصورة على الغزل والناس يزدحمون عليه ويتطرفون باستماع شعره ويتعجبون من حاله وأمره واحداث البصرة يتنافسون فى ميله اليهم وذكره لهم ويحفظون كلامه لقرب مأخذه وسهولته ، وكان ابن لنكك على ارتفاع مقداره ينتاب دكانه ويسمع شعره اه. ونحن نكاد نجزم بأن البيت لهذا الشويعر لأنا نجد كلامه الذي عثرنا عليه كله على هذا النمط فمن ذلك قوله :

قالوا: عشقت صغيرا ؟ قلت : أرتع فى روض المحاسن حتى يدرك الثمر
ربيع حسن دعاني لافتتاح هوى لما تفتح منه النور والزهر

وقوله: ورد الخدود ورمان النهود وأغ صان القدود تصيد السادة الصيدا
شرطي اذا ما رأيت الخصر مختصرا والردف مرتدفا والقد ممدودا

وألفاظ البيت المذكور فى المقامة تدل على أشياء لا يمكن لمسها ولا الدنو منها في أصل معناها فالقمر والنور والظلمة معان لا أجسام لها وما له جسم منها وهو القمر بعيد المنال ولما أضيف القمر للحب والغيم للهجر والنور للصلح والظلمة للعتب أضحى كل شيء سوى تخيله ذهنا بعيدا جداً (٢) العبير :

وَأَمَّا ٱلبَيتُ ٱلَّذِي يَسْهُلُ عَكْسُهُ فَكَقَوْلِ حَسَّانٍ [١] :

الرائحة الطيبة المستحسنة، والغلالة: الثوب، والاديم: الجلد، ومن ذا لذى يستطيع أن يلمس نسيم الريح الطيب أو ثوب الماء أو صورة النور أو جلد الهواء؟ بعيد غاية البعد أن يوجد القدير على هذا (١) هو أبو الوليد حسان بن ثابت الانصاري شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشعر أهل المدر وفحل شعراء المخضرمين وهو من بنى النجار من أهل المدينة نشأ فى الجاهلية ونبه شأنه فيها اذ أدرك الكثير من فحولها فلم يقصر عن اللحاق بهم بل بذ الكثير منهم وكان يمدح الملوك والمناذرة والغساسنة فى الجاهلية ويرحل اليهم فينال منهم جزيل العطايا واكثر من كان يمدحهم ويكثر انتجاعهم آل جفنة من ملوك غسان لما بين أهل يثرب والغساسنة من صلة النسب وقرب الجوار فكان له من جوائزهم مدد لا ينقطع حتى ناله منهم شيء بعد أن أسلم وتنصروا . ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم الانصار — أسلم معهم ودافع عنه بلسانه كما دافع قومه الانصار بسيوفهم ، فكان لقوله من النكاية فى قريش وأعداء النبي أحسن بلاء واحمد أثر . وكان شاعر اهل المدر في الجاهلية وشاعر اليمانية في الاسلام ولم يكن في اصحاب رسول الله ولا فى اعدائه حين دعوته الى الله اشعر منه وكان رسول الله ينصب له منبرا بالمسجد ويسمع هجاءه فى اعدائه ويقول : (اجب عنى ، اللهم ايده بروح القدس)

ومن شعره فى الجاهلية :

ولقد تقلدنا العشيرة امرها ... ونسود يوم النائبات ونعتلي
ويسود سيدنا جحاجح سادة ... ويصيب قائلنا سواء المفصل
ونحاول الامر المهم خطابة ... فيهم ونفصل كل امر معضل
وتزور ابواب الملوك ركابنا ... ومتى نحكم في البرية نعدل

بِيضُ الوُجُوهِ كَرِيمَةٌ أحْسابُهُمْ   شُمُّ الأُنُوفِ مِنَ الطِّرَازِ الأوَّلِ

ومن شعره في الاسلام يفاخر وفد تميم بقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ان الذوائب من فهر واخوتهم   قد بينوا سنناً للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته   تقوى الاله وبالامر الذي شرعوا
قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم   أو حاولوا النفع في اشياعهم نفعوا
سجية تلك فيهم غير محدثة   ان الخلائق ــ فاعلم ــ شرها البدع
ان كان في الناس سباقون بعدهم   فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
أعفة ذكرت في الوحي عفتهم   لا يطمعون ولا يزري بهم طمع
لا يفخرون اذا نالوا عدوهم   وان أصيبوا فلا خوف ولا جزع

ومما سار من شعره مسير الامثال قوله :

وان امرأ يمسى ويصبح سالما   من الناس ــ الاماجنى ــ لسعيد

وقوله :

رب حلم أضاعه عدم الما   ل وجهل غطى عليه النعيم

وقوله :

فلو كان مجد يخلد الدهر واحدا   من الناس أبقى مجده الدهر مطعما

ومات رضي الله تعالى عنه في خلافة معاوية سنة ٥٤ ه وقد عمر قريبا من ١٢٠ سنة

والشم : جمع اشم ، وهو المتصف بالشمم الذى هو عزة النفس وكرامتها وأصله ارتفاع قصبة الانف : وسهولة عكس هذا البيت تقديم شطره الثانى على الاول من غير اختلال فى المعنى وعكسه بعضهم هكذا :

سود الوجوه لئيمة احسابهم   فطس الانوف من الطراز الآخر

وَأما الْبَيتُ الذِى هُوَ أطوَلُ مِنْ مِثْلِهِ فَكَحَمَاقَةِ الْمُتَنَبِي [١] :

عِشِ ابْقَ اسْمُ سُدْ جُدْ قُدْ مُرِ انْهَ اسْرِفْهْ تُسَلْ

غِظِ ارْمِ صِبِ احْمِ اغْزُ اسْبِ رُعْ زَعْ دِلِ اثْنِ نَلْ

وَأما الْبَيْتُ الذِى هُوَ مُهِينٌ بِحَرْفٍ . وَرهِينٌ بِحَذْف . فَكَقَوْلِ أبى نُواس :

---

(١) هو أبو الطيب احمد بن الحسين الجعفى الكندي الكوفي المتنى الشاعر الحكيم صاحب الامثال السائرة والمعانى النادرة وخاتم ثلاثة الشعراء وآخر من بلغ شعره غاية الارتقاء وهو من سلالة عربية من قبيلة جعف بن سعد العشيرة أحد قبائل اليمانية

ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ فى محلة كندة ، ونسب اليها ــ وليس بكندى ــ ونشأ بها وأولع بتعلم العربية من صباه وكان نادرة فى الحفظ لا يسأل عن شيء الا استشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر ، وكان أبوه ــ فيما يقال ــ سقاء نخرج به الى الشام ورأى أبو الطيب ان استتمام علمه باللغة والشعر لا يكون الا بالمعيشة فى البادية نخرج الى بادية بني كلب وهو بعد فتى لا يزيد عمره على عشرين سنة فأقام بينهم مدة ينشدهم من شعره ويأخذ عنهم اللغة اذ كانت لا تزال صحيحة بالبادية حتى أحاط بغريبها وحوشيها فعظم شأنه بينهم . وكانت الاعراب الضاربون بمشارف الشام شديدي الشغب على ولاتها فوشى بعضهم الى لؤلؤ أمير حمص من قبل الاخشيدية بأن أبا الطيب ادعى النبوة في بنى كلب وتبعه منهم خلق كثير ويخشى على ملك الشام منه نخرج لؤلؤ الى بنى كلب وحاربهم وقبض على المتنبي وسجنه طويلا ثم استتابه وأطلقه نخرج من السجن وقد لصق به اسم « المتنبى » مع كراهته له

لَقَدْ ضَاعَ شِعْرِى عَلَى بَابِكُمْ ... كَمَا ضَاعَ دُرٌّ عَلَى خَالِصَهْ

وَكَقَوْلِ الْآخَرِ :

إِنَّ كَلَامًا تَرَاهُ مَدْحًا ... كَانَ كَلَامًا عَلَيْهِ ضَاءَ

يَعْنِي أَنَّهُ إِذَا أَنْشَدَ « ضَاعَا » كَانَ هِجَاءً . وَإِذَا أَنْشَدَ « ضَاءَ » كَانَ

فأما منزلته في الشعر فقد شهد له أبو العلاء المعري ــ وهو من تعرف بعد غوره وفرط ذكائه وتوقد خاطره وشدة تعمقه فى المعانى والتصورات الفلسفية ــ بالسبق ، وقدمه على نفسه وغيره ، وهو الذي يقول عنه ابن رشيق: ثم جاء المتنبى فملأ الدنيا وشغل الناس

ومن شعره :

اذا رأيت نيوب الليث بارزة ... فلا تظنن أن الليث يبتسم
أعيذها نظرات منك صادقة ... أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وما انتفاع أخي الدنيا بناظره ... اذا استوت عنده الانوار والظلم
يا من يعز علينا أن نفارقهم ... وجداننا كل شيء بعدكم عدم
ان كان سركم ما قال حاسدنا ... فما لجرح اذا أرضاكم ألم
وبيننا ــ لو رعيتم ذاك ــ معرفة ... ان المعارف في أهل النهي ذمم
اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ... ألا تفارقهم فالراحلون هم

وعش من العيشة، واق من البقاء، واسم من السمو، وسد من السيادة، وجد من الجود ، وقد من قيادة الجيوش ، ومر من الامر ، وانه من النهي ، وره من الرؤيا ، وفه من فاه أي تكلم، وتسل أي يسألك الناس عما اغلق عليهم، وغظ من الغيظ ، وارم من الرماية، وصب من الاصابة ، واحم من الحماية اي الوقاية واغز من الغزو ، واسب من السبي، ورع من الروع وهو الخوف، زع من الوزع

مَدْحاً (١) . قالَ عِيسى بنُ هِشامٍ : فتَعَجَّبْتُ وَاللهِ مِن مَقالهِ . وَأَعْطَيْتُهُ ما يَسْتَعِينُ بهِ على تَغْيِيرِ حالهِ . وَافْتَرَقْنا

المَقامَةُ الحَمْدانِيَّةُ

حَدَّثَنا عِيسى بنُ هِشامٍ قالَ : حَضَرْنا مَجْلِسَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بنِ حَمْدانَ يَوْماً (٢)

وهو الكف ، ود فعل بقى على حرف واحد أصل أخذه من وداه أى أعطى ديته أو أخذها ول فعل كذلك من الولاية وابن من البناء والمراد به بناء المجد والمكرمات ويروى اثن من الثناء ونل من النوال (١) الكلام ظاهر

(٢) هو أبو الحسن على أشهر أمراء الدولة الحمدانية من قبيلة تغلب . وكان سيف الدوله يملك حلب والعواصم ثم أخذ دمشق من الاخشيدية ومات سنة ٣٥٧ وكان أخوه الحسن ناصر الدولة يملك الموصل والجزيرة وخلف سيف الدولة ابنه سعد الدولة وخلف ناصر الدوله ابنه ابو تغلب ثم أخوه الغضنفر وسيف الدولة ممدوح أبي الطيب وله فيه المديح الذي خلد اسمه أبد الدهر ومنه .

لكل امرىء من دهره ماتعودا وعادات سيف الدولة الطعن فى العدا

قال عنه صاحب اليتيمة : كان غرة الزمان، وعماد الاسلام، ومن به سداد الثغور وسداد الامور ، وكانت وقائعه فى عصاة العرب يكف بأسها ، وتفل أنيابها وتذل صعابها ، وتكف الرعية سوء آدابها . وحضرته مقصد الوفود ، ومطلع الجود، وقبلة الآمال، ومحط الرحال، وموسم الادباء، وحلية الشعراء، ويقال أنه

لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر اه . وكان مع ذلك أديبا نقادة شديد المعارضة سريع البديهة .
ومن شعره فى وصف قوس قزح :

وساق صبيح للصبوح دعوته ... فقام وفى أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم ... فمن بين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت أيدى الجنوب مطارفا ... على الجود كنا والحواشي على الارض
يطرزها قوس السحاب بأصفر ... على أحمر فى أخضر تحت مبيض
كأذيال خود أقبلت في غلائل ... مصبغة والبعض أقصر من بعض

وأنشده أبو الطيب المتنبي قصيدته التي مطلعها :

على قدر أهل العزم تأتى العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم

فلما وصل قوله :

وقفت وما فى الموت شك لواقف ... كأنك فى جفن الردي وهو نائم
تمر بك الابطال كلمي هزيمة ... ووجهك وضاح وثغرك باسم

قال : قد انتقدنا عليك هذين البيتين كما انتقد على امرىء القيس قوله :

كأنى لم أركب جوادا للذة ... ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل ... لخيلي كرى كرة بعد أجفال

وبيتاك لا يلتئم شطراهما كما ليس يلتئم شطرا هذين البيتين
كان ينبغى لامرىء القيس أن يقول :

كأني لم أركب جوادا ولم أقل ... لخيلى كرى كرة بعد أجفال
ولم أسبأ الزق الروى للذة ... ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

(ليكون قد جمع ما يناسب الركوب مع لذته ، ويضم لذة الشرب ألى لذة

الجَمَاعَةُ (٢) . وَقالَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ : أَيُّكُمْ أَحْسَنَ صِفَتَهُ . جَعَلْتُهُ صِلَتَهُ (٣) . فَكُلٌّ جَهَدَ جَهْدَهُ . وَبَذَلَ ما عِنْدَهُ (٤) . فَقَالَ أَحَدُ خَدَمِهِ : أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ رَأَيْتُ بِالأَمْسِ رَجُلاً يَطَأُ الفَصَاحَةَ

النساء وهما أقرب الاشياء تناسبا) ولك أن تقول :

وقفت وما فى الموت شك لواقف ووجهك وضاح وثغرك باسم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة كأنك فى جفن الردي وهو نائم

فقال . أبو الطيب أيد الله مولانا أن صح أن الذي استدرك على امرىء القيس هذا كان أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا . ومولانا يعلم أن الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك لان البزاز لا يعرف جملته والحائك يعرف جملته وتفاريقه لانه هو الذى أخرجه من الغزلية الى الثوبية وأنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد وقرن السماحة فى شراء الخمر للاضياف بالشجاعة فى منازلة الاعداء . وأنا لما ذكرت الموت أتبعته بذكر الردى وهو الموت ليجانسه ولما كان وجه الجريح المنهزم لايخلو من أن يكون عبوسا وعينه من أن تكون باكية قلت : ووجهك وضاح وثغرك باسم ، لاجمع بين الاضداد فى المعنى وأن لم يتسع اللفظ لجمعها

فانظر الى دقة الملاحظة مع سرعة البديهة وقوة العارضة (٢) لحظته الجماعة : نظروا أليه وتأملوا فيه

(٣) الصلة فى الاصل : العطية وأراد منها هنا الجزاء والمكافأة

(٤) جهد جهده : أي اجتهد بكل ما فيه من قوة وأفرغ قصاري جهده فى أن ينعته ليكون له

بِنَعْلَيْهِ (١) . وَتَقِفُ الْأَبْصَارُ عَلَيْهِ (٢) . يَسْأَلُ النَّاسَ . وَيَسْقِي الْيَاسَ (٣) . وَلَوْ أَمَرَ الْأَمِيرُ بِإِحْضَارِهِ . لَفَضَلَهُمْ بِحَضَارِهِ (٤) فَقَالَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ : عَلَيَّ بِهِ فِي هَيْئَتِهِ فَطَارَ الْخَدَمُ فِي طَلَبِهِ . ثُمَّ جَاءُوا لِلْوَقْتِ بِهِ . وَلَمْ يُعْلِمُوهُ لِأَيَّةِ حَالٍ دُعِيَ (٥) ثُمَّ قُرِّبَ وَاسْتُدْنِيَ وَهُوَ فِي طِمْرَيْنِ قَدْ أَكَلَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمَا وَشَرِبَ (٦) . وَحِينَ حَضَرَ السِّمَاطَ . لَثَمَ الْبِسَاطَ (٧) . وَوَقَفَ فَقَالَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ : بَلَغَتْنَا عَنْكَ عَارِضَةٌ فَأَعْرِضْهَا فِي هٰذَا الْفَرَسِ وَوَصْفِهِ (٨) . فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ

---

(١) أي أنه قد أصبح ملك الفصاحة وفارسها (٢) أي لا تتحول عنه ولا تبصر إلي سواه لانها أضحت أسيرة لديه عاشاقها منه (٣) يسأل الناس : يطلب منهم العطاء . ويسقي : يذم ويعيب واليأس أي الحال التي لزمته (٤) الحضار بكسر أوله : قوة البيان وجودة القريحة من قولهم : ناقة حضار أذا جمعت قوة وجودة سير أو هو من قولهم : رجل حضر بفتح فضم أذا كان ذا بيان وفهم (٥) أي أنهم لم يبطئوا فى استدعائه ولم يخبروه بما كان في المجلس وذلك كتمهيد لنعته بالفصاحة والبيان الكاملين (٦) طمرين : ثوبين حلقين وأكل الدهر عليهما وشرب من قول بعضهم :

سألتني عن أناس هلكوا شرب الدهر عليهم وأكل

(٧) حضر فعل يتعدي ويكون لازما تقول : حضره وتحضره وأحضر الشيء وأحضره أياه والسماط جماعة الحاضرين مع الامير ولثم البساط قبله أجلالا لشأنه

(٨) العارضة : البديهة ، وقيل هي الصرامة وهي المضاء فى الامور يقال

الاميرَ كيفَ بِهِ قبلَ رُكُوبِهِ وَوثوبِهِ . وَكَشفِ عيُوبِهِ وَغيُوبِه [1] ؟ فقالَ : اركَبهُ . فرَكِبهُ وَأجراهُ ثمَّ قالَ : أصلَحَ اللهُ الأميرَ هوَ طَويلُ الأُذُنَينِ . قَليلُ الإثنَينِ . واسعُ المَراثِ . لَينُ الثَّلاثِ [2]

رجل صارم وصرامة أذا كان ماضيا فى الامور ومنه فلان صريم سحر على هذا الامر أى : متعب حريص عليه . والمعني أنه وصل الينا أن لك بديهة حاضرة وأنك ماض فى البراعة قوي البيان فأذا كان ذلك حقا فانشره علينا في وصف هذا الفرس (١) وثب من مكان ألى مكان وثبا ووثوبا ووثيبا ووثبانا ووثب اليه : طفر ، وفرس وثابة : سريعة ، والغيوب : جمع غيب وهو ما خفي على الانسان فلم يعلم به والمعنى : أنه لا طاقة لى على وصفه ولا سبيل ألى نعته حتى أركبه وأركض به فأعلم سرعته وأتبين ما خفى عنى من صفاته التى لا تظهر بمجرد النظر ليكون وصفي صحيحا صادقا

(٢) المراث ومثله المروث بوزن منبر مبعر الفرس . ولين الثلاث سيأتى في كلامه تفسيره وقد سبق المفضل الضبي الي مثل ذلك ، روى الزجاج قال : قال المفضل الضبى : قال لى أمير المؤمنين المنصور : صف لى الجواد من الخيل فقلت يا أمير المؤمنين اذا كان الفرس طويل ثلاث قصير ثلاث رحب ثلاث صافى ثلاث فذلك الجواد الذي لا يباري قال : فسرها . فقلت : أما الثلاث الطوال فالاذنان والهادى والفخذ . وأما القصار فالظهر والعسيب والساق وأما الرحاب فاللبان والمنخر والجبهة ، والصافية الاديم والعين والحافر . غير أن البديع قد زاد فيها وبسط الوصف بأكثر منه . وقد وصف ابن أقيصر الفرس فقال : اذا استقبلته أقعي ، واذا استدبرته جبا ، واذا اعترضته استوي . وفي هذا المعني يقول أنيف بن جبلة الضبي فارس الشيط :

غَلِيظُ الاكْرُعِ . غامِضُ الأَرْبَعِ (١) . شَدِيدُ النَّفْسِ . لَطِيف الخَسِ (٢) . ضَيِّقُ القَلْتِ . رَقِيقُ السَّتِ (٣) . حَدِيدُ السَّمْعِ . غَلِيظُ السِّنْخ (٤) . دَقِيقُ اللِّسانِ . عَرِيضُ الثَّمانِ (٥) . مَدِيدُ الضِّلْعِ . قَصِيرُ

ولقد شهدت الخيل يحمل شكتى   عتد كسرحان القصيمة منهب
أما اذا استقبلته فكأنه   للعين جذع من أوال مشذب
واذا اعترضت به استوت أقطاره   وكأنه مستدبراً متصوب

والقصيمة : رملة تنبت الغضى ذئبها خبيث ، وأوال ـ بوزن سحاب ـ جزيرة كبيرة بالبحرين بينها وبين القطيف مسيرة يوم فى البحر عندها مغاص اللؤلؤ

(١) الكرع ، محركة ، قوائم الدابة ، والكراع بوزن غراب ويؤنث والجمع أكرع وأكارع مستدق الساق : وغامض الاربع سيأتى معناه فى المقامة

(٢) يروى : النفس بالتحريك ومعناه أنه اذا تنفس كان نفسه طويلا وشديداً . ويروى النفس بفتح فسكون ومعنى شدة النفس شهامتها وقوتها والعرب تتمدح بكرم الخيل وشدتها وطيب أصلها كما تمدح ذلك في الاناسى ولطيف الخس معناه مذكور فى كلامه

(٣) أصل القلت النقرة في الجبل وهو فى الفرس النقرة فى رأس الورك يكون في جوفها الموقف وهو عصبة اذا انفكت عرجت الدابة

(٤) من الاوصاف التى تتمدحها العرب فى الخيل أن يكون فى اذنيها صلابة فاذا استرختا كانت مذمومة ويقولون عن الفرس المسترخي الأذنين أخذي ، فمعنى حديد السمع شديد الاذنين صلبهما (٥) الدقيق ضد الغليظ

التَّسْعِ (١) . وَاسِعُ الشَّجْرِ . بَعِيدُ الْمَشْرِ (٢) . يَأْخُذُ بِالسَّابِحِ . وَيُطْلِقُ بِالرَّامِحِ . يَطْلُعُ بِلَائِحٍ . وَيَضْحَكُ عَنْ قَارِحٍ (٣) . يَخُدُّ وَجْهَ الْجَدِيدِ . بِمَدَاقِّ الْحَدِيدِ (٤) . يُحْضِرُ كَالْبَحْرِ إِذَا مَاجَ . وَالسَّيْلِ إِذَا هَاجَ (٥) . فَقَالَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ : لَكَ الْفَرَسُ مُبَارَكاً فِيهِ . فَقَالَ : لَا زِلْتَ تَأْخُذُ

---

(١) مديد : ممتد مستكمل أضلاعه (٢) الشجر بفتح فسكون مخرج الفم أو مؤخره أو ما انفتح من منطبق الفم أو ملتقى اللهزمتين أو ما بين اللحيين والجمع أشجار وشجور وشجار (٣) يأخذ بالسابح : أى يبتدي سيره بيديه اللتين تشبهان يدي السابح ، ويطلق بالرامح أى أنه يتبعهما رجليه الرامحتين أي السريعتين من رمح اذا ركض ، ويطلع بلائح . أي أنه يلاقيك بوجه لائح أي مشرق ذى غرة . ويضحك عن قارح : أي يظهر لك سنه الذي يدلك على بلغ التسع من عمره

(٤) يخد : يشق ويروي يحز أى يقطع . والجديد الارض ويروي الكديد وهو ما غلظ منها . والمداق جمع مدق بكسر ففتح أو بضمتين . والمعنى أنه يسير سيراً متواصلا وكانه فى سيره يشق وجه الارض بحوافره التى تشبه المداق

(٥) أحضر الفرس أي ارتفع فى عدوه وأسرع والبحر اذا ماج تدافعت أمواجه وتلاحق بعضها ببعض ـ والعرب تشبه الفرس بالماء كثيراً وتضع له أسماء مأخوذة من أسماء بعض المياه وأماكنها فمن ذلك الغمر اذا كان كثير الجري . واصل الغمر الماء الكثير . ومنه اليعبوب اذا كان سريع الجري وأصله الجدول السريع . ومنه الجموم اذا كان كلما ذهب منه احضار جاءه احضار وأصله البئر التى لا ينزح ماؤها ومن ذلك سكب وفيض اذا كان

الانفاسَ . وَتَمْنَحُ الأَفْرَاسَ (١) . ثُمَّ انْصَرَفَ وَتَبِعْتُهُ وَقُلْتُ : لَكَ عَلَيَّ ما يَلِيقُ بِهذا الفَرَسِ من خِلْعَةٍ إنْ فَسَّرْتَ ما وَصَفْتَ . فقَالَ : سَلْ عمَّا أَحْبَبْتَ . فقُلْتُ : ما مَعْنَى قَوْلِكَ بعيدُ المَشْرِ ؟ فقَالَ : بعيدُ النَّظَرِ وَالخَطْوِ (٢) وَأَعالي اللَّحْيَيْنِ (٣) . وَما بَيْنَ الوَقْبين (٤) . وَالجَاعِرَتَيْنِ (٥) . وَما بَيْنَ الغُرابَيْنِ (٦) . وَالمَنْخَرَيْنِ . وَما بَيْنَ الرِّجْلَيْنِ . وَما بَيْنَ المَنْقَبِ والصِّفاقِ (٧) . بعيدُ الغايَةِ في السِّبَاقِ . فقُلْتُ : لا فُضَّ فُوكَ فما مَعْنَى قَوْلِكَ قَصِيرُ التِّسْعِ . قالَ : قَصِيرُ الشَّعْرَةِ (٨) قَصِيرُ الأُطْرَةِ (٩) قَصِيرُ العَسِيبِ (١٠) . قَصِيرُ القَضِيبِ (١١)

خفيف الجري سريعه وأصلهما فيض الماء والسكابه وهكذا (١) أي أدام الله نعمتي الشجاعـة والـكرم لتذهب النفوس وتعطى النفيس (٢) يرى الشيء عن بعـد ويسرع اليه (٣) عظمي الحنـك اللذين يكون عليهما الاسـنان

(٤) الوقب النقـرة أي نقرة فى الجسـد . والوقبان من الفرس نقرتان فوق عينيه

(٥) الجاعرتان حرفا الورك المشرفان على الفخذين (٦) الغرابان هما طرفا الوركين الاسفلان (٧) المنقب موضوع على السرة ينقبه البيطار والصفاق ما بين الجلد والمصران

(٩) اذا كان الفرس قصير شعر الجلد رقيقه فهو أجرد وهو ممدوح

(١٠) الاطـرة : ما أحـاط بالظفر من اللحـم (٣) العسيب عظـم الذنب

(١١) الذكر

قَصِيرُ الْعَضُدَيْنِ (١) . قَصِيرُ الرُّسْغَيْنِ (٢) . قَصِيرُ النَّسَا (٣) قَصِيرُ الظَّهْرِ (٤) قَصِيرُ الوَظِيفِ (٥) . فقلتُ : لِلّهِ أنتَ ! فَمَا مَعْنَي قَوْلِكَ : عَرِيضُ الثَّمانِ ؟ قالَ : عَرِيضُ الْجَبْهَةِ (٦) عَرِيضُ الوَرِكِ (٧) عَرِيضُ الصَّهْوَةِ (٨) عَرِيضُ الكَتِفِ (٩) عَرِيضُ الْجَنْبِ (١٠) عَرِيضُ الْعَصَبِ (١١) عَرِيضُ الْبَلْدَةِ (١٢) عَرِيض صَفْحَةِ الْعُنُقِ (١٣) فقلتُ : أحسنْتَ فَمَا مَعْنَي قَوْلِكَ غَلِيظُ السَّبْعِ ؟ قالَ: غَلِيظُ الذِّرَاعِ غَلِيظُ الْحِزَامِ (١٤) غَلِيظُ الْعُكْوَةِ (١٥) غَلِيظُ الشَّوَى (١٦) غَلِيظُ الرُّسْغِ غَلِيظُ الْفَخِذَيْنِ غَلِيظُ الْحَاذِ (١٧) . قُلْتُ : لِلّهِ دَرُّكَ ! فَمَا مَعْنَي قَوْلِكَ رَقِيقُ السِّتِّ ؟ قالَ:

---

(١) العضد من الانسان ما بين مرفقه والكتف ومن الفرس ما بين الكتف والركبة

(٢) الرسغ : المستدق بين الحافر والوظيف من يد أو رجل (٣) النسا : عرق يخرج من الورك ويصل الى الحافر (٤) يريد من ظهره المكان الذي يركبه الفارس منه (٥) الوظيف : مستدق الذراع والساق (٦) الجبهة : أعلى الوجه (٧) الورك : معروف (٨) الصهوة : مكان الفارس في ركوبه (٩) الكتف : مافوق العضد (١٠) الجنب : المراد به ما بين أعلاه وآخره (١١) العصب : أطناب المفاصل التي تربط بعض أجزاء الجسم ببعض (١٢) البلدة : الصدر (١٣) صفحة العنق : جانبه (١٤) موضع الحزام (١٥) العكوة : أصل الذنب (١٦) الشوى : جلدة الرأس (١٧) الحاذ الظهر ويروى الجبل ، ومعناه العروق التي تربط اليد

رَقيقُ الْجَفْنِ رَقيقُ السَّالِفَةِ (١) رَقيقُ الْجَحْفَلَةِ (٢) رَقيقُ الْأَدِيمِ (٣) رَقيقُ أَعالي الْأُذُنَينِ رَقيقُ الْعُرْضَينِ (٤). فَقُلْتُ: أَجَدْتَ فَما مَعْنى قَوْلِكَ لَطيفُ الْخَمْسِ؟ فَقالَ: لَطيفُ الزَّوْرِ. لَطيفُ النَّسْرِ (٥). لَطيفُ الْجَبْهَةِ. لَطيفُ الرُّكْبَةِ. لَطيفُ الْعُجايَةِ (٦). فَقُلْتُ: حَيَّاكَ اللهُ فَما مَعْنى قَوْلِكَ غامِضُ الْأَرْبَعِ؟ قالَ: غامِضُ أَعالي الْكَتِفَيْنِ (٧) غامِضُ الْمِرْفَقَيْنِ (٨) غامِضُ الْحِجاجَيْنِ (٩) غامِضُ الشَّظى (١٠) قُلْتُ: فَما مَعْني قَوْلِكَ لَيِّنُ الثَّلاثِ؟ قالَ: لَيِّنُ الْمَرْدَغَتَيْنِ (١١) لَيِّنُ الْعُرْفِ (١٢) لَيِّنُ الْعِنانِ (١٣). قُلْتُ: فَما مَعْني قَوْلِكَ قَليلُ الإِثْنَيْنِ؟ قالَ: قَليلُ

---

(١) السالفة : ما تقدم من عنقه (٢) الجحفلة للفرس ونحوه مثل الشفة للانسان والمشفر للبعير (٣) الاديم : الجلد (٤) العرضان : هما جانبا العنق

(٥) النسر : هو لحمة تشبه النواة أو الحصاة تكون فى باطن حافر الفرس من أعلاه

(٦) العجاية : عصب مركب فيه فصوص من عظام كفصوص الخاتم عند رسغ الدابة

(٧) معناه أنه مكتنز اللحم ليس بناشز العظم (٨) المرفقان مؤخر العضدين الذين يتصل عليهما العضدان (٩) الحجاج : منبت الحاجب

(١٠) الشظى : عظم مستدق لاصق بالركبة أو الذراع أو هو عصب صغار فيه

(١١) المردغة : ما بين العنق والترقوة

(١٢) الشعر النابت على محدب عنقه (١٣) أراد بلين عنانه سهولة قياده وسلاسته

لَحَمِ الوَجْهِ قَلِيلُ لَحْمِ المَتْنَينِ [1] قُلْتُ : فَمِنْ أَيْنَ مَنْبِتُ هذَا الفَضْلِ؟ قَالَ : مِنَ الثُّغُورِ الأُمَوِيَّةِ . وَالبِلاَدِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ [2] : فَقُلْتُ : أَنْتَ مَعَ هذَا الفَضْلِ . تُعَرِّضُ وَجْهَكَ لِهذَا البَذْلِ ؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

سَاخِفْ زَمَانَكَ جِدًّا ... إِنَّ الزَّمَانَ سَخِيفْ [3]
دَعِ الحَمِيَّةَ نِسْيًا ... وَعِشْ بِخَيْرٍ وَرِيفْ [4]
وَقُلْ لِعَبْدِكَ هذَا ... يَجِيئُنَا بِرَغِيفْ

المَقَامَةُ الرُّصَافِيَّةُ

---

(١) المتنان : ما يحيطان بالصلب عن يمين وشمال من العصب

(٢) الاموية : المنسوبة لبني أمية ، وبلاد الاندلس مدينة اسمها اسكندرية فهو ينتسب أليها

(٣) السخف : الحمق ، والمعنى : أن عليك أن تجارى الدهر في حماقته لتنال منه رغباتك فانه لا يفل الحديد الا الحديد

(٤) قال الاستاذ الامام : الريف : السعة في المأكل والمشرب واقتصر عليه مع أنه تغمده الله برحمته كان يكتب في شرحه كل ما يتصور أن يرجع الكلام أليه ونحن نقول أنه لا يبعد أن تكون الكلمة مأخوذة من ورف الظل يرف ورفا ووريفا اذا طال وامتد ويكون المعني وعش بخير ممتد متسع وهو ظاهر وبديع

حَدَّثَنا عِيسَى بْنُ هِشامٍ قالَ : خَرَجْتُ مِنَ الرُّصافَةِ (١) أُرِيدُ دارَ الخِلافَةِ . وَحَمّارَةُ القَيْظِ . تَغْلِي بِصَدْرِ الغَيْظِ (٢) . فَلَمّا نَصَفْتُ الطَّرِيقَ (٣) اشْتَدَّ الحَرُّ . وَأَعْوَزَنِي الصَّبْرُ (٤) . فَمِلْتُ إِلَى مَسْجِدٍ قَدْ أَخَذَ مِنْ كُلِّ حُسْنٍ سِرَّهُ وَفِيهِ قَوْمٌ يَتَأَمَّلُونَ سُقُوفَهُ . وَيَتَذاكَرُونَ وُقُوفَهُ (٥) . وَدَامَ عَجُزُ الحَدِيثِ (٦) إِلَى ذِكْرِ اللُّصُوصِ وَحِيَلِهِمْ . وَالطَّرارِينَ وَعَمَلِهِمْ (٧) فَذَكَرُوا أَصْحابَ الفُصُوصِ (٨) . مِنَ اللُّصُوصِ . وَأَهْلَ الكَفِّ وَالقَفِّ (٩) . وَمَنْ يَعْمَلُ بِالطَّفِّ (١٠) . وَمَنْ يَحْتالُ فِي الصَّفِّ (١١)

---

(١) الرصافة بضم أوله : اسم لمدان كثيرة منها واحدة بالشام وأخرى بالبصرة وثالثة بالاندلس ورابعة بأفريقية وقرية بواسط وأخرى بنيسابور. واسم محلة ببغداد التى هى دار الخلافة أى المكان الذي يجلس فيه الخلفاء

(٢) حمارة القيظ : شدة الحر (٣) نصفت الطريق أى قطعت نصفه أو انتصفته أي صرت في نصفه (٤) أى افتقرت ألى الصبر لانه ذهب مني كله (٥) أى أعمدته وسواريه جمع واقف (٦) آخره (٧) الطرارون : الذين يختلسون المال خفية من طر اذا شق أوقطع وهم الذين يقال لهم اليوم (نشالون) (٨) جماعة ينقشون أسماء بعض الناس على فصوص ثم يذهبون الي ديارهم حال غيبتهم يطلبون من المال ما أرادوا دون أن ينكر عليهم أهل البيت والفص علامة (٩) أهل الكف : الذين يدخلون بين متشاحرين ليكفوهم عن الشجار ويختلسون فى هذه الاثناء أموالهم وأهل القف : الذين يختلسون المال بين أصابعهم (١٠) أى يسرق بالتطفيف في المكيال (١١) أي يسرق من صفوف المصلين منتهزاً اشتغالهم بالصلاة

ومَنْ يَخْنُقُ بالدَّفِّ (١) . ومَنْ يَكْمِنُ في الرَّفِّ . إلى أنْ يُمْكِنَ اللَّفُّ (٢)

ومَنْ يُبَدِّلُ بالمَسْحِ (٣) . ومَنْ يَأْخُذُ بالمَزْحِ (٤) . ومَنْ يَسْرِقُ بالنُّصْحِ (٥)

ومَنْ يَدْعُو إلى الصُّلْحِ (٦) . ومَنْ قَشَّ بالصَّرْفِ (٧) . ومَنْ أنْعَسَ

بالطَّرْفِ (٨)

---

(١) أي يدخل للسرقة فاذا تعرض له رب البيت قتله ويكون معه جماعة يضربون بالطبول والدفوف حتي أذا صاح لا يسمعه أحد ولا يغيثه أنسان

(٢) يختفى فى مكان الامتعة حتى يتمكن من جمعها والفرار بها

(٣) الذي يضع دراهم زائفة فى فمه ثم يأخذ من آخر دراهم جيدة ويدنيها الي فمه ثم يمسحها موهما أنه يختبرها وهو فى الواقع يستبدلها بما معه من الرديء

(٤) الذي يختاس دراهمك فاذا عرفت ذلك منه ردها اليك يوهمك أنه يمازحك

(٥) الذي يسرق منك نقودك على هيئة النصيحة لك كمن يدخل عليك وبين يديك دراهم فيقول لك لا تفعل هذا فان بعض الناس كان مثلك فدخل عليه طرار فوضع يده على كيسه هكذا (ويضع يده) ثم أخذه هكذا (ويأخذه) ثم سار الى الباب هكذا (ويسير) ثم خرج هكذا (ويخرج) وحينئذ يغلق الباب ويفر (٦) الذي يرتقب حصول الخلاف بين اثنين فيدخل بينهما ولا يزال ينتهز غفلتهما بشأنهما حتى يسلب ما قدر عليه من مالهما

(٧) قش جمع ومعناه الذي يجيء الي الصيرفى يوهمه أنه يريد صرف دينار مثلا فيختلس الذى أمامه ويهرب (٨) أى الذي يتناوم لينام صاحب المال

وَمَنْ بَاهَتَ بِالنَّرْدِ (١) . وَمَنْ غَالَطَ بِالقِرْدِ (٢) . وَمَنْ كَابَرَ بِالرِّيَطِ . مَعَ الإِبْرَةِ وَالخَيْطِ (٣) . وَمَنْ جَاءَكَ بِالقُفْلِ (٤) . وَشَقَّ الأَرْضَ مِنْ سُفْلٍ (٥) . وَمَنْ نَوَّمَ بِالبَنْجِ (٦) . أَوِ احْتَالَ بِنِيرَنْجٍ (٧) وَمَنْ بَدَّلَ نَعْلَيْهِ . وَمَنْ شَدَّ بِحَبْلَيْهِ (٨) . وَمَنْ كَابَرَ بِالسَّيْفِ (٩) .

فاذا نام أخذ ماله (١) أي الذي يدخل الدار ومعه النرد فاذا توسطها وعلم به صاحبها بسط النرد فاذا جاء ليقبض عليه نادي بأنه يظلمه فى اللعب ولا يعطيه ما قامره به (٢) الذى يكتري قراداً يوقفه على باب دكان ليشتغل به صاحب الدكان فيسرقه (٣) الريط : جمع ريطة والمراد به هنا الثياب الذي يلبس فوق غيره . وهذه الحيلة هى أن الطرار يرفع ثوب بعض المارة خلسة ويمسك بطرفها الاسفل ثم يأخذ فى خياطته بما على العاتق فان لم يشعر به صاحب الثياب أخذ هميانه (وهو وعاء دراهمه) واذا استشعره صاح :أني كنت أخيط لك ثوبك هكذا أفلا تريد (٤) الذى يبيع التاجر قفلا سهل الفتح فاذا أغلق التاجر به جاء فسرقه (٥) الذى يحفر حفيرة فى الأرض حتى تصل الدار فأذا نام أهلها دخلها (٦) البنج : مخدر معروف (٧) النيرنج : ضرب من الشعبذة يشبه السحر (٨) بدل نعليه : الذي يدخل الحمام أو المسجد ومعه نعل خلق ثم ينتهز غفلة الناس ويتحين اشتغالهم فيأخذ نعلين جديدين ويخرج وشد بحبليه : الرجل يصعد جدارا أو يرقى سطحا ثم يشد على ما يجده من المتاع حبلا يكون قد ترك طرفه فى الارض من أسفل الدار مثلا ثم ينزل فيشد ذلك الحبل ويأخذ ما علق به ويسير (٩) كابر بالسيف : اي عاند به جهازا وهؤلاء قطاع الطريق

وَمَنْ يَصْعَدُ فى الْبِيرِ [١] . وَمَنْ سارَمَعَ الْعِيرِ [٢] . وَأَصْحابُ الْعَلاماتِ [٣] وَمَنْ يَأْتِي الْمَقاماتِ [٤] . وَمَنْ فَرَّ مِنَ الطَّوْفِ [٥] . وَمَنْ لاذَ مِنَ الْخَوْفِ [٦] . وَمَنْ طَيَّرَ بِالطَّيْرِ [٧] . وَمَنْ لاعَبَ بِالسَّيْرِ . وَقالَ : اجْلِسْ وَلا ضَيْرَ [٨] . وَمَنْ يَسْرِقُ بِالْبَوْلِ [٩] وَمَنْ يَنْتَهِزُ الْهَوْلَ [١٠] .

---

(١) يصعد فى البير : الرجل يختبىء فى بئر فأذا ورده قوم وأدلي أحدهم دلوه صعد المختبىء فيه فيخافونه وهم يحسبونه من الجن فيتذرع بذلك ألي سلبهم وسرقتهم

(٢) العير : جماعة المسافرين كالقافلة ، وهذا يسير معهم يوهمهم أنه أحدهم حتى أذا وجد منهم غرة انتهزها (٣) أي الذين يجعلون لأنفسهم شعارا كشعار المتصوفة وأمثالهم يريدون بذلك أن يطمئن الناس لهم فأذا تمكنوا من ذلك سرقوهم (٤) الذي يلبس لباس العلية والكبراء ليدخل بيوتهم من غير ممانعة فتتسنى له السرقة (٥) الطوف : العسس ورجال الشرطة الذى يطوفون لحفظ الأمن والفار منهم الذي يجري أمامهم دون أن يطلبوه فأذا لقى دارا دخلها حتى أذا فطن له ربها ذكر له أنه هارب من الطوف لانهم يريدونه ظلما فينجو

(٦) لاذ ، التجأ وهو الذي يقبل عليك ويحتمى بك يوهمك أنه يخاف عدو فأذا لاحت له منك غرة انتهزها (٧) الذى يتخذ حماما يطيره ويدخل البيوت فأن سأله أحد زعم أنه يبحث عن حمامه (٨) السير : قطعة من جلد واللاعب به الذى يلاعبك ويداعبك فى أخفاء بعض الاشياء فمن لم يعرفها ضرب به وفى هذا منازعة تمكنه من الخلسة (٩) الذى يجلس بجانب المال ويكشف سوأته موهم أنه يبول فيخجل صاحب المال فيخفي وجهه فيتمكن اللص من السرقة

(١٠) الذى يرتقب حصول كارثة كحريق أو معركة فيدخل بين الناس وينتهز

وَمَنْ أَطْعَمَ فى السُّوقِ . بِمَا يَنْفُخُ فى الْبُوقِ [1] . وَمَنْ جَاءَ بِبَسْتُوقٍ [2] وَأَصْحَابُ الْبَسَاتِينِ [3] . وَسُرَّاقُ الرَّوَازِينِ [4] . وَمَنْ ضَبَرَ فى الصَّرْحِ [5] . وَمَنْ سَلَّمَ فى السَّطْحِ [6] . وَمَنْ دَبَّ بِسِكِّينٍ . عَلَى الْحَائِطِ مِنْ طِينٍ [7] . وَمَنْ جَاءَكَ فى الْحِينِ . يُحَيِّي بِالرَّيَاحِينِ [8] . وَأَصْحَابُ الطَّبَرْزِينِ . كَأَعْوَانِ الدَّوَاوِينِ . وَمَنْ دَبَّ بِأَنِينٍ . عَلَى رَسْمِ الْمَجَانِينِ [9] . وَأَصْحَابُ الْمَفَاتِيحِ [10] .

اشتغالهم للسرقة والاختلاس (١) الرجل ينادى فى السوق بأنه يعالج الشهوة بدواء يعرفه (٢) البستوق ، والبستوقة : الاناء الذي يتخذ للماء (كالدورق والقلة) ومعنى هذا . الرجل الذي يدخل البيوت وبيده هذا وأن عثر به أحد قال : أنى أريد أن تملأ والي هذا ماء وأذا لم يعثر به أحد ووجد شيئاً أخذه وانطلق (٣) أصحاب البساتين : الرجل يأتيك فيمتدح نفسه بالمهارة فى خدمة البساتين والحنكة فى القيام عليها ثم لا يزال بك حتى توليه شؤون بستانك فأذا تولاه سرق ماشاء بدون أن يشتبه به أحد (٤) الروازين : جمع روزنه وهي الكوة (٥) ضبر : وثب ، والصرح : البناء العالي (٦) الذى معه حبل كالسلم يرميه على الدار ثم يصعد عليه (٧) الذى يصعد على الحائط ومعه سكين يضرب بها من يتعرض له (٨) الذى يدخل عليك وبيده باقة زهر فأن أحسست به أوهمك أنه جاء مهديا أياها لك

(٩) دب : أي مشي ، والمعنى : الذي يدخل الدور للسرقة فأن أبصره أحدما صاح صياح المجانين ليظن الناس به ذلك فيتركوه

(١٠) الذين يحملون مفاتيح كثيرة ليفتحوا بها الدور والصناديق

وَأَهْلُ الْقُطْنِ وَالرِّيحِ [١] . وَمَنْ يَقْتَحِمُ الْبَابَ . عَلَى زِيٍّ مَنِ انْتَابَ [٢] . وَمَنْ يَدْخُلُ فِي الدَّارِ . عَلَى صُورَةِ مَنْ زَارَ . وَمَنْ يَدْخُلُ بِاللَّبِنِ . عَلَى زِيِّ الْمَسَاكِينِ . وَمَنْ يَسْرِقُ فِي الْحَوْضِ . إِذَا أَمْكَنَ فِي الْخَوْضِ [٣] . وَمَنْ سَلَّ بِعُودَيْنِ [٤] . وَمَنْ حَلَّفَ بِالدَّيْنِ [٥] . وَمَنْ غَالَطَ بِالرَّهْنِ [٦] . وَمَنْ سَفْتَجَ بِالدَّيْنِ [٧] .

---

(١) جماعة تجعل فى أيديها قطعا من القطن المندوف ثم ينفخونه ليطير ألى بعض البيوت فيدخلونها بحجة البحث عنه (٢) أى الرجل الذى يدخل الدار كانه ضيف فان وجد من أهل البيت اشتغالا عنه سرقهم

(٣) الذي يجيء الحمامات ليسرق من يدخلها أذا نزل الحوض

(٤) الذي يجلس على سطح داره منتظرا ورود القافلة مثلا وأذا وصلته مد يده بعصا ألى المتاع فأخذ منه ماشاء (٥) أى الذى يدعي على أحد الوجهاء والعيون مقدارا زهيدا ويكلفه الحضور أمام القاضي ليحلف على البراءة منه فيأنف من ذلك فيعطيه له (٦) غالط بالرهن : الرجل يأخذ معه صندوقا صغيرا مغلقا يودعه عند آخر موهما أن به جواهر واشياء نفيسة ثم يرهنه عنده ويأخذ منه جزءا من المال ثم لايعود

(٧) سفتج بالدين : سفتج عامل بالسفتجة وأصلها يشبه مايسمى الآن (بوليصه) وكيفية هذا : أن الرجل يأتى رجلا آخر قد عزم على السفر ألى ناحية ما ومعه مال فيقول له : لاتكلف نفسك عناء حمل هذا المال فأنا اريحك منه فأعطنيه وخذ هذه الورقة ألى فلان هناك فبينى وبينه معاملة وأذا وصلته أعطاك ذلك المبلغ . ولايكون شيء من ذلك حقيقيا

وَمَنْ خالَفَ بِالْكِيسِ [١] . وَمَنْ زَجَّ بِتَدْلِيسٍ [٢] وَمَنْ أَعْطَى الْمَفَالِيسَ . وَمَنْ قَصَّ مِنَ الْكُمِّ . وَقالَ : انْظُرُوا حُكْمَ [٣] . وَمَنْ خاطَ عَلَى الصَّدْرِ [٤] . وَمَنْ قالَ : أَلَمْ تَدْرِ [٥] ؟ وَمَنْ عَضَّ وَمَنْ شَدَّ [٦] .

---

(١) خالف بالكيس : الرجل يذهب ألى بعض التجار فيساومه في بضاعة ثم يخرج له كيسا به دنانير ويوهم بنقده الثمن فيأبى التاجر لملته فيأخذ كيسه ويضمه فى ثيابه ثم يزيد له في الثمن فأذا رضى أخرج له كيسا آخر يشبه الاول فى لونه وحجمه ثم يمد له منه فلوسا والتاجر لا يدرى ، وأذا تأملها التاجر وأراد أمساكه يكون قد أفلت (٢) الذي ينتقد دراهم الناس فيخفى بعضها ويضع بدلا منه زيوفا (٣) الذي يقطع كمه ثم يتعلق بمن معه مال مدعيا عليه به فأذا رآه أحد شكا اليه قائلا : انظر ماذا فعل بي وأنا أطالبه بحقى

(٤) خاط على الصدر : الرجل يستصحب أبرة وخيطا فأذا لقى رجلا آخر أمسك بتلابيبه ونصح له أن ينتظر حتى يخيط له ثوبه على صدره فتأخذه الدهشة لغرابة ذلك العمل وحينذاك يسلبه مايشاء ثم يفر

(٥) وقال : ألم تدر ؟ : الرجل يأتي ألى آخر فيقول له : لقد سمعت عجيبا . ألم يصل أليك أن فلانا جاءه سارق فأمسك به هكذا (ويمسكه) ثم مازال السارق به حتى وصل ألى موضع النقود في ثيابه فاختلسها منه ، ولا يفتأ يحدثه حتى يصنع به الذى يخبره بغرابته

(٦) من عض : الرجل يلقى آخر فيبدؤه بالمنازعه فأذا اشتبك معه لا يزال يعض في موضع النقود ويقرضه بأسنانه حتى يتمكن من اختلاسها ، ومن شد : الرجل يربط الثوب ونحوه بما يمسكه فى يده فينهض عنه صاحبه وقد انسل عنه وهو غافل

وَمَنْ دَسَّ أَذَاعَدَّ (١). وَمَنْ لَجَّ مَعَ الْقَوْمِ .وَقَالَ : لَيْسَ ذَا نَوْمٍ (٢).
وَمَنْ غَرَّكَ بِالأَلْفِ (٣). وَمَنْ زَجَّ أَلى خَلْفٍ (٤) وَمَنْ يَسْرِقُ
بِالْقَيْدِ . وَمَنْ يَأْلَمُ لِلْكَيْدِ (٥) . وَمَنْ صافَحَ بِالنَّعْلِ (٦)

---

(١) من دس أذا عد : الرجل يعد دراهم غيره وفى أثناء ذلك يأخذ جيدها ويضع بدله زيوفا

(٢) الذي يدخل المسجد مع جماعة فيري رجلا نائما عند متاعه فيقول أنه ليس نائما فلا تخفوا متاعكم لئلا يراكم، فيغتر النائم،فيتصنع النوم ،ويجيء بعضهم أليه فيأخذ متاعه وكأنه يختبره ليعلم أنائم هو أم لا فيشتد النائم في تصنعه ، ثم يذهب ذلك السارق جوار الحائط يوهم انه يخفي شيئا ثم يخرجون جميعا فاذا قام النائم يبحث عما خبأوه وجده حصى ومدرا

(٣) الرجل يودع أحد التجار كيساله فيه دراهم وعلى وجهها عند أوله بعض الدنانير ، ثم يجيئه طالبا كيسه فيفتحه أمامه ويأخذ الدنانير بمرأي منه يوهم ان كل مافيه كذلك ، ثم يجيئه ثانية فيأخذ منه بضاعة بقيمة عالية دون أن يعطيه شيئا ــ والتاجر يظن أن فى الكيس سدادا ــ ثم لايعود أليه

(٤) الرجل يتفق مع آخر على أن يذهب أحدهما الى تاجر يوهمه أنه يشتري منه ويأخذ بعض المتاع يفحصه ثم يجيء الثاني فيطرحه الاول أليه بخفة من غير أن يبصره التاجر ثم يضطرب ويصيح شاتما فيه لاعنا له موهما أنه اختطفه منه ويكون قد ذهب (٥) الذي يسرق بالقيد ومثله الذى يألم للكيد : هو الذي يجعل فى رجليه قيدا ثم يسير به فأذا رأيته شكا أليك أنه كان أسيرا فترق له وتأخذه لتأويه فيختلس منك

(٦) الذي يجيء رجلا فيضربه بنعله الخلق فأذا خلع الثاني نعله ليضربه به خطفه وفر

وَمَنْ خاصَمَ فى الحَقِّ (١) . وَمَنْ عالَجَ بِالشَّقِّ (٢) . وَمَنْ يَدْخُلُ فِي السِّرْبِ (٣) . وَمَنْ يَنْتَهِزُ النَّقْبَ (٤) . وَأَصْحابُ الخَطاطِيفِ . عَلَى الحَبْلِ مِنَ اللِّيفِ (٥) . وَانْجَرَّ الحَدِيثُ إِلَى ذِكْرِ مَنْ رَبِحَ عَلَيْهِمْ . فَقالَ كَهْلٌ مِنْهُمْ : سَأُحَدِّثُكُمْ بِما يُضْحِكُ السَّامِعَ . وَيُشْبِعُ الجائِعَ . (وذكر كلاماً غير متناسب مع الآداب نتركه تعففاً)

المَقامَةُ المَغْزَلِيَّةُ

حَدَّثَنا عِيسَى بْنُ هِشامٍ قالَ : دَخَلْتُ البَصْرَةَ (١) وَأَنا مُتَّسِعٌ

---

(١) الذي يلقاك ومعك مال فيعرض عليك سلعة تساوى كثيرا بقليل وليست معه فاذا رضيت قال لك : هل معك الثمن ؟ فتقول : نعم ، ثم تخرجه له ، فاذا أخذه أنكر أنه لك وجادلك

(٢) عالج بالشق : الرجل الذي يحتال للسرقة بشق الوعاء كالكيس ونحوه

(٣) السرب : الحفيرة فى الارض ، ويدخل فيه : أي يختفي عن أعين المارة فيه حتى اذا وجد فرصة سانحة لم يأل جهدا في انتهازها

(٤) ينتهز : أي يعتقد غنيمة وربحا ، والنقب : ثلم الجدار وشقه ، والمعنى أن هذا الرجل يعتقد أن شق الجدار غنيمة يجب أن ينتهزها لانه يوصله الى مقصده وهو السرقة (٩) الذين يجعلون خطافا فى طرف حبل ويرسلونه الى الدور فأي شيء علق به اخذوه وولوا هاربين

(٥) تقدم عن البصرة شيء ليس بالقليل ولكنا نذكر هنا طرفا من ميزاتها وخصائصها :

الصِّيتِ كَثِيرُ الذِّكْرِ (١) فَدَخَلَ عَلَيَّ فَتَيانِ، فقالَ أَحَدُهُما: أَيَّدَ اللهُ الشَّيْخَ دَخَلَ هٰذا الفَتَى دارَنا فَأَخَذَ فَنَجَ سِنَّارٍ (٢).

صعد على بن أبى طالب كرم الله وجهه منبرها فخطب الناس ثم قال فى آخر خطبته : يا أهل البصرة ، يا بقايا ثمود ، يا جند المرأة ، واتباع البهيمة . دعا فاتبعتم ، وعقر فانهزمتم . أما أنى أقول لا رغبة فيكم ولا رهبة منكم غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أرض يقال لها البصرة أقوم الارضين قبلة ، قارئها أقرأ الناس ، وعابدها أعبد الناس ، ومتصدقها أكثر الناس صدقة ، وتاجرها أعظم الناس تجارة ، منها الى قرية يقال لها الابلة أربع فراسخ يستشهد عند مسجدها سبعون ألفا الشهيد منهم كالشهيد فى يوم بدر

ويقال : أن لاهل البصرة ثلاثة أشياء ليس لاحد من أهل البلدان أن يدعيها عليهم : النخل ، والشاء ، والحمام . أما النخل فهم أعلم خلق الله به وأحذقهم باصلاحه وفيها من أصناف النخل ماليس في بلد من البلدان . وأما الشاء المعبدية فقد تبلغ الشاة منها خمسين دينارا ، وهم يحتفظون بها ويبالغون فى اقتنائها كـكرائم الخيل عند العرب وقد وصل بهم الحد الي أن يحفظوا أن بدار فلان شاة أمها شاة بنى فلان وأبوها تيس بنى فلان مقدار حلبها بالغداة والعشى كذا . وأما حمامهم فقد بلغت فى الهداية أن جاءت من أقصى بلاد الروم ومن مصر الي البصرة وينتهى ثمن الطائر منها الى تسعمائة دينار وتباع بيضتها بعشرين دينارا

(١) أى أنه دخلها وله شهرة واسعة والناس يتناقلون أخباره ويتحدثون بشأنه وهذا مدعاة أقبالهم عليه وانصرافهم اليه (٢) فنج بفاء فنون فجيم حيوان يؤخذ من جلده فراء كأحسن ما يكون وأطلقه هنا وأراد منه جلده ،

بِرَأْسِهِ دُوَارٌ (١) . بِوَسَطِهِ زُنَّارٌ (٢) . وَفَلَكٌ دَوَّارٌ . رَخِيمُ الصَّوْتِ إنْ صَرَّ (٣) . سَرِيعُ الْكَرَّانِ فَرَّ . (٤) . طَوِيلُ الذَّيْلِ إنْ جَرَّ (٥) . نَحِيفُ الْمُنَطَّقِ . ضَعِيفُ الْمُقَرْطَقِ (٦) . في قَدْرِ الْحَرَرِ . مُقِيمٌ بِالْحَضَرِ . لا يَخْلُو مِنَ السَّفَرِ (٧) إنْ أُودِعَ شَيْئاً رَدَّ . وإنْ كُلِّفَ سَيْراً جَدَّ . وَإنْ أُجِرَّ حَبْلاً مَدَّ . هُنَالِكَ عَظْمٌ وَخَشَبٌ . وَفِيهِ مَالٌ وَنَشَبٌ . وَقَبْلٌ وَبَعْدٌ (٨) . فَقَالَ الْفَتَى : نَعَمْ ـ أَيَّدَ اللهُ الشَّيْخَ ـ لأَنَّهُ غَصَبَنِي عَلَى

والسنار ـ بضم أوله وتشديد ثانيه ـ : السنور ، وهو الهر ، والمعنى شيء يشبه ذلك والمراد تشبيه المغزل بالهر لانه يكون حين وجود الخيط عليه شبيها به فى الصورة (١) الدوار : الدوران وظاهر ذلك فى المغزل لانه كثير الدوران

(٢) أصل الزنار : الخيط الذي يضعه القسوس في أوساطهم والمغزل يصنع له دائرة من نفسه في وسطه (٣) صر : صوت ، وأنك لتسمع للمغزل صوتا اذا دار (٤) أي اذا تحرك فهو سريع (٥) متى أدرت المغزل للغزل طال الخيط حتى يصل المغزل الارض (٦) المنطق : مكان المنطقة ، وهى شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها بها فترسل الاعلى على الاسفل الي الارض والاسفل يجر على الارض ليس لها حجزة ولا نيفق ولا ساقان ، والمقرطق : مكان القرطقة وهي ثوب ذو طاق واحد (٧) أى أنه لا يتسنى العمل به لغير المقيم ومع ذلك فانه مسافر دائما لطول حركته ودوامها

(٨) المغزل يصنع من الخشب رأسه وعوده أو من العظم كذلك وقد يصنع الرأس من العظم والعود من الخشب ، والحبل الخيط الذي يغزل عليه والنشب أصله المال والعطف لتفخيم الشأن ، وقبل وبعد : المراد بهما الخير

مُرْهَفٍ سِنَانُهُ مُذَلَّقٌ أَسْنَانُهُ (١)
أَوْلَادُهُ أَعْوَانُهُ تَفْرِيقُ شَمْلٍ شَانُهُ (٢)
مُوَاثِبٌ لِصَاحِبِهْ مُعَلَّقٌ بِشَارِبِهْ (٣)
مُشْتَبِكُ الْأَنْيَابِ فِي الشِّيبِ وَالشَّبَابِ (٤)
حُلْوٌ مَلِيحُ الشَّكْلِ ضَاوٍ زَهِيدُ الْأَكْلِ (٥)
رَامٍ كَثِيرُ النَّبْلِ حَوْفَ اللِّحَى وَالسَّبْلِ (٦)

فَقُلْتُ لِلْأَوَّلِ : رُدَّ عَلَيْهِ الْمِشْطَ لِيَرُدَّ عَلَيْكَ الْمِغْزَلَ

والمنفعة من قولهم ليس له قبل بكذا أى طاقة وليس عنده بعد أي منفعة طائلة (١) مرهف ومذلق معناهما محدد والسنان أصله طرف الرمح واستعير هنا لاسنان المشط (٢) أولاده : هم أسنانه لانها تتفرع عنه وتخرج منه، والشمل المجتمع ، والمشط من خصائصه أنه يفرق خصل الشعر المجتمعة (٣) أي أنه يقفز على صاحبه فيصل الى رأسه أو لحيته أو شاربه (٤) الانياب هي الاسنان والشيب بكسر أوله جمع أشيب والمعنى أنه يحتاجه كل واحد لافرق بين الشيوخ والشبان (٥) ضاو : أى نحيف هزيل ، ورهيد الاكل : قليله والمشط كذلك لانه ضئيل ولا يعلق به الا قليل الشعر (٦) نبله أسنانه وهو كثيرها والسبل بفتح الباء جمع سبلة وهى ما على الشارب من الشعر وتسكين الباء لضرورة موافقة النظم.

المَقامَةُ الشِّيرازِيَّةُ

حَدَّثَنا عِيسى بنُ هِشامٍ قالَ : لَمَّا قَفَلْتُ مِنَ اليَمَنِ (١) . وَهَمَمْتُ بِالوَطَنِ (٢) . ضَمَّ إِلَيْنا رَفِيقٌ رَحْلَهُ فَتَرافَقْنا ثَلاثَةَ أَيّامٍ حَتَّي جَذَبَنِي نَجْدٌ (٣) . وَالتَقَمَهُ وَهْدٌ (٤) . فَصَعِدْتُ وَصَوَّبَ (٥) . وَشَرَّقْتُ وَغَرَّبَ (٦) وَنَدِمْتُ عَلَي مُفارَقَتِهِ بَعْدَ أَنْ مَلَكَنِي الجَبَلُ وَحَزْنُهُ (٧) . وَأَخَذَهُ الغَوْرُ وَبَطْنُهُ (٨) فَوَاللهِ لَقَدْ تَرَكَنِي فِراقُهُ . وَأَنا أَشْتاقُهُ (٩) . وَغادَرَنِي بَعْدَهُ . أُقاسِي بُعْدَهُ (١٠) . وَكُنْتُ فارَقْتُهُ ذا شارَةٍ وَجَمالٍ . وَهَيْئَةٍ

---

(١) قفلت : رجعت (٢) همت به : عزمت عليه (٣) النجد : ما ارتفع من الارض (٤) الوهد : ماتطامن وانخفض من الأرض (٥) صعدت : سرت مرتفعاً بما يناسب النجد ، وصوب : سار منحدرا أو على اعتدال يتفق مع الوهد (٦) سرت جهة الشرق وسار جهة الغرب (٧) الحزن : المرتفع الشديد وكأنه كان على قمة الجبـل (٨) المعنى : أنه أسف كثيرا على مفارقته وتمنى لو تمكن من العودة أليـه ولقائه مرة ثانية ولكن ابتعاد كل واحـد منهما عن الثاني حال دون هذه الأمنية (٩) الشوق ، والاشتياق : نزوع النفس ألي الشيء واندفاعها نحوه . يقـال : شاقه الشيء ـ من باب قال ـ فهو شائق ، وذلك مشوق ، وشوقه فتشوق : أي هيج شوقه ، واشـتاقه : أي هاج شوقه أليه والمعني : أن فراق ذلك الرفيق أثر في نفسي وآلمها واهتاج أليـه خواطري (١٠) غادرني : تركني ، والضمير عائد ألى الرفيق أو ألي الفراق ، وبعـده بفتح أوله ـ ظرف ، والبعد ـ بالضم ـ : ضد القرب ، وقد بعد ـ بالضم بعدا

وَكَمالٍ (١) . وَضَرَبَ الدَّهْرُ بِنا ضُروبَهُ (٢) . وَأَنا أَتَمَثَّلُهُ فى كُلِّ وَقْتٍ . وَأَتَذَكَّرُهُ في كُلِّ لَحْظَةٍ . وَلا أَظُنُّ أَنَّ الدَّهْرَ يُسْعِدُنى بِهِ وَيُسْعِفُنى فيهِ . حَتَّي أَتَيْتُ شِيرازَ (٣) فَبَيْنا أَنا يَوماً فى حُجْرَتى أَذْ دَخَلَ كَهْلٌ قَدْ غَبَّرَ فى وَجْهِهِ الْفَقْرُ (٤) . وَانْتَزَفَ ماءَهُ الدَّهْرُ (٥) . وَأَمالَ قَناتَهُ السَّقَمُ (٦) . وَقَلَّمَ أَظْفارَهُ الْعَدَمُ (٧) . بِوَجْهٍ أَكْسَفَ مِنْ

فهو بعيد أي متباعد ، ومقاساة البعد : تحمل مشقاته ، ومعاناة ويلاته وآلامه (١) أى أنه غادره جميلا بهى الطلعة وسيم الخلقة تظهر عليه أمارات النعمة ومخايل الرفاهة (٢) ضرب الدهر بهم ضربانا ، ومن ضربانه ، كناية عن أيصال صروفه ومحنه أليهم ، وتقول : لحا الله زمانا ضرب ضربانه حتى سلط عليه ظربانه (٣) شيراز : مدينة فارس العظمى وهى مدينة جليلة عظيمة ينزلها الولاة ولها سعة ورفاهة عيش حتى أنه ليس فيها منزل ألا ولصاحبه بستان فيه جميع الثمار والرياحين والبقول وكل ما يكون فى البساتين وشرب أهلها من عيون تجرى فى أنهار ينحدر أليها الماء من جبال يتراكم فوقها الثلج . وهى الآن من بلاد ايران وقاعدة ولاية فارس أحدي ولايات تلك المملكة (٤) غبر : أثار الغبار ، والكهل : الرجل أذا غمشت جذوة الشيب في فحمة شبابه

(٥) انتزف : أخذه ولم يبق منه شيئاء والمراد بالماء هنا جدة الشباب وميمته

(٦) أصل القناة الرمح وكني بها عن ظهره ، والسقم : المرض وفى الحديث : (خذ من صحتك لسقمك) أي اعمل في زمن قوتك ما يفيدك حال اعتلالك . والمراد هنا أن ظهره قد تقوس واحدودب لما نزل به (٧) الأظفار : جمع

بالِهِ . وَزِيٍّ أوْحَشَ مِنْ حالِهِ [١] . وَلِثَةٍ نَشِفَةٍ . وَشَفَةٍ قَشِفَةٍ [٢] وَرِجْلٍ وَحِلَةٍ . وَيَدٍ مَحِلَةٍ [٣] . وَأنْيابٍ قَدْ جَرَّعَها الضُّرُّ . وَالْعَيْشُ الْمُرُّ [٤] وَسَلَّمَ فازْدَرَتْهُ عَيْنِي لَكِنِّي أَجَبْتُهُ . فَقالَ : اللَّهُمَّ اجْعَلْنا خَيْراً مِمَّا يُظَنُّ بِنا [٥] فَبَسَطْتُ لَهُ أَسِرَّةَ وَجْهِي . وَفَتَقْتُ لَهُ سَمْعِي [٦] وَقُلْتُ لَهُ : إِيهٍ [٧] . فَقالَ : قَدْ أرْضَعَتْكَ لَدَى حُرْمَةٍ . وَشارَكَتْكَ عِنانَ

ظفر وتكون به القوة والشدة والبطش، ومنه أظفار المنية على رأي ، وأذا كان الأملاق قد قلمها فقد أذهب بطشه فهو كناية عن ضعفه وهوان حاله بعد ما نزل به

(١) يقال : فلان كاسف البال أذا كان سيء الحال رديئه قال الشاعر :

أنما الميت من يعيش كئيبا   كاسفا باله قليل الرجاء

أوحش : ذا وحشة (٢) اللثة : اللحمة التي تحيط بالأسنان ونشفها ذهاب ما فيها من الرطوبة والبلالة ، والشفة : معروفة ، وقشفة : أي قد علاها القشف وهو الخشونة التي تنشأ عن الجوع ونحوه (٣) رجل وحلة : أي عليها الوحل وهو الطين ، ويد محلة : أصابها المحل وهو الجدب والفقر (٤) أي أن أمره قد تغير ألي بؤس شديد وضنك ملازم (٥) المعنى : أن ظاهر حاله دعاني ألى التقزز منه وأنكاره وأنه استراب ذلك مني واستبشعه فعرض بي لاقدره قدره وأقوم له بما تستوجبه مكانته من التجلة والاحترام (٦) بسطت له أسرة وجهي : ضحكت له ، ولقيته بالبشر والطلاقة ، وفتقت له سمعي : كناية عن الاقبال عليه ، والمعنى : أني حينما سمعت ألفاظه غيرت سبيلي في ملاقاته واستبدلت جفائي ونفرتي وانصرافي عنه ، بالملاطفة والدعابة والتوجه أليه

(٧) أيه : أسم فعل معناه طلب الزيادة من الحديث فأن كان منونا فالزيادة

عِصْمَةٌ . وَالْمَعْرِفَةُ عِنْدَ الْكِرَامِ حُرْمَةٌ . وَالْمَوَدَّةُ لُحْمَةٌ (١) . فَقُلْتُ :
أَبَلَدِيٌّ أَنْتَ أَمْ عَشِيرِيٌّ (٢) ؟ . فَقَالَ : مَا يَجْمَعُنَا أَلَّا بَلَدُ الْغُرْبَةِ (٣)
وَلَا يَنْظِمُنَا أَلَّا رَحِمُ الْقُرْبَةِ (٤) . فَقُلْتُ : أَيُّ الطَّرِيقِ شَدَّنَا فِي قَرَنٍ (٥)
قَالَ : طَرِيقُ الْيَمَنِ . قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَقُلْتُ : أَنْتَ أَبُو الْفَتْحِ

من مطلق حديث وأن كان بلا تنوين فى كلام معين (١) أي أنه حدثني عن نفسه وعرفني بسابق صلة وبسط لى أمره معى ومودته لي واستثرض فى نفسي آثار ذلك وناشدني ألا أنسى قديم معرفته

(٢) أي هل الجامعة بيني وبينك الاشتراك فى البلد أو الاشتراك فى العشرة التي هى الصداقة وربما صح فى عشيري النسبة الى العشيرة وهى القبيلة وهو أقرب لمكان الياء وان كان القياس فى النسبة الى مثل عشيرة وقبيلة وجهينة مما فيه تاء التأنيث وياء قبلها حذف الياء والتاء معاً ، لكن أجاز صاحب أدب الكاتب عدم حذف الياء اذا كان الاسم المنسوب اليه غير مشهور ، وملخص ما فيه انك اذا أردت النسب الى اسم على فعيل أو فعيلة كربيعة وثقيف وحنيفة وعتيك أو على فعيل أو فعيلة كقريش وجهينة وهذيل ومزينة قلت : ربعى وثقفي وحنفي وعتكى وقرشي وجهنى وهذلى ومزنى ، فان لم يكن الاسم مشهوراً لم تحذف الياء فى الاول ولا الثاني ، وانما ذكرت ذلك لأني لم أر جواز عدم الحذف لغيره (٣) المعنى : لست من بلدك ولا من عشيرتك ، ولكني رجل اشتركت معك في الاغتراب عن الوطن والنزوح عن مقر الاهل

(٤) القربة : الاقتراب في المسكن ، والمراد به ما يعم طريق السفر

(٥) القرن ومثله القران : أصله الحبل يربط به البعيران وتقول أعطيته بعيرين في قرن وفى قران معاً مأخوذ من الاقتران وهو الاجتماع ومنه قيل

ٱلإِسْكَنْدَرِيُّ ؟ فَقالَ : أَنا ذاكَ . فَقُلْتُ : شَدَّ ما هُزِلْتَ بَعْدِي ! وَحُلْتَ عَنْ عَهْدِي (١) ! فانفُضْ إِلَيَّ جُمْلَةَ حالِكَ . وَسَبَبَ ٱخْتِلالِكَ . فَقالَ : نَكَحْتُ خَضْراءَ دِمْنَةٍ (٢) . وَشَقِيتُ مِنْها بِٱبْنَةٍ . فَأَنا مِنْها في مِحْنَةٍ ، قَدْ أَكَلَتْ حَرِيبَتِي (٣) وَأَراقَتْ ماءَ شَيْبَتِي . فَقُلْتُ : هَلَّا سَرَّحْتَ . وَٱسْتَرَحْتَ (٤)

ثم ذكر كلاماً يندى له وجه الادب فعففنا عن ذكره والخوض فيه

ٱلْمَقامَةُ ٱلْحُلْوانِيَّةُ

حَدَّثَنا عِيسَى بْنُ هِشامٍ قالَ : لَمَّا قَفَلْتُ مِنَ الْحَجِّ فِيمَنْ قَفَلَ (٥)

للصاحب قرين (١) أي ما أشد هزالك وضعفك وما أكثر نحافتك وضآلة جسمك فلقد تغيرت عما عرفتك ويقال : حال فلان اذا تغير ومنه قوله وكلام البديع مأخوذ منه :

لئن كان اياه لقد حال بعدنا عن العهد والانسان قد يتغير

(٢) خضراء الدمن مفسرة في الحديث : (اياكم وخضراء الدمن . قالوا : وما هي يا رسول الله ؟ قال : المرأة الحسنة في المنبت السوء) (٣) حريبة الرجل: ماله الذي يعيش منه (٤) سرحت : طلقت هذه المرأة، وفي الكتاب العزيز : (أو تسريح باحسان)

(٥) قفل : رجع ، وتقول : قفل الجند من الغزو الى أوطانهم قفلا وقفولا وهذا وقت القفل أي العود والرجوع ، ورأيت القفل : أي جماعة العائدين.

وَنَزَلْتُ حُلْوَانَ مَعَ مَنْ نَزَلَ [1] . قُلْتُ لِغُلَامِي : أَجِدُ شَعْرِي طَوِيلاً وَقَدِ اتَّسَخَ بَدَنِي قَلِيلاً [2] . فَاخْتَرْ لَنَا حَمَّاماً نَدْخُلُهُ . وَحَجَّاماً نَسْتَعْمِلُهُ [3] . وَلْيَكُنِ الْحَمَّامُ وَاسِعَ الرُّقْعَةِ [4] . نَظِيفَ الْبُقْعَةِ [5] .

كما يقال القعد لجماعة القاعدين ، ويقال : أقفلهم الامير أي رجعهم ، والمعنى: حينما رجعت الى وطني عائداً من مكة بعد أداء فريضه الحج مع الذين رجعوا

(١) حلوان : اسم يقع على قريتين وبلدين احداهما في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد وهي المقصودة هنا (٢) يحرم على الانسان متى نوى الحج وأحرم به أن يحلق شعره أو يقصره حتى يؤدي شعائره فيتحلل ويجوز له ذلك ونحوه ، والحكمة في مثل ذلك اظهار تمام الطاعة الى الله بالخروج عن مظاهر النعمة وعلائم الرفاهية بكل أنواعها والتجرد من أسباب الاعتزاز والدعة ، ومدة الحج طويلة بحيث لا يستطيع المرء أن يتمهل بعدها أو يبطيء في تنظيف نفسه وازالة ما طال من شعره ، وعيسى قد زاد على مدة الحج بالمدة التي قضاها في طريقه الى حلوان ، فهو لا شك أشد احتياجا وأكثر افتقارا للنظافة (٣) الحجامة في الاصل : مختصة بامتصاص الدم ، والحجام المصاص ، والمحجم والمحجمة ـ بوزان منبر ومكنسة : آلة الحجامة التي يجتمع فيها الدم عند المص والمحجم أيضاً المشرط الذى يتخذه الحجام ، والفعل حجم ـ من بابي ضرب ونصر ـ : أي صنع ذلك ، واحتجم : طلب الحجامة ، ولكنها استعملت بعد ذلك فيما هو أعم من هذا ، ومن الحلاقة التي هي في الاصل خاصة بقص الشعر ، وهذا مراد البديع ، ولعل منشأ هذا أن الذى يتولى الامرين واحد (٤) المراد أن يكون كبير المساحة لأن المكان الضيق تتأذى النفس منه (٥) البقعة : المكان الذي يستنقع فيه الماء

طَيِّبَ الهَوَاءِ . مُعْتَدِلَ المَاءِ (١) . وَلْيَكُنِ الحَجَّامُ خَفِيفَ اليَدِ حَدِيدَ المُوسَي نَظِيفَ الثِّيَابِ قَلِيلَ الفُضُولِ (٢) . فَخَرَجَ مَلِيًّا . وَعَادَ بَطِيئاً (٣) . وَقَالَ : قَدِ اخْتَرْتُهُ كَمَا رَسَمْتَ (٤) . فَأَخَذْنَا إِلَي الحَمَّامِ السَّمْتَ (٥) . وَأَتَيْنَاهُ فَلَمْ نَرَ قَوَّامَهُ (٦) . لَكِنِّي دَخَلْتُهُ وَدَخَلَ عَلَي أَثَرِي رَجُلٌ وَعَمَدَ إِلَي قِطْعَةِ طِينٍ فَلَطَّخَ بِهَا جَبِينِي وَوَضَعَهَا عَلَي رَأْسِي . ثُمَّ خَرَجَ وَدَخَلَ آخَرُ فَجَعَلَ يَدْلُكُنِي دَلْكاً يَكُدُّ العِظَامَ (٧) وَيَغْمِزُنِي غَمْزاً يَهُدُّ الأَوْصَالَ (٨)

---

(١) أي : يكون وسطا بين البرودة والسخونة (٢) الفضول : فى الاصل جمع فضل وهو الزيادة والمراد الكلام الذي يزيد عن قدر الحاجة فى التفاهم
(٣) مليا : أي قدراً طويلا من الزمن ، وقد فسر ذلك بما بعده
(٤) أي : أنى فعلت الذى أمرتني به وسرت على رغبتك (٥) السمت : الجهة ، والمعنى أننا سرنا متجهين نحو الحمام لنقضي منه لباناتنا (٦) قوامه : القائم عليه الذي يراعي شؤونه والمراد صاحبه (٧) يكد : يتعب ، والمعنى أنه كان يبالغ فى دلكه غير مراع أنه يتضرر منه ويتأذى به (٨) الاوصال : المفاصل ، ويهد : يكسر ، وتقول منه : هدني هذا الامر ، وهد ركنى — اذا بلغ منك وكسرك قال النمر :

على فاجع هد العشيرة فقده ... به أعلن الناعى الحديث المجمجما

وتقول أيضاً : هذا رجل هدك من رجل — اذا وصفته بالجلد والشدة — : أي غلبك وقهرك وكسرك ، ومثله هذه امرأة هدتك من امرأة ، ويقال فى

وَيُصَفِّرُ صَفِيراً يَرُشُّ الْبزَاقَ (١) . ثُمَّ عَمَدَ إِلَى رَأْسِي يَغْسِلُهُ . وَإِلَى الْمَاءِ يُرْسِلُهُ (٢) . وَمَا لَبِثَ أَنْ دَخَلَ الْأَوَّلُ فَحَيَّا أَخْدَعَ الثَّانِي بِمَضْمُومَةٍ قَعْقَعَتْ أَنْيَابَهُ (٣) . وَقَالَ : يَالُكَعُ مَا لَكَ وَلِهٰذَا الرَّأْسِ وَهُوَ لِي (٤) . ثُمَّ عَطَفَ الثَّانِي عَلَى الْأَوَّلِ بِمَجْمُوعَةٍ هَتَكَتْ حِجَابَهُ (٥) وَقَالَ : بَلْ هٰذَا الرَّأْسُ حَقِّي وَمِلْكِي وَفِي يَدِي (٦)

هذين : هادك ، وهادتك ، والاول أكثر

(١) البصاق والبساق والبزاق ـ والكل بوزن عراب ـ: ماءالفم اذا خرج منه (٢) أرسل الماء : صبه (٣)الاخدع : عرق فى العنق ، قال الصمة بن عبدالله :

تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الاصغاء ليتا وأخدعا

والمضمومة : اليد اذا انطبقت أصابعها سميت بذلك لانضمام أجزائها الى بعض والانياب جمع ناب وهومعروف وقعقعتها: جعلتها بحيث يسمع لها صوت لتضاربها والمعنى : أنه لم يمض وقت طويل منذ ابتدأ الرجل الثاني بدلكي حتى جاد الاول فوجده قد استأثر بي فضربه بجمع يده ضربة سمع لهااصطكاك في أنيابه (٤) المعنى : أي شيء سوغ لك أن تدلك صاحب ذلك الرأس وأنا الذي أستحق هذا لأنني أول من لقيه (٥) عطف عليه : أى حمل عليه وكر . والمجموعة: مثل المضمومة، وأراد من حجابه قوته لانها تحجب صاحبها عن انتهاك الناس لحرماته وتعديهم عليه ، والمعنى أن هذه الضربة أضعفت قوته وهونت أمره (٦) أى : اذا كنت تدعى أن لك وحدك حق التصرف فيه بمجرد ملاقاتك له أولا ولطخك الطين عليه فان لي حقا هو آكد من حقك وهو أنه تحت حوزتي الآن وفي تصرفي

ثُمَّ تَلاكَمَا حتَّى عَيِيَا . وَتَحَاكَمَا لِمَا بَقِيَا (١) . فَأَتَيَا صَاحِبَ الحمَّامِ . فقالَ الأوَّلُ : أنا صاحِبُ هذا الرَّأسِ . لأنِّى لَطَخْتُ جَبِينَهُ وَوَضَعْتُ عَلَيْهِ طِينَهُ . وَقَالَ الثَّانِى : بَلْ أنَا مالِكُهُ لأنِّى دَلَكْتُ حامِلَهُ . وَغَمَزْتُ مَفَاصِلَهُ . فقَالَ الحَمَّامىُّ : ائْتُونِى بِصَاحِبِ الرَّأسِ أسألهُ . ألكَ هذا الرَّأسُ أمْ لَهُ . فأتَيَانِى وَقالاَ : لَنَا عِنْدَكَ شَهَادَةٌ فَتَجَشَّمْ (٢) . فَقُمْتُ وَأتَيْتُ . شِئْتُ أمْ أبَيْتُ (٣) . فقالَ الحَمَّامىُّ : يَا رَجُلُ لا تَقُلْ غَيْرَ الصِّدْقِ . وَلا تَشْهَدْ بِغَيْرِ الحَقِّ . وَقُلْ لى هذا الرَّأسُ لأيِّهِمَا . فَقُلْتُ : يَا عَافَاكَ اللهُ (٤) هذا رأْسِى قَدْ صَحِبَنِى فِى الطَّرِيقِ . وَطَافَ مَعِى بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٥) . وَمَا شَكَكْتُ أنَّهُ لِى . فقالَ لِى : اسْكُتْ يَا فُضُولىُّ . ثُمَّ مالَ إلى أحَدِ الخَصْمَيْنِ فقالَ : ياهذا

---

(١) يقال للرجل إذا تعب من شيء وناله الاعياء منه : عى به ، والمعنى أنهما تضاربا ضرباً شديداً حتى أنهك كل واحد منهما الآخر وكاد الموت يدنو منهما ثم تراضيا على أن يرفعا أمرهما لمن يفصل بينهما (٢) أى تحمل المشقة التي تلحقك في السير لأداء هذه الشهادة أمام صاحب الحمام (٣) أى : أنني سرت الى الحمامي إن طائعا وإن مكرها

(٤) عافاك الله : جملة المقصود منها الدعاء له بالعافية والسلامة ، وفيها إشارة إلى أن الذى حل به مما يشبه السقم ولا يقل خطبه عن المرض

(٥) العتيق : أصله القديم ، والمراد به الكعبة المكرمة سميت بذلك لقدم عهدها وفي التنزيل : (وليطوفوا بالبيت العتيق)

إِلَى كَمْ هذِهِ المُنافَسَةُ مَعَ النَّاسِ . بِهـذا الرَّأسِ . تَسَلَّ عَنْ قَلِيـلِ خَطَرِهِ . إِلى لَعْنَةِ اللهِ وَحَرِّ سَقَرِهِ (١) . وَهَبْ أَنَّ هٰذا الرَّأْسَ لَيْسَ . وَأَنَّا لَمْ نَرَ هٰذَا التَّيْسَ (٢) . قالَ عِيسَى بْنُ هِشامٍ : فَقُمْتُ مِنْ ذٰلِكَ الْمَكانِ خَجِلاً . وَلَبِسْتُ الثِّيابَ وَجِلاً (٣) . وَانْسَلَلْتُ مِنَ الْحَمّامِ عَجِلاً . وَسَبَبْتُ الْغُلامَ بِالْعَضِّ وَالْمَصِّ (٤) . وَدَقَقْتُهُ دَقَّ الْجِصِّ (٥) وَقُلْتُ لآخَرَ : اذْهَبْ فَأْتِنِي بِحَجّامٍ يَحُطُّ عَنِّي هـٰذا الثِّقَلَ فَجاءَنِي بِرَجُلٍ لَطِيفِ الْبِنْيَةِ (٦) . مَلِيحِ الْحِلْيَةِ (٧) . فِي صُورَةِ الدُّمْيَةِ (٨) .

---

(١) الخطر : الشأن والمنزلة ، أو هو الجعل وأصله الذي يجعل للسابق من الخيل فى الحلبة ، والمعنى : هون على نفسك شأن هذا الرأس ولا تجعل له في قلبك المنزلة التى تحملك على المنافسة واسل ذلك بالذهاب الى لعنة الله وناره الحامية فهو نهاية في تفظيع حاله (٢) خـبر ليس محذوف أى ليس موجودا أو تجعل ليس بمعنى العدم والمعنى : أفرض هذا الرأس عدما لا وجود له

(٣) الوجل : الخوف ، ووجل صفة مشبهةمنه معناها : خائف. والخجل انكسار في النفس تظهر آثاره بحمرة الوجه ونحوها (٤) في الحـديث : من تعزي بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيـه ولا تـكنوا ، أي قولوا له : عض هن أبيك ، ومعنى سببته بالعض ، قلت له ذلك : والمص أن يقول له : ياماص هن أمك (٥) أى ضربته ضربا أليما

(٦) البنية : الجسم . وأصـلها هيئـة البناء سمي بها الجسم لانضمام بعض أحزائه الى البعض مثـل تضام البناء (٧) الحلية : الشـكل والصورة وربما أريد منها ما يتجمل به من ثياب ونحوه (٧) الدمية : الصورة من عاج أو

فارْتحْتُ إِلَيْهِ . وَدخلَ فقالَ : السَّلَامُ عليْكَ ومِنْ أىِّ بلدٍ أنتَ ؟ فقلْتُ : مِنْ قُم (١) . فقال : حيَّاكَ اللهُ مِنْ أرْضِ النِّعْمةِ والرَّفاهةِ (٢) وَبلدِ السُّنَّةِ والجماعَةِ (٣) . ولقدْ حضَرْتُ فى شَهْرِ رمضانَ جامِعَها وقدْ أُشْعِلَتْ فِيهِ المَصابِيحُ . وأُقِيمتِ التراوِيحُ . فما شعَرْنا إلاَّ بِمدِّ النِّيلِ . وقدْ أتى على تِلْكَ القنادِيلِ (٤) . لٰكِنْ صنَعَ اللهُ لى بِخُفٍّ قدْ كُنْتُ لَبِسْتُهُ رطْباً فلمْ يَحْصُلْ طِرازُهُ على كُمِّهِ (٥) . وعادَ الصَّبىُّ إلى أُمِّهِ . بعْدَ أنْ صلَّيْتُ العَتَمةَ واعْتَدَلَ الظِّلُّ (٦) ولٰكِنْ كيفَ كانَ حجُّكَ هلْ قضَيْتَ مَناسِكَهُ كما وجبَ . وصاحُوا : العَجبَ العَجبَ (٧) فنظَرْتُ إلى المنارَةِ . وما أهْونَ الحَرْبَ على النَّظَّارَةِ (٨) . ووَجدْتُ

رخام ونحوها والجمع دمى كمدية ومدي تشبه بها الغيد الحسان ومنه قوله :
أقول دمى وهى الحسان الرعابيب (١) بلدة من بلاد أيران

(٢) الرفاهة والرفاهية بتخفيف يائها والرفهنية كملهنية رغد العيش ولينه وخصبه وهو رفيه ورافه ورفهان ومترفه مستريح متنعم (٣) الجماعة كلمة كثر استعمالها عند علماء الشرع فى الفرقة التي تضم السواد الاعظم من المسلمين ويقابلها عندهم المعتزلة والجبرية وغيرهما (٤) الكلام هذيان وخرافة والا فا نيل بمصر (٥) ليس للخف طراز أى علامات ولا كم ولكنه يهرف

(٦) أين صلاة العتمة أى العشاء من اعتدال الظل وهو يكون نهارا ؟

(٧) مناسك الحج ما تكلفنا الشارع بادائه (٨) الجماعة يرقبونها من بعيد

الْهَرِيسَةَ على حالِها . وَعلمتُ أنَّ الأَمرَ بقضاءٍ منَ اللهِ وَقدَرٍ . وَإلى مَتى هـذا الضجرُ . وَاليومُ وغدٌ . وَالسبتُ وَالأَحدُ . ولا أُطيلُ . وَما هذا القالُ وَالقيلُ ؟ وَلكِن أحببتُ أن تَعلمَ أنَّ المُبرِّدَ في النَّحوِ حَديدُ المُوسَى (١)

(١) هذا ضرب من الهذيان أيضا وان كان يصح أن يقال أن معنى كونه حديد الموسى فى النحو أنه سريع المضاء فيه قوي المارضة بين الحجة ..والمبرد هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الاكبر الثمالى نسبة الى ثمالة بن سلمة بن كعب بن الحرث بن كعب قبيلة من الازد صاحب كتاب الكامل والمقتضب والتعازي وغيرها كان شيخ النحو والعربية واليه انتهت الزعامة فيهما بعد طبقة شيوخه كالجرمى والمازني وكان من أهل البصرة . وتلقى عن أبى عمر الجرمى وأبى عثمان المازنى وأبى هاشم السجستانى وغيرهم من أهل العربية . وكان يعول على المازنى . ويقال أنه بدأ بقراءته كتاب سيبويه على الجرمى وختمه على المازني ، وكان اسماعيل القاضى وهو أقدم مولدا منه يقول : ما رأي محمد بن يزيد مثل نفسه ، وأخذ عنه الصولي ونفطويه النحوي وأبو على الطومارى وجماعة كثيرة ، وكان حسن المحاضرة . مليح الاخبار . كثير النوادر ، وقال أبو سعيد السيرافى : سمعت أبا بكر بن مجاهد يقول : ما رأيت أحسن جوابا من المبرد فى معانى القرآن فيما ليس فيه قول لمتقدم ، وسمعته يقول : لقد فاتنى منه علم كثير لقضاء ذمام ثعلب ، قال السيرافي : وسمعت نفطويه يقول : ما رأيت أحفظ لاخبار بغير أسانيد منه ومن أبى العباس ابن الفرات ، وقال أبو سعيد : وقد نظر فى كتاب سيبويه فى عصره جماعة لم يكن لهم كتناهيه مثل أبي زكوان القاسم بن اسمعيل ومثل أبي علي بن زكوان

فَلاَ تَشْتَغِلْ بِقَوْلِ الْعَامَةِ .

ومثل أبي يعلى بن ابي ذرعة من أصحاب الحديث ومثل الطبري ومثل أبي عثمان الاشناندانى وأبي بكر محمد بن اسمعيل المعروف بعبرمان وغيرهم ، وقال أبو عبد الله المفجع : كان المبرد لعظم حفظه اللغة واتساعه يتهم فتواضعنا على مسألة لا أصل لها نسأله عنها لننظر كيف يجيب ! وكنا قبل ذلك تمارينا في عروض بيت الشاعر :

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا … حنانيك بعض الشر أهون من بعض

فقال قوم : من البحر الفلانى وقال آخرون : من للبحر الفلانى فقطعناه وتردد على أفواهنا تقطيعه ومنه (ق بعضنا) فقلت له : أيدك الله تعالى ، ما القبعض عند العرب ؟ فقال : القطن ، يصدق ذلك قول الشاعر :

كأن سنامها حشي القبعضا

قال : فقلت لاصحابي : ترون هذا الجواب والشاهد ؟ ان كان صحيحا فهو عجب ، وان كان اختلق الجواب في الحال فهو أعجب !! وروي أن أبا العباس ثعلبا تحلف أبا العباس المبرد بكلام قبيح فبلغ ذلك المبرد فانشده :

رب من يعنيه حالى … وهو لا يجري ببالى

قلبه ملآن مني … وفؤادى منه خالي

فلما بلغ ثعلبا ذلك لم يسمع منه بعد ذلك في حقه كلمة قبيحة . وحكى أبو بكر بن السراج عن محمد بن خلف قال : كان بين أبي العباس المبرد وأبي العباس ثعلب من المنافرة مالا خفاء به ولكن أهل التحصيل يفضلون المبرد على ثعلب وفي ذلك يقول احمد بن عبد السلام :

رأيت محمد بن يزيد يسمو … الى الخيرات في جاه وقدر

جليس خلائف وغذي ملك … وأعلم من رأيت بكل أمر

وكان الشعر قد أودى فأحيا ... أبو العباس داثر كل شعر
وقالوا : ثعلب رجل عليم ... وأين النجم من شمس وبدر ؟
وقالوا : ثعلب يفتي ويملي ... واين الثعلبان من الهزبر ؟

وروى أن بعض أكابر أولاد طاهر سأل أبا العباس ثعلبا أن يكتب له مصحفا على مذهب أهل التحقيق فكتب : (والضحى) بالياء ، ومن مذهب الكوفيين أنه اذا كانت كلمة من هذا النحو أولها ضمة أو كثرة كتبت بالياء وان كانت من ذوات الواو ، والبصريون يكتبون جميع ذلك بالالف . فنظر المبرد في ذلك المصحف فقال : ينبغى أن يكتب : (والضحا) بالالف لانه من ذوات الواو ، فجمع أبو طاهر بينهما ، فقال المبرد لثعلب : لم كتبت والضحى بالياء ؟ فقال : لضمة أوله . فقال له : ولم اذا ضم أوله وهو من ذوات الواو تكتبه بالياء فقال : لان الضمة تشبه الواو وما أوله واو يكون آخره ياء فتوهموا أن اوله واو ، فقال أبو العباس المبرد : أفلا يزول هذا التوهم الى يوم القيامة؟

ولبعضهم فى مدح المبرد :

وأنت الذي لا يبلغ الوصف مدحه ... وان أطنب المداح في كل مطنب
رأيتك والفتح بن خاقان راكبا ... وأنت عديل الفتح فى كل موكب
وكان أمير المومنين اذا دنا ... اليك يطيل الفكر بعد التعجب
وأوتيت علما لا يحيط بكنهه ... علوم بني الدنيا ولا علم ثعلب
يروح اليك الناس حتى كانهم ... ببابك فى أعلى منى والمحصب

وقال الزجاج : لما قدم المبرد بغداد جئت لا ناظره — وكنت أقرأ على أبى العباس ثعلب — فعزمت على أعناته ، فلما فاتحته ألجمنى بالحجة . وطالبنى بالعلة، وألزمنى الزامات لم أهتد اليها فتيقنت فضله واسترجحت عقله وأخذت فى

قَبْلَ الفِعْلِ لَكُنْتُ قَدْ حَلَقْتُ رَأْسَكَ [١] . فَهَلْ تَرَى أَنْ نَبْتَدِئَ ؟

ملازمته . ولبعضهم فى مديحه أيضا :

واذا يقال : من الفتى كل الفتى والشيخ والكهل الكريم العنصر ؟
والمستضاء بعلمه وبرأيه وبعقله ؟ قلت : ابن عبد الا كبر

قال أبو العباس بن عمارة : صحف محمد بن يزيد المبرد في كتاب الروضة فى قوله : حبيب بن خدرة ، فقال : حبيب بن جدرة ، وفى ربعي بن حراش فقال : حراس ، وصنف كتبا كثيرة ومن أكبرها كتاب المقتضب وهو نفيس ألا أنه قلما يشتغل به أو ينتفع به . قال أبو على : نظرت فى كتاب المقتضب فما انتفعت منه بشيء وألا بمسألة واحدة وهي وقوع اذا جوابا للشرط في قوله تعالى : (وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون)

قال ابو البركات بن الانبارى : وكان السر فى عدم الانتفاع به أن أبا العباس لما صنف هذا الكتاب أخذه عنه ابن الراوندى المشهور بالزندقة وفساد الاعتقاد وأخذه الناس من يد ابن الراوندى وكتبوه منه فكانه عاد عليه شؤمه فلا يكاد ينتفع منه أحد . وقال أبو بكر بن السراج : كان مولد المبرد سنة ٢١٠ ومات سنة ٢٨٥ ولذلك قال محمد بن العباس : قرأ على بن المنادى وأنا اسمع مات محمد يزيد المبرد في شوال سنة ٢٨٥ في خلافة المعتضد بالله تعالى . ولثعلب في المبرد حين مات :

ذهب المبرد وانتهت أيامه وليذهبن مع المبرد ثعلب
بيت من الآداب أضحى نصفه خربا وباقي النصف منه سيخرب
فتزودوا من ثعلب فبكأس ما شرب المبرد عن قريب يشرب
أوصيكم أن تكتبوا أنفاسه ان كانت الانفاس مما يكتب

(١) هذه احدى مسائل علم الكلام وقد تقدم كثير منها فى المقامة

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَبَقِيتُ مُتَحَيِّراً مِنْ بيانِهِ . في هَذَيانِهِ . وَخَشِيتُ أَنْ يَطُولَ مَجْلِسُهُ فقُلْتُ : إِلى غَدٍ إِنْ شَاءَ اللهُ . وَسَأَلْتُ عَنْهُ مَنْ حَضَرَ فقَالوا : هذَا رَجُلٌ مِنْ بِلاَدِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ لَمْ يُوَافِقْهُ هذَا الْمَاءُ . فَغَلَبَتْ عَلَيْهِ السَّوْدَاءُ . وَهُوَ طُولَ النَّهَارِ يَهْذِي كَمَا تَرَى وَوَرَاءَهُ فَضْلٌ كَثِيرٌ . فقُلْتُ : قَدْ سَمِعْتُ بِهِ وَعَزَّ عَلَيَّ جُنُونُهُ . وَأَنْشَأْتُ أَقُولُ :

أَنَا أُعْطِي اللّهَ عَهْداً مُحْكَماً فِي النَّذْرِ عَقْداً[1]
لا حَلَقْتُ الرَّأْسَ مَا عِشْتُ وَلَوْ لاقَيْتُ جَهْداً[2]

المارستانيةوبيانها أنه قدوقع خلاف بين الاشاعرةوغيرهم فى هل الاستطاعة — وهي القدرة على الفعل وأحداث المراد — أمر يوجد فى المستطيع قبل العمل ومتى اتجهت ارادته اليه وتعلقت به أوجـده أو هي أمر لا يوجد في المستطيع الا مقارنا للفعل وحين تتجه الارادة لانجازه يخلقه الله مع الفعل نفسه ، والحجام المعتوه يؤيدالرأي الثانى الذى يقول أن الاستطاعة والفعل يخلقان معا ويستدل علي ذلك بأنه لو ثبت حقيقة أن الاستطاعة توجد قبله ومتي توجهت الارادة اليه حصل لكان توجه أرادته الي حلق رأسه كافيا في حلقها وأيضاح ذلك أنه يلزم عليه أن تكون الاستطاعة مؤثرة بنفسها في الفعل غاية ما هنالك أنها لا تؤثر قبل تسلط الارادة عليه

(١) عقدا : أي واجب النفاذ وفى الكتاب العزيز : (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان) أي نويتموه ولم تطلقوه عفواً

(٢) الجهد . التعب ، والمعنى . أنى عزمت عزيمة أكيدة وانتويت نية

المَقامَةُ النَّهِيدِيَّةُ

حَدَّثَنا عِيسَي بْنُ هِشامٍ قالَ : مِلْتُ مَعَ نَفَرٍ مِنْ أَصْحابِي إلى فِناءِ خَيْمَةٍ أَلْتَمِسُ القِرَى مِنْ أَهْلِها (١) فَخَرَجَ إلَيْنا رَجُلٌ حُزُقَّةٌ (٢). فقالَ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فقُلْنا : أَضْيافٌ لَمْ يَذُوقُوا مُنْذُ ثَلاثٍ عَدُوفاً (٣). (قالَ) فَتَنَحْنَحَ ثُمَّ قالَ : فَما رَأْيُكُمْ يا فِتْيانُ فِي نَهِيدَةٍ فِرْقٍ كَهامَةِ الأَصْلَعِ فِي جَفْنَةٍ رَوْحاءَ (٤) مُكَلَّلَةٍ بِعَجْوَةِ خَيْبَرَ مِنْ أَكْتارِ جَبَّارٍ

لا أخلفها وأقسمت يمينا لا أحنث فيه أني لا احلق رأسي ولا استدعي حجاما يكون شأنه معي هكذا مهما كلفني عدم استدعائه من المشقة وحماني من العناء ومهما لقيت في سبيل انفاذ هذا العزم من نصب واجهاد

(١) الخيمة معروفة وفناؤها المكان المتسع يمتد بجانبها ، وألتمس : أطلب والقري : الضيافة والنفر — بوزان باح وتمر ، ومثله النفير والنفرة كتمرة الجماعة من الناس من ثلاثة الي عشرة ، والمعنى : أني قصدت خيمة ومعي جماعة من أخلائي أطلب الضيافة من أهلها لي ولهم

(٢) حزقة بضمتين ، أو بفتح فضم ، ثم قاف مشددة مفتوحة : الرجل العظيم البطن مع قصر أو هو القصير (٣) يقال : ماذقنا عدوفا ولا عدوفة ولا عدفا ويحرك ولا عدافا كغراب أي ما طعمنا شيئا ومنه قيل دابة بلا عدوف أي علف . والمراد شكاية الحال واظهار شدة الحاجة الي الطعام

(٤) النهيدة : الزبدة ، والفرق القطيع من الغنم العظيم ومن البقر أو هو خاص بقطيع الغنم واضافة النهيدة اليه لانها منه وهامة الاصلع : رأس الرجل الذي لا شعر له ، وجفنة روحاء : متسعة ، وأراد من تشبيه الزبدة

رَبُوضٍ [1] اَلْواحِدَةُ مِنها تَملأُ الْفَمَ [2] مِنْ جَماعَةٍ خُمْصٍ عُطْشٍ خُمْسٍ يَغيبُ فيها الضِّرْسُ [3] كَأنَّ نَواها أَلْسُنُ الطَّيْرِ [4] يَحْفُّونَ فيها

برأس الاصلع وصفها بالنقاء والضخامة لان رأس الاصلع نقية من الشعر نظيفة ويغلب على الصلع ضخم الرأس وعظمها والمعني : ما رايكم فى أن أحضر اليكم زبدة كانها رأس الاصلع ضخامة ونقاء قد اتخذت من لبن الغنم فى قصعة واسعة وكنى بسعة القصعة عن كثرة المقدار الذي سيحضره لهم

(١) مكالة . أى جعل على جوانبها شىء من العجوة وهي التمر وخيبر مدينة تقرب من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت تسكنها اليهود ثم افتتحها المسلمون وتجلت شجاعة على بن أبي طالب كرم الله وجهه أجلى مما بها يوم فتحها ، والاكتار جمع كثر وأصله السنام المرتفع وأراد منه عذق النخلة تشبيها له بالسنام والحبر النخلة العظيمة والربوض الواسعة الاقطار والمعنى أنى أضع لكم أيضا على جوانب هذه القصعة الممتلئة من الزبدة أجود أنواع التمر وأفضلها لتسيغوا أكلها وتستمرئوا طعمها (٢) المعنى . أن التمرة الواحدة من العجوة التى سأحضرها لكم لسمنها وعظم ضخامتها تملا الفم وليس الفم مطلقا بل فم جماعة صفتهم كيت وكيت (٣) الخمص الجياع وفي الحديث : (تغدو خماصا) والخمصة — بفتح الخاء — : المرة من الجوع يقال . ليس للبطنة خير من خمصة ومنه قيل للمجاعة : مخمصة . وقد خمصه الجوع — من باب نصر — : أصابه وأخلي بطنه والعطش العطاش والخمس تأكيد له وهو من صفات الابل أن تمنع الورود ثلاثة أيام ثم ترد في الرابع ويغيب فيها الضرس : لسمنها وكونها طرية سائغة (٤) السن الطير صغيرة واذا كانت التمرة كبيرة ونواتها صغيرة كان أكثرها غذاء فالعبارة كناية عن ذلك يقول : ليس عظمها ولا ضخامتها ناجما عن كبر النواة بل أن معظمها وأكثره

النَّهِيدَةَ [١] مَعَ أَقْعُبٍ قَدْ احْتُلِبْنَ مِنَ الْجِلَادِ الْهَرَمِيَّةِ الرَّبْلِيَّةِ [٢] أَتَشْتَهُونَهَا يا فِتْيَانُ ؟ فقُلْنا : إِى وَاللهِ نَشْتَهِيها [٣] فَقَهْقَهَ الشَّيْخُ وَقالَ : وَعَمُّكُمْ أَيْضًا يَشْتَهِيها ثُمَّ قالَ : فَما رَأْيُكُمْ يافِتْيانُ فى دَرْمَكٍ كَأَنَّها قِطَعُ السَّبائِكِ [٤] تُجَرْثَمُ عَلَى سُفْرَةٍ حَزْنِيَّةٍ بِها رِيحُ القَرَظِ [٥] فَيَثِبُ

ما فيها جسم يؤكل (١) يحفون : يغرقون ، والضمير فى (فيها) للتمرة . ويقال : أنه ليحف الزبد بالتمر . وقال جرير :

ودعا الزبير فما تحركت الحبى لو سمتهم جحف الخزير لثاروا

والحزير والخزيرة : لحم يقطع صغارا ويصب عليه ماء كثير فاذا نضج ذر عليه الدقيق فان لم يكن فيها لحم فهى عصيدة . وقيل : هى حسا من دقيق ودسم ، وقيل : اذا كان من دقيق فهى حريرة واذا كان من نخالة فهى خزيرة والمعنى أنكم تطعمون الزبدة بالتمر وذلك أشهى وأحسن

(٢) الاقعب جمع قعب وهو وعاء اللبن ، والجلاد الابل الكثيرات الدر والهرميه والربليه نسبتان الى الهرم والربل بفتحهما ، والهرم نبت أوشجر أو هو البقلة الحمقاء وابل هوارم تأكلها فتبيض عثانينها منها ، والربل ضرب من الشجر يتفطر فى آخر القيظ بعد الهيج ببرد الليل من غير مطروتربل أكله والمعنى: أنى آتى لكم مع ماأسلفت بأقعب مملوءة من ألبان الابل التى أكلت الهرم والرمل فغزر لبنها وسمن ، والمراد التكنية عن سمن اللبن وغزارته (٣) أى أنه بعد أن وصف لنا ذلك الوصف الذي يبعث الشوق ويزيد الرغبة سألنا عما اذا كنا نريد أن نأكل منه فما أجبناه الا بالذى يدل على الطلب ولكنه ما زاد على أن ضحك وذكر أنه يود أن يطعم معنا (٤) الدرمك لباب الدقيق والسبائك : القطع من الفضة ونحوها ، جمع سبيكة (٥) تجرثم : تجتمع ،

أليها منكم فتي رفيف . لبق خفيف (١) فيعجنه من غير أن يرجفه أو يخشفه فيذيله دون ملاك ناعم ثم يلته بالسمار أو المذق لتاً عزيراً (٢) ثم يعمد أليه فيلويه ويدعه في ناحية الصيداء حتي أذا تخ من غير أن يترز عمد ألي قصد الغضا (٣) فأشعل فيه النار

والسفرة : الجلدة التي توضع تحت الخوان ليتقي عليها فتات المائدة ، وحرتيه نسبه الي الحرت وأصله قطع الشيء مستديرا ودلكه وأراد الذي بولغ في العناية به ، والقرظ : شجر يدبغ به والمعنى أن رائحة الدباغ لا تزال عالقة به كناية عن جدتها (١) يثب : يظفر ، والمراد يقوم ، رفيف : حسن الخلق ، ولبق حاذق ، وخفيف : أي سريع الحركة نشيط . والمعنى : ماذا تقولون اذا أحضرت لكم خالص الدقيق ولبابه وجئتكم بسفرة مستديره لا تزال علائم الجدة بادية عليها ووضعت فوقها ذلك الدقيق فيقوم منكم فتى خفيف اليد سريع الحركة كثير النشاط حاذق جميل ليقوم لكم بعمله (٥) يرجفه أي يحركه بعنف وأصله الرجفة وهي الحركة الشديدة ومنه سميت القيامة : راجفة . ويخشفه يسيء صنعه بوضع ماء كثير يجعله قطعا كمخشوف الرأس أي مفضوخها

(٢) يلته : يخلطه . ولت السويق ، ومثله الجدح ، : أن يحرك السويق بالماء أو اللبن ونحوهما ويحرك حتي يستوي ، وربما حرك بخشبة مجنحة الرأس لها ثلاث شعب وتسمي : المجدح ، والسمار اللبن الحليب اذا خلط بالماء والمذق اللبن الحامض اذا صنع به ذلك قال : جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط

(٣) الصيداء : الارض الغليظة ، أو الحجارة التي تصنع منها القدور والمراد أن يكون على أرض تظهر فيها الحرارة مع جودة الهواء ، وتخ ظهرت فيه الحموضة ويترز أي ييبس ويشتد وقصد الغضا أغصانه والغضا شجر كثير

فَلَمَّا خَبَتْ نارُهُ [١] مَهَّدَ لِقُرْمُوصِهِ [٢] ثُمَّ عَمَدَ الى عَجِينِهِ فَفَرْطَحَهُ بَعْدَ ما أَنْعَمَ تَلْوِيثَهُ ثُمَّ دَحَا بِهِ عَلَيْهَا ثُمَّ خَمَّرَهُ [٣] فَلَمَّا قَفَّ وَقَبَّ أَحالَ عَلَيْهِ مِنَ الرَّضْفِ ما يَلْتَقِي بِهِ الأَوارَانِ [٤] حَتَّى اذا غَطَّاهُما عَلَى المَلَّةِ المُشاكِهَةِ بِطَبَقٍ وَتَفَلَّجَ شِفَافًا [٥] . وَحَكَى قِشْرُها رِقاقًا . وَاحْمِرارُها احْمِرارَ بُسْرِ الحِجازِ المَشْهُورِ بِأُمِّ الجُرْذَانِ أَوْ عِذْقِ بْنِ طابٍ شُنَّ عَلَيْها ضَرَبٌ بَيْضاءُ [٦] كالثَّلْجِ الى أَوانِ رُسُوخِها في خِلالِ الدِّهانِ وَيَشْرَبُ لُبُّ الدَّرْمَكِ ما عَلَيْهِ مِنَ الضَّرَبِ قُدِّمَتْ الَيْكُمْ فَتَلَقَّمُوها

اللهب شديد النار يضرب به المثل فى ذلك

(١) خبت النار : سكنت (٢) مهد : هيأ ، والقرموص بضم أوله ومثله القرمص والفرماص بكسرهما : موضع خبز الملة وهى الرماد الحار والجمر ، والمعنى هيأ مكانا ليكون قرموصا يخبز فيه (٣) فرطحه : عرضه ليتسع ، واللويث : الدقيق يذر على الخوان تحت العجين ، ولوث : فعل منـه أي وضع اللويث ، وأنعم : صيره ناعما ، وقال الاستاذ الامام فى بيان ذلك المعنى كلاما لا يفهم ولا يلتقي بالموضوع ، ودحا : بسط ، والباء في به للتعدية ، والضمير فى عليها للنار ، والمعنى وضعه فيها ، وخمره : غطاه

(٤) قف : يبس وجف ، وقب : ارتفـع ، والرضف : الحجـارة المحماة والاوار : النار ، والتقاء الاوارين : تقابلهما ، والمقصود بهما النـار الاولى من تحته ونار الرضف من فوقـه (٥) الملة بالفتح الجمر ، والمشاكهة : المشابهة قال زهير : وشاكهت فيها الظباء ، وتفلج : تشقق (٦) البسر : التمر قبل أن يصير رطبا ، وأم الجرذان : نوع منه مشهور ، وعذق بن طاب : نخل بالمدينة

لَقِمَ جُوَيْنٍ أَوْ زَنْكَلٍ (١) أَفَتَشْتَهُونَهَا يا فِتْيانُ ؟ (قالَ) فاشْرَأَبَّ كُلٌّ مِنّا إلى وَصْفِهِ (٢) وَتَحَلَّبَ رِيقُهُ (٣) وَتَلَمَّظَ (٤) وَتَمَطَّقَ (٥) . قُلْنا : إي وَاللهِ نَشْتَهِيها . قالَ : فَقَهْقَهَ الشَّيْخُ وَقالَ : وَيْحَكُمْ وَاللهِ لا يُبْغِضُها ثُمَّ قالَ : ما رَأْيُكُمْ يا فِتْيانُ في عَنَاقٍ نَجْدِيَّةٍ . عُلْوِيَّةٍ بَرِّيَّةٍ (٦) . قَدْ أَكَلَتِ الْبَرَمَ وَالشِّيحَ النَّجْدِيَّ وَالْقَيْصُومَ وَالْهَشِيمَ (٧) . وَتَبَرَّضَتِ الْحَمِيمَ . وَتَمَلَّأَتْ مِنَ الْقَصِيصِ (٨) فَوَرَى مُخُّها وَزَهِمَتْ كُشْيَتُها (٩)

ورش عليها : صب ، والضرب : العسل (١) جوين بصيغه المصغر وزنكل بوزن جعفر : رجلان شديدا النهم كثيرا الاكل

(٢) أي مد عنقه متطلعا راجيا تحقيق وصفه (٣) أي سال لعابه (٤) اى جري ريقه فأخرج لسانه ليمسح به شفتيه (٥) المعنى ضرب لسانه في اعلا فمه واسفله (٦) العناق بفتح اوله : الانثى من المعز ، نجدية : منسوبة الى نجد وهو قسم من بلاد العرب ، وعلوية : المنسوبة الى العالية وهي أرض بين نجد وتهامة الى ما وراء مكة ، والبرية : المنسوبة الى البر ، والمراد انها ليست مما يربى في البيوت

(٧) البرم بفتحتين : ثمر الاراك او الغضا . والشيح : شجر معروف والقيصوم : نبات طيب الرائحة ، والهشيم : المتكسر من النبات اليابس

(٨) الحميم : الماء البارد وتبرضته : شربت منه ، والقصيص : نبات يكون في أصول الكمأة وتملأت منه : امتلا جوفها ، وشاة مليء : في بطنها ماء وأغراس كثير فتحسبها حاملا (٩) وري مخها : كثر من قولهم : ورت الابل اذا سمنت ، وزهم بوزن فرح : سمن ودسم ، والكشية أصلها شحمة بطن

تَشْحَطُ مُمْتَبَطَةً (١) ثُمَّ تُنْكَسُ فِي وَطِيسٍ حَتَّى تَنْضَجَ مِنْ غَيْرِ امْتِحَاشٍ أَوْ أَنْهَاءٍ (٢) ثُمَّ تُقَدَّمُ إِلَيْكُمْ وَقَدْ عُطَّ أَهَابُهَا عَنْ شَحْمَةٍ بَيْضَاءَ (٣) عَلَى خُوَانٍ مُنَضَّدٍ بِصَلَائِقَ كَأَنَّهَا الْقَبَاطِيُّ الْمُنْشَرُ (٤). أَوِ الْقُوهِيُّ الْمُمَصَّرُ (٥). قَدِ احْتَفَّتْهَا نُقْرَاتٌ فِيهَا صِنَابٌ وَأَصْبَاغٌ شَتَّى فَتُوضَعُ

الضب وأراد منها هنا مطلقا ويقال : يدى من الدهن زهمة (١) تشحط : تذبح وممتبطة : بدون سبب من قولهم فعله اعتباطا أي بلا علة (٢) تنكس : توضع منكسة والوطيس: التنور وقولهم : حمى وطيس القتال مأخوذ منه ، والامتحاش : الاحتراق ، والانهاء : المبالغة فى أنضاجها حتى يصل بها ألي النهاية ، والمعنى أنه بعد أن خيب أملنا فى المرتين السالفتين رجع ألي وصف أكلة ثالثة فاستفسر منا عما أذا كان يروق لنا أن يجيئنا بماعزة قد سمنت وكثر دسمها وطاب لحمها من طول ما أكلت النبات الذى من شأنه أن يفعل ذلك ــ واللحم يختلف هزالا وسمنا باختلاف المرعي ولذلك تقول العرب في أمثالها : ماء ولا كصداء ومرعي ولا كالسعدان ـ ثم نذبحها بدون ما سبب غير تناولكم من لحمها ثم توضع فى التنور لتنضج من غير أن تحترق أو تنتهي في النضج وأطيب ما يكون اللحم أذا كان كذلك

(٣) عط بالبناء للمجهول : شق، والاهاب : الجلد والمعني أنها قد تكشفت عن دهن كثير (٤) الخوان ما يمد عليه الطعام مالم يكن فاذا وجد فهو المائدة فقط وتقدم مثل هذا والمنضد : المرصع والصلائق الخبز الرقاق ومفرده صليقة، والقباطي نوع من ثياب الكتان أبيض رقيق والمنشر المنشور أي المبسوط (٥) القوهى كذلك نوع من الثياب والممصر المصبوغ بلون بين الحمرة والصفرة

بَيْنَكُمْ تَهَادَرُ عَرَقاً . وَتَسَايَلُ مَرَقاً (١) . أَفَتَشْتَهُونَهَا يا فِتْيانُ ؟ قُلْنا : إِي وَاللهِ نَشْتَهِيها . قالَ : وَعَيْشِكُمْ وَاللهِ يَرْتَصُ لَهَا (٢) . فَوَثَبَ بَعْضُنا إِلَيْهِ بِالسَّيْفِ (٣) وَقالَ : ما يَكْفِي ما بِنا مِنَ الدَّقْعِ حَتَّى تَسْخَرَ بِنا (٤) : فَأَتَتْنا ابْنَتُهُ بِطَبَقٍ عَلَيْهِ جِلْفَةٌ . وَحُثالَةٌ وَلَوِيَّةٌ (٥)

---

(١) النقرات جمع نقرة وأراد منها الاناء والصناب الصباغ من الخردل والزيت ونحوهما مما يتخذ لتقوية الداعية الى الطعام ، وتهادر أصله : تتهادر حذف منه احدي التاءين ومعناه المقصود هنا التقاطر ، لكنا لم نجد في الذي بين أيدينا من أمهات كتب اللغة ما يساعد على ارادة هذا المعنى من هذا اللفظ بل كل ما يمكن أن يقال : انها من قولهم هدرت جرة النبيذ تهدر اذا غلت وسمع لها صوت وهي حينئذ قريبة من أن يسيل على جوانبها النبيذ . وقال :

وجرة خضرا لها هدير يظل منها الشيخ يستدير

والمعنى انها تجيئكم سمينة كثيرة الشحم والدهن ، واللحم الجيد اذا نضج سال دهنه (٢) أي انه لو أتيح له أن يأكل مثل هذا الذى وصفه لكم لرقص سروراً وغبطة (٣) أي أن بعض الجماعة الذين كانوا يستمعون له أخذته الحدة وهم أن يضربه بالسيف جزاء له على تشويقه لهم دون أن يكون وراءه نفع ظاهر يردون به عادية الجوع وشدته (٤) يقال : سخر به ، وسخر منه : أي لم يحترمه ، ولم يوقره ، وأنقص قدره ، واستهان به ، وحط من شأنه ، وفي التنزيل : (قال : ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون) . والمعنى ألم تأخذك بنا الشفقة فتكفينا لأواء الجوع وبأساءه ؟ ثم اذا كنت لا تنقذنا من مخالبه أفما تكفينا بسكوتك شر هزئك وسخريتك بنا ؟ (٥) الجلفة : أردأ الخبز ، والحثالة الرديء من التمر ، واللوية ما أخفيته لغيرك من الطعام ،

وَأَكْرَمَتْ مَثْوانا [1] فَانْصَرَفْنا لَها حامِدِينَ وَلَهُ ذامِّينَ

المَقامَةُ الإِبْلِيسِيَّةُ

حَدَّثَنا عِيسَى بْنُ هِشامٍ قالَ : أَضْلَلْتُ أَبِلاً لِي فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِها [2] فَحَلَلْتُ بِوادٍ خَضِرٍ [3] فَإِذا أَنْهارٌ مُصَرَّدَةٌ [4] وَأَشْجارٌ باسِقَةٌ [5] وَأَثْمارٌ يانِعَةٌ [6] وَأَزْهارٌ مُنَوَّرَةٌ [7] وَأَنْماطٌ مَبْسُوطَةٌ [8] وَإِذا شَيْخٌ جالِسٌ فَراعَنِي مِنْهُ مايَرُوعُ ٱلْوَحِيدَ مِنْ مِثْلِهِ [9] فَقالَ : لا بَأْسَ عَلَيْكَ [10]

والمعنى انها قدمت لنا ما حرمنا منه أبوها وهيأت لنا ما يسد حاجتنا

(١) مثوانا : اقامتنا ، وفى التنزيل : (أكرمي مثواه) . والمعنى انها كانت خيرا من أبيها حيث أحسنت الينا فى حين أنه أساءنا ولذلك غادرناها وألسنتنا رطبة بالثناء عليها وشكران صنيعها

(٢) يقال : أضل فلان البعير والفرس ونحوهما اذا ذهبا عنه فلم يعرف لهما مكانا ومثله ضلهما ، والمعنى أنه تفقد ابله فلم يجدها فذهب يبحث عنها

(٣) الوادي منفرج بين جبال أو تلال أو آكام وجمعه أودية وأوداء وأوداة وأودايه ، وخضر أي أخضر وذلك كناية عن كثرة نباته وأعشيشاب أرضه

(٤) أنهار مطردة : جارية (٥) باسقة مرتفعة وفى التنزيل (والنخل باسقات)

(٦) ينع الثمر كمنع وضرب ينعا وينعا (بفتح أوله وضمه) وينوعا بالضم حان قطافه ومثله أينع (٧) أي زاهيه (٨) الانماط : جمع نمط وهو البساط ومبسوطة : مفروشة (٩) راعه يروعه أفزعه وأخافه ، والمعنى أني خشيت منه وأخذني الرعب (١٠) البأس : الشدة ، ولا بأس عليك : كلمة معناها

فَسلَّمْتُ عَلَيْهِ وَأَمَرَني بالْجُلُوسِ فامْتَثَلْتُ . وَسَأَلَني عَنْ حالى فأَخْبَرْتُ فقالَ لى : أَصبْتَ دالَّتَكَ [١] . وَوَجدْتَ ضالَّتَكَ . فَهَلْ تَرْوى مِنْ أَشْعارِ الْعَرَبِ شَيئًا ؟ قُلتُ : نَعَمْ . فأَنْشَدْتُ لِامْرِىءِ القَيْسِ [٢]

لا يلحمك مكروه ولا ينزل بك ألم . والمعنى انه هدأ روعي وسكن جأشى

(١) الدال الذى يدلك على ما فقد منك ويهديك اليه والتاء فيه للمبالغة

(٢) هو ابو الحرث حندج بن حجر الكندى رأس الشعراء فى الجاهلية ، والمبرز فى حلبتهم ، وقائدهم الى التفنن في أبواب الشعر وضروبه ، وآباؤه من أشراف كندة وملوكها ، وأمه فاطمة بنت ربيعة أخت مهلهل وكليب التغلبيين ، وكانت بنو أسد من المضريه خاضعة لملوك كندة وآخر ملك عليها هو حجر ابو امرىء القيس . . وقد نشأ امرؤ القيس بأرض نجد بين رعية أبيه من بنى أسد ، وسلك مسلك المترفين من أولاد الملوك يلهو ويلعب ويعاقر الخمر ويغازل الحسان . وزاد على ذلك انه انفق وقته فى التشبيب بالنساء والخروج فى ذلك الى حد الصراحة في الفحش منصرفا عما يأخذ به امثاله أنفسهم من الاعتداد للملك وقيادة الشجعان فمقته ابوه لذلك وزجره عن للهو والتشبيب بالنساء ولما لم ينجع فيه القول طرده عنه وأقصاه فالتف عليه بعض صعاليك العرب وذؤبانهم وشذاذهم ينزلون المياه ويذبحون ويشربون ويطربون وتغنيهم القيان . وانه لكذلك في احدي نزلاته بأرض (دمون) يشرب ويلعب النرد مع رفاقه اذ جاءه نبأ ثوران بنى اسد على ابيه وقتلهم له لانه كان يعسف فى حكمه لهم ويشتد عليهم فى الاتاوة التي يؤدونها اليه فلم ينزعج امرؤ القيس للخبر خشية ان ينغص على رفاقه عيشهم ثم قال : (ضيعني صغيرا ، وحملني ثأره كبيرا ، لا صحو اليوم ولا سكر غدا ، اليوم خمر ، وغدا

أمر) ثم أخذ يجمع العدة ، ويستنجد القبائل في ادراك ثأره فكان يجيبه بعضها ويعتذر بعضها فنازل بني أسد وقتل منهم كثيرا ولم يشف ذلك من غلته ، وكانت في نفس المنذر (أحد ملوك الحيرة) موجدة على آل امرىء القيس لأن الحارث جد امرىء القيس زاحم المناذرة ملوك الحيرة عند كسرى في النيابة عنه على ملك الحيرة ، وقت أن شجر الخلاف بين المناذرة وكسرى قباذ (وهو أبو كسرى أنوشروان) فألب المنذر على امرىء القيس العرب ، من أياد ، وبهراء ، وتنوخ ، وأمده كسرى أنوشروان بن قباذ بجيش من الاساورة لرضاه عن آل المنذر فلم يكن لامرىء القيس به طاقة وتفرق عنه أصحابه فجعل يستجير بالقبائل واحدة بعد واحدة وتقع من أجله حروب عديدة حتى نزل على السموءل بن عادياء اليهودي فأودعه ابنته ودروعه وسلاحه وطلب اليه أن يكتب له الى الحارث بن أبي شمر الغساني بالشام ليوصله الى قيصر ، فلما بلغ قيصر استنصره على أعدائه الذين حلهم من شيعة المناذرة وأتباعهم المستظلين بحماية الفرس أعداء الروم فأمده قيصر بجيش لم يخرج عن بلاد الروم حتى بدا له فاسترجع الجيش ، وقفل امرؤ القيس راجعاً ، واشتد به في طريقه علة قروح فمات منها ودفن بأنقرة ، وكان ذلك قبل الهجرة بقريب من قرن

ويعتبر امرؤ القيس رأس فحول الجاهلية والمقدم في الطبقة الاولى من شعرائهم المعروفة أخبارهم ، وهو — وان كان راوية أبي دؤاد الأيادي، وخاله مهلهلا — لم يسبقه على مبلغ علمنا الى طرق كثير من أبواب الشعر والافاضة فيه أحد ، فهو أول من أجاد القول في استيقاف الصحب ، وبكاء الدار ، وتشبيه النساء بالظباء والمها والبيض ، وفي وصف الخيل بقيد الاوابد ، وترقيق النسيب ، وتقريب مأخذ الكلام ، وتجويد الاستعارة ، وتنويع التشبيه ، حتى ليظن أنه المبتكر لذلك ، ويغلب على شعره التشبيب والوصف أيام صبوته ، وبث

الشكوى وتنكر الخلان زمن محنته ، وقد يفحش في تشبيبه بالنساء وتحدثه عنهن ، ويشم من شعره رائحة النبل ، وتلمح فيه شارات السيادة والملك من ذلك قوله :

فظل العذاري يرتمين بلحمها　　وشحم كهداب الدمقس المفتل

وقوله :

وظل طهاة اللحم ما بين منضج　　صفيف شواء أو قدير معجل

وقوله :

ولو أن ما أسعى لادنى معيشة　　كفانى ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل　　وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

وشعره — وان اشتمل لشملة البداوة فى جفاء العبارة وخشونة الالفاظ وتجهم المعانى — تراه يخطر أحيانا في حلل من حسن الديباجة وبديع المعنى ودقة النسيب ومقاربة الوصف وسهولة المأخذ ، مما كان منه لخلفه أجمل مثل حاكوه فى ترقيق شعرهم وحسن تأتيهم في تصوير معانيه فمن النوع الاول قوله فى وصف محبوبته :

واذ هي تمشى كمشى النزيـ　　ـف يصرعه بالكثيب البهر
برهرهة رودة رخصة　　كخرعوبة البانه المنفطر

وقوله فى معلقته :

وفرع يغشى المتن أسود فاحم　　أثيث كقنو النخلة المتعشكل
غدائره مستشزرات الى العلا　　تضل العقاص فى مثنى ومرسل
وكشح لطيف كالجديل مخصر　　وساق كانبوب السقي المذلل
وتعطو برخص غير شثن كانه　　أساريع ظبي أو مساويك أسحل

ومن النوع الثانى قوله :

كان عيون الوحش حول خبائنا　　وأرحلنا — الجزع الذي لم يثقب

وقوله :

كان قلوب الطير رطبا ويابساً لدي وكرها العناب والحشف البالي

وقوله :

أغرك مني ان حبك قاتلي وانك مهما تأمري القلب يفعل

ومن شعره السائر مسيرة الامثال قوله :

اذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان

وقوله :

فانك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف، ولم يغلبك مثل مغلب

وقوله :

وقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب

(١) عبيد : هو عبيد (بفتح العين وكسر الباء الموحدة) بن الابرص ابن عوف بن جشم بن عامر بن مالك بن زهير بن مالك بن الحرث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن مضر الاسدي الشاعر من فحول شعراء الجاهلية . . عده ابن سلام في الطبقة الرابعة وقرنه بطرفه بن العبد وعلقمة بن عبدة التميمي وعدي بن زيد العبادي . قال : وعبيد بن الابرص قديم عظيم الشهرة وشعره مطرب ذاهب لا أعرف منه الا قوله :

أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب

قال : ولا أدري ما بعد ذلك . وقال الجاحظ : ان عبيدا وطرفة دون ما يقال عنهما ان كان شعرهما ما في يد الناس فقط ، وقد أشار ابو العلاء المعري الى اختلال بائية عبيد بقوله :

وقد يخطيء الرأي امرؤ وهو حازم كما اختل في نظم القريض عبيد

وَلَبِيدٍ[1]

ويذكرون ان سبب قوله للشعر أنه كان محتاجا ولم يكن له مال فأقبل ذات يوم ومعه غنيمة له ومعه أخته ماوية ليوردا غنمهما فمنعه رجل من بنى مالك بن ثعلبة وجبهه (أى قابله بما يكره) فانطلق حزينا مهموما للذى صنع به المالكي حتي اتي شجرات فاستظل تحتهن فنام هو واخته . فيزعمون ان المالكى نظر اليه — واخته الى جنبه — فقال :

ذاك عبيد قد اصاب ميا   يا ليتـه القحهـا صبيـا
حملت فولدت ضاويا

(ضاويا) : اى ضعيفا ، والعرب تزعم ان زواج القرائب يضعف الولد . فسمعه عبيد فرفع يديه ثم ابتهل فقال : اللهم ان كان فلان ظلمنى فادلنى منه وانصرني عليه ووضع رأسه فنام ولم يكن قبل ذلك يقول الشعر فأتاه آت فى المنام بكبة من شـعر حتى القاها في فيه ثم قال : قم ، فقام وهو يرتجز ويتغنى ببنى مالك ، وكان يقال لهم : بنو الزنية :

أيا بنى الزنيـة ما غركم ؟ !   فلـكم الويل بسربال حجـر

ثم استمر بعد ذلك في الشعر وكان شاعر بنىاسد غيرمدافع وادرك حجرا ابا امرىء القيس

(١) لبيد : هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامرى ، أحد أشراف الشعراء المجيدين ، والقواد الفرسان المعمرين ، والاجواد العريقين ، والحكماء المحنكين ، وهو من بنى عامر بن صعصعة أحد بطون هوازن من مضر ، وأمه عبسية . نشأ لبيد جوادا ، شـجاعا ، فاتكا . فاما الجود فقـد ورثه عن أبيه الملقب : (ربيعة المعترين) ، وأما الشجاعة والفتك فـهما خصلتا قبيلته أذكان عمـه ملاعب الاسنة أحد فرسان مضر في الجاهلية ، وكان بين قبيلته وبين عبس

أخواله عداوة شديدة فاجتمع وفداهما عند النعمان بن المنذر ، وعلى العبسيين الربيع بن زياد ، وعلى العامريين ملاعب الأسنة ، وكان الربيع مقربا عند النعمان يؤاكله وينادمه فأوغر صدره على العامريين وعدد معايبهم ومخازيهم . فلما دخل وفدهم على النعمان غض منه وأعرض عنه فشق ذلك عليهم وخرجوا غضابا يتذاكرون في أمرهم مع الملك ، ولبيد يومئذ صغير يسرح أبلهم ويرعاها ، فسألهم عن خطبهم ، فاحتقروه اصغره فألح عليهم والحف في مسألتهم حتى أشركوه معهم فوعدهم أنه سينتقم لهم منه غدا عند النعمان أسوأ انتقام : بهجاء لا يجالسه بعده ولا يؤاكله : فكان ذلك ، ومقت النعمان الربيع ، ولم يقبل له عذرا ، ولم يجتمع به بعد ، وأكرم العامريين وقضى حوائجهم . فكان هذا أول ما اشتهر به لبيد ثم قال بعد ذلك المقطعات والمطولات ، وشهد له النابغة وهو غلام بأنه اشعر هوازن حين سمع معلقته التي أولها :

عفت الديار محلها فمقامها   بمنى تأبد غولها فرجامها

ومن حوادث فتكه : أن الحارث الاعرج الغساني أرسل مائة من الفتيان الفتاك على رأسهم لبيد ليقتالوا المنذر بن ماء السماء فذهبوا أليه وأظهروا أنهم أتوه داخلين في طاعته ، فأدناهم أليه ، ولما صادفوا منه غرة قتلوه وهربوا ، فتبعهم جنود المنذر وقتلوا كثيرا منهم وفر الباقي وفيهم لبيد . ولما ظهر الاسلام وأقبلت وفود العرب على النبي صلى الله عليه وسلم جاء لبيد في وفد بني عامر وأسلم وعاد ألى بلاده وحسن أسلامه وتنسك وحفظ القرآن كله وهجر الشعر حتى لم يرو له بعد الاسلام غير بيت واحد قيل هو :

ماعاتب الحر الكريم كنفسه   والمرء يصلحه الجليس الصالح

وقيل : لا . بل هو قوله :

الحمد لله أذلم يأتني أجلي   حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

وبعد أن فتحت الامصار ذهب ألى الكوفة زمن عمر بن الخطاب واختارها دار أقامة . ومن أحاديث جوده أنه نذر في الجاهلية (ألاتهب الصبا ألاأطعم) وألزم ذلك نفسه في الاسلام ، وكانت له جفنتان يغدو بهما ويروح على مسجد قومه بالكوفة ، فهبت الصبا والوليد بن عقبة والى الكوفة على المنبر ، ولبيد يومئذ قليل المال ، فحرض في خطبته الناس أن يعينوه على مروءته ففعلوا وبعث أليه هو مائة بكرة فشكرته ابنة لبيد عن أبيها على ذلك بشعر جميل ، ومازال بالكوفة حتى مات في أوائل خلافة معاوية سنة ٤١ هـ .وقد قيل انه عاش ١٣٠ سنة

وقال لبيد الشعر ونبغ فيه وهو غلام ، وجرى فيه على سنن الاشراف والفرسان كعنترة وعمرو بن كلثوم فلم يجعله مورد كسب ولذلك تري في شعره .ولاسيما معلقته نبالة الفخر والتحدث بالفتوة والنجدة والكرم وأيواء الجار وعزة القبيل ، ويشابه تلوهمته جزالة لفظه ، ونخامة عبارته ، ورقة معانيه ، وشرف مقاصده ، وقلة اللغو في لفظه ، وكثرة اشتماله على عقائد الايمان ، والحكمة الصادقة ، والموعظة الحسنة . وقد شهد له النبي صلوات الله وسلامه عليه بقوله : أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد (ألا كل شيء ماخلا الله باطل)

ومن جيد شعره قوله في معلقته مفتخراً :

انا اذا التقت المجامع لم يزل   منا لزاز عظيمة جشامها
ومقسم يعطي العشيرة حقها   ومغذمر لحقوقها هضامها
فضلا وذوكرم يعين على الندا   سمح كسوب رغائب غنامها
من معشر سنت لهم آباؤهم   ولكل قوم سنة وامامها
لا يطبعون ولا يبور فعالهم   اذ لا تميل مع الهوى احلامها
فاقنع بما قسم المليك فأنما   قسم الخلائق بيننا علامها

وَطَرَفَةُ (١)

وأذا الامانة قسمت في معشر   أوفى بأوفر حظنا قسامها

وقال يرثي النعمان :

الا تسألان المرء ماذا يحاول   انحب فيقضى ام ضلال وباطل
أري الناس لا يدرون ماقدر أمرهم   بلى كل ذي لب ألى الله واسل
ألا كل شيء ماخلا الله باطل   وكل نعيم لامحالة زائل
وكل أناس سوف تدخل بينهم   دويهية تصفر منها الأنامل

وقال يرثى أخاه أربد :

وما المال والاهلون الا ودائع   ولا بد يوما ان ترد الودائع
وما الناس ألا عاملان : فعامل   يتبر ما يبنى وآخر رافع
فنهم سعيد آخذ بنصيبه   ومنهم شقي بالمعيشة قانع

(١) طرفه : هو عمرو بن العبد البكري أقصر فحول الجاهلية عمرا وأجودهم طويلة ، وأوصفهم للناقة ، مات أبوه وهو صغير ، وولي أمره أعمامه ومال الى البطالة ، واللهو ، والاخذ بأسباب الصبوة والفتوة وقول الشعر والوقوع به في أعراض الناس حتى هجا قومه وأهله وحتى هجا عمرو بن هند ملك العرب على الحيرة ، مع أنه كان يتطلب معروفه وجوده ، فبلغ عمرو بن هند هجاء طرفة له ، فاضطغنها عليه ، وأسرها في نفسه ، حتى اذا ماجاءه هو وخاله المتلمس يتعرضان لفضله — وكان قد بلغه عن المتلمس مثل الذي وصل اليه عن طرفة — أظهر لهما البشاشة والوداد ليؤمنهما ، وأمر لكل منهما بجائزة وكتب لهما كتابين . وأحالهما على عامله بالبحرين ليستوفياها منه ، فبيناهما في الطريق ارتاب المتلمس في صحيفته فعرج على غلام يقرؤها له ، ومضى طرفة فاذا في الصحيفة الامر بقتله ، فألقي الصحيفة وأراد أن يلحق طرفة فلم يدركه

وفر الى ملوك غسان ، وذهب طرفة الى عامل البحرين وقتل هناك وعمره نحو ست وعشرين سنة

وقال طرفه الشعر وهو صبي فنبغ فيه حتى عد من الفحول ولم ينيف على العشرين ، وزاد عليهم بقصيدته الطويلة التي وصف فيها الناقة بخمسة وثلاثين بيتا وصفا لم يسبقه اليه أحد ، وتعد معلقته من أجود المعلقات ، وأكثرها غريبا ، وأغزرها معنى ، وروي له غيرها من الشعر ولكنه قليل بالنسبة لشهرته ، وربما دل هذا على أن الرواة قد جهلوا أكثره . ويجيد طرفة الوصف في شعره مقتصرا فيه على بيان الحقيقة بعيدا عن الغلو والاغراق وكذلك كان هجاؤه على شدة وقعه : ومطلع معلقته :

لخولة اطلال ببرقة ثهمد   تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

ومنها :

رأيت بني غبراء لاينكرونني   ولا أهل هاداك الطراف الممدد
الا أيهذا الزاجري أحضر الوغى   وأن اشهد اللذات هل أنت مخلدى
فان كنت لا تسطيع دفع منيتي   فدعني أبادرها بما ملكت يدى
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي   عقيلة مال الفاحش المتشدد

ومن ابياته السائرة :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة   على المرء من وقع الحسام المهند
أرى الموت أعداد النفوس ولا أرى   بعيدا غدا ، ما أقرب اليوم من غد !
ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا   ويأتيك بالاخبار من لم تزود
ويأتيك بالاخبار من لم تبع له   بتاتا ، ولم تضرب له وقت موعد

وقوله :

لِشَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ وَقالَ : أُنْشِدُكَ مِنْ شِعْرِي ؟ فَقُلْتُ لَهُ : إيهِ . فَأَنْشَدَ :

كل خليل كنت خاللته ... لاترك الله له واضحه
كلهم أروغ من ثعلب ... ما أشبه الليلة بالبارحه

وقوله :

وأعلم علما ليس بالظن أنه ... اذا ذل مولي المرء فهو ذليل
وأن لسان المرء مالم يكن له ... حصاة علي عوراته لدليل

وقوله :

قد يبعث الامر الصغير كبيره ... حتى تظل له الدماء تصبب

ومن كلامه يفتخر

نحن في المشتاة ندعو الجفلي ... لاتري الآدب فينا ينتقر
حين قال الناس في مجلسهم ... أقتار ذاك أم ريح قطر
بجفان تعتري نادينا ... من سديف حين هاج الصنبر
كالجوابي لاتني مترعة ... لقري الاضياف أو للمحتضر
ثم لايخزن فينا لحمها ... أنما يخزن لحم المدخر
نمسك الخيل على مكروهها ... حين لايمسكها الا الصبر

ومن قوله فى الناقة :

واني لامضى الهم عند احتضاره ... بعوجاء مرقال تروح وتغتدى
أمون كألواح الأران نصأتها ... على لاحب كأنه ظهر برجد
جمالية وجناء تردي كأنها ... سفنجة تبري لازعر أربد
تباري عتاقا ناجيات وأتبعت ... وظيفا وظيفا فوق مور معبد
تربعت القفين في الشول ترتعى ... حدائق مولي الاسرة أغيد

بانَ الخَليطُ ولَوْ طُوِّعْتَ ما بانا ... وَقَطَّعُوا مِنْ حِبالِ الْوَصْلِ أَقْرانا[1]

حَتَّى أَتَى عَلَى الْقَصِيدَةِ كُلِّها . فَقُلْتُ : يا شَيْخُ هٰذِهِ الْقَصِيدَةُ لِجَرِيرٍ قَدْ حَفِظَتْها الصِّبْيانُ . وَعَرَفَها النِّسْوانُ . وَوَلَجَتِ الأَخْبِيَةَ[2] .

تريع الى صوت المهيب وتتقي ... بذي خصل روعات اكلف ملبد

كأن جناحي مضرحي تكنفا ... حفافيه شكا في العسيب بمسرد

فطورا به خلف الزميل وتارة ... على حشف كالشن ذاو مجدد

(١) بان : افترق و بعد ، والخليط : الجماعة الذين تجمعهم المصالح فتخلط بينهم ، وطوعت : أطعت ووافقت ، والاقران جمع قرن : وهو الحبل يشد به البعيران ، والمعنى : أن القوم الذين كانت معهم خلطتك قد فارقوك ولو أنك وافقتهم وسرت معهم لم يكن بينكم افتراق أبد الدهر

(٢) الأخبية : جمع خباء وهو الخيمة ، والاندية : جمع ناد وهو مجلس القوم ومحل سمرهم وكل هذه كنايات عن شهرتها وذيوع انتسابها لجرير ، وجرير هو أبو حزرة جرير بن عطية بن الخطفى التميمي اليربوعي أحد فحول الشعراء الاسلاميين ، وبلغاء المداحين الهجائين ، وأنسب الثلاثة المفلقين ، وهو من بني يربوع أحد أحياء تميم ، ولد باليمامة سنة ٤٢ هـ من بيت اشتهر بالشعر ونشأ بالبادية وفيها قال الشعر ونبغ فيه وكان يختلف الي البصرة في طلب الميرة ومدح الكبراء ، وينزل على من يسكن البصرة من قومه ، فرأى الفرزدق وما كسبه الشعر من المنزلة عند الامراء والولاة وهو تميمي مثله وود لو يسبقه الى ما ناله ، وأغراه قومه للتنويه بشأنهم وتفخيم أمرهم ، أذ كان الشعر في ذلك العصر هو وسيلة الاعلان عن الشرف وكريم الخصال ، فوقعت بينهما المهاجاة والملاحاة عشر سنين ، وكان أكثر أقامة جرير أثناءها بالبادية ، وكان

الفرزدق مقيما بالبصرة مصر العرب يملأ عليه الدنيا هجاء وسبا فما زال به بنو يربوع حتى أقدموه البصرة فكان يقيم بها كثيرا ، واتصل بالحجاج ومدحه فاكرمه ورفع منزلته عنده فعظم أمره وشرق شعره وغرب حتى بلغ الخليفة عبدالملك حسد الحجاج عليه فأوفده الحجاج مع ابنه محمد ألى الخليفة بدمشق ليصل بذلك ألى مدحه فلما دخل عليه الوفد استأذنه فى أنشاده فأبى ، وقال له أنما أنت للحجاج ، فما برح يتوسل اليه حتى قبل مدحه وأجازه عليه جائزة سنية ، ومن ذلك الحين عد من مداح خلفاء بني أمية ودخل فى غمار المتزاحمين على أبوابهم والمتنافسين في نيل جوائزهم ، وجره ذلك ألى معاداة منافسيه ومهاجاتهم ، وحرش الفرزدق بينه وبينهم وأغراهم بالمال ونصب له منهم ثمانين شاعرا ولكن جريرا غلبهم كلهم وأخرسهم ، وثبت له من دونهم الفرزدق والاخطل فبقيت حرب المهاجاة بينهم سجالا حتى مات الاخطل ، وغبر الفرزدق وجرير يتسابان مدة حياتهما ألا مدة قليلة تنسك فيها الفرزدق وتاب ثم مات ولم يطل عمر جرير بعده ألا نحو ستة أشهر ومات باليمامة سنه ١١٠ هـ وكان في جرير — على هجائه للناس وخوضه فى أعراضهم — عفة ، ودين ، وحسن خلق ، ورقة طبع ، ظهر أثرها فى شعره

وقد اتفق علماء الادب وأئمة نقد الشعر على أنه لم يوجد فى الشعراء الذين نشأوا فى الاسلام أبلغ من جرير والفرزدق والاخطل وأنما اختلفوا في السابق منهم والمبرز فى حلبتهم ومال ألى كل واحد منهم جماعة انتصروا له وفضلوه على أخويه ولكل هوى وميل في تقديم صاحبه : فمن كان هواه فى النسيب ، وجودة الغزل والتشبيب ، وجمال اللفظ ولين الاسلوب ، والتصرف فى أغراض شتى فضل جريرا وحكم بسبقه ، ومن مال ألى جودة الفخر ، وفخامة

اللفظ ، ودقة المسلك ، وصلابة الشعر ، وقوة أسره ، فضل الفـرزدق ورآ
خـيرا من كليهما : ومن نظر بعـد بلاغة اللفظ ، وحسن الصوغ ألى أجاد
المـدح والامعان في الهجاء ، واستهواه وصف الخمر ، واجتماع الندمان علي
حكم للاخطل .. وهناك فريق يدخـل في الموازنة بينهـم ما ليس من موضو
الادب : فأهـل الحسب والنسب يقـدمون الفرزدق ، وأهـل الدين والعف
يقدمون جريرا ، وأدباء المسيحيين يقدمون الاخطل ولا عـبرة في ذلك ف
باب صناعة الشعر . على أن طـائفة من أهـل النقد المعتد بهم يرون جرير
أشعر الثلاثة لانه طرق جميع أبواب الشعر ولم يقصر في باب ، وأن الفرزدق
امتاز بالفخر ، وأن الاخطل تفرد بالمدح والهجاء ووصف الخمر ، ويحتجون
بانه لما ماتت امرأة الفرزدق لم تندبها النوادب ألا بشعر جرير في رثاء امرأته
وأن الفرزدق كان يحسده على رقة شعره ويقول : (ما أحوج جريرا مع عفافه
الى صـلابة شعري ! وأحوجني مع شهواني الى رقة شعره)، وأن له في كل
باب من الشعر ابياتا سائرة هي الغاية التي يضرب بها المثل ، فيقال : أن أغزل
شعر قالته العرب هو قوله من القصيدة التي ذكر البديع مطلعها بالمقامة :

أن العيون التي في طرفها حور قتلننـا ثم لم يحيين قتـلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أنسانا

وأن أمدح بيت قوله :

ألستم خـير من ركب المطايا وأندي العالمين بطون راح ؟

وأن أفخر بيت قوله :

أذا غضبت عليك بنو تميم رأيت النـاس كلهم غضـابا

وأن أهجي بيت ـ مع التصون عن الفحش ـ قوله :

فأَنْشِدْنِيهِ ،فأَنْشَدْتُهُ :

فغض الطرف أنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وأن أصدق بيت قوله :

أني لارجومنك خيرا عاجلا والنفس مولعة بحب العاجل

وأن أشد بيت تهكما قوله :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا أبشر بطول سلامة يامربع

ونحو ذلك كثير في شعره .. قيل وقد لعب جرير وجد في قصيدة يهجو بها الاخطل التغلبي بما لو أراده غيره لامتنع عليه ففي لعبه يقول :

أن الذين غدوا بلبك غادروا وشلا بعينك لا يزال معينا

غيضن من عبراتهن وقلن لى : ماذالقيت من الهوى ولقينا ؟

وفي جده يقول :

أن الذى حرم المكارم تغلبا جعل الخلافة والنبوة فينا

مضر أبى، وأبو الملوك ،فهل لكم ياخزر تغلب من أب كأبينا ؟

هذا ابن عمى فى دمشق خليفة لو شئت ساقكم ألي قطينا

قيل : فلما بلغ عبد الملك هذا الشعر قال : ما زاد ابن المراغة أن جعلني شرطيا ! أما أنه لو قال : لو شاء ساقكم ألي قطينا ، لسقتكم أليه كما قال

ومن بديع شعره القصيدة المذكور مطلعها بالمقامة ومنها :

لا بارك الله في الدنيا أذا انقطعت أسباب دنياك من أسباب دنيانا

ما أحدث الدهر مما تعلمين لكم للحبل صرما ، ولا للعهد نسيانا

أبدل الليل لا تسري كواكبه أم طال حتى حسبت النجم حيرانا ؟

لا أَنْدُبُ الدَّهرَ رَبْعاً غيرَ مأْنُوسِ ... وَلَستُ أصبُو الى الحادِينَ بالعِيسِ (١)

أحقُّ منزِلةٍ بالهجرِ منزِلةٌ ... وَصلُ الحبيبِ عَليها غيرُ مَلبُوسِ (٢)

يا ليلةً غبرَتْ ما كانَ أطيبَها

وَالكُوسُ تَعمَلُ في أخوانِنا الشُّوسِ (٣)

وَشادِنٍ نَطقَتْ بالسِّحْرِ مُقلَتُهُ ... مُزنّرٍ حِلفَ تَسبيحٍ وَتَقديسِ (٤)

---

(١) ندب الميت : بكي عليه وعـدد محاسنه ، والربع : الدار ، أو المحلة والجمع ربوع وأرباع وأربع ، وغيرمأنوس : ليس مسكونا ، فارقه أهله ، وصبا يصبو : مال ، والعيس : الابل ، وأبو نواس قد يكون أول من استنكر على الشعراء وقوفهم على الاطلال وبكاءهم على الدمن واستنطاقهم النؤي والاحجار وذكرهم مغانى الاحباب وتمفي الرياح لها فهو يقول في هذا البيت أنه لا يبكي على ربع لايحله أحد، ولا تميل نفسه ألى ذكر الابل وحداتها (٢) هذا البيت يشبه أن يكون استدلالا على مذهبه وهو لعمري دليل ناهض فهو يقول : أن أحق مكان بأن يهجره الانسان وينفر منه ذلك المكان الذي أصبح وصال الحبيب فيه أمرا غير ممكن (٣) غبرت : مضت ، والكوس : جمع كاس وأصله كؤوس نخففت ، والشوس : جمع أشوس وهو الذي ينظر اليك بمؤخر عينه كبرا ، وأذ كانت الخمر قد أمالت هؤلا فكيف بغيرهم ؟

(٤) الشادن : الغزال اذا قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه ، والمراد صبي مثله على التشبيه وقد شدن ـ من باب دخل ـ : اذا صار كذلك قال :

ياما أميلح غزلانا شدن لنا ، والشدنيات من النوق منسوبة الي موضع باليمن ، ومزنر : يلبس الزنار وهو مايكون على وسط النصاري والمجوس ومثله الزنارة والزنير ، وحلف تسبيح وتقديس : أي طائع عابد لايفتر عن تسبيح الله وتقديسه

نازَعتُهُ الرِّيقَ وَالصَّهْباءَ صافِيةً
في زِيِّ قاضٍ وَنُسْكِ الشَّيخِ إبليسِ (١)
لمَّا ثمِلنا وَكُلُّ النَّاسِ قَدْ ثمِلوا وَخِفتُ صَرعَتَهُ إيَّايَ بِالكُوبِ (٢)
غَطَطتُ مُستَنعِساً نَوماً لا نَعسَةُ
فَاستَشعَرَتْ مُقلَتاهُ النَّومَ مِن كَيْسِي (٣)
وَامتَدَّ فَوقَ سَريرٍ كانَ أرفَقَ بي عَلى تَشَعُّثِهِ مِنْ عَرشِ بِلقيسِ
وَزُرتُ مَضجَعَهُ قَبلَ الصَّباحِ وَقَدْ
دَلَّتْ عَلى الصُّبحِ أصواتُ النَّواقيسِ (٤)
فَقالَ: مَن ذا؟ فَقُلتُ: القَسُّ زارَ وَلا بُدَّ لِدَيرِكَ مِن تَشميسِ قِسّيسِ

---

(١) نازعه نزاعا ومنازعة : جاذبه ، والصهباء : من أسماء الخمر ، وصافية واقع موقع الحال من الصهباء ، والمعنى : أني جاذبته الكأس وانا ألبس لبوس المتعبدين وأتزيى بزي النساك (٢) يقال للشارب الذي يتمايل من الشرب ثمل والمعنى: انه لما اخذت الخمر بعقولنا وظهر فعلها فينا وخشيت ان يلقيني صريعا من كثرة ما يقدم لي منها (٣) غط النائم يغط غطيطا : تردد نفسه حتى صار له صوت ، والكيس خلاف الحمق وأصله بفتح أوله فكسره ضرورة وفسره الامام بوعاء الدراهم وتمحل له وتبعه على ذلك بعض النقلة الذين لا يميزون بين غث المعاني وسمينها والمعنى على ما ذكرنا أنه تناوم لينام ذلك الشادن مخافة ان يطول عليه مجلس الشراب فنجحت حيلته وذلك من آثار كياسته (٤) المضجع : مكان الرقاد ، ومن عادات النصارى ان يدقوا النواقيس قبيل الشمس ينادون بها

فقَالَ : بِئْسَ لَعَمْرِى أنتَ مِن رَجُلٍ ! فقُلْتُ : كَلاَّ فإِنى لَسْتُ بِالْبِيسِ[1] (قَالَ) فَطَرِبَ الشَّيْخُ وَشهِقَ وَزَعِقَ[2]. فقُلْتُ : قَبَّحَكَ اللهُ مِنْ شَيْخٍ لا أدْرِى أبَانْتِحالِكَ[3] شِعْرَ جَرِيرٍ أنْتَ أسْخَفُ أمْ بِطَرَبِكَ مِنْ شِعْرِ أبِي نُوَاسٍ وَهُوَ فُوَيْسِقٌ عَيَّارٌ[4] ؟؟. فقالَ : دَعْنِي مِنْ هذَا وَامْضِ عَلَى وَجْهِكَ فإِذَا لَقِيتَ في طَرِيقِكَ رَجُلاً مَعَهُ نِحْيٌ صَغِيرٌ يَدُورُ فِى الدُّورِ حَوْلَ الْقُدُورِ . يُزْهَى بِحِلْيَتِهِ . وَيُبَاهِي بِلِحْيَتِهِ[5]. فقُلْ لهُ : دُلَّنِى عَلَى

عابديهم ليقيموا التعاليد الدينيــة ، وأبو نواس يقول أنه زار مضجع ذلك الشادن في هذا الوقت (١) بالبيس : أي الرجل الذي يقال في حقه بئس

(٢) الطرب : خفة تصيب الانسان لشدة حزن أو سرور ، وشهق ـ بالفتح يشهق ـ بالفتح والكسر ـ شهيقا ـ فيهما ـ ارتفع صوته ، والشهقة : كالصيحة وزعق ـ من باب قطع ـ : صاح ، والمعنى : أن الطرب أخذ بلب هذا الشيخ ومال بعقله فصار يصيح ويزعق . وأنما يكون هذا ممن ذهل واستحوذ السرور على فؤاده فهو لايعى (٣) انتحل فلان شعر غيره أو قول غيره : اذا ادعاه لنفسه ، ومثـله تنحل (٤) الفويسق : تصغير فاسق ، والعيار : الذى يلقى لنفسه حبلها على غاربها لا يهديها الى فضيلة ولا يزجرها عن ارتكاب مذمة

(٥) يريد أن يلغز فى المذبة وسيأتى فى كلامه بيان ذلك وهي خشبة تغشي بالجلد في أطرافها خوص ، والنحى : أصله الزق يوضع فيه نحو السمن والعسل ولما كان يخفى مابداخله وجلد المذبة يخفيها شبهها به من هذه الجهة والمذبة من خصائصها أنها تستعمل في طرد الذباب وشبهه عن القدور والطعام فهي تدور في الدور حول القدور ، ويزهى : يعجب ـ بالبناء المجهول فيهما ـ لانهما لم يستعملا على صيغة المبنى للفاعل وأراد من اللحية الخوص

حُوتٍ مَضْرُورٍ . فى بَعْضِ البُحُورِ . مُخطفِ الخصُورِ . يَلدَغُ كالزُّنبُورِ
وَيعتمُّ بِالنُّورِ . أبُوهُ حَجَرٌ . وَأُمهُ ذَكَرٌ . ورَأْسُهُ ذَهَبٌ . وَاسْمهُ
لَهَبٌ . وَبَاقِيهِ ذَنبٌ . لهُ فى المَلبُوسِ . عَمَلُ السُّوسِ . وَهُوَ فى البيْتِ
آفَةُ الزَّيتِ . شِرِّيبٌ لا ينقَعُ . أكُولٌ لا يَشْبَعُ . بَذُولٌ لا يَمنَعُ . ينمى
إلى الصُّعُودِ . وَلا ينقُصُ مالهُ مِنْ جُودٍ . يَسُوءُكَ ما يَسُرُّهُ . وَينفَعُكَ
مَا يَضُرُّهُ (١) . وَكُنتُ أكْتُمُكَ حَدِيثِي . وأعِيشُ مَعَكَ في رَخاءِ
لَكِنَّكَ أبيْتَ نَخَذِ الآنَ فَمَا أَحَدٌ مِنَ الشُّعَرَاءِ إلاَّ وَمَعَهُ مُعِينٌ مِنَّا
وَأنَا أمْلَيْتُ علي جَرِيرٍ هذهِ القَصِيدَةَ وَأنا الشَّيْخُ أبُو مُرَّةَ (٢) .

---

(١) هذا لغز آخر فى السراج وقد شبهه بالحوت فى أن كلا منهما لا يعيش الا في السائل: الحوت فى البحر، وهداي المسرجة، ومخطف الخصور : نحيلها ، واعتم لبس العمامة وعمامة السراج هي النور كما ذكر ، وأبوه حجر أى الذي أخرج مادته وهى الزيت حجر المعصرة ، وأمه ذكر أي انه يتربى بين أحضان ذكر وهو القنديل لان يعبر عنه بضمير المذكر وله في الملبوس الحريق وهو أشد مما يعمل السوس ، ينمى الى الصعود : أى انه دائم الارتفاع لا ينخفض وكأنه منسوب اليه

(٢) أبو مرة : كنية أبليس، والهاجس: أصله الخاطر الذى يخطر في القلب وأريد به فى مثل هذه العبارات ما يلقيه على لسان الشاعر رئيه من الجن، وقد تقدم الالماع الى هاجس بعض الشعراء فى المقامة الاسوديه وأن العرب كانت تعتقد أن لكل واحد منهم رئيا من الجن يملى عليه قصائده قالوا : وهاجس امرىء القيس لافظ بن لاحظ . وحدث رجل من أهل الشام أنه خرج فى طلب لقاح له على

فحل كأنه فدن يسبق الريح حتى رفعه ألى خيمة في فنائها شيخ كبير . قال : فسلمت فلم يرد على . فقال : من أين وألى أين ؟ . قال : فاستحمقته أذ بخل برد السلام وأسرع ألى السؤال فقلت : من ههنا (وأشرت الى خلفى) والى ههنا (وأشرت الى أمامى) . فقال : أما من ههنا فنعم وأما الى ههنا فوالله ماأراك تبهج بذلك الا أن يسهل عليك مداراة من ترد عليه ! ! قلت : وكيف ذلك أيها الشيخ . ؟ قال : لأن الشكل غير شكلك ، والزى غير زيك . فضرب قلبي انه من الجن وقلت : أتروى من أشعار العرب شيئا ؟ قال : نعم وأقول . قلت فأنشدني ـ كالمستهزىء به ـ فأنشدني قول أمري القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فلما فرغ قلت لو أن امرأ القيس ينشر لردعك عن هذا الكلام . فقال : ماذا تقول؟ قلت : هذا لامرىء القيس . قال : لست أول من كفر نعمة أسداها . قلت : الا تستحى أيها الشيخ . ألمثل امريء القيس يقال هذا ؟ قال : أنا — والله — منحته ما أعجبك منه ! قلت : فما اسمك ؟ قال : لافظ بن لاحظ . فقلت : اسمان منكران . قال : أجل . فاستحمقت نفسى له بعد ما استحمقته لها وقد عرفت انه من الجن ، وذكروا أن هاجس الاعشى اسمه مسحل بن أثاثة ويروون عن الاعشى انه قال : خرجت أريد قيس بن معد يكرب بحضر موت فضللت في أوائل أرض اليمن لاني لم أكن سلكت ذلك من قبل فأصابنى مطر فرميت ببصري أطلب منزلا ألجأ اليه فوقعت عينى على خباء من شعر فقصدت نحوه واذا بشيخ على باب الخباء فسلمت عليه فرد على السلام وأدخل ناقتي خباء آخر كان بجانب البيت فحططت رحلى وجلست فقال : من أنت ، وأين تقصد ؟ قلت : أنا الاعشى أقصد قيس بن معـديكرب . فقال : حياك الله أظنـك امتدحته

بشعر . قلت : نعم . قال : فأنشدنيه . فابتدأت مطلع القصيدة

رحلت سمية غدوة أجمالها   غضبا عليك فما تقول بدالها ؟

فلما أنشدته هذا المطلع منها قال : حسبك ، أهذه القصيدة لك ؟ قلت : نعم ، قال : من سمية التى نسبت بها ؟ قلت : لاأعرفها وانما هو اسم ألقي فى روعي . فنادي : ياسمية اخرجي واذا جارية خماسية قد خرجت فوقفت وقالت : ماتريد ياأبت ؟ قال : انشدي عمك قصيدتي التي مدحت بها قيس بن معديكرب ونسبت بك فى أولها فاندفعت تنشدالقصيدةحتىأتت على آخرها لم تخرم منها حرفا فلما أتمتها قال : انصرفي ثم قال : هل قلت شيئا غير ذلك ؟ قلت : نعم ، كان بيني وبين ابن عم لي يقال له يزيد بن مسهر يكني أباثابت مايكون بين بنى العم فهجاني وهجوته فأفحمته . قال : ماذا قلت فيه ؟ قلت : قلت : (ودع هريرة أن الركب مرتحل) فلما أنشدته البيت الاول قال : حسبك ، من هريرة هذه التى نسبت فيها ؟ قلت : لاأعرفها وسبيلها سبيل التى قبلها فنادي : ياهريرة . فاذا جارية قريبة السن من الاولي خرجت فقال : انشدى عمك قصيدتى التى هجوت بها أبا ثابت يزيد بن مسهر فأنشدتها من أولها الى آخرها لم تخرم منها حرفا فسقطت فى يدى وتحيرت وتغشتنى رعدة فلما رأى مانزل بي قال : ليفرخ روعك أبا بصير أنا هاجسك مسحل بن أثاثة الذي ألقى على لسانك الشعر فسكنت نفسى ورجعت الى وسكن المطر فدلنى على الطريق وأرانى سمت مقصدى وقال : لاتعج يمينا ولاشمالا حتي تقع ببلاد قيس

وروي عن جرير بن عبد الله البجلى الصحابي رضى الله عنه انه قال : سافرت في الجاهلية فأقبلت ليلة على بعير أريد أن أسقيه فلما قربته من الماء تأخر فعقلته ودنوت من الماء فاذا قوم مشوهون عند الماء فبينا أنا عندهم اذ

فِي يَدِهِ مِذَبَّةٌ . فقُلتُ : هذا وَاللهِ صاحِبِي . وَقلتُ لهُ ما سَمِعتُ مِنهُ

أتاهم رجل أشد تشويها منهم فقالوا : هـذا شاعر ، ثم قالوا : ياأبا فلان أنشد هذا فانه ضيف فأنشد :

ودع هريرة أن الركب مرتحل

فوالله ماخرم منها بيتا حتى أتى على آخرها فقلت : من يقول هذه القصيدة ؟ قال : أنا أقولها . قلت : لولا ماتقول لاخبرتك أن أعشى قيس بن ثعلبة أنشدنيها عام أول بنجران . قال : انك صادق ، أنا الذي ألقيتها على لسانه وأنا مسحل بن أثاثه ، ماضاع شعر شاعر وضعه عند ميمون ابن قيس . . قالوا : واسم هاجس النابغة هاذر وفى حديث الرجل الشامي المتقدم في قصة امرىء القيس انه سأل لافظا من أشعر العرب ؟ فأنشأ يقول :

ذهب ابن حجر بالقريض وقوله ولقد أجاد فما يعاب زياد
لله هاذر اذ يجود بقوله ان ابن ماهر بعدها لجواد

فسأله الشامي : من هاذر ؟ قال : صاحب زياد الذبياني وهو أشعر الجن وأضنهم بشعره فالعجب له كيف سلسل لاخي ذبيان ، ولقد علم بنية لي قصيدة له من فيه الى أذنها ثم صرخ بها : أخرجي فدي لك من ولدت حواء فقلت له : ما أنصفت أيها الشيخ فقال : ماقلت بأسا . ثم رجعت الى نفسي فعرفت ما أراد فسكت ثم انشدتني الجارية :

نأت بسعاد عنك نوى شطون فبانت والفؤاد بها حزين

حتى أتت على قوله منها :

فألفيت الامانة لم تخنها كذلك كان نوح لايخون

فقال : لو كان رأى قوم نوح فيه كرأى هاذر ما أصابهم الغرق ، وما نظن ذلك الا حديث خرافة والا فكيف كان زهير بن أبي سلمى المزني وهو واحد

فناوَلَني مِسْرَجةً وَأَوْمأَ إِلى غارٍ في الْجَبَلِ مُظْلِمٍ فقالَ : دُونَكَ الْغارَ [1] وَمَعَكَ النّار . (قالَ) فَدَخَلْتُهُ فإِذاً أنا بإِبلي قَدْ أَخَذَتْ سمتها . فلَوَّيتُ وَجُوهَها وَرَدَدْتُها . وَبينا أنا في تِلْكَ الْحالَةِ في الْغِياض أَدُبُّ الْخَمَرَ [2] . إِذْ بأَبِي الْفَتْحِ الإِسكَنْدَرِي تَلقّاني بِالسَّلاَمِ . فَقلتُ : ما حَداكَ وَيحكَ إلى هذا الْمَقامِ [3] ؛ قالَ : جَوْرُ الأَيَّامِ . في الأَحْكامِ . وَعَدَمُ الْكِرامِ . مِنَ الأَنامِ [4] . قلتُ : فَاحْكُمْ حُكْمَكَ يا أَبا الْفَتْحِ . فقالَ : احْمِلْني على قعُودٍ [5] . وَأَرِقْ لي ماءً في عُودٍ [6] .

الشعراء ديباجة وحسن وضع وحكمة يظل في تنقيح قصيدته عاما وعلماء الادب مجمعون على تسمية أربع منها حوليات . أنا نعجب لذلك ونستبعده. ولا يسعنا الا أن نقول ليست هذه أولى خرافات العرب في جاهليتهم والعجيب الاغرب من هذا أن يتناقل كبار الادباء ذلك الكلام من غير تعليق عليه ولا أشارة الي أبطاله

(١) أصل دونك اسم فعل بمعنى خذ ولعله أراد خذ في السير الي طريقه

(٢) الغياض : جمع غيضة وهي مجتمع الاشجار ، وأدب الخمر : أي أمشى مشية المحاذر الذى يخدع الناظرين اليه فهو يخشي أن يشعر به أحد

(٣) أي ما الذي ساقك الي ذلك المكان

(٤) جور الايام ظلمها وعدم أعطائها كل ذى حق حقه فهي تشبه القاضي أذا مال ولم ينصف ، وزادني قلقا واضطرابا أنني لم أجـد بين الناس كريما أدفع به المسغبة (٥) أى أعطني جملا اركبه (٦) أراد امنحني ناقة احتلبها وأشرب لبنها

فَقلتُ : لكَ ذلكَ . فأَنشأَ يقُولُ :

نَفْسي فِداءُ مُحَكَّمٍ كَلفتُهُ شَطَطاً فاسْجَحَ (١)
ما حَكَّ لِحيَتَهُ وَلاَ مَسَحَ المُخاطَ وَلاَ تَنَحْنَحْ (٢)

ثمّ أخبرْتُهُ بخبرِ الشَّيْخِ . فأَوْما إلى عِمامتِهِ وَقالَ : هذِهِ ثَمَرةُ بِرِّهِ.
فَقلتُ : يا أبا الفَتحِ شَحَذْتَ علَى إبليسَ إنّكَ لَشَحَّاذٌ !!

---

(١) الشطط . مجاوزة الحد، واسجح: معناه أنصف وسمح وأحسن ، ومنه قول عائشة لعلي رضى الله عنهما . ملكت فأسجح أى قدرت فسهل واحسن العفو وهو مثل سائر ، والمعنى . أنه يفديه بنفسه لانه بذل له مايجاوز الحد وما يمنعه منه كثير

(٢) أى لم يتلكأ بل أجابني من فوره ، وأصل هذا ماذكره ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في وصف الخطباء بالكنة ، والعى ، والحصر ، واحتباس القول ، والتمتمة ، وهم يستترون بالنحنحة ونحوها أخفاء لعوارهم وسترا لعيوبهم وقال بشر بن معمر فى نحو ذلك :

ومن الكبائر مقول متتعتع جم التنحنح متعب مبهور

وذلك أنه شهد ريسان أبا بجير بن ريسان يخطب . وقال الاشل الازرق من بعض أخوال عمران بن حطان الصفر القعدى — في زيد بن جندب الايادى خطيب الازارقة واجتمعا فى بعض المحافل فقال بعد ذلك الاشل:

نحنح زيد وسعل لما رأى وقع الاسل
ويل امه اذا ارتجل ثم أطال واحتفل

المَقامَةُ الأَرْمَنِيَّةُ

حدَّثنا عِيسى بْنُ هِشامٍ قالَ: لمَّا قَفَلْنا مِنْ تِجارَةِ إِرْمِينِيَةَ أَهْدَتْنا الْفَلاةُ إِلى أَطفالِها [١]. وَعثَرْنا بِهِمْ في أَذيالِها. وَأَناخُونا بِأَرْضِ نَعامةٍ [٢]. حتَّى اسْتَنْظَفُوا حقائِبَنا. وَأَراحُوا رَكائِبَنا [٣]. وَبَقِينا بِبَياضِ الْيَوْمِ. في أَيْدي الْقَوْمِ. قَدْ نَظَمَنا الْقِدُّ أَحزاباً. وَرُبِطَتْ خُيُولُنا اغْتِصاباً [٤].

---

(١) الفلاة: الصحراء والارض الواسعة التي لا شجر بها ولا نبات، وأطفالها اللصوص وقطاع الطريق سموا بذلك لطول أقامتهم بها وعدم مبارحتهم أياها كما سمي المحاويج والفقراء بني غبراء في نحو قول طرفه:

رأيت بني غبراء لا ينكرونني ولا أهل هذاك الطراف الممدد

وارمينيه (بكسر أوله وتخفيف الياء الثانية او تشديدها): كورة بالروم أو أربعة أقاليم أو أربع كور متصل بعضها ببعض يقال لكل كورة منها أرمينيه والنسبة اليها أرمني بالفتح

(٢) عثر: كبا وكانه جعلهم حجرا يعثرون بسببه لشدة ما نالهم منهم قال الاستاذ الامام زمخشري أرض نعامة. مفازة ونقول: أنه لا يبعد أن يكون قد أراد باضافة الارض الى النعامة جعلها سببا في جبنهم لشدة عدوهم وقلة غنائهم وضعفهم في قتالهم من قولهم أجبن من نعامة ومثل قول الشاعر:

* اسد علي وفي الحروب نعامه * (٣) الحقائب جمع حقيبه وهي وعاء الثياب واستنظفوها اخذوا كل ما فيها والركائب المطايا واراحوها أخذوا ماعليها

(٤) أي اننا مازلنا عامة النهار تحت امرتهم خاضعين لاحكامهم لانهم اوثقونا بالقد وهو سير من جلد تشد به الاساري وربطوا خيولنا قهرا

حَتَّى أَرْدَفَ اللَّيْلُ أَذْنَابَهُ . وَمَدَّ النَّجْمُ أَطْنَابَهُ . ثُمَّ انْتَحَوا عَجُزَ الفَلَاةِ وَأَخَذْنَا صَدْرَهَا وَهَلُمَّ جَرًّا[١] . حَتَّى طَلَعَ حُسْنُ الفَجْرِ مِنْ نِقَابِ الحِشْمَةِ .

---

(١) اردف الليل اعجاره استتبعها وجعل بعضها يتلو بعضا وهو كناية عن اشتداد الظلمة واحتباك الغسق قال امرؤ القيس :

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل

والاطناب : جمع طنب واصله الحبل الذى تشد به الخيمة واراد منه هنا خيوط النور المنبعثة من النجوم وأشعتها ، وانتحوا : قصدوا وعموا والمراد أنهم ساروا ألي جهة غير الجهة التي سلكها هؤلاء ، وهلم جرا : كلمة اختلف فى عربيتها وتفسيرها . قال فى القاموس : هلم بمعني تعال وهو مركب من ها التنبيه ومن : (لم) أى ضم نفسك الينا ثم استعمل استعمال البسيط يستوي فيه الواحد والجمع والتذكير والتأنيث عند الحجازيين ، وسبقه ألى ذكره صاحب الصحاح وتبعه الصنعاني فقالا : لاتقول كان ذلك عام كذا وهلم جرا ألى اليوم : ولا يخفي عدم جريان ماقاله في القاموس فى مثل هذا . وتوقف الجمال ابن هشام في كون هذا التركيب عربيا محضا وساق وجوه توقفه فى رسالة له وأجاب عن ذكره في الصحاح ونحوه وذكر ما للعلماء فى أعرابه وبيان معناه ثم قال : فلنذكر ماظهر لنا فى توجيه هذا المقال بتقدير كونه عربيا فنقول : هلم هذه هى القاصرة التى بمعني ائت وتعال ألا أن فيها تجوزين أحدهما أنه ليس المراد بالاتيان هنا المجيء الحسى بل الاستمرار على شيء ، والمداومة عليه كما تقول : امش على هذا الامر ، وسر على هذا المنوال ومنه قوله تعالى : (وانطلق الملا منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم) المراد بالانطلاق ليس الذهاب الحسى بل انطلاق الالسنة بالكلام ولهذا أعربوا أن تفسيرية وهي انما تأتى بعد جملة فيها معني القول كقوله تعالي : (فاوحينا أليه أن

وَانْتَضِيَ سَيْفُ الصُّبْحِ مِنْ قِرَابِ الظُّلْمَةِ (١). فَمَا طَلَعَتْ شَمْسُ النَّهَارِ إِلاَّ عَلَى الأَشْعَارِ وَالأَبْشَارِ. (٢) وَمَا زِلْنَا بِالأَهْوَالِ نَدْرَأُ حُجُبَهَا. وَبِالْفَلَوَاتِ نَقْطَعُ نُجُبَهَا. حَتَّى حَلَلْنَا الْمَرَاغَةَ (٣) وَكُلٌّ مِنَّا انْتَظَمَ إِلَى رَفِيقٍ. وَأَخَذَ فِي طَرِيقٍ (٤). وَانْضَمَّ إِلَيَّ شَابٌّ يَعْلُوهُ صَغَارٌ. وَتَعْلُوهُ

اصنع الفلك) والمراد بالمشى ليس المشى على الاقدام بل الاستمرار والدوام أي دوموا على عبادة أصنامكم واحبسوا انفسكم على ذلك ، والثانى أنه ليس المراد الطلب حقيقة وانما المراد الخبر وعبر عنه بصيغة الطلب كما فى قوله تعالى . (ولنحمل خطاياكم ، فليمدد له الرحمن مدا) . وجرا : مصدر جره يجره اذا سحبه ولكن ليس المراد الجر الحسى بل المراد التعميم كما استعمل السحب بهذا المعنى الا ترى أنه يقال : هذا الحكم منسحب على كذا أي شامل له فأذا قيل . كان ذلك عام كذا وهلم جرا فكانه قيل . واستمر ذلك في بقية الاعوام استمرارا وذلك جار فى جميع الصور وهذا هو الذى يفهمه الناس من هذا الكلام : وبهذا التأويل ارتفع أشكال العطف فان هلم حينئذ خبر واشكال التزام أفراد الضمير أذ فاعل هلم هذه مفرد أبدا كما تقول واستمر ذلك أو استمر الذي ذكرته

(١) شبه بزوغ النور وانحسار الظلمة عنه بالجمال الرائع الذي يطلع من تحت النقاب أو بالسيف الذي يستل من غمده (٢) أي لم يكن عليهم ما يستترون به غير أشعارهم وبشرتهم وهى جلدة الجسم (٣) ندرأ : ندفع ونمنع ، والنجب في الاصل لحاء الشجر وقشره ، والمعنى انهم استمروا في مدافعة الاهوال والارتطام بعباب المخاوف يقطعون الصحراء دائبين حتى وصلوا المراغة وهى بلد بأذربيجان شرقى بحيرة أرمنية (٤) أي انهم تقسموا في سيرهم فمضى كل

أَطْمَارٌ (١) . يُسْكِيُّ أَبَا الْفَتْحِ الْإِسْكَنْدَرِيُّ وَسِرْنَا فِي طَلَبِ أَبِي جَابِرٍ (٢) فَوَجَدْنَاهُ يَطْلُعُ مِنْ ذَاتِ لَظًى تُسْجَرُ بِالْغَضَا (٣) . فَعَمَدَ الْإِسْكَنْدَرِيُّ إِلَي رَجُلٍ فَاسْتَمَاحَهُ كَفَّ مِلْحٍ وَقَالَ لِلْخَبَّازِ : أَعِرْنِي رَأْسَ التَّنُّورِ . فَإِنِّي مَقْرُورٌ (٤) . وَلَمَّا فَرَعَ سَنَامَهُ جَعَلَ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ بِحَالِهِ . وَيُخْبِرُهُمْ بِاخْتِلَالِهِ (٥) . وَيَنْثُرُ الْمِلْحَ فِي التَّنُّورِ مِنْ تَحْتِ أَذْيَالِهِ يُوهِمُهُمْ أَنَّ أَذًى بِثِيَابِهِ . فَقَالَ الْخَبَّازُ : مَالَكَ لَا أَبَا لَكَ ؟! إِجْمَعْ أَذْيَالَكَ

اثنين معاو أخذا طريقا غير طريق الباقين (١) صغار بالغين المعجمة كما فى النسخة الاماميـة وهو الهوان والذل ويروى صفار بضم أوله وبالفاء وهو الجوع والصفرة الجوعة ويقال للجائع مصفور ومصفر بوزن معظم وهـذه الرواية أحسن والاطمار الثياب البالية (٢) كنية الخبز (٣) ذات لظا: هى النار، وتسجر توقد والغضا شجر اذا احترق دامت ناره طويلا واشتدت (٤) استماحه طلب منه . والتنور الـكانون يخبز فيه ورأسه فتحة فى أعلاه والمقرور الذى أصابه القر وهو البرد (٥) فرع سنامه : صعد فجلس قريبا من رأسه والمعنى : أنهم بعد أن وصلوا المراغة وساروا مثنى وكان من حظ عيسي أن رافقه أبو الفتح كان أول همهم البحث فى طلب مايسدان به جوعهما ويدفعان آلامه ويردان شدته ففكر أبو الفتح فى حيلة يصل بها الى مطلبهما بدون كبير عناء ومن غير أن يتجشما لذلك مالا فنظر غير بعيد الي تنور قد أوقد ورغفان الخبز تخرج منه فعمد الى رجل طلب منه قبضة من الملح وذهب الي الخباز فرجاه أن يسمح له بالدفء فوق التنور شاكيا له مالقيه من البرد فأدنه وحين جلس على رأس التنور جعل يحـدث الناس بما لقيه من أذى الدهر ومحنته .

فقد أفسدتَ الخبزَ علينا . وقامَ إلى الرُّغفان فرماها وجعلَ الإسكندريُّ يلقطُها . ويتأبطُها [1] . فأعجبتني حيلتُهُ فيما فعلَ . وقالَ : اصبِرْ عليَّ حتّى أحتالَ على الأُدْمِ [2] . فلا حيلةَ مع العُدْمِ [3] . وصارَ إلى رجلٍ قد صففَ أوانيَ نظيفةً فيها ألوانُ الألبانِ . فسألَهُ عن الأثمانِ . واستأذنَ في الذَّوقِ . فقالَ : افعلْ . فأدارَ في الآنيةِ إصبعَهُ . كأنَّهُ يطلبُ شيئاً ضيَّعهُ [4] . ثمَّ قالَ : ليسَ معي ثمنُهُ . وهلْ

---

(١) المعنى أنه حينما جلس رفع ثوبه ليدفيء جسده ثم كان يجالس الخباز ويقذف في التنور قبضة من الملح فتسمع لها فرقعة فتوهم التنار أن بجسمه قملا فهو يتساقط الى التنور وهذه أصوات احتراقه وخشى أن يكون قدعلق بالخبز شيء منه فرمى به وانتهزها أبو الفتح فرصة يرد بها كيدالجوع فكان يأخذه ويضمه تحت أبطه (٢) مأخوذ من قول لبيد بن ربيعة :

مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه ان استه من برص ملمعه
وانه يدخل فيها أصبعه يدخلـه حتى يواري أشجعه
كأنما يطلب شيئاً ضيعه

(٣) الادم — بوزن قفل — ومثله الادام — بكسر أوله — : ما يؤكل مع الخبز أي شيء كان ، وآدمته — بالمد ، وبالقصر ، وبالتشديد — : جعلت فيه أداما (٤) الحيلة : الاحتيال ، ولا نرى المعنى يصلح على هذا اذ كيف يقول انهما سيحتالان في طلب الادم ثم يقول ان المعدم لا احتيال له . لكن يمكن أن يراد من الحيلة الحول وهو : الحركة ، والقوة ، والدفع ، والمنع والعدم : الفقر ، والاملاق ، والمعنى : تعال بنا نطلب الأدم بالاحتيال فانه

لكَ رَغْبَةٌ فى الحِجامَةِ ؟ فقالَ : قبّحكَ اللهُ ! أنتَ حَجامٌ ؟ قالَ : نَعَمْ . فعمَدَ لأغراضِهِ يَسُبُّها[1] . وإلى الآنيةِ يَصُبُّها . فقالَ الإسكندريُّ : آثِرني على الشيطانِ[2] . فقالَ : خُذها لا بُورِكَ لكَ فيها . فأخذَها وأوينا إلى خَلْوَةٍ[3] . وأكلناها بدَفعَةٍ[4] . وسِرْنا حتّى أتينا قريةً استطعمْنا أهلَها[5] . فبادرَ مِنْ بَيْنِ الجَماعَةِ فَتًى إلى مَنزِلِهِ فجاءَنا بِصَحْفَةٍ قدْ سَدَّ اللبنُ أنفاسَها . حتّى بلغَ رأسَها[6] . فجعلْنا نتحسّاها[7] . حتّى استوفيناها . وسألناهُمُ الخُبزَ فأبَوْا إلاّ بالثَّمَنِ . فقالَ الإسكندريُّ مالَكُمْ تجُودُونَ باللَّبَنِ . وتمنعُونَ الخُبزَ إلاّ بالثَّمَنِ[8] ؟ فقالَ الغُلامُ :

لا قوة لامرىء تربت يده وأقفر جرابه ونضب معينه وانه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه أو يمنع دونها (١) اعراض : جمع عرض بكسر أوله والمعنى أنه بعد أن عرف أنه حلاق وقد أدار فى الآنية أصابعه تقذر وعافت نفسه ما فيها فأوسعه سبا وقصد أن يريق اللبن (٢) أي بدلا من أن تريقها فتذهب هباء ولا ينتفع بها أحد أعطنيها

(٣) أوينا الى خلوة : ملنا اليها (٤) بدفعة أي بتدافع وشدة (٥) أى طلبنا منهم أن يطعمونا (٦) الصحفة وعاء يوضع فيه اللبن وهو معروف بهذا الاسم عند المصريين ومعنى كون اللبن قد سد أنفاسها أنها ممتلئة (٧) حسا يحسو وتحسى أيضا : شرب جرعة بعد جرعة (٨) المعنى : أن الخبز أقل قيمة من اللبن وأزهد ثمنا فما الذى حدا كم لان تجودوا بالشيء الرفيع القدر السنى القيمة فى حين أنكم تمنعوننا المرتخص الذي لا قدر له ولا يساوم فيه بجانب ما تمنحون ؟

كانَ هذا اللَّبنُ في غَضارَةٍ . قَدْ وقَعَتْ فيهِ فارَةٌ . فَنَحْنُ نتَصَدَّقُ بِهِ علَى السَّيَّارَةِ (١) . فقالَ الإِسكَنْدَرِيُّ : إنَّا للهِ . وَأخذَ الصَّحْفَةَ فَكَسَرَها . فَصاحَ الغُلامُ : واحَرَباهُ (٢) ، واحَرُوباهُ . فاقْشَعَرَّتْ مِنَّا الجِلْدَةُ . وانْقَلَبَتْ علَيْنا المَعِدَةُ (٣) . وَنَفَضْنا ما كُنَّا أكَلْناهُ (٤) . وَقُلْتُ : هذا جَزاءُ ما بِالأَمْسِ فَعَلْناهُ . وَأنْشَأَ أبُو الفَتْحِ الإِسكَنْدَرِي يَقُولُ :

يا نَفْسُ لا تَتَغَثَّيْ ... فَالشُّؤمُ لا يَتَغَشَّا
مَنْ يَصْحَبِ الدَّهْرَ يَأْكُلْ ... فيهِ سَمِيناً وَغَثّا
فالبَسْ لِدَهْرٍ جَدِيداً ... وَالْبَسْ لآخَرَ رَثّا (٥)

---

(١) الغضارة : القصعة العظيمة ، والسيارة : الجماعة السائرون

(٢) واحرباه : كلمة تألم مأخوذة من الحرب بالتحريك وهو استلاب المال

(٣) الجلدة : بشرة الجسم الظاهرة والمراد قشعريرة البدن . والقشعريرة : انتفاض الجسم وانما تكون اذا أصاب الانسان خوف أو وجل والجملة كناية عن ذلك لانهم خافوا عاقبة أكلهم وظنوا أن الامر سيشتد بهم ويهلك أبدانهم ، وانقلاب المعدة : كناية عن المرض وظهور أعراض التأذى عليهم ، والمعنى أنهما أحسا بطروء المرض عليهما ونزوله بساحتهما

(٤) نفضنا : طرحنا ، ورمينا ، والمراد الكناية عن أنهما استقاءا ما تناولاه من الاكل فرارا من نزول المرض بهما

(٥) التغثى : اندفاع النفس الى القيء ، والمعنى : أيتها النفس اسكنى واستقري

المَقامَةُ النَّاجِمِيَّةُ

حَدَّثَنا عِيسٰى بْنُ هِشامٍ قالَ: بِتُّ ذاتَ لَيْلَةٍ فى كَتِيبَةٍ (١) فَضْلٍ مِنْ رُفَقائِى فَتَذاكَرْنا الفَصاحَةَ. وَما وَدَعْنا الحَدِيثَ حَتّى قُرِعَ عَلَيْنا البابُ (٢). فَقُلْتُ: مَنِ المُنْتابُ (٣)؟ فقالَ: وَفْدُ اللَّيْلِ وَبَرِيدُهُ. وَفَلُّ الجُوعِ وطَرِيدُهُ (٤). وَغَرِيبٌ نِضْوُهُ طَلِيحٌ. وَعَيْشُهُ تَبْرِيحٌ.

فى مكانك ولا يذرعك القيء فهذه عادة الدهر يتقلب دائما ولا بد لمن صحبه أن يجد فى تصاريفه عجبا وخليق بمن يسايره أن يكون مثله فيرتدي رداء التقلب أيضا

(١) الكتيبة في الاصل: الجيش أو الجماعة المغيرة من الخيل اذا بلغت مائة حتى تكون ألفا ، والمراد هنا منها مطلق الجماعة (٢) ودع بوزن وضع وبالتضعيف بمعنى : ترك ، وقرع الباب : طرق ، والمعنى : أننا جلسنا نتسامر والحديث ذو شجون فتحدثنا عن الفصاحة وقال كل منا ما حضره ونفض جملة الذى عنده ثم انتقلنا الى حديث آخر ولكننا لم نكد نبدأه ونترك موضوعنا الاول حتى طرق علينا الباب (٣) يقال : انتاب فلان فلانا اذا أتاه المرة بعد الاخرى ولم يزل يعاوده وكانهم سموه بذلك لانه طرقهم بعد أن طرق كثيرا من المنازل فاعتبروا متابعته طرق الابواب تتابعا عليهم ولا يبعد أن يكون قد أراد منه مطلق الطارق (٤) الوفد : الجماعة الواردون للانتجاع ونحوه وكانه جعل الليل لصعوبة الكد فيه حاملا له على الوفادة ، وبريده : رسوله ويقال منه : أبرد له اذا أرسل اليه ، والفل : المنهزم ويقال : سيف مفلول اذا كان به كلال

وَمِنْ دُونِ فَرْخَيْهِ مَهَامِهُ فِيحٌ (١) . وَضَيْفٌ ظِلُّهُ خَفِيفٌ . وَضَالَّتُهُ رَغِيفٌ . فَهَلْ مِنْكُمْ مُضِيفٌ (٢) ؟ فَتَبَادَرْنَا إِلَى فَتْحِ الْبَابِ وَأَنَخْنَا رَاحِلَتَهُ . وَجَمَعْنَا رُحْلَتَهُ (٣) . وَقُلْنَا : دَارَكَ أَتَيْتَ . وَأَهْلَكَ وَافَيْتَ . وَهَلُمَّ الْبَيْتَ . وَضَحِكْنَا إِلَيْهِ . وَرَحَّبْنَا بِهِ . وَأَرَيْنَاهُ ضَالَّتَهُ (٤) . وَسَاعَدْنَاهُ حَتَّى شَبِعَ . وَحَادَثْنَاهُ حَتَّى أَنِسَ (٥) . وَقُلْنَا : مَنِ الطَّالِعُ بِمَشْرِقِهِ ، الْفَاتِنُ بِمَنْطِقِهِ (٦) ؟؟ فَقَالَ : لا يَعْرِفُ الْعُودَ كَالْعَاجِمِ . وَأَنَا الْمَعْرُوفُ بِالنَّاجِمِ (٧) عَاشَرْتُ الدَّهْرَ لِأَخْبُرَهُ . فَعَصَرْتُ أَعْصُرَهُ . وَحَابَيْتُ

(١) النضو : البعير المهزول ، والطليح الذى زاد به التعب ، والتبريح : الشدة والجهد ، والمهامه : الصحاري ، وفيح : أي واسعة

(٢) ظله خفيف : أي لا يكلفكم مشقة ، والضالة أصله المفقود الذي يطلبه صاحبه وأراد أن أمنيته سدجوعه (٣) الرحلة بضم أوله : الوجوه التي تقصدها بارتحالك ومعني جمعها تهيئتها فى أمر واحد (٤) أي طمأناه باظهار مرغوبه .

(٥) ساعدناه : أي أعددنا له ما أراد حتى امتلا جوفه ، واذا كان للقادم دهشة فهو فى حاجة للتحادث وجلب الانس اليه بابتدائه بالكلام ولذلك فهم ما زالوا به يخاطبونه حتى خلع عذار الوحشة واطمأنت نفسه اليهم (٦) أى من ذلك الذي ظهر لنا كما يظهر الكوكب فاسترق ألبابنا بعذب حديثه واستولى على أفئدتنا بحسن بيانه (٧) عجم الود : عضه ليعرف أصلب هو أو لا وفى خطبة الحجاج حين قدم العراق (وان أمير المؤمنين جمع كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدني أصلبها مكسرا فرماكم بي) ، الناجم : الظاهر يريد انه

أشْطُرَهُ (١) . وَجَرَّبْتُ النَّاسَ لأَعْرِفَهُمْ . فَعَرَفْتُ مِنْهُمْ غَثَّهُمْ وَسَمِينَهُمْ (٢) . وَالْغُرْبَةَ لا أَذُوقها . فما لَمحَتْنِي أَرْضٌ إِلَّا فقأتُ عينها وَلا انْتَظَمَتْ رُفْقَةٌ إلا وَلَجتُ بينها (٣) . فأنا في الشَّرْقِ أُذْكَرُ . وفي الغَرْبِ لا أُنْكَرُ . فما مَلِكٌ إلاَّ وَطِئتُ بِساطَهُ . وَلا خَطْبٌ إلاّ خَرَقْتُ سِماطَهُ (٤) . وَما سَكَنَتْ حَرْبٌ إلا وَكُنْتُ فيها سَفِيراً . قَدْ جَرَّبَنِي الدَّهْرُ في زَمَنَيْ رَخائِهِ وَبُؤسِهِ . وَلَقِيَنِي بِوَجْهَيْ بِشْرِهِ وَعُبُوسِهِ (٥)

لا يخفى على أحد (١) لاخبره : أي لاختبره واعرفه ، والاعصر : جمع عصر وهو الزمن أيا كان مقداره ، والاشطر : اخلاف الناقة وقد جرى في كلامهم (حلبت الدهر أشطره) مجري المثل يريدون عرفت حلوه ومره ، غثه وسمينه خيره وشره ، سعادته وشقاءه (٢) يريد انه امتحن الناس بمصادقتهم وابتلاهم بالعشرة معهم ليتبين حالهم فأدركه وظهرت له حقائقهم (٣) أي انه اراد ان يختبر الاغتراب والاسفار كما اختبر الناس فقطع الحزون والسهول وطوى البحار ولم تبق ارض الا عرفها ولا جماعة من الخلان الا دخل بينها وسار معها

(٤) الخطب: الامر الجسيم والكربة العظيمة ، والسماط : جماعة الجيوش تتقدم الملك ، والمعنى : ان له في كل نازلة يدا (٥) السفير : الرجل الذي يدخل بين المتنازعين ليصلح ذات بينهما ويجمع كلمتهما وكنى بذلك عن حذقه ولباقته اذ لايقوي علي السفارة غير المطن اللبيب ، والبشر : طلاقة المحيا والعبوس : انقباضه ، والمعنى: أنه عاشر الدهر في كلا الحالين من الفرج والضيق وصاحبه في طريقيه عسره وميسرته

فَما بُحْتُ لِبُوسِهِ . إلاَّ بِلَبُوسِهِ [١] :

وَإِنْ كانَ صَرْفُ الدَّهْرِ قِدْماً أَضَرَّ بِي وَحَمَّلَنِي مِنْ رَيْبِهِ ما يُحَمِّلُ
فَقَدْ جاءَ بِالإِحْسانِ حَيْثُ أَحَلَّنِي مَحَلَّةَ صِدْقٍ لَيْسَ عَنْها مُحَوَّلُ [٢]

قُلْنا : لا فُضَّ فُوكَ . وَللهِ أَنْتَ وَأَبُوكَ [٣] . ما يَحْرُمُ السُّكُوتُ إلاَّ عَلَيْكَ ، وَلا يَحِلُّ النُّطْقُ إلاَّ لَكَ . فَمِنْ أَيْنَ طَلَعْتَ وَأَيْنَ تَغْرُبُ [٤] ؟ وَما الَّذِي يَحْدُو أَمَلَكَ أَمامَكَ . وَيَسُوقُ غَرَضَكَ قُدَّامَكَ ؟ ؟ [٥] . قالَ : أَمَّا الْوَطَنُ فَالْيَمَنُ وَأَمَّا الْوَطَرُ فَالْمَطَرُ . وَأَمَّا السَّائِقُ فَالضُّرُّ . وَالْعَيْشُ الْمُرُّ [٦] . قُلْنا : فَلَوْ أَقَمْتَ بِهٰذا الْمَكانِ لَقاسَمْناكَ الْعُمْرَ

---

(١) اللبوس : اللباس ، والمعنى : انه لبس لكل حالة لباسها وتقدم لكل عصر بما يليق به وأخذ أهبته في كل آونة بما يناسبها (٢) صرف الدهر ، خطوبه ونوازله ، وريبه كذلك ومعنى البيتين أني أغتفر للدهر ذنوبه الماضية وأنسى قديم اساءته بما أولانيه من نعمة حاضرة وسعادة شامله (٣) لا فض فوك اي لا اخلى الله فمك من حليته وهي الاسنان ولما كان يتوقف على الاسنان حفظ الحروف وكان الثرم مضيعة لكثير من الكلمات جعلوا هذه الكلمة دعاء لمن يستجيدون نطقه ويستملحون لفظه (٤) أى من أين أقبلت والى أين أنت ذاهب (٥) المعنى اى مقصود لك في سيرك واى علة تحثك علي ادمان السفر ومتابعة الجولان (٦) الوطر القصد ، والمطر المراد منه العطاء وقد أجاب علي اسئلتهم كلها على الترتيب ، والمعنى ان محل اقامتى الذى اقبلت منه هو اليمن والمقصد الذى من اجله اجوب الطرقات هو طلب المال والسبب

فَمَا دُونَهُ وَلَصادَفْتَ مِنَ الْأَمْطارِ ما يُزْرَعُ . وَمِنَ الْأَنْوَاءِ ما يُكْرَعُ قالَ : ما أَخْتَارُ عَلَيْكُمْ صَحْبًا . وَلَقَدْ وَجَدْتُ فِناءَكُمْ رَحْبًا . وَلٰكِنْ أَمْطارُكُمْ ماءٌ وَالْماءُ لا يُرْوِي الْعِطاشَ (١) . قُلْنا : فَأَيُّ الْأَمْطارِ يُرْوِيكَ ؟ قالَ : مَطَرٌ خَلَفِيٌّ (٢) وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

سِجِسْتانَ أَيَّتُها الرّاحِلَهْ وَبَحْرًا يَؤُمُّ الْمُنَى ساحِلَهْ (٣)

الذى يدفعنى الى ذلك هو الفقر والحياة الكريهة (١) الانواء : الامطار الغزيرة ويكرع يشرب من مكانه بدون كوب ، والفناء : الساحة أمام البيوت ، والرحب المتسع ، والمعنى أنهم ذكروا له استمدادهم لاستقباله ورضاهم عن أقامته بينهم متمدحين حالهم ليرغب فيها فأجاب بأنه رضيهم أخوانا واعتقد انهم سيكونون عند شروطهم واقرهم على ما نعتوا به انفسهم ولكنه لا يستطيع الاقامة بينهم ولا يجسر على التخلف عن السير لانهم ان اعطوه فاعا يعطونه طعاما وشرابا وهما لا يسدان حاجته ولا يقومان برغبته

(٢) أى اذا كان الماء لا يرويك وقد أخبرتنا أنك تقصد المطر فاي مطر تعنى ؟ فقال : المطر الخلفى أى المنسوب الي خلف بن أحمد ، وذلك مثل قول الشاعر (أو قريب منه) :

ما نوال السحاب وقت غمام كنوال الامير وقت عطاء
فنوال الامير بدرة مال ونوال السحاب قطرة ماء

(٣) يؤم : يقصد . والمعنى سيرى أيتها الراحلة نحو سجستان واجعليها جهتك واقصدى ذلك الامير الذى تتوجه الرغبات اليه ويسمي نحوه ذوو الحاجات

سَتَقْصِدَ أَرْجانَ إِنْ زُرْتَهـا بِواحِدَةٍ مِائَةً كامِلَهْ (١)
وَفَضْلُ الأَمِيرِ عَلَى ابْنِ العَمِيدِ كَفَضْلِ قُرَيْشٍ عَلَى باهِلَهْ (٢)

(١) أرجان : بلدة من بلاد فارس بفتح الالف والراء مشددة وقد خففت لضرورة الشعر . ومعنى البيت انك اذا وردت حضرة الامير بأرجان فستنال أمانيك مضاعفة (٢) ابن العميد : هو الاستاذ الرئيس الوزير أبو الفضل محمد بن الحسن العميد كاتب المشرق وعماد ملك آل بويه وصدر وزرائهم وهو فارسى الاصل من مدينة قم وكان أبوه كاتبا مترسلا بليغا من كبار كتاب الدولة السامانيه وهى احدي الدول الى استقلت استقلالا داخليا فى أواسط الدولة العباسية . نشأ شغوفا بالعلوم العقلية واللسانية فبرع فى الحكمة والنجوم ونبغ فى الادب والكتابة وقد قيل (بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد) ثم رحل عن أبيه الى آل بويه وتقلد شريف الاعمال فى دولتهم الى أن تولى وزارة ركن الدولة أبي على الحسن بن بويه والد عضد الدولة المشهور سنة ٣٢٨ فساس دولته ووطد أركانها وتشبه بالبرامكة ففتح بابه للعلماء والفلاسفة والشعراء والادباء وكان يشاركهم فى كل ما يعلمون الا الفقه . وما زال فى وزارته محط الرحال ، وكعبة الآمال حتى توفى سنة ٣٦٠ هـ . وكان ابن العميد أول من فتح باب الولوع بالرسائل البديعية متوخيا فيها السجع القصير الفقرات مقتبسا من القرآن بعض الآيات ومن السنة بعض الاحاديث المأثورة مشيراً الى الحوادث المشهورة ناثرا فيها الابيات الحكمية موشيا بعض الحلية اللفظية كالجناس والمطابقة مضمنا الامثال السائرة وحاكاه فى طريقته هذه فحول معاصريه فاصبح عميد رفقتهم وضليع حلبتهم وكلهم كارع من حياضه قاطف من رياضه ان لم يكن بالاقتباس منه فبالمشاكهة له وان كان هو أقلهم التزاما للمسجوع وأقربهم الى المطبوع . . وورد عليه

أبو الطيب المتنبي عند صدوره من حضرة كافور الاخشيدي فمدحه بتلك القصائد المشهورة السائرة التى منها :

من مبلغ الاعراب أني بعدهم ... شاهدت رسطاليس والاسكندرا
وسمعت بطليموس دارس كتبه ... متملكا متبديا متحضرا
ولقيت كل الفاضلين كأنما ... رد الاله نفوسهم والاعصرا
نسقوا لنا نسق الحساب مقدما ... وأتى فذلك اذا أتيت مؤخرا
بأبي وأمي ناطق في لفظه ... ثمن تباع به القلوب وتشتري
قطف الرجال القول وقت نباته ... وقطفت أنت القول لما نورا

ومن بديع رسائله ما كتب به الى ابن بلكا عند استعصائه على ركن الدولة وهي رسالة طريفة شيقة كما أنها غرة كلامه وواسطة عقده وهى مطولة جداً نذكر منها لمعاً . قال فى أولها :

كتابي وأنا مترجح بين طمع فيك ، ويأس منك ، واقبال عليك ، وأعراض عنك ، فانك تدل بسابق حرمة ، وتمت بسابق خدمة ، أيسرهما يوجب رعاية ، ويقتضى محافظة وعناية ، ثم تشفعهما بحادث غلول وخيانة ، وتتبعهما بأنف خلاف ومعصية ، وأدنى ذلك يحبط أعمالك ، ويمحق كل ما يرعي لك ، لا جرم اني وقفت بين ميل اليك ، وميل عليك : أقدم رجلا لصدمك ، وأؤخر أخرى عن قصدك ، وأبسط يدا لاصطلامك ، وأتوقف عن امتثال بعض المأمور فيك ضنا بالنعمة عندك ، ومنافسة فى الصنيعة لديك وتأميلا لفيئتك وانصرافك ، ورجاء لمراجعتك وانعطافك ، فقد يعزب العقل ثم يؤوب ، ويعزب اللب ثم يثوب ، ويذهب الحزم ثم يعود ، ويفسد العزم ثم يصلح ، ويضاع الرأى ثم يستدرك ، ويسكر المرء ثم يصحو ، ويكدر

الماء ثم يصفو ، وكل ضيقة الى رخاء ، وكل غمرة فالى انجلاء ، وكما أنك أتيت من أساءتك بما لم تحتسبه أولياؤك ، فلا بدع أن تأتى من أحسانك بما لا ترتقبه أعداؤك ، وكما استمرت بك الغفلة حتى ركبت ما ركبت ، واخترت ما اخترت فلا عجب أن تنتبه انتباهة تبصر فيها قبيح ما وصفت ، وسوء ما آثرت ، وسأقيم على رسمي في الابقاء والمماطلة ما صلح ، وعلى الاستبقاء والمطاولة ما أمكن ، طمعا فى انابتك ، وتحكيما لحسن الظن بك ، فلست أعدم فيما أظاهره من أعذار ، وأرادفه من انذار ، احتجاجا عليك ، واستدراجا لك

ومنها :

وزعمت أنك فى طرف من الطاعة بعد أن كنت متوسطها ، واذا كنت كذلك فقد عرفت حاليها ، وحلبت شطريها ، فنشدتك الله الا صدقت عما سألتك : كيف وجدت ما زلت عنه ؟ وكيف تجد ما صرت اليه ؟ ألم تكن من الاول فى ظل ظليل ، ونسيم عليل ، وريح بليل ، وهواء عدي ، وماء روي ومهاد وطي ، وكن كنين ، ومكان مكين ، وحصن حصين ، يقيك المتالف ، ويؤمنك المخاوف ، ويكنفك من نوائب الزمان ، ويحفظك من طوارق الحدثان ، عززت به بعد الذلة ، وكثرت بعد القلة ، وارتفعت بعد الضعة ، وأيسرت بعد العسرة ، وأثريت بعد المتربة ، واتسعت بعد الضيقة ، وظفرت بالولايات ، وخفقت فوقك الرايات ، ووطىء عقبك الرجال ، وتعلقت بك الآمال ، وصرت تكاثر ويكاثر بك ، وتشير ويشار اليك ، ويذكر على المنابر اسمك ، وفى المحاضر ذكرك ؟ ففيم الآن أنت من الامر ؟ وما العوض عما عددت والخلف مما وصفت ؟ وما استفدت حين أخرجت من الطاعة نفسك ، ونفضت منها كفك ، وغمست في خلافها يدك ؟ وما الذى أظلك بعد انحسار ظلها ،

عنك ؟ أظل ذو ثلاث شعب ، لا ظليل ولا يغني من اللهب ؟ ! قل : نعم كذلك ، فهو والله أ كثف ظلالك في العاجلة ، وأروحها في الآجلة : ان أقمت على المحايدة والعقود ، ووقفت عن المشاقة والجحود

ومنها :

تأمل حالك وقد بلغت هذا الفصل من كتابي فستنكرها ، والمس جسدك ، وانظر هل يحس ، واجسس عرقك هل ينبض ، وفتش ما حنا عليك هل تجد في عرضها قلبك ، وهل حلي بصدرك أن تظفر بفوت سريح ، أوموت مريح ، ثم قس غائب أمرك بشاهده ، وآخر شأنك بأوله

ومما سار من كلامه مسير الامثال قوله :

متى خلصت للدهر حال من اعتوار أذى ، وصفا فيه شرب من اعتراض قذى خير القول ما أغناك جده ، وألهاك هزله . الرتب لا تبلغ الا بتدرج وتدرب ، ولا تدرك الا بتجشم كلفة وتصعب . المرء أشبه شيء بزمانه ، وصفة كل زمان منتسخة من سجايا سلطانه . قد يبذل المرء ماله في اصلاح اعدائه ، فكيف يذهل العاقل عن حفظ أوليائه ؟ هل السيد الا من تهابه اذا حضر ، وتغتابه اذا أدبر ؟

وله شعر رائع ، يأخذ بالالباب ويأتسر النهي ومنه قوله :

قد ذبت غير حشاشة وذماء ما بين حر هوى وحر هواء
لا استفيق من الغرام ولا ارى خلوا من الاشجان والبرحاء
وصروف ايام اقمن قيامتي بنوى الخليط وفرقة القرناء
وجفاء خل كنت احسب انه عوني على السراء والضراء
ثبت العزيمة في العقوق ووده متنقل كتنقل الافياء

ٱلْمَرَاكِبُ تُساقُ وَالْجَنائِبُ تُقادُ (١) وَإِذا رَجُلٌ قَدْ هَجَمَ عَلَيْنا (٢) . فَقُلْنا : مَنِ الْهاجِمُ ؟ فإِذا شَيْخُنا النّاجِمُ . يَرْفُلُ في نَيْلِ الْمُنَى . وَذَيْلِ الْغِنَى . فَقُمْنا إِلَيْهِ مُعانِقِينَ وَقُلْنا : ما وَراءَكَ يا عِصامُ (٣) . فَقالَ :

ذى ملة يأتيك ، اثبت عهده   كالخط برقم في بسيط الماء
ابكي ويضحكه الفراق ولن ترى   عجبا كحاضر ضحكه وبكائي

وقوله :

يا من تخلى وولى   وصد عني وملا
واوسع العهد نكثاً   واتبع العقد حلا
ما كان عهدك الا   عهد الشبيبة ولى
او طائفا من خيال   ألم ثم تولى
او عارضا لاح حتى   اذا دنا فتدلى
الوت به نسمات   من الصبا فتحلى
اهلا بما ترتضيه   في كل حال وسهلا
ليجزينك ودي   بمثل فعلك فعلا
ان شئت هجراً فهجرا   او شئت وصلا فوصلا
صبرت عني فانظر   ظفرت بالصبر ام لا
اني اذا الخل ولى   وليته ما تولى

وعنه اخذ الصاحب ابن عباد وتولى له كتابة خاصته . وتوفي سنة ٣٦٠ هـ

(١) الجنائب : جمع جنيبه ، وهي الدابة التي يأخذها المسافر معه ليستريح اليها اذا تعبت راحلته (٢) اي طلع علينا بغتة (٣) ما وراءك يا عصام : مثل يضرب عند الاستفسار عن امر مرغوب في معرفته ، جهله السائل ،

بِجِمَالٌ مُوقَرَةٌ (١) وَبِغَالٌ مُثقَلَةٌ (٢) . وَحقائِبُ مقفَلَةٌ (٣) . وَأَنْشأَ يَقُولُ :

مَوْلَايَ أَيُّ رَذِيلَةٍ لَمْ يَأْبَهَا ... خَلَفٌ وَأَيُّ فَضِيلَةٍ لَمْ يَأْتِهَا (٤)

وعرفه المخاطب ، وعصام هو حاجب النعمان بن المنذر منع النابغة الذبيانى من الدخول عليه وهو مريض فقال له النابغة :

الم اقسم عليك لتخبرنى ... المحمول على النعش الهمام ؟
فانى لا الام على دخول ... ولكن ما وراءك ياعصام ؟
فان تهلك - ابا قابوس - يهلك ... ربيع الناس والبلد الحرام

(١) الوقر : الحمل وأوقره : حمله والموقرة المحملة : المحملة (٢) مثقلة : أى جعل عليها متاع كثير (٣) الحقائب : جمع حقيبة ، وهى الوعاء الذى يجعل فيه المسافر ثيابه وأمتعته ، والمراد هنا مجرد الوعاء (٤) خلف بن احمد : أحد الامراء الذين انتجعهم البديع ومدحهم ، وله فيه قصائد شيقة منها التى مطلعها :

لك الخير من طيف على النأي طارق ... ثوى ريثما ولى ولا لمع بارق
ألم بنا والليل في درع ثاكل ... لواحدها والنجم فى لون عاشق
فثرنا الى الأكوار والعيس نوم ... تؤم بنا أقصى بلاد المشارق
نهاجر دار العامريه والحمى ... الى أرض غزلان الظبا والمناطق
خليلى واها لليالى وسرفها ... لقد ثقفت ألا كعوب حلائقي
ألم ترني بعد الدهي وبلوغها ... رجعت لأوطار الشباب الفرانق
اذا سجع القمري راسلت لحنه ... بايقاع دمع للغناء موافق

يقول فيها :

ما يُسْمِعُ ٱلْعافِينَ إلاَّ هاكَها   لَفْظاً وَلَيْسَ يُجابُ إلاَّ هاتِها [1]

لعمري لئن من الوزير فاءما   يمن على عبد بنعماه ناطق

اذا اقتنصت منه خراسان لفظة   أماطت نساء العرب در المخانق

يلح على شوس القوافى وصيدها   فيلسبها ماء المعاني الدقائق

أبعد وزير المشرقين أردها   على ملك ؟ ردت أذن فى حمالقى

ومن قصائده فيه قوله :

سماء الدجى ماهذه الحدق النجل ؟   أصدر الدجى حال،وجيدالضحي عطل؟!

لك الله من عزم أجوب جيوبه   كاني في أجفن عين الردي كحل

كأن الدجى نقع وفى الجو حومة   كواكبها جند طوائرها رسل

كان الربى سكري،ولا سكر بالقرى   كأن الربى ثكلي ، وما بالربا ثكل

كان السرى ساق كأن الكري طلا   كأنا لها شرب كأن المنى نقل

كان بصدر العيس حقدا على الثري   فمن يدها خبط ومن رجلها نكل

كأن أبانا أودع الملك الذي   قصدناه كنزا لم يسع رده مطل

يقول فيها .

يقولون : وافى حضرة الملك الذى   له الكنف المأمول والنائل الجزل

فقيد له طرف ، وحلت له حبى   وخير له قصر ، ودر له نزل

وفاضت عليه مطرة خلفية   بها للغوادى عن ولايتها عزل

يذكركم بالله الا صدقتم   لدى ، أجد ماتقولون أم هزل ؟

طوينا للعياك الملوك وانما   بمثلك عن أمثالهم مثلنا يسلو

(١) العافين : جمع عاف وهو طالب الفضل وتكسيره عفاة ، وهاك : اسم فعل معناه خذ ، والمعني أن طلاب فضله والواردين على حضرته لا يسمعون منه الا كلمة خذ الدالة على كرم زائد وسماحة لا تتناهى وهم لايجيبونه بغير هات

إنَّ المَكارِمَ أسفَرَتْ عَنْ أوْجُهٍ
بِيضٍ وكانَ الخالَ في وَجَناتِها [١]

بأَبي شَمائِلُهُ الَّتي تَجْلو العُلاَ
وَيَدٌ أرَى البَرَكاتِ في حَرَكاتِها

مَنْ عَدَّها حَسَناتِ دَهْرٍ إنَّني
مِمَّنْ يَعُدُّ الدَّهْرَ مِنْ حَسَناتِها [٢]

قالَ عِيسَى بْنُ هِشامٍ: فَسأَلْنا اللهَ بَقاءَهُ. وَأنْ يَرْزُقَنا لِقاءَهُ. وَأقامَ النَّاجِمُ أيَّاماً مُقْتَصِراً مِنْ لِسانِهِ. عَلَى شُكْرِ إحْسانِهِ. وَلا يَتَصَرَّفُ مِنْ كَلامِهِ. إلا في مَدْحِ أيَّامِهِ. وَالتَّحَدُّثِ بِإِنْعامِهِ

المَقامَةُ الخَلَفِيَّةُ

حَدَّثَنا عِيسَى بْنُ هِشامٍ قالَ: لَمَّا وُلِّيتُ أحْكامَ البَصْرَةِ. وَانْحَدَرْتُ إلَيْها عَنِ الحَضْرَةِ [٣]. صَحِبَنِي في المَرْكَبِ شابٌّ كَأنَّهُ

تلك الكلمة التي تنبىء عن احتياجهم اليه (١) الخال: نقطة سوداء تكون في الصدغ الابيض وهي مما تتمدح بها الغواني وتكسبهن جمالا وبهجة. ومعنى البيت أن الامير زينة المكرمات وحلية الفضائل، وانمـ الرجال بصالح الاعمال، فاذا افتخر الناس بالمكارم فانها لتفتخر به (٢) المعنى: انه اذا كان لانسان أن يعتبر فضائل هذا الامير حسنة من حسنات الدهر فاني أقول ان الدهر نفسه (وهو الذى يجود بالحسنات) حسنة من حسنات الامير وذلك نهاية المبالغة في الاطراء

(٣) تقدم عن البصرة كلام واف، وانحدرت: سرت، والحضرة: أراد

ٱلْعافِيَةُ فى ٱلْبَدَنِ (١) . فَقالَ : إِنِّى فى أَعْطافِ ٱلارْضِ وأَطْرافِها، ضائِعٌ (٢) لٰكِنِّي أُعَدُّ مَعَدَّ أَلْفٍ (٣) . وَأَقُومُ مَقامَ صَفٍّ . وَهَلْ لَكَ أَنْ تَتَّخِذَنِى صَنِيعَةً (٤) . وَلا تَطْلُبَ مِنِّي ذَرِيعَةً (٥) . فَقُلْتُ : وَأَىُّ

بها ذات الخليفة الذي ولاه شؤون البصرة ، أو مكان اقامته وهو بغداد

(١) يريد أن هـذا الشاب طيب العشرة ، وسيم الخلق ، غزير الادب كامل المروءة ، بحيث يتمناه الانسان مثلما يتمنى الصحة ، ويأسف لفراقه كما يأسف اذا فارقته العافية (٢) اعطاف : جمع عطف — بكسر أوله — وهو الجانب ، والمعنى : أنه مهضوم الحق ، مهيض الجناح ، لا يعترف الناس له بفضله ، ولا يذعنون لكياسته ونبله (٣) المعنى : أن الحق انى لست فى المكانة التي أنزلنيها الناس ، وانما أنا من الشجاعة والاقدام ، وكمال الرجولية ، بحيث أسد مسد الالف فأنا من الذين عناهم ابن دريد بقوله :

والناس ألف منهم كواحد   وواحد كالألف ان أمر عنى

(٤) الصنيع والصنيعة : الطعام والاحسان . والجمع : صنائع ، وتقول : هو صنيعى وصنيعتى اذا أحسنت اليه وربيته وخرجته ويقال أيضاً : صنعت الجارية — بالبناء المجهول — اذا أحسن اليها حتى سمنت . وقوله تعالى : (واصطنعتك لنفسى) أي أحسنت اليك لتقوم برسالتى (٥) تقول : فلان ذريعتي الى فلان أي وسيلتى ، وقد تذرعت به اليه : توسلت . ويقال أيضاً : أنا ذريع لفلان عند فلان أى وسيلة وشفيع . والمعنى : أما ترى أن تحسن الى وتتعهدني ثم لا تطلب منى وسيلة غير الحفاوة بي والقيام بشؤونى . هذا هو المعنى المتبادر ولا أدرى كيف يتفق مع الذي نعت به نفسه قبل ذلك ؟ ولو حملت الذريعة على الوثيقة ونحوها لنتج من ذلك معنى صحيح يناسب ما قبله

ذَرِيعةٍ آكَدُ مِنْ فَضْلِكَ . وَأَىُّ وَسِيلَةٍ أَعْظَمُ مِنْ عَقْلِكَ[١] ؟؟ لا بَلْ أَخْدِمكَ خِدْمَةَ الرَّفِيقِ[٢] . وَأُشارِكُكَ فِى السَّعَةِ وَالضِّيقِ[٣] . وَسِرْنا فَلَمَّا وصلْنا الْبَصْرَةَ غابَ عَنِّى أَيَّاماً فَضِقْتُ لِغَيْبَتِهِ ذَرْعاً[٤] وَلَمْ أَمْلِكْ صَبْراً. فأَخَذْتُ أُفَتِّشُ جُيُوبَ الْبَلَدِ حَتَّي وَجَدْتُهُ[٥] . فَقُلْتُ: ما الَّذِى أَنْكَرْتَ ؟ وَلِمَ هَجَرْتَ[٦] ؟ فَقالَ : إِنَّ الْوَحْشَةَ تَقْدَحُ فِى الصَّدْرِ اقْتِداحَ النَّارِ فِى الزَّنْدِ[٧] فَإِنْ أُطْفِئَتْ نارَتْ وَتَلاشَتْ.

ومابعده ولكننا لم نجد فى معاجم اللغة التى بايدينا للذريعة معنى يساعد على ذلك

(١) المعنى انى لاأكلفك شيئا ، ولاأطلب منك — كما رأيت — وسيلة فان فضلك وعقلك كافيان (٢) يروى الرقيق بقافين وهذه الرواية واضحة المعنى ويروي الرفيق بالفاء الموحده ، ومن معانيه : العبد ، وحينئذ فالمعنى جلى

(٣) المعنى : لا أبخل عليك بما بيدي اذا أثريت وأواسيك بطيب عشرتى أن أعملت (١٠) ضاق بالامر ذرعا وذراعا : أى لم يطقه ، ولم يقدر عليه

(٤) جيب الارض : مدخلها ، وجمعه جيوب ، والمعني أنه حينما فارقنى داخلتنى الوحشة ، وزاد بى الغم ، فعيل صبرى ، ولم استطع نسيانه ولا السلو عنه ، فخرجت فى طلبه أبحث عنه ولم أترك مدخلا للبلد ولا منعطفا الا ولجته، الي أن هدتنى الالطاف اليه (٥) المعنى : أي شيء حملك علي هجرانى وتركي ، وما الذي رأيت منى فلم يعجبك ، ولم يرق في نظرك (٦) الوحشة : الخلوة، والغم ، والخوف ، وانقباض النفس عند استذكارها أمرا تكرهه ، وتقدح: تشتعل ، أو تظهر ، والزند : العود الذي يقدح به النار ، وجمعه زناد وأزند وازناد . والمعنى : ان الالم ليتوقد في الصدر كما تتوقد النار اذا احتك الزناد

وَإِنْ عاشَتْ . طارَتْ وَطاشَتْ [١] . وَالقَطْرُ إِذَا تَتَابَعَ على الإِناء امتَلأَ وَفاضَ [٢] . وَالعَتَبُ اذَا تُرِكَ فَرَّخَ وَباضَ [٣] . وَالحُرُّ لا يَملِكُهُ تَرَكٌ كَالعَطاء . وَلا يَطرُدُهُ سوءٌ كَالجَفاء [٤] . وَعَلى كُلِّ حالٍ .

---

(١) بادت : هلكت ، ويروي نارت: ومعناهانهزمت على تشبيه الوحشة أو النار بالرجل المنهزم أمام عدوه ، وتلاشت : تضاءلت ، وانمحت آثارها ، وطارت : ارتفعت ، وطاشت : حمقت ، والمعنى : أن النار اذا بودرت قبلأن تلتهب ، وعوجلت من قبل أن يندلع لسانها ويرتفع شواظها فلابدأن تنكسر حدتها وتضمحل قواها فتعفو آثارها ، فأما اذا تركت وشأنها ولم تتخذ الحيطة لهافانها لاتترك سبداولالبدا ولاتبقي ولاتذر ، وكذلك نارالاحقادوالآلام

(٢) القطر : المطر ، تتابع : توالى ، وفاض : زاد حاجته ، والمعنى : أن توالى المطر وهو نعمة يعقب ضررا اذازاد عن الكفاية فكيف بك اذا توالت البأساء والضراء ، واذاكان الاناءيرمي الزائد عن سعته فلابدأن ينفجر الوحشان (المغتم) وشديد الضغط يعقبه انفجار دائما (٣) أفرخت البيضة وفرخت : انشقت عن الفرخ ، والطائرة اذا صار لها فرخ ، والعتب والعتبة — بالتحريك — : الامر الكريه من الشدة والبلاء .يقال حمل فلان فلانا على عتبة أي على شدة وكربهة . وفي حديث عائشة (ان عتبات الموت تأخذها) أي كروبه وشدائده والمعنى : أن الكربات والشدائد اذا لم يعمل المرء على ازالتها تولدت عنها شرور ومساو وأصبح كبحها بعد ذلك عسيراً (٤) لايملك الحر ويستهويه اكثر من الاحسان ولا يسيئه وينفره سوى الاساءة ، وأحسن الى الناس تستعبد قلوبهم

تَنْظُرُ مِنْ عالٍ . عَلى الْـكَرِيمِ نَظَرَ إِدْلالٍ . وَعَلي اللَّئِيمِ نَظَرَ إِذْلالٍ (١)
فَمَنْ لَقِيَنَا بِأَنْفٍ طَوِيلٍ . لَقِينَاهُ بِخُرْطُومِ فِيل (٢) . وَمَنْ لَحَظَنَا بِنَظَرٍ
شَزْرٍ . بِعْنَاهُ بِثَمَنٍ نَزْرٍ (٣)

---

(١) الادلال ـ بالدال المهملة ـ ومثله الدلال : التعزز على من لك عنده منزلة ، وفي الحديث : يمشى على الصراط مدلا (أى منبسطا لا خوف عليه) ، ولعله مأخوذ من الدل وهو والهدي والسمت عبارة عن الحالة التي يكون عليها المرء من السكينة والوقار وحسن السيرة والطريقة واستقامة المنظر والهيئة والاذلال ـ بالذال المعجمة ـ الاحتقار ، والاهانة ، والازدراء ، وتهوين الشأن ، والمعنى : أنه يجعل الناس في المعاملة على قسمين فيعامل كل صنف بما يليق له ويلائمه فيتعزز على الكريم ويدل عليه وينأى عن اللئيم ويحتقره وهو بهذا يشير اليه بأنه من الكرام الذين تجب الدالة عليهم ، وينبغي فى حقهم التيه

(٢) يقال : شمخ الرجل بأنفه اذا كان متكبرا صلفا ، والشموخ الارتفاع وأصله من قولهم : جبل شامخ أى مرتفع عال ولبعضهم :

ترى شمخ الاطواد من شمخ خندف ذراهن في ضحضاح بحرك تغرق

فهم يكنون بشموخ الانف عن الارتفاع والتكبر ، وخرطوم الفيل : أنفه مع شفته العليا وهما بالغان الغاية في الطول ، والمعني : أن الذى يتكبر علينا ويزور بجانبه عنا نعامله من جنس هذه المعاملة ونكيل له بكيله بل نفوقه صلفا واباء وكبرا ، والكبر على أهل الكبر صدقة (٣) اللحظ : النظر بشق العين مما يلى الصدغ ويسمى اللحاظ فاما الذى يلى الانف فالموق والماق ، وأراد منه هنا مجرد النظر ، والنظر الشزر . اكثر مايكون في حال الغضب وإلي الاعداء والنزر ، القليل والبخس ، والمعنى : أن حقا علينا أن من تأفف منا أوسئمنا

وَأَنْتَ لَمْ تَغْرِسْنِي لِيَقْلَعَنِي غُلامُكَ (١) . وَلا ٱشْتَرَيْتَنِي لِتَبِيعَنِي خُدَّامُكَ (٢) . وَٱلْمَرْءُ مِنْ غِلْمانِهِ . كَٱلْكِتَابِ مِنْ عُنْوانِهِ (٣) فَإِنْ كانَ جَفَاؤُهُمْ شَيْئاً أَمَرْتَ بِهِ فَمَا ٱلَّذِي أَوْجَبَ ؟ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ عَلِمْتَ بِهِ كانَ أَعْجَبَ (٤) ! ! ثُمَّ قالَ :

فعاف عشرتنا نهجره غير آسفين عليه ولا متألمين له (١) شبه نفسه بالشجرة التي يغرسها الانسان وكأنه أراد من ذلك أن من زرع لا يزال يتعهد زرعه بالسقي الى أن ينمو ويشتد ويحافظ عليه ويمنع عنه الايدى ، والمعنى : انك لم تكلف نفسك عناء معاشرتي، والقيام علي، وتأدية شؤوني لتتركني الى خدمك فيسيئوا الي أو تحمل رعايتي اليهم فيهملوا أمري (٢) هذه الفقرة كالتي قبلها ، وشبه نفسه هنا بالشيء الذي يشتريه ويدفع المرء فيه ماله وذلك يكون مدعاة الى الاحتفاظ به والخوف عليه :

(٣) المعنى : أن خدم الانسان ينبئون عن أخلاقه ويدلون على خفيه كالكتاب اذا خفي دل عليه عنوانه ، وهذا ضد الذى يقوله بعض الناس اذا حسنت أخلاق السيد ساءت أخلاق المسود . وللعباس بن الاحنف في التشبيه بالكتاب ودلالة العنوان عليه :

لا جزى الله دمع عيني خيرا ... وجزي الله كل خير لساني
كنت مثل الكتاب أخفاه طي ... فاستدلوا عليه بالعنوان

(٤) أي ان أمرك دائر بين أن تكون أوعزت الى خدمك بالاساءة الي ومعاملتي بالشر وهذا عجيب جدا لانه لا سبب يدعو الى مثل هذه المعاملة وبين أن يكونوا قد صنعوا ذلك من عند أنفسهم وبغير علمك وهذا أكثر عجبا وأشد غرابة اذ كيف يتصرف الخادم تصرفا لم يأمره به سيده، أو يعمل

ظَفِرَتْ يدا خلفِ بنِ أحمدَ إنَّهُ   سهلُ الفِناءِ مُؤَدَّبُ الخُدَّامِ (١)

أوَما رأيتَ الجُودَ يجتازُ الورى   ويَحِلُّ مِنْ يَدِهِ بدارِ مُقامِ (٢)

قالَ عِيسى بنُ هِشامٍ : ثُمَّ أعرضَ وتبِعتُهُ أستعطِفُهُ (٣) وما زِلْتُ

عملا لا رغبة لمولاه فيه

(١) اليد آلة القوة وواسطة البطش ولذلك يعبرون بها عن ذلك ويكنون عن القوة والمنعة ووفر النعمة ورخاء العيش بمثل : اشتد ساعدة ، وقويت يده وظفرت يده ، وما أشبه ذلك وفي ضد ذلك : تربت يده ، وأمحلت ، وضعفت ، ويقولون : فلان رحب الفناء أو سهل الفناء يريدون أنه كريم الوفادة ، كثير الضيفان ، وأصل الفناء ـ بكسر أوله ـ : المتسع أمام الدار ويجمع على أفنية بوزن كساء وأكسية ، والمعنى : أنه يدعو لخلف بالخصب والنماء والقوة لانه كريم حسن الوفادة كثير الزوار ومع هذا فان خدمه مؤدبون لا يسيئون الي أحد ولا يعل منهم طارق ، وفيه تعريض بعيسى (٢) جاز المكان يجوزه : تعداه الي غيره واجتازه كذلك ، والمقام والاقامة : المكث والبقاء ، والمعنى : أن الكرم وطيب الاخلاق وشريف الخلال تمر بالناس جميعا لا تعرج عليهم ولا تقع بساحتهم فاذا بلغت الامير القت عصاها عنده وبقيت لديه لا تحول ولا تتحول وفي البيت كناية عن نسبة صفة الكرم اليه كقولهم : المجد بين برديه ، والكرم حشو ثوبيه ، والسؤدد طوع يديه ، وكقول الشاعر :

ان السماحة والمروءة والندى   في قبة ضربت على ابن الحشرج

(٣) أعرض : المراد منه سار معرضا ، وأستعطفه : أطلب منه العطف وهو الميل والشفقة ، والمعنى : أنه تركني ومضي متألما مما حدث له مظهرا الاعراض عني فلم استطع أن اتركه بل سرت اليه وما زلت به أطلب منه ألا يحمل في نفسه شيئا والا يكون خطأ الخادم معه مدعاة الي التقاطع

أُلاطِفُهُ (١) حَتَّى انْصَرَفَ . بَعْدَ أَنْ حَلَفَ أَنْ لا أَوْرَدْتُ مَنْ أَساءَ عِشْرَتَهُ (٢) . فَوَهَبْتُ لَهُ حُرْمَتَهُ (٣)

المَقامَةُ النَّيْسابُورِيَّةُ

حَدَّثَنا عِيسَى بْنُ هِشامٍ قالَ : كُنْتُ بِنَيْسابُورَ (٤) يَوْمَ جُمُعَةٍ فَحَضَرْتُ المَفْرُوضَةَ (٥) وَلَمَّا قَضَيْتُها اجْتازَ بِي رَجُلٌ قَدْ لَبِسَ دَنِّيَّةً (٦)

والنفور (١) ألاطفه : استعمل في استعطافه اللطف وهو الرفق ، واللين والهدوء (٢) انصرف : ذهب الى قصده ، وحلف — بالتخفيف — : أقسم واوردت : أحضرت ، والمعني أنه تركني سائرا في طريقه بعد أن أقسم على ألا يبقى عندي ولا ينتظر بحضرتي ذلك الخادم الذى أهانه وأساء معاملته وكانه أقسم عليه لثقته بكرم أخلاقه وشرف طباعه ومن كانت تلك سجاياه فأنه يبر الناس في قسمهم ويجيبهم الي طلبتهم (٣) حرمة الرجل : كرامته وكأن أصله حرمة الرجل لحرمه وأهله لانهم موضع اهانته وكرامته . ومعنى وهبته حرمته : أعطيته كرامته ومنحتها له وكأنما كان مفقودها بسبب سوء المعاملة فأرجعها اليه بما صنع من طرد الخادم

(٤) نيسابور : احدي مدن مملكة ايران (٥) المفروضة : الصلاة وأراد بها صلاة الجمعة (٦) اجتاز : مر ، والدنية — بتشديد النون والياء جميعا — : قلنسوة طويلة يلبسها القضاة وكأنها منسوبة الى الدن ، وليست هذه اللفظة من كلام العرب وانما هي من الألفاظ المستعملة في العراق — حينذاك — وقداستعملها شعراؤهم كثيرا . قال ابن لنكك :

وَتَحَنُّكَ سُنِّيَّةٌ (١) . فَقُلْتُ لِمُصَلٍّ بِجَنْبِي : مَنْ هٰذَا ؟ قَالَ : هٰذَا سُوسٌ لا يَقَعُ إِلَّا فِي صُوفِ ٱلْأَيْتَامِ (٢) . وَجَرَادٌ لا يَسْقُطُ إِلَّا عَلَى الزَّرْعِ ٱلْحَرَامِ (٣)

نفسي تقيك أبا الهـدام يا أملي　　انى بكل الذي ترضاه لى راضى

ماكان . . . فقيها اذ ظفرت به　　فكيف ألبستـه دنيـة القاضى

وقال الصابى : وفوقـه دنيـة　　تذهب طورا وتجى

(١) تحنك : جعـل عمامته تدور من تحت حنكه ، والسنية المنسوبة الى أهل السـنة (٢) السوس : نوع من الدود ، وتقول المشهور أن الذي يأكل الصوف ونحوه من الثياب دويبة تسمى : (الأرضة) وأن السوس يأكل الطعام ونحوه قال الشاعر :

قد أطعمتني دقلا حوليا　　مسوسـا مدودا حجريا

وحجريا: منسوبا الى حجر قصبة اليمامة . وقال آخر :

آليت حب العراق الدهر أطعمه　　والحب يأكله في القرية السوس

غير أن القاموس فسره بأنه دود يقع فى الصوف . وقال : وأرض الخشب ـ: كعنى ـ أكلته الارضة لدويبة معروفة وهذا يدل على أنه يجوز أن يقال : سوس وأرض لـكل شيء ، والمعنى : أن هذا القاضى خبيث لئيم دنيء يقع فى الصوف — وأراد به الاموال — فيأكله ويفسده ولـكنه لا يختار الاصوف الايتام وأموالهم لأنه لا يوجد لليتيم من يدافع عنه ويحاسب له (٣) الجراد : معروف ويقال للذكر والانثى وهو ينزل بالزرع فيهلـكه ومنه قيل : سرحة لم تجرد أي لم تصبها آفة تأكل ثمرتها ولا ورقها ، وقيل : جردت الارض فهي مجرودة أي أصابها الجراد وأهلكها ، والمراد تشبيه ذلك القاضى به فى أكله الاموا ل

وَلِصٌّ لا يَنْقُبُ إِلّا خِزَانَةَ الأَوْقافِ (١). وَكُرْدِيٌّ لا يُغِيرُ إِلّا عَلَى الضِّعافِ (٢). وَذِئْبٌ لا يَفْتَرِسُ عِبادَ اللهِ إِلّا بَيْنَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ (٣). وَمُحارِبٌ لا يَنْهَبُ مالَ اللهِ إِلّا بَيْنَ العُهُودِ وَالشُّهُودِ (٤)

واهلاكها فهو يقول انه كالجراد الذي ينزل بالزرع فلا يترك فيه ثمرة نافعة ثم انه لا ينزل بالزرع المباح بل يختص الحرام منه زيادة في تشنيع حاله

(١) اللص: السارق، والمعنى أن هذا الرجل يشبه اللص في أخذه أموال الناس واختلاسها ولكنه لا يسطو الا على ماشتد الحظر عليه وزادت حرمة انتهابه كأموال الاوقاف المرصودة لمنافع الناس العامة (٢) الاكراد: جيل من الناس في طبعهم النذالة، ودناءة النفس فهم أشد الناس ميلا الى النهب وسلب الاموال. وهذا القاضي يشبههم في ذلك غير أنه لا يسطو على جميع الناس بل يختص بنهبه الضعاف والعجزة الذين لا يقدرون على مغالبته ولا يجسرون على مجالدته. فأما الاقوياء والذين لهم شوكة فهو يمنحهم فوق حقوقهم ليتستروا عليه، ويعاونوه على ظلمه (٣) ذئب: المراد به انسان يشبه الذئب في الخبث، والذئب أخبث الحيوانات وأردأها ومن ثم سمي صعاليك العرب وشطارهم بالذؤبان، والمعنى: أنه يتظاهر بالصلاح والتقوى والخشية من الله والخوف من عذابه ولكنه يعمل عمل الذين ليس في قلوبهم شيء من الشفقة ولا تداخلهم الرحمة بعباده فهو يسطو على الناس وهو راكع وساجد (٤) العهود: العقود والمواثيق، والمعنى أنه يحتال على الناس بصور خداعة يوهمهم أنها شرعية ليقتنص أموالهم ويستفيدها لنفسه، والحقيقة ان هذه الاشياء متصنعة صورية لا تتفق مع الشرع في شيء

وَقد لَبِسَ دَنِّيته . وَخلَعَ دِينِيَّته [1] . وَسَوَّى طَيلَسانه . وَحَرَّف يَده وَلِسانه [2] . وَقَصَّرَ سِبالَه . وَأطالَ حِبالَه [3] . وَأبْدَي شَقاشِقه . وَغَطَّى مَخارِقه [4]

---

(١) دينيته : صفته الدينية ، والمعنى : أنه قد ارتدي رداء القضاة ورجال الدين ولبس لبوسهم وتزيى بزيهم ولكنه قد ترك حقيقة صفاتهم ونبذ صالح أعمالهم التي لا يلائمها ما يفعله من ابتزاز الاموال ونهبها (٢) الطيلسان : لباس أخضر يلبسه الخواص من النساك ، وتطلس : لبسه ، وسواه : وضعه كما ينبغي أن يوضع ، وحرف يده ولسانه : أي حددهما كناية عن تهيئته واستعداده للاختلاس وايقاع الناس في شباكه (٣) السبال - بوزن سحاب - جمع السبلة بالتحريك وهي الشارب ، وتقصيره من سيما الصالحين وعلامات الورع والأتقياء ، وقال الهروي : هي الشعرات التي تحت اللحي من الأسفل ، والسبلة عند العرب مقدم اللحية وما أسبل منها على الصدر ، وليس ذلك مراداً هنا لأن تقصير هذا ليس من شارات الزهاد ، وأطال حباله : أى شباكه التى يصيد بها الناس (٤) الشقاشق : جمع شقشقه بكسر الشينين وأصلها النفاخة التي يخرجها فحل الابل من حلقه عند هياجه ورغائه يرجع فيها هديره ثم قيل للخطيب الذى في لسانه ذرابة أنه لذو شقشقه تشبيها بالفحل الكثير الهدير وقال الاخطل :

اذا هدرت شقاشقه ونشبت   له الاظفار ترك له المدار

(أراد نشبت وترك نخفف باسكان الشين والراء) ، ويقال : مخرق الرجل : أي أوهم أنه على حق وصواب وهو على خلافهما ، والمخرقة منه وجمعها مخارق قيل : وهي كلمة مولدة . والمعنى : أن هذا القاضي أظهر ذرابة لسانه ، وفصاحة

وَبَيَّضَ لِحيَتَهُ . وَسَوَّدَ صَحِيفَتَهُ (١) . وَأَظْهَرَ وَرَعَهُ . وَسَتَرَ طَمَعَهُ (٢) . قُلْتُ : أَيْنَ ٱللهُ هٰذا فَمَنْ أَنْتَ ؟ . قالَ : أَنا رَجُلٌ أُعْرَفُ بِالإِسْكَنْدَرِيِّ . فَقُلْتُ : سَقَى اللهُ أَرْضاً أَنْبَتَتْ هٰذا الفَضْلَ . وَأَبَا خَلَّفَ هٰذا النَّسْلَ . فَأَيْنَ تُرِيدُ ؟ قالَ : الْكَعْبَةَ . فَقُلْتُ : بَخٍ بَخٍ بِأَكْلِها وَلَمَّا تُطْبَخْ (٣) . وَنَحْنُ إِذاً رِفاقٌ (٤) . فَقالَ : كَيْفَ

منطقه وقوة بيانه لاستجلاب الناس والتفافهم حوله وأخفى كذبه وباطله في نفسه (١) بيض لحيته : أي أنه عاش طويلا حتى ابيضت ولكنه لم يعمل عملا صالحا في حياته كلها بل كل أعماله شريرة فاسدة فهو قد لوث صحيفة ذكراه وتسويدها كناية عن ذلك (٢) المعنى : أنه أظهر للناس تعففه عن الدنيا وميله الى ثواب الآخرة وأخفى عنهم أغراضه ونياته الخبيثة

(٣) بخ كقد أي عظم الامر وفخم تقال وحدها وتكرر بخ بخ الأول منون والثاني مسكن وقل في الأفراد بخ ساكنة وبخ مكسورة وبخ منونة وبخ منونة مضمومة ويقال بخ بخ مسكنين وبخ بخ منونين وبخ بخ مشددين : وهي كلمة تقال عند الرضا والاعجاب بالشيء أو الفخر والمدح ، وقوله : بأكلها ولم تطبخ معناه أن ثوابها وعظيم أجرها (والضمير للفعلة الصالحة المفهومة من الكلام) يحصل لك قبل الفعل فكيف بك بعده

(٤) رفاق : جمع رفيق بوزن كريم وكرام ، والرفيق : الصاحب ، والصديق ، والذي يعاونك في عملك مأخوذ من الرفق وهو لين الجانب ، ولطافة الفعل ، ويقع الرفيق على الواحد والجمع تقول : هو رفيقي ، وهم رفيقي كما تقول : هم رفقائي ورفاقي ، وفي التنزيل : (وحسن أولئك رفيقا) . والمعنى : انك تقصد الكعبة وأنا أقصدها وقد شممت منك ريح النبل وكرم الخلق فهلا كنت

ذٰلِكَ وَأَنا مُصَعِّدٌ وَأَنْتَ مُصَوِّبٌ (١)؟! قُلْتُ: فَكَيْفَ تُصَعِّدُ إِلى الكَعْبَةِ (٢)؟ قالَ: أَما أَنِّي أُرِيدُ كَعْبَةَ الْمُحْتاجِ . لا كَعْبَةَ الْحُجّاجِ (٣) وَمَشْعَرَ الكَرَمِ . لا مَشْعَرَ الْحَرَمِ (٤) . وَبَيْتَ السَّبْيِ لا بَيْتَ الْهَدْى (٥)

رفيقى في ذلك السفر (١) مصعد: أي ذاهب نحو الشمال من الصعود وهو الارتفاع، ومصوب: سائر نحو الجنوب من قولهم صوب اذا تسفل، وقال أبو النجم: تصوب الحسن عليها وارتقي، والمعني: انه لاسبيل الى مرافقتك، والسير معك لان طريقنا غير واحدة (٢) المعنى: انه عجيب جدا أن تقول انك مصعد في حين أنك ذكرت لى انك انما تصد الكعبة والسائر اليها يكون مصوبا لا مصعدا (٣) كعبة المحتاج: أي مقصد العفاة والعائذين، وطلاب المكارم، ورائدى الجود، والمعنى: انى لم أقصد بالكعبة ذلك المعنى الذى يتبادر الى ذهنك وهى التي يؤمها الحجاج لقضاء النسك ولكنى قصدت معنى آخر وهو المكان الذى يلجأ اليه ذوو الحاجة والمعوزون (٤) شعائر الحج: علاماته وآثاره ومعالمه التى ندب الله اليها وأمر بالقيام عليها ومن الاخير سمى المشعر الحرام لأنه معلم للعبادة وموضع تؤدي فيه وفى التنزيل: (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) وهو الجبل الذى يقف عليه الامام وعليه المقيدة (مكان النار التي يشعلونها للاستضاءة) والمعني: انني قصدت موضع الكرم والبذل والسخاء وأسداء المعروف وحسن العطاء ولم أقصد المعنى الذى يتبادر الى ذاكرتك وهو موضع أداء بعض شعائر الحج (٥) السبي: السبايا التي يغنمها الجيش بانتصاره على عدوه، والهدي: مايساق الى مكة من النعم لتنحر

وقبلةَ الصلاتِ . لا قبلةَ الصلاةِ (١) . ومنى الضيفِ . لا منى الخَيْفِ (٢) . قلتُ : وأينَ هذهِ المكارمُ؟ فأنشأ يقولُ :

بحيثُ الدينُ والملكُ المؤيدْ   وخدُّ المكرماتِ بهِ مُوَرَّدْ (٣)

وواحده : هدية ، وجمعه : اهداء والمعني : انى أقصد بسيرى بيتا تساق السبايا اليه لا بيتا تنحر البدن عنده (١) الصلاة — بكسر اوله — : جمع صلة وهى المنحة ، والهبة ، والعطية ، والصلاة — بفتح الاول — : المفروضة التى هى أحدى فرائض الدين ، والقبلة : التي يتوجه اليها ، والمعني : لا تظن انني متوجه الى ذلك المكان الذي يتوجه نحوه المصلي حين صلاته ولكنما أنا سائر الى المكان الذي تكون فيه الهبات والعطايا (٢) منى — كالى وتصرف — : قرية بمكة سميت بذلك لما يمنى بها من الدماء والخيف ناحية منها وهو غرة بيضاء في الجبل الاسود الذي خلف أبي قبيس ، وأصله ما ارتفع عن مجرى السيل عن غلظ الجبل وجمعه خيوف ، وهناك مسجد سمي بمسجد الخيف لوقوعه فى سفح الجبل عند ذلك المكان ، وأضاف منى الى الضيف اشارة الى كثرة عدد الواردين على حضرته ، والمعنى : انى لا أقصد بما ذكرت لك انى آخذ في طريقى الى منى التي يسير اليها من يقضى فريضة الحج ولكنى أردت منى التي يذهب اليها الضيفان ويسيرون نحوها (٣) يروى والملك المؤيد — بالياء المثناة — أى المنصور ويروي الملك المؤبد — بالباء الموحدة — أى الدولة الباقية ، وقد شبه المكرمات بأنسان يرقرق في وجهه ماء الشباب وتجري فيه الصحة والعافية ، ويتقلب في أعطاف النعمة والرفاهية وكنى بتورد خده عن ذلك كله ، جعل سبب التورد فى خد المكرمات ممدوحه المقصود بالتوجه أليه فكأنه يقول : أنه حلية المكارم ، وزينتها ، وأن بقاءها ودوامها بوجوده وبقائه

بأَرْضٍ تَنبُتُ الآمَالُ فِيهَا لِأَنَّ سَحابَها خَلَفُ بْنُ أَحْمَدْ (١)

المَقامَةُ العِلْمِيَّةُ

حَدَّثَنا عِيسَى بْنُ هِشامٍ قَالَ: كُنْتُ فِي بَعْضِ مَطارِحِ الغُرْبَةِ مُجْتازاً فَإِذا أَنا بِرَجُلٍ يَقُولُ لِآخَرَ: بِمَ أَدْرَكْتَ العِلْمَ؟ وَهُوَ يُجِيبُهُ (٢) قالَ: طَلَبْتُهُ فَوَجَدْتُهُ بَعِيدَ المَرامِ (٣). لا يُصْطادُ بِالسِّهامِ (٤). وَلا يُقْسَمُ بِالأَزْلامِ (٥)

---

(١) السحاب: المطر، والمعنى: ان هذه الارض التي أيمها منبت الآمال، ومغرس الاماني لان الذي يجودها ويتعهدها هو خلف ابن احمد الذي لا يخيب عنده قاصد، ولا يضل بساحته سائل، ولا يضيع لديه رجاء

(٢) مطارح: مواضع، الغربة: البعد عن الأهل، والنأي عن الوطن، مجتازا مارا وسائرا، والمعني: أنى كنت أسير يوما في بعض الأماكن التي رماني بها الانتزاح عن ديار الاهل والاحباب، وأدتني اليها مفارقة الوطن فلقيت رجلين وقف أحدهما يسأل صاحبه وأخذ الثاني يجيبه (٣) المرام: المطلب، وقد رام الشيء — من باب قال —: طلبه ورغب فيه، والمعني أن مطلبه عسير، والرغبة فيه شاقة فكيف بنواله والحصول عليه (٤) المعني: أن القوة، وسلامة الأعضاء، والقدرة على الرماية وغيرها أشياء لا تكفي ولا تنفع في تحصيل العلم والوقوف على أسراره لأنه ليس كالطائر الذي يقع بمجرد تسديد السهم اليه وأصابته به (٥) الازلام: قداح الميسر، أو القدح التي كان

وَلا يُرَى فِى الْمَنَامِ (١) . وَلا يُضْبَطُ بِاللِّجَامِ . وَلا يُورَثُ عَنِ الأَعْمَامِ (٢) . وَلا يُسْتَعَارُ مِنَ الْكِرَامِ . فَتَوَسَّلْتُ إِلَيْهِ بِافْتِرَاشِ الْمَدَرِ (٣)

العرب يستقسمون بها عند أصنامهم . وكان الرجل منهم يضعها في وعاء له (وهي مكتوب عليها الامر والنهي: افعل، لا تفعل) فاذا أراد سفرا أو زواجا أو أمرا مهما أدخل يده فأخرج منها زلما فان خرج الامر مضى لشأنه وان خرج النهي كف عنه ولم يفعله ، وقداح الميسر عشرة سبعة منها رابحة وأكثرها نصيبا المعلي ولذلك يقولون : أحرز فلان القدح المعلي أذا نال حظا وافرا ، وثلاثة لاحظ لها قال بعضهم يصف سوء حظه ونكد طالعه :

لى سهام ليس فيهن ربيح هن وغد وسفيح ومنيح

وكانوا ينحرون جزورا ويقسمونه أقساما يجعلون لكل قدح من الرابحة قسما يختلف باختلافها ثم يجلسون للشراب ويجيلون القداح فأيهم خرج له واحد منها أخذ نصيبه ، والمعني أن العلم ليس شيئا ينال بالمقامرة والحظ وسعادة الجد ولكنه يتوصل اليه بالدأب والجد في العمل والسعى أليه (١) أي أنه ليس خيالات أو رؤي وأطيافا تمر بك فى نومك وأنت مستريح هاديء بل لابد له من متابعة السهر وأدمان المطالعة وكثرة البحث (٢) التركات تصل الي الوارثين من غير نصب ولا أجهاد ، وكذلك العارية لايتحمل المستعير فى الحصول عليها شيئا من المشقة ، وقدكنى بالجملتين عن عدم التمكن من العلم مع الراحة ونفى السعى والاجتهاد (٣) المدر : قطع الطين اليابس ، وبه سمى ذلك الرجل اللئيم البخيل وهو أحد بنى هلال بن مالك بن صعصعة (مادرا) لانه سقي أبله فبقى في الحوض قليل من الماء فسلح فيه وجعل يرمي

وَٱسْتِنَادِ ٱلْحَجَرِ . وَرَدِّ ٱلضَّجَرِ . وَرُكُوبِ ٱلْخَطَرِ . وَإِدْمَانِ ٱلسَّهَرِ . وَٱصْطِحَابِ ٱلسَّفَرِ . وَكَثْرَةِ ٱلنَّظَرِ . وَإِعْمَالِ ٱلْفِكَرِ . فَوَجَدْتُهُ شَيْئًا لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِلْغَرْسِ . وَلَا يُغْرَسُ إِلَّا فِي ٱلنَّفْسِ (١) . وَصَيْدًا لَا يَقَعُ إِلَّا فِي ٱلنَّدْرِ . وَلَا يَنْشَبُ إِلَّا فِي ٱلصَّدْرِ (٢) . وَطَائِرًا لَا يَخْدَعُهُ إِلَّا قَنَصُ ٱللَّفْظِ . وَلَا يَعْلَقُهُ إِلَّا شَرَكُ ٱلْحِفْظِ (٣) . فَحَمَلْتُهُ عَلَى ٱلرُّوحِ وَحَبَسْتُهُ عَلَى ٱلْعَيْنِ (٤)

فيه المدر وبه يضرب المثل فى البخل ، والمعني · أنه لم يجد وسيلة أنجع للحصول على العلم من المشقة والجهد الطويل وعدم الدعة والكسل وقد كنى عن ذلك بما ذكره من اصطحاب السفر وكثرة النظر وغيرها

(١) المعني : أنه بعد أن عرف العلم وتذوقه أدرك أن الحصول عليه جملة واحدة أمر غير ممكن ولا يستطاع السبيل اليه وأما الذى يتأتى هو أنه يغرس ثماره ثم لا يزال يتعهدها بالسقى والنماء حتى تينع وتورق ثم تتهدل اغصانه وتثمر الثمر الطيب والجنى النافع المفيد وعلم فيما علمه أن مغرس هذه الثمار ومنبتها لا يكون الا النفس (٢) الندر ، والنادر : القليل ، والمعنى أنه وجد أيضا أن مسائل العلم ومشكلاته وعويصه لا يتسنى الحصول عليها فى كل حين ولا تقع للباحث دائما ، وينشب : يعلق ، والمعني : أنه لا يصيد العلم ويضبطه غير الصدور (٣) القنص فى الاصل : الطائر والمراد به هنا : الفخ والشرك ، وقد قنصه — من باب ضرب — واقتنصه ، وتقنصه : صاده ، والقانص والقنيص والقناص : الصياد ، والمعني : ان العلم كالطائر لكن لا سبيل لتصيده الا أشراك الالفاظ ولا طريق للتحفظ عليه وضبطه من الضياع غير الحفظ

(٤) المعني : أنى جعلت له مكانا لا زوال له ولا فناء ولا يصيبه ملل ولا

وَأنفقتُ مِن العَيْشِ وَخزَنْتُ في القَلْبِ (١). وَحرَّرْتُ بِالدَّرْسِ (٢).
وَاستَرَحتُ مِنَ النَّظرِ إلى التَّحقِيقِ . وَمِنَ التَّحقِيقِ إلَى التَّعلِيقِ (٣)
وَاستَعَنْتُ في ذٰلِكَ بِالتَّوفِيقِ . فَسَمِعْتُ مِنَ الـكَلامِ ما فَتَقَ السَّمْعَ.
وَوَصلَ إلى القَلبِ وَتغَلغَلَ فِي الصَّدرِ . فَقُلتُ : يافَتى وَمِنْ أيْنَ.
مَطْلَعُ هٰـذِهِ الشَّمْسِ ؟ فَجَعلَ يَقُولُ :

إسكَندَرِيَّةُ دارِي ... لوْ قَـرَّ فِيهاَ قَرارِي
لٰكِنَّ بِالشَّامِ لَيلِي ... وَبِالعِراقِ نَهـارِي (٤)

أعياء وهو الروح وذلك أن أعضاء الجسم تتألم من الحمل ويثقل كاهلها طويل مدته. فربما طرحت به وتركته ولكن الروح لا يعتريها مثل هذا وربما صح أن المعنى. أنه لم يقتصر على العلوم العقلية واللسانية بل أنه ضرب بسهم فى العلوم التي. تتغذى بها الروح وتتكمل كفلسفة الاخلاق مثلا

(١) المعنى : انى أنفقت مالي وصرفت الذي أدخره لقوتي ومعيشتي في. سبيل الحصول على غذاء العقل وقوام القلب وهو العلم فان كنت قد أصبحت خالى اليد صفر الاناء من متاع الدنيا فقد امتلأ عقلي علوما ومعارف (٢) أي انى حررت المسائل ووقفت على دقائقهـا وتبينت أسرارها وعرفت خباياها بالمدارسة والمذاكرة وكثرة المعاودة (٣) المعنى أني كنت أنتقل من النظر فى المسألة وبحثها الى اكتشاف حقيقتها واتضاح كنهها على ماهي عليه ثم أتجاوز ذلك الى تسطير رأيي فيها وتدوين عقيدتي والتعليق عليها بما رأيت (٤) المعنى: أن مطلعي ومكاني الذي منه نشأت وفيه درجت هو الاسكندرية ولكني لا أطيل البقاء بها فانا متنقل دائما فساعة تراني بالعراق واخري تجدني بالشام ،

المَقَامَةُ الوَصِيَّةُ

حدَّثنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قالَ : لَمَّا جَهَّزَ أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ وَلَدَهُ لِلتِّجَارَةِ أَقْعَدَهُ يُوصِّيهِ فقَالَ بَعْدَ مَا حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَي عَلَيْهِ وَصلَّى عَلَي رَسُولِهِ صَلَّي اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا بُنَيَّ إِنِّي وَإِنْ وَثِقْتُ بِمَتَانَةِ عَقْلِكَ وَطَهَارَةِ أَصْلِكَ . فَإِنِّي شَفِيقٌ وَالشَّفِيقُ سَيِّءُ الظَّنِّ (١) وَلَسْتُ آمَنُ عَلَيْكَ النَّفْسَ وَسُلْطَانَهَا . وَالشَّهْوَةَ وَشَيْطَانَهَا (٢) . فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِمَا نَهَارَكَ بِالصَّوْمِ وَلَيْلَكَ بِالنَّوْمِ . إِنَّهُ لَبُوسٌ ظِهَارَتُهُ الجُوعُ . وَبِطَانَتُهُ

والمراد مطلق التنقل الى مطلق الجهات

(١) متانة العقل : حصافته ، وسداده ، ورجاحته . وأصله من متن مشيء ــ من باب ظرف ــ فهو متين : أي صلب ، واشتد ، وقوي ، والشفيق : رقيق القلب ، والكثير العطف ، والمعنى : اني متأكد من كمال عقلك ، ودقة نظرك ، عالم بأنك لا تفرط ولا تضيع ، آمن عليك من الذي يخشاه الآباء على ابنائهم ولكني مع ذلك شديد الحنان عليك والرأفة بك ، وسوء الظن من شدة الحب ، لا بد لي ان انصحك واوجه اليك بعض الحكم لتسترشد بها اذا اعوزتك الحيلة وعدمت الوسيلة (٢) اي ان النفس امارة بالسوء جلابة للمحن والبلايا وان لها علي الانسان لسلطانا نافذا وامرا مطاعا ودعاء مستجابا ، وان الطبيعة الانسانية داعية الى الشر سالكة بصاحبها طريق التهلكة وان غوايتها امر لا يستطاع له رد ولا يملك معه حزم فاذا توفرت فيك الدواعي الي المفاسد والآثام فاقمع ذلك بالصوم عامة نهارك والنوم ليلك فان الصوم وكاء المعصية والنوم حاجز من التمادي في الضلالة والسير مع الشيطان .

الْهُجُوعُ (١) . وَمَا لَبِسَهُمَا أَسَدٌ إِلاَّ لاَنَتْ سَوْرَتُهُ (٢) . أَفَهِمْتَهُمَا يَا بْنَ الْخَبِيثَةِ ؟ وَكَمَا أَخْشَى عَلَيْكَ ذَاكَ فَلاَ آمَنُ عَلَيْكَ لِصَّيْنِ : أَحَدُهُمَا الْكَرَمُ . وَاسْمُ الآخَرِ الْقَرَمُ (٣) . فَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُمَا . إِنَّ الْكَرَمَ أَسْرَعُ

---

(١) أنه ـ أي الحال الذي ينبغي أن يكون عليه الشباب والطريق الذي لا محيص لهم من سلوكه ـ يشبه اللباس فى عمومه وشموله فيجب أن تتخذ ظهارته ـ أي وجهه الذي ينظره الناس ويبصرونه ـ من الجوع لانه يكسر القوة ويقلل من الداعية الى الشهوات ويضعف البنية ويهد العزيمة وظهارته ـ اي وجهه المختفى الذى لا يطلع عليه الناس ـ من الهجوع وهو النوم لانه مدعاة الانصراف عن اماكن اللهو ومجامع الفسق ومواضع الفجور (٢) الاسد . من السداد وهو التوفيق للصواب والقصد من القول والعمل ، والسورة : الشدة . والسطوة . والاعتداء ، والمعنى : انه ما ارتدي احد من المقاصدين فى اعمالهم برداء الجوع والنوم الا وجد مغبتها حميدة وعقباها نافعة مفيدة

(٣) القرم : بفتحتين ـ شدة الشهوة الى اللحم ، وفعله قرم من باب طرب ، والمراد به الرفه والدعة والتوانى عن العمل والكسل من باب التكنية لان أرباب اليسار والنعمة يكون الشأن فيهم ذلك ، والمعنى : أني كما أخشى عليك عادية النفس وسطوة سلطانها وأخاف أن يضلك الشيطان فتتبع الشهوات وتميل الي المخازي فانى لأشد خوفا عليك من أن تبذل مالك للناس وتعطيهم ، أو أن تستهويك نفسك الي طبيعة المترفين وذوي النعمة والجاه فتكثر من الأكل وتدع عملك وتترك شؤونك ، ومثل هذا فى التنفير من البذل والعطاء قول أبي الطيب المتنبي : الجود يفقر والاقدام قتال

فى ٱلْمَالِ مِنَ ٱلسُّوسِ (١). وَإِنَّ ٱلْقَرَمَ أَشْأَمُ مِنَ ٱلْبَسُوسِ (٢)

(١) المعنى : أن السخاء والبذل يصيران بك الى الاملاق والعدم لأنهما يتمشيان في المال كتمشي السوس فى الطعام واللباس أو كتمشى النار فى الحطب

(٢) البسوس ـ ويقال لها البسوسة أيضاً ـ امرأة كانت سبباً فى شبوب نار الحرب بين بكر وتغلب واندلاع لهيبها وتطاير شررها مدة لم يعهد لها نظير في تاريخ حروب العرب ، وقد اصطلى الفريقان لظاها وتحمل كل منهما من اعبائها وأحمالها ماضاق بها ذرعا ، وسبب ذلك : أن كليباً كان قدعزوساد فى ربيعة فبغى بغياً شديداً ، وكان هو الذي ينزلهم منازلهم ويرحلهم ولا ينزلون ولا يرحلون الا بأمره فبلغ من عزه وبغيه أنه اتخذ جرو كلب فكان اذا نزل منزلا به كلأ قذف ذلك الجرو فيعوى فلا يرعى أحد ذلك الكلأ الا باذنه أو من أذن بحرب فضرب به المثل في العزة فقيل : أعز من كليب وائل . وكان يحمى الصيد ويقول : صيد ناحية كذا وكذا فى جوارى . فلا يصيد أحد منه شيئاً ، وكان لا يمر بين يديه أحد اذا جلس . ولا يحتبى أحد فى مجلسه غيره وكان لمرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة عشرة بنين جساس أصغرهم وكانت أختهم امرأة كليب (واسمها جليلة) . وخالة جساس هي البسوس المذكورة فجاءت فنزلت على ابن أختها جساس فكانت جارة لبنى مرة ومعها ابن لها ومعها ناقة خوارة اسمها سراب (وبها كتلك يضرب المثل في الشؤم فيقال أشأم من سراب) من نعم بنى سعد ومعها فصيل . فبينا أخت جساس تغسل رأس كليب زوجها ذات يوم اذ قال : من أعز وائل ؟ فصمتت . فأعاد عليها . فلما أكثر عليها قالت : أخواي جساس وهمام . فنزع رأسه من يدها وأخذ القوس فرمى فصيل ناقة البسوس (خالة جساس وجارة بنى مرة) فقتله ،

فأغمضوا على ما فيه ، وسكتوا على ذلك . ثم لقي كليب ابن البسوس فقال : ما فعل فصيل ناقتكم ؟ قال : قتلته وأخليت لنا لبن أمه ، فأغمضوا على هذه أيضاً . ثم أن كليباً أعاد على امرأته فقال : من أعز وائل ؟ فقالت : أخواي، فأضمرها ، وأسرها في نفسه ، وسكت حتى مرت به أبل جساس فرأى الناقة فأنكرها فقال : ما هذه الناقة ؟ قالوا : لخالة جساس فقال : أو قد بلغ من أمر ابن السعدية أن يجير علي بغير اذني ؟ أرم ضرعها يا غلام ، فأخذ القوس فرمى ضرع الناقة فاختلط دمها بلبنها ، وراحت الرعاة على جساس فأخبروه بالأمر فقال : احلبوا لها مكيالي لبن بمحلبها ولا تذكروا لها من هذا شيئاً ، ثم أغمضوا عليها أيضاً ، حتى أصابتهم سماء فغدا في غبها يتمطر وركب جساس ابن مرة وابن عمه عمرو بن الحرث بن ذهل فمرت بكر بن وائل على نهي يقال له شبيث فنفاهم كليب عنه وقال : لايذوقون منه قطرة ، ثم مروا على نهي آخر يقال له الأحص فنفاهم عنه ، ثم مروا على بطن الجريب فنعهم اياه ، فضوا حتي نزلوا الذنائب وأتبعهم كليب وحيه حتى نزلوا عليه ثم مر عليه جساس وهو واقف على غدير الذنائب فقال : طردت أهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشاً . فقال كليب : ما منعناهم من ماء الا ونحن له شاغلون . فمضى جساس ، وقيل : بل ناداه فقال : هذا كفعلك بناقة خالتي ، فقال له : أو قد ذكرتها ؟ أما أني لو وجدتها في غير ابل مرة لاستحللت تلك الابل !! فعطف عليه جساس فرسه فطعنه برمح فأنفذ حضنيه ، فلما تداءمه الموت قال : يا جساس اسقني من الماء قال : تجاوزت شبيثاً والأحص . وتقول أخته حين رأته لأبيها : أن هذا لجساس أتي خارجا ركبتاه ! فقال : والله ماخرجت ركبتاه الا لأمر عظيم ، فلما جاء قال : ماوراءك يابني ؟ قال : ورائي اني طعنت

طعنة لتشغلن بها شيوخ وائل زمنا . قال : أقتلت كليباً ؟ قال : نعم . قال : وددت أنك وأخواتك كنتم متم قبل هذا ، ما بي الا أن تتشاءم بي أبناء وائل . وزعموا أن جساساً قال لأخيه نضرة بن مرة وكان يقال له عضد الحمار :

وانى قد جنيت عليك حربا   تغص الشيخ بالماء القراح
مذكرة متى ما يصح عنها   فتى نشبت بآخر غير صاح
تنكل عن ذئاب الغى قوما   وتدعو آخرين الي الصلاح

فأجابه نضلة :

فان تك قد جنيت حربا   فلا وان ولا رث السلاح

فلما بلغ الخبر مهلهلا أخا كليب غدا بالخيل وتحمل معه القوم . وقال المفضل : لما قتل كليب قالت بنو تغلب بعضهم لبعض : لا تعجلوا على اخوتكم حتى تعذروا بينكم وبينهم فانطلق رهط من أشرافهم وذوى أسنانهم حتى أتوا مرة بن ذهل فعظموا ما بينهم وبينه وقالوا له : اختر منا خصالا اما أن تدفع الينا جساسا ونقتله بصاحبنا فلم نظلم من قتل قاتله واما أن تدفع الينا هماما وأما أن تقيدنا من نفسك . فسكت وقد حضرته وجوه بنى بكر بن وائل فقالوا : تكلم غير مخذول ، فقال : اما جساس فغلام حديث السن ركب رأسه فهرب حين خاف فلا علم لى به . وأما همام فأبو عشرة وأخو عشرة ولو دفعته اليكم لصيح بنوه في وجهي وقالوا : دفعت أبانا للقتل بجريرة غيره . وأما أنا فلا أتعجل الموت ، وهل تزيد الخيل على أن تجول جولة فأكون أول قتيل ولكن هل لكم فى غير ذلك ؟ ! هؤلاء بني فدونكم أحدهم فاقتلوه به ، وان شئتم فلكم الف ناقة تضمنها لكم بكر بن وائل ، فغضبوا وقالوا : انالم نأتك لتؤدى لنا بنيك ولا لتسومنا اللبن ! ! وتفرقوا ، ووقعت

الحرب ، وتكلم في ذلك عند الحرث بن عباد فقال : لا ناقة لى فى هذا ولا جمل ، وهو أول من قالها وأرسلها مثلا

ودامت حربهم أربعين سنة فيهن خمس وقعات مزاحفات ، وكانت تكون بينهم مغاورات ، وكان الرجل يلقى الرجل والرجلان الرجلين ونحو هذا ، وكان أول تلك الأيام عنيزة — وهي عند فلجة — فتكافأوا : لا لبكر ولا لتغلب ، وفيه يقول مهلهل :

كأنا غدوة وبني أبينا بجنب عنيزة رحيا مدير
ولولا الريح اسمع من بحجر صليل البيض تقرع بالذكور

فتفرقوا ، ثم غبروا زمانا ، ثم التقوا يوم واردات ، وكان لتغلب على بكر ، وقتلوا بكرا أشد القتل ، وقتلوا بجيرا ، وفى ذلك يقول مهلهل :

وأني قد تركت بواردات بجيرا فى دم مثل العبير
هتكت به بيوت بنى عباد وبعض الغشم أشفى للصدور

ثم انصرفوا بعد يوم واردات غير بني ثعلبة بن عكابة ورأسوا على انفسهم الحرث بن عباد فأتبعتهم بنو تغلبة بن عكابة حتى التقوا بالحنو فظهرت بنو ثعلبة على تغلب ، ثم التقوا يوم القصيبات لبنى تغلب على بكر حتي ظنت بكر أن سيقتلوا معا ، وقتلوا يومئذ همام بن مرة ، ثم التقوا يوم قضة — وهو يوم التحالق — ، ويوم الثنية ، ويوم قضة ، ويوم الفصيل ، كلها لبكر على تغلب

وحدث أبو عبيدة أن آخر من قتل في حرب بكر وتغلب هو جساس بن مرة ابن ذهل بن شيبان وهو قاتل كليب بن ربيعة وكانت أخته امرأة كليب وكان قد قتله جساس وهي حامل فرجعت الي أهلها ووقعت الحرب وكان من

الفريقين ما كان ثم صاروا الي الموادعة بعد ما كادت القبيلتان تتفانيان فولدت أخت جساس غلاما سمته الهجرس رباه خاله فكان لا يعرف أبا غيره . ثم زوجه ابنته ووقع بين الهجرس وبين رجل من بني بكر بن وائل كلام فقال له البكري: ما أنت بمنته حتى نلحقك بأبيك ، فأمسك عنه ودخل الى أمه كئيبا فسألته عما به فأخبرها الخبر ، فلما أوى الي فراشه ونام تنفس تنفسة أحست منها امرأته لهيب نار فقامت فزعة قد أقلقتها رعدة حتى دخلت على أبيها فقصت عليه قصة الهجرس، فقال جساس : ثائر ورب الكعبة ، وبات جساس على مثل الرضف حتى أصبح فأرسل الي الهجرس فأتاه فقال له : انما أنت ولدى ، ومنى بالمكان الذى قد علمت ، وقد زوجتك ابنتي ، وأنت معي ، وقد كانت الحرب في أبيك زمانا طويلا حتى كدنا نتفانى وقد اصطلحنا وتحاجزنا وقد رأيت أن تدخل فيما دخل فيه الناس من الصلح وأن تنطلق معى حتى نأخذ عليك مثل الذى أخذ علينا وعلى قومنا ، فقال الهجرس : أنا فاعل ، ولكن مثلى لا يأتي قومه الا بلأمته وفرسه ، فحمله جساس على فرس وأعطاه لأمة ودرعا ، وخرجا حتى أتيا جماعة من قومهما فقص عليهم جساس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا اليه من العافية ثم قال : وهذا الفتى ابن أختى قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه ويعقد فيما عقدتم فلما قربوا الدم وقاموا الى العقد أخذ الهجرس بوسط رمحه ثم قال :

وفرسى وأذنية ، ورمحى ونصليه ، وسيفى وغراريه ، لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر اليه

ثم طعن جساسا فقتله ، ثم لحق بقومه ، فكان آخر قتيل في بكر بن وائل

إِنَّهَا خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ [١] . بَلَى إِنَّ اللهَ لَكَرِيمٌ وَلٰكِنْ كَرَمُ اللهِ يَزِيدُنَا وَلَا يَنْقُصُهُ وَيَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّهُ [٢] وَمَنْ كَانَتْ هٰذِهِ حَالُهُ . فَلْتَكْرُمْ خِصَالُهُ . فَأَمَّا كَرَمٌ لَا يَرِيدُكَ حَتَّى يَنْقُصَنِي وَلَا يَرِيشُكَ حَتَّى يَبْرِيَنِي [٣] . فَخِذْلَانٌ لَا أَقُولُ عَبْقَرِيٌّ . وَلٰكِنْ بُقَرِيٌّ [٤]

---

(١) المعنى : لا تغتر بما يقوله بعض الناس من أن الله كريم يحب من عباده الكرماء وأنه سبحانه يخلف على عباده ويضاعف لهم الذي يبذلونه فأن هذا الكلام لا يقبله غير العقول الصغيرة التى تشبه عقول الصبيان ، وأن الذى يقول مثل ذلك لا يقصد الا خداعك وخداع أمثالك من الناس كما تقصد الامهات بمداعبة الاطفال ونحوها خداعهم عن طلب اللبن (٢) نعم ان الله سبحانه كريم كما يقولون ولكن لا يصح أن نتشبه به و نكون مثله اذ أن كرمه لا ينقص شيئا من ملكه ولا يضره ثم أنه يزيد أموالنا وينميها ويعود علينا بالاثراء والمنفعة فأما نحن فلا نعطي شيئا حتى يكون قدره نقصا من أموالنا فاذا اندفعنا في هذا السبيل فالويل لنا من الفقر وضياع المال (٣) راش السهم يريشه ويريشه — بالتضعيف — فهو مريش ومريش : لزق له الريش ، وبراه يبريه بريا ، وابتراه : نحته والمعنى : أن العطاء الذى ينقص من واحد ليزيد لآخر ويضعف رجلا ليقوى بضعفه ثانيا خيبة وفقدان (٤) العبقرى : الذى بلغت حاله غاية الجودة والحذق ونحوهما ، والبقرى — بضم الباء الموحدة — : الكذب والداهية ومثله البقارى بالضم وبتشديد القاف وفتح الراء ، وبيقر كدحرج — : هلك وفسد وأعيا ومات وكأن اصل اشتقاقه من ذلك ، والمعنى : ليست الخيبة في الانفاق بممدوحة ولا مشكورة ولكنها منتهى الشر وغاية الفساد

أَفَهِمْتَهُمَا يا ٱبْنَ ٱلْمَشْؤُومَةِ ؟ إِنَّمَا التِّجَارَةُ تُنْبِطُ ٱلْمَاءَ مِنَ الحِجَارَةِ (١). وَبَيْنَ ٱلْأَكْلَةِ وَٱلْأَكْلَةِ رِيحُ ٱلْبَحْرِ. بَيْدَ أَنْ لا خَطَرَ. وَٱلصِّينُ غَيْرَ أَنْ لا سَفَرَ (٢). أَفَتَتْرُكُهُ وَهُوَ مُعْرِضٌ ثُمَّ تَطْلُبُهُ وَهُوَ مُعْوِزٌ (٣) ؟

فحذار حذار منها (١) تنبط : تخرج ، والعبارة مثل فى مجيء الخير والاتيان به من حيث لاينتظر ولا يرجي ، والمعنى أن التجارة تأتيك بالربح الوفير والمال الكثير من حيث لاتتوهم (٢) ريح البحر : الشدة ، والخطر ، والصعوبة والمشقة . والصين : كناية عن البعد الطويل ، والمعنى : تصور شدة ماتلقاه في تحصيل قوتك وصعوبته فاجتهد ولا تكسل ، وهب دائما أن البحر قد هاج عليك فأنت مشغول بطلب النجاة عن الطعام والشراب (٣) معرض : باد ، ظاهر ، معوز : مفقود ، والمعني : أنه من سوء الرأي أن تنفق مالك في الكرم وهو بين يديك ولا تبقى منه شيئا ثم اذا ماضاع منك وأصبح مفقودا تسعى في تحصيله وتجد فى البحث عنه ، ولأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ كتاب ممتع ذكر فيه أعاجيب البخلاء واستدلالهم ولماذا سموا البخل صلاحا ، والشح اقتصادا ، ولم حاموا على المنع ، ونسبوه الى الحزم ، ولم نصبوا للمواساة ، وقرنوها بالتضييع ، ولم جعلوا الجود سرفا ، والاثرة جهلا ، ولم زهدوا في الحمد ، وقل احتفالهم بالذم ، ولم استضعفوا من هش للذكر ، وارتاح للبذل ، ولم احتجوا بطلف العيش على لينه ، وبحلوه على مره

وذكر فيه رسائل لهؤلاء تسيل رقة وانسجاما ، وتكاد من ماء الملاحة تقطر نأتيك منها برسالة سهل بن هرون أبي محمد بن راهيون التى أرسلها الى بنى عمه من آل راهيون حين ذموا مذهبه في البخل وتتبعوا كلامه فى الكتب ، وانما آثرناها على غيرها لمحبة كثير من الادباء لها لعلو عبارتها ، ولان الذي

أفَهِمْتَهُما لا أُمَّ لكَ ؟

ذكره البديع من الادلة قد تكلم عنه سهل . قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، أصلح الله أمركم ، وجمع شملكم ، وعلمكم الخير ، وجعلكم من أهله ، قال الاحنف بن قيس : يا معشر بني تميم لا تسرعوا الى الفتنة فان أسرع الناس الى القتال أقلهم حياء من الفرار ، وقد كانوا يقولون : اذا أردت أن ترى العيوب جمة فتأمل عيابا فانه انما يعيب بفضل ما فيه من العيب ، وأول العيب أن تعيب ما ليس بعيب ، وقبيح أن تنهي عن مرشد ، أو تغري بمشفق ، وما أردنا بما قلنا الا هدايتكم وتقويمكم ، والا اصلاح فسادكم ، وابقاء النعمة عليكم ، ولئن أخطأنا سبيل ارشادكم فما اخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم ، ثم قد تعلمون انا ما أوصينا كم الا بما قد اخترناه لانفسنا قبلكم ، وشهرنا به في الآفاق دونكم ، فما كان أحقكم في تقديم حرمتنا بكم أن ترعوا حق قصدنا بذلك اليكم ، وتنبيهنا على ما أغفلنا من واجب حقكم ، فلا العذر المبسوط بلغتم ، ولا بواجب الحرمة قمتم ، ولو كان ذكر العيوب برا وفضلا لرأينا أن في أنفسنا عن ذلك شغلا ، وأن من أعظم الشقوة ، وأبعد من السعادة ألا يزال يتذكر زلل المعلمين ، ويتناسى سوء استماع المتعلمين ، ويستعظم غلط العاذلين ، ولا يحفل بتعمد المعذولين . . . عبتموني بقولي لخادمي : أجيدي عجنه خميرا ، كما أجدته فطيرا ، ليكون أطيب لطعمه ، وأزيد في ريعه ، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورحمه لاهله : أملكوا العجين فانه أريع الطحنتين ، وعبتم على قولي : من لم يعرف مواقع السرف في الموجود الرخيص لم يعرف مواقع الاقتصاد في الممتنع الغالي ، فلقد أتيت من ماء الوضوء بكيلة يدل حجمها على مبلغ الكفاية وأشد من الكفاية فلما صرت الى تفريق أجزائه على الاعضاء ، والى التوفير عليها من وظيفة الماء وجدت

في الاعضاء فضلا على الماء ، فلمت نفسي ان لو كنت مكنت الاقتصاد فى أوائله ، ورغبت عن التهاون به فى ابتدائه لخرج آخره على كفاية أوله ، ولكان نصيب العضو الاول كنصيب الآخر ؟ فعبتمونى بذلك وشنعتموه بجهدكم ، وقبحتموه ، وقد قال الحسن عند ذكر السرف : أنه ليكون فى الماعونين : الماء ، والكلأ ، فلم يرض بذكر المـاء حتى أردفه بالكلا ، وعبتموني حين ختمت على سـد عظيم ، وفيه شيء ثمين من فاكهة نفيسة ، ومن رطبة عربية ، على عبدنهم ، وصبي جشع ، وأمة لكعاء ، وزوجة خرقاء ، وليس من أصل الادب ، ولا في ترتيب الحكم ، ولا فى عادات القادة ، ولا فى تدبير السادة ، أن يستوي في نفيس المأكول ، وغريب المشروب ، وثمين الملبوس ، وخطير المركوب ، والناعم من كل فن ، واللباب من كل شكل — التابع والمتبوع ، والسيد والمسود ، كما لا تستوى مواضعهم فى المجلس ، ومواقع أسمائهم ، فى العنوانات ، وما يستقبلون به من التحيات ، وكيف وهم لا يفقدون من ذلك ما يفقد القادر ، ولا يكترثون له اكتراث العارف ؟ من شاء أطعم كلبه الدجاج المسمن ، وأعلف حماره السمسم المقشر ، فعبتمونى بالختم وقـد ختم بعض الأئمة على مزود سويق ، وختم علي كيس فارغ ، وقال : طينه خير من طية . فأمسكتم عمن ختم علي لا شيء وعبـتم من ختم على شيء ، وعبتمونى حين قلت للغلام : اذا زدت فى المرق فزد فى الانضجاج ، لتجمع بين التأدم باللحم والمرق ، ولتجمع مع الارتفاق بالمرق الطيب ، وقـد قال النبي صلى الله عليه وسلم : اذا طبختم لحما فزيدوا فى الماء فان لم يصب أحـدكم لحما أصاب مرقا : وعبتموني بخصف النعال ، وبتصـدير القميص ، وحين زعمت أن المخصوفة أبقي ، وأوطأ ، وأوقى ، وأنفي للكبر ، وأشبه بالنسك ، وأن الترقيع من

الحزم ، وأن الاجتماع مع الحفظ ، وأن التفرق مع التضييع ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخصف نعله ، ويرقع ثوبه ، ويلطع اصبعه ، ويقول : لو أتيت بذراع لاكلت ، ولو دعيت الى كراع لاجبت ، ولقد لفقت سعدي بنت عوف أزار طلحة - وهو جواد قريش وهو طلحة الفياض — وكان في ثوب عمر رقاع أدم وقال : من لم يستحي من الحلال خفت مؤنته وقل كبره ، وقالوا : لاجديد لمن لايلبس الخلق ، وبعث زياد رجلا يرتاد له محدثا واشترط على الرائد أن يكون عاقلا مسددا فأتاه به موافقا . فقال : أكنت ذا معرفة به ؟ قال : لا ، ولا رأيته قبل ساعته . قال : أفناقلته الكلام ، وفاتحته الامور قبل أن توصله الي ؟ قال : لا . قال : فلم اخترته على جميع من رأيته ؟ قال : يومنا يوم قائظ ، ولم أزل أتعرف عقول الناس بطعامهم ولباسهم في مثل هذا اليوم ورأيت ثياب الناس جددا وثيابه لبسا (١) فظننت به الحزم ، وقد علمنا أن الجدد في موضعه دون الخلق ، وقد جعل الله لكل شيء قدرا ، وبوأ له موضعا ، كما جعل لكل دهر رجالا ، ولكل مقام مقالا ، وقد أحيا بالسم ، وأمات بالغذاء ، وأغص بالماء ، وقتل بالدواء ، فترقيع الثوب يجمع مع الاصلاح التواضع ، وخلاف ذلك يجمع مع الاسراف التكبر ، وقد زعموا أن الاصلاح أحد الكسبين كما زعموا أن قلة العيال أحد اليسارين ، وقد جبر الاحنف يد عنز وأمر النعمان بذلك . وقال عمر : من أكل بيضة فقد أكل دجاجة ، وقال رجل لبعض السادة : أهدى اليك دجاجة ؟ فقال : ان كان لابد فاجعلها بياضة ، وعبتموني حين قلت : لا يغترن أحد بطول عمره ، وتقوس ظهره ، ورقة عظمه ، ووهن قوته أن يرى أكرومته ، ولا يخوجه ذلك الى اخراج ماله من يديه ، وتحويله الى ملك غيره ، والى تحكيم

(١) اللبس - بكسر اوله - ... من الثياب والذي يظهر ... اراد به القديم الخلق

السرف فيه ، وتسليط الشهوات عليه ، فلعله أن يكون معمراً وهو لايدري وممدوداً له في السن وهو لا يشعر ، ولعله أن يرزق الولد على اليأس ، أو يحدث عليه بعض مخبآت الدهور مما لايخطر على البال ، ولا تدركه العقول ، فيسترده ممن لا يرده ، ويظهر الشكوى الى من لا يرحمه ، فعبتموني بذلك . وقد قال عمرو بن العاص : اعمل لدنياك عمل من يعيش أبداً ، واعمل لآخرتك عمل من يموت غداً ، وعبتموني حين زعمت أن التبذير الى مال القمار ، ومال الميراث ، والى مال الالتقاط ، وحباء الملوك — أسرع ، وأن الحفظ الى المال المكتسب والغنى المجتلب ، والى مايعرض فيه لذهاب الدين ، واهتصام العرض ، ونصب البدن ، واهتمام القلب ، — أسرع ، وأن من لم يحسب ذهاب نفقته لم يحسب دخله ، ومن لم يحسب الدخل فقد أضاع الاصل ، وأن من لم يعرف للغنى قدره فقد آذن بالفقر ، وطاب نفساً بالذل ، وزعمت أن كسب الحلال مضمن بالانفاق في الحلال ، وأن الخبيث ينزع الى الخبيث ، وأن الطيب يدعو الى الطيب ، وأن الانفاق في الهوى حجاب دون الحقوق ، وأن الانفاق في الحقوق حجاب دون الهوى ، فعبتم على هذا القول . وقد قال معاوية : لم أر تبذيراً قط الا والى جانبه حق مضيع ، وقد قال الحسن : اذا أردتم أن تعرفوا من أين أصاب الرجل ماله ، فانظروا في أي شيء ينفقه فان الخبيث ينفق في السرف ، وقلت لكم بالشفقة مني عليكم ، وبحسن النظر لكم ، وبحفظكم لآبائكم ، ولما يجب في جواركم ، وفي ممالحتكم وملابستكم ، وأنتم في دار الآفات والجوائح غير مأمونات ، فان أحاطت بمال أحدكم آفة لم يرجع الى بقية فأحرزوا النعمة باختلاف الأمكنة ، فان البلية لا تجري في الجميع الا مع موت الجميع ، وقد قال عمر رضى الله عنه في العبد والأمة ، وفي ملك الشاة والبعير ، وفي الشيء

بِالْخُبْزِ وَالْمِلْحِ .

الحقير اليسير : فرقوا بين المنايا ، وقال ابن سيرين لبعض البحريين : كيف تصنعون بأموالكم ؟ قال : نفرقها في السفن فإن عطب بعض سلم بعض ، ولولا أن السلامة أكثر لما حملنا خزائننا في البحر . قال ابن سيرين : تحسبها خرقاء وهي صناع ، وقلت لكم — عند اشفاقي عليكم — أن للغنى سكراً ، وأن للمال لنزوة ، فمن لم يحفظ للغنى من سكر الغنى فقد أضاعه ، ومن لم يرتبط المال بخوف الفقر ، فقد أهمله ، فعبتموني بذلك ، وقال زيد بن جبلة : ليس أحد أفقر من غنى أمن الفقر ، وسكر الغنى أشد من سكر الخمر ، وقلتم : قد لزم الحث على الحقوق ، والتزهيد في الفضول ، حتى صار يستعمل ذلك في أشعاره بعد رسائله . وفي خطبه بعد سائر كلامه ، فمن ذلك قوله في يحيى ابن خالد :

عدو تلاد المال فيما ينوبه   منوع اذا ما منعه كان أحزما

ومن ذلك قوله في محمد بن زياد :

وخليقتان : تقى وفضل تحرم   وإهانة في حقه للمال

وعبتموني حين زعمت أن المال مقدم على العلم لأن المال به يغاث العالم ، وبه تقوم النفوس قبل أن تعرف فضيلة العلم ، وأن الأصل أحق بالتفضيل من الفرع ، وانى قلت وان كنا نستبين الأمور بالنفوس فأنا بالكفاية نستبين وبالخلة نعمى ، وقلتم : وكيف تقول هذا وقد قيل لرئيس الحكماء ، ومقدم الادباء : العلماء أفضل أم الأغنياء ؟ قال : بل العلماء ، قيل : فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء أكثر مما يأتى الأغنياء أبواب العلماء ؟ قال : لمعرفة العلماء بفضل الغنى ، ولجهل الاغنياء بفضل العلم . فقلت : حالهما هي القاضية بينهما ، وكيف يستوي شيء ترى حاجة الجميع اليه وشيء يغني بعضهم فيه

عن بعض ، وعبتموني حين قلت : أن فضل الغنى على القوت انما هو كفضل الآلة تكون في الدار أن احتيج اليها استعملت ، وان استغنى عنها كانت عدة ، وقد قال الحضين بن المنذر : وددت لو أن لي مثل أحد ذهباً لا أنتفع منه بشيء قيل : فما ينفعك من ذلك ، قال : لكثرة من يخدمني عليه ، وقال أيضاً : عليك بطلب الغنى فلو لم يكن لك فيه الا انه عز في قلبك . وشبهة في قلب غيرك لكان الحظ فيه جسيما . والنفع فيه عظيما . ولسنا ندع سيرة الانبياء . وتعليم الخلفاء . وتأديب الحكماء . لأصحاب الاهواء . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر الاغنياء باتخاذ الغنم . والفقراء باتخاذ الدجاج . وقال : درهمك لمعاشك . ودينك لمعادك . فقسم الامور كلها على الدين والدنيا . ثم جعل أحد قسمي الجميع الدرهم . وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : أني لا بغض أهل البيت ينفقون رزق الأيام في اليوم . وكان هشام يقول : ضع الدرهم يكون مالا . ونهى أبو الاسود الدؤلي — وكان حكيما أديباً . وداهياً أريباً — عن جودكم هذا المولد . وعن كرمكم هذا المستحدث . فقال لابنه : اذا بسط الله لك في الرزق فابسط . واذا قبض فاقبض . ولا تجاود الله فان الله أجود منك . وقال : درهم من حل يخرج في حق خير من عشرة آلاف قبضاً . وتلقط عرنداً من بريم فقال : تضيعون مثل هذا وهو قوت امرىء مسلم يوما الى الليل ؟ ! وتلقط أبو الدرداء حبات حنطة فنهاه بعض المسرفين فقال : أن مرفقة المرء رفقه في معيشته .

فلستم علي تردون . ولا برأيي تقتدون . فقدموا النظر قبل العزم . وتذكروا ما عليكم قبل أن تذكروا مالكم . والسلام

هذه رسالة سهل . وهي آية في البلاغة . وقوة الاسترسال في المخاصمة

مالم تُذِمَّهُما (١) . ولم تجمع بينهما (٢) . وَاللَّحْمُ لَحْمُكَ وما أراكَ تأكُلُهُ (٣) وَالْحُلْوُ طَعَامُ مَنْ لا يُبَالِي عَلَى أَيِّ جَنْبَيْهِ يَقَعُ (٤) . وَالْوَجَبَاتُ عَيْشُ الصَّالِحِينَ (٥) . وَالأَكْلُ عَلَى الْجُوعِ وَاقِيَةُ الْفَوْتِ (٦) . وَعَلَى الشِّبَعِ دَاعِيَةُ الْمَوْتِ . ثُمَّ كُنْ مَعَ النَّاسِ كَلاَعِبِ الشِّطْرَنْجِ : خُذْ كُلَّ

لولا أنها تمتدح خصله أجمع الناس على مذمتها . واتفقوا على نكرانها

(١) يروى تذمهما ـ بالذال المعجمة ـ والمعنى : أن لك أن تأتدم بالخل والبصل ما رضيت بهما نفسك ، ولم تنزع عنهما ، والفعل أذمه اذماما أي وجده مذموما ، ويروى : تدمنهما — بالدال المهملة وبعد الميم نون — أي ما لم تواظب عليهما وتكثر من تناولهما (٢) أي أنهما مرخصان لك ولكن كل واحد منهما بانفراده فلا تحدث نفسك بتناولهما معاً (٣) يريد أن ينهاه عن أكل اللحم فهو يقول له : أن كلمة اللحم لا معنى لها غير لحمك أنت وليس له وجود فى العالم الا ذلك ولا أتوهم أن نفسك تقبل أن تأكله فهو نهاية فى التقزيز والتنفير (٤) المعنى أنه لا يأكل الحلو الا رجل قد وطن نفسه على الهلاك وأحب الموت فهو لا يبالي على أي جانب من جانبيه يخر على الارض ، والفقرة مأخوذة من قول الشاعر :

ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي جنب كان فى الله مصرعى

(٥) الوجبات : جمع وجبة وهي الأكلة الواحدة في اليوم والليلة ، والمعنى أن الاقلال من الأكل وتبعيد المسافة بين كل أكلتين من شأن الصالحين وعادات الكملة من الرجال فقلدهم وتشبه بهم (٦) الفوت : المراد به هنا الاعدام ، والفقر ، والمعنى : انك اذا لم تأكل الا جائعاً فقد أمنت على نفسك عادية السرف وسلطان الاعواز فأما اذا أكلت ممتلئا فانك تعرض نفسك للموت .

مَا مَعَهُمْ وَاحْفَظْ كُلَّ مَا مَعَكَ (١) . يَا بُنَيَّ قَدْ أَسْمَعْتُ وَأَبْلَغْتُ . فَإِنْ قَبِلْتَ فَاللهُ حَسْبُكَ . وَإِنْ أَبَيْتَ فَاللهُ حَسِيبُكَ (٢) . وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

الْمَقَامَةُ الصَّيْمَرِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحٰقَ الْمَعْرُوفُ بِأَبِي الْعَنْبَسِ الصَّيْمَرِيُّ : إِنَّ مِمَّا نَزَلَ بِي مِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ اصْطَفَيْتُهُمْ وَانْتَخَبْتُهُمْ وَادَّخَرْتُهُمْ لِلشَّدَائِدِ مَا فِيهِ عِظَةٌ وَعِبْرَةٌ وَأَدَبٌ لِمَنِ اعْتَبَرَ وَاتَّعَظَ وَتَأَدَّبَ (٣) .

والهلاك ويقرب ذلك من الحديث : (نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، واذا أكلنا لا نشبع)

(١) الشطرنج : لعبة معروفة ، ومن عادة اللاعبين أن يهتم كل واحد منهما بغلبة الآخر والفوز عليه وأخذ قطعه دون أن يهمل فى التحفظ بكل مامعه فهو يقول له : لتكن حالتك فى الاتفاق مع الناس كحال اللاعب : خذ منهم ولا تعطيهم (٢) حسبك : كافيك ، وحسيبك : محاسبك ، والمعنى : أنى نصحتك عليا منى بحال الحياة وشؤونها وأبلغتك ما وصل علمي من تجاربها ،فاذا أنت عملت بما أعلمتك فان الله يكفيك في مهماتك وان لم تعمل فما وعيت لأبيك وحسابك على الله

(٣) المعنى : أن حادثا أليما نزل بى كان سببه الائتلاف بجماعة أسفرت

الألفة عن عدم غنائهم وقلة جدواهم وأن في هذا الحادث لعظات بالغات ، وعبرة زاجرة ، وأدبا جما ، وقديما كان الاخوان غصة وألما . وفيهم يقول الشاعر :

واخوان تخذتهم دروعا ... فكانوها ولكن للأعادي
وخلتهم سهاما صائبات ... فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا : قد صفت منا قلوب ... لقد صدقوا ولكن عن ودادي

وقال :

تخذتكم درعا حصينا لتدفعوا ... نبال العدا عني فكنتم نصالها

وقال عبد الله بن معاوية :

العهد عهدان : عهد امرىء ... يأنف أن يغدر أو ينقضا
وعهد ذي لونين ملالة ... يوشك إن ودك أن يبغضا
ان لم تزره قال : قد ملني ... وبالحرى إن زرت أن يعرضا
شيمته مثل الخضاب الذي ... بينا تراه قانيا اذ نضا

ولآخر :

اذا افتقرت نأى واستد جانبه ... وان رآك غنياً لان واقتربا
وان أتاك لمال أو لتنصره ... أثنى عليك الذي يهوى وان كذبا
مد لي القرابة عند النيل يطلبه ... وهو البعيد اذا نال الذي طلبا
حلو اللسان بعيد القلب مشتمل ... على العداوة لابن العم ما اصطحبا

وقال سفيان بن عيينه : صحبت الناس خمسين سنة ما ستر لي أحد عورة ،

إلى مَدِينَةِ السَّلَامِ (١). وَمَعِي جِرَابُ دَنَانِيرَ وَمِنَ الْخُرْثِي وَالْآلَةِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ مَا لا أحتَاجُ مَعَهُ إِلَى أَحَدٍ (٢) . فَصَحِبْتُ مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ وَالْكُتَّابِ وَالتُّجَّارِ . وَوُجُوهِ الثَّنَاءِ مِنْ أَهْلِ الثَّرْوَةِ وَالْيَسَارِ (٣) . وَالْجِدَةِ وَالْعَقَارِ (٤) . جَمَاعَةً اخْتَرْتُهُمْ لِلصُّحْبَةِ . وَادَّخَرْتُهُمْ لِلنَّكْبَةِ (٥) . فَلَمْ نَزَلْ فِي صَبُوحٍ وَغَبُوقٍ (٦) نَتَغَذَّى بِالْجِدَايَا الرُّضَّعِ وَالطَّبَاهِجَاتِ

ولا رد عني عيبة ، ولا عفا لي عن مظلمة ، ولا قطعته فوصلني ، وأخص اخواني لو خالفته في رمانة فقلت هي حامضة وقال هي حلوة لسعى بي حتى يشيط دمى (١) قال فى المشترك : الصيمرة — بالصاد المهملة مفتوحة ، وياء ساكنة ، وميم مفتوحة ، وراء مهملة ، وهاء — اسم يقع على موضعين : أحدهما ناحية بالبصرة على فم نهر معقل ، فيها عدة قرى يشملها هذا الاسم وهم جهال يعبدون رجلا يقال له عاصم بن شباش وولده من بعده ، واليها ينسب أبو العنبس محمد بن اسحق بن ابراهيم الصيمري صاحب الكتب فى الهزل مات سنة ٢٧٥ ، والثاني بلدة من نواحي خوزستان وهي المسماة بمهرجانقذق ، واليها ينسب ابو تمام ابراهيم بن احمد بن الحسين بن احمد بن حمدان الهمذاني الصيمري من أهل بروجرد وأصله من الصيمرة ، ومدينة السلام : هى بغداد (٢) الخرثي : الاثاث ، والآلة : كل ما يحتاج الى الارتفاق به فى الاعمال المنزلية (٣) وجوه الثناء : اى الجماعة الذين لهم وجاهة ذكر ، ونباهة صيت ، وارتفاع شهرة (٤) الجدة : الغنى ، وبسطة المال ، وسعة الرزق ، ورفاهة العيش (٥) ادخرته : خزنته لأنتفع به وقت الشدة مغالاة به ، والمعنى : أنى أخترت هذه الجماعة من بين المياسير والوجوه وجعلتهم عدة للنوائب . وترسا أتقى به الخطوب ، ودرعا يقيني من العاديات والشدائد (٦) الصبوح :

الْفَارِسِيَّةِ وَالْمُدَقَّقَاتِ الْإِبْرَاهِيمِيَّةِ (١) وَالْقَلَايَا الْمُحْرِقَةِ وَالْكِبَابِ الرَّشِيدِيِّ وَالْحُمْلَانِ (٢) وَشَرَابُنَا نَبِيذُ الْعَسَلِ وَسَمَاعُنَا مِنَ الْمُحْسِنَاتِ الْحُذَّاقِ . الْمَوْصُوفَاتِ فِي الْآفَاقِ (٣). وَنَقْلُنَا اللَّوْزُ الْمُقَشَّرُ وَالسُّكَّرُ وَالطَّبَرْزَدُ (٤) . وَرَيْحَانُنَا الْوَرْدُ . وَبَخُورُنَا النَّدُّ (٥) . وَكُنْتُ عِنْدَهُمْ

ما حلب من اللبن صباحا أو ما أصبح عندك من الشراب . والغبوق : ما كان كذلك فى المساء ، ويستعملون هـذين اللفظين في معني الشرب صباحا ومساء

(١) الجدايا : جمع جـدى — وهو جمع غير معروف ، والمذكور له من الجموع جداء وأجد وجديان — وهو الذكر من أولاد المعز في سنته الاولى والرضع : كناية عن طراءة اللحم ، والطباهجات جمع طباهجه : وهي ضرب من اللحم المشرح يصنع مع البيض والبصل ، والمدققات : اللحم يقطع قطعا صغارا ثم يستوي بعد تكتيله كتلا ، وهى أشـبه بما يسمونه اليوم بمصر (كفته) والابراهيمة : المنسوبة لابراهيم بن المهدى لانه كان يتأنق فيها (٢) القلايا : ما يقلى من اللحم وغيره ويضاف اليه مايطيبه ، والمحرقة التي تزيد فى العطش خرافتها ، والكباب : اللحم المشوي ، والرشيدي : المنسوب الى هرون الرشيد الخليفة العباسي لانه كان يستجيده . والحملان : جمع حمل وهو الخروف

(٣) المحسنات الحـذاق : المغنيات اللاتى أجدن الصناعة وبرعن فيها ، والموصوفات في الآفاق : اللائى طار ذكرهن وارتفع صيتهن (٤) النقل — بفتح أوله فى الصحيح وضمه فى المشهور — : كل ما ينتقـل من الخمر اليه ومنه اليها ويسمى الآن : مزه . والطبرزد نوع من السكر صلب أبيض ويعرف اليوم باسم السكر النبات (٥) الورد : معروف ، والنـد : عود يتبخر به ، وقيل هو العنبر ، والمعني المقصود بكل ماذكر أنهم كانوا على حالة من اليسرة

أَعْقَلَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ (١) .

ونعومـة العيش وطيب الحياة وأنهم قـد جمعوا فيها كل أنواع المسرة وكل مجلب للانس وطمأنينة الخاطر

(١) ابن العباس : هو أبو العباس عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم ابن عبد مناف القرشى الهاشمي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمه أم الفضل لبابة بنت الحرث الهلالية ، ولد وبنو هاشم بالشعب قبـل الهجرة بثلاث وقيل بخمس والاول أثبت ، وهو حـبر العرب وأوفاهم عقلا وحشما وعلما وجمالا وكمالا ، وترجمان القرآن ولسانه ، وكان أبيض طويلا مشربا صفرة ، جسيما ، وسيما ، صبيح الوجه ، له وفرة ، يخضب بالحناء ، اذا قعد أخذ مقعد رجلين ، متفقها في الدين ، عالما بالتأويل ، حكيما ، وكان لا يسـأل عن شيء الا وجد له عنده جوابا لسعة حفظه ورجاحة عقله وكمال استعداده : فان كان في القرآن أخبر به ، فان لم يكن وكان فى السنة أخـبر به ، فان لم يكن وكان عن أبى بكر وعمر أخبر به ، فان لم يجده في شيء منها قال برأيه ، ويروى عن عبد الله بن بريدة قال : شتم رجل ابن عباس فقال : انك لتشتمني وفي ثلاث خصال : أني لاسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل فى حكمه فأحبه ولعلي لا أقاضي اليه أبداً ، وأني لأسمع بالغيث يصيب بلاد المسلمين فأفرح به ومالي بها سائمة ولا راعية ، واني لآتى على آية من كتاب الله تعالى فوددت أن المسلمين كلهم يعلمون منها مثل ما أعلم . وقد ولاه علي كرم الله وجهه البصرة ، وكان قائد الميسرة يوم صفين ولم يزل والى البصرة حتى قتل علي ، ويروى أنه كان يفسر الناس فى رمضان وهو أمـير البصرة فما ينقضى الشهر حتى يفقههم ، وسعى اليه ساع برجل فقال : ان شئت نظرنا فان كنت كاذبا عاقبناك ، وان كنت صادقا نفيناك ، وان شئت أقلتك . قال : هذه . ونظر الحطيئة اليه فى

وَأَظْرَفَ مِنْ أَبِي نُوَاسٍ . وَأَسْخَى مِنْ حَاتِمٍ (١) .

مجلس عمر — وقد قرع بكلامه — فقال : من هذا الذي نزل على القوم بسنه ، وعلاهم في قوله ؟ قالوا : هذا ابن عباس فأنشأ يقول :

انى وجدت بيان المرء نافلة يهدي له ووجدت العي كالصمم

المرء يبلى ويبقى الكلم سائرة وقد يلام الفتى يوما ولم يلم

ويروى عن النعمان حسان بن ثابت قال : كانت لنا عند عثمان أو غيره من الامراء حاجة فطلبناها اليه لجماعة من الصحابة منهم ابن عباس وكانت حاجة صعبة شديدة فاعتل علينا فراجعوه الى أن عذروه وقاموا الا ابن عباس فلم يزل يراجعه بكلام جامع حتى سد عليه كل حجة فلم ير بدا من أن يقضي حاجتنا فخرجنا من عنده وأنا آخذ بيد ابن عباس فمررنا على أولئك الذين كانوا اعذروا اوضعفوا فقلت: كان عبد الله أولا كم بهم. قال: أجل. فقلت أمدحه :

اذا قال لم يترك مقالا لقائل بملتقطات لا ترى بينها فصلا

كفى وشفى ما في النفوس ولم يدع لذي أربة في القول جداً ولا هزلا

سموت الى العليا بغير مشقة فنلت ذراها لا دنيئا ولا وغلا

واتفقوا على أنه رضي الله عنه مات بالطائف سنة ٦٨ هـ واختلفوا في سنه فقيل ابن احدى وسبعين وقيل ابن اثنتين وقيل ابن أربع والاول هو الأقوى

(١) حاتم : هو أبو سفانة وأبو عدي مجد العرب ، ونخارهم ، وحديث سؤددهم ، وعنوان مروءتهم ، وثالث الثلاثة الذين سارت الركبان بأخبار كرمهم ، وملأ الخافقين ذكر جودهم (هو ، وكعب بن مامة ، وهرم بن سنان) وهو أعلاهم كعبا ، وأنبههم ذكراً ، وأكثرهم أخباراً حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي ، أدرك مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومات قبل مبعثه ، وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه أنه قال يوما : سبحان الله ! ما أزهد

كثيراً من الناس في الخير ! عجباً لرجل يأتيه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا ! فلو أنه كان لايرجو ثوابا ، ولايخاف عقابا ــ لكان ينبغي له أن يسارع الى مكارم الاخلاق فانها تدل على سبيل النجاح ، فقام اليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين أسمعته من النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، لما أتى بسبايا طي وقفت جارية لمساء عيطاء ، فلما رأيتها أعجبت بها ، وقلت : لأطلبنها من النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما تكلمت أنسيت جمالها بفصاحتها فقالت : يا محمد ، ان رأيت أن تخلي عني ، ولا تشمت بي أحياء العرب فاني ابنة سيد قومي ، وان أبي كان يفك العاني ، ويشبع الجائع ، ويكسو العاري، ولم يرد طالب حاجة قط ، أنا ابنة حاتم الطائي . فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمن ، ولو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه ، خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق . وقال عدي بن حاتم : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم : ان أبي كان يطعم المساكين ، ويعتق الرقاب ، ويصل الرحم ، فهل له في ذلك أجر ؟ قال : ان أباك رام أمراً فأدركه (يريد ارتفاع الذكر) . وأول ما ظهر من أمر حاتم أن أباه خلفه في أبله — وهو غلام — فمر به جماعة من الشعراء — فيهم عبيد بن الأبرص ، وبشر بن أبي حازم، والنابغة الذبياني — يريدون النعمان فقالوا لحاتم : هل من قرى ؟ فقال — ولم يعرفهم — : تسألوني القرى وقد رأيتم الأبل والغنم ؟ انزلوا ، فنزلوا ، فنحر لكل واحد منهم ، وسألهم عن أسمائهم فأخبروه ففرق فيهم الأبل والغنم ، وجاء أبوه فقال : مافعلت ؟ قال : طوقتك مجد الدهر تطويق الحمامة ، وأخبره فقال أبوه : اذن لا أبالي . وحدثت زوجه النوار قالت : أصابتنا سنة اقشعرت لها الارض، وضنت الراضع على أولادها ، فوالله أني لفي ليلة بعيدة ما بين الطرفين اذ

تضاغى : أولادنا : عبد الله ، وعدى ، وسفانة ، فقام الى الصبيين وقمت الى الصبية فوالله ما سكتوا الا بعد هدأة من الليل ، ثم ناموا ، ونمت أنا واياه ، فأقبل علي يعللني بالحديث ، فعرفت مايريد ، فتناومت وما يأتيني نوم ، فقال: ما لها ؟ أنامت ؟ فسكت ، ثم تهورت النجوم واذا شيء قد رفع كسر البيت فقال : ما هذا ؟ قالت : جارتك فلانه ، قال : مالك ؟ قالت : الشر ، أتيتك من عند صبية يتعاوون عوى الذئاب من الجوع ، قال : أعجليهم ، فهببت اليه فقلت : ماذا صنعت ؟ فوالله لقد تضاغى صبيتك من الجوع فما أصبت ما يعللهم ! فقال : اسكتي ، وأقبلت المرأة تحمل اثنين ويمشى بجانبيها أربعة كأنها نعامة حولها رئالها فقام الي فرسه جلاب ، فنحره وكشط عن جلده ودفع المدية الى المرأة ثم قال لى : ابعثي صبيانك فبعثتهم فاجتمعنا فقال : تأكلون دون أهل الصوم ؟ ثم جعل يأتى بيتا بيتا ويقول : دونكم النار ، فاجتمعوا فالتفع بثوبه ناحية ينظر الينا ، فوالله ماذاق منها موعة وأنه لأحوجهم ، وأصبحنا وما على الارض الا عظم أو حافر . وحكى ابن الاعرابى قال : أسر حاتم فى عنزة فقالت له امرأة يوما : قم فافصد لنا هذه الناقة — وكان الفصد عندهم أن يقطع عرق من عروق الناقة ثم يجمع الدم فيشوى ويؤكل — فقام حاتم الى الناقة فعقرها ، فلطمته المرأة ، فقال : لو ذات سوار لطمتني ! فذهبت مثلا . ثم قال له النسوة : انما قلنا افصدها ، قال : هذا فزدي ، يعني أنه فصدى وهي لغة طيء ، وقال ابن الاعرابي وابن السكيت وجماعة من الرواة : خرج الحكم بن أبي العاصى ومعه عطر يريد الحيرة — وكان بالحيرة سوق يجتمع اليه الناس كل سنة ، وكان النعمان قد جعل لبني لأم بن عمرو ربع الطريق طعمة لهم — فمر الحكم بحاتم فسأله الجوار في أرض طيء حتي يصير الى الحيرة فأجاره ، ثم أمر حاتم بجزور فنحرت وأكلوا منها ومع حاتم — غير الحكم — ابن عمه ملحان بن حارثة بن سعد بن الحشرج فلما فرغوا من الطعام طيبهم الحكم

من طيبه ذلك ، فمر حاتم بسعد بن حارثة بن لأم وليس مع حاتم من بني عمه غير ملحان ، وحاتم على راحلته ، وفرســه تقاد ، فأتاه بنو لأم فوضع حاتم سفرته وقال : اطعموا حياكم الله ، فقالوا : من هؤلاء معك يا حاتم ؟ قال : هؤلاء جيراني ، قال له سعد : فأنت تجير علينا في بلادنا ؟ قال له : أنا ابن عمكم وأحق من لم تخفروا ذمته ، فقالوا : لست هناك ، وأرادوا أن يفضحوه فوثبوا اليه فتناول سعد (وقيل كندى ، وربما كان أصح لما ستقرأه في شعر حاتم آخر القصة) ابن حارثة بن لأم حاتما ، فأهوى له حاتم بالسيف فأطار أرنبة أنفه ووقع الشر حتى تحاجزوا فقال حاتم :

وددت ـ وبيت الله ـ لو أن أنفه هواء فما مت المخاط عن العظم
ولكنما لاقاه سـيف ابن عمـه فآبى ومر السيف منه على الخطم

فقالوا لحاتم : بيننا وبينك سوق الحيرة فنماجدك ، ونضع الرهن ، ففعلوا ووضعوا تسعة أفراس ووضع حاتم فرسه، ثم خرجوا حتى انتهوا الى الحيرة، وسمع ذلك أياس بن قبيصة الطائي فخاف أن يعين النعمان بني لام للصهر الذي بينهم وبينه ، ويقويهم بماله وسلطانه فجمع أياس رهطه من بني حية وقال : يا بني حيـة ان هؤلاء القوم أرادوا أن يفضحوا ابن عمكم في مجاده ، فقال رجل من بني حية : عندي مائة ناقة سوداء ، ومائة حمراء أدماء ، وقام آخر فقال : عندي عشرة حصن على كل حصان منها فارس مدجج لا يرى منه الا عيناه ، وقال حسان بن جبلة الخير : قد علمتم أن أبي قدمات وترك كلاً كثيراً فعلى كل خمر أو لحم أو طعام ما أقاموا في سـوق الحيرة ، ثم قام أياس فقال : على مثل جميع ما أعطيتم كلكم — وحاتم لا يعلم بشيء ممـا فعلوا — وذهب حاتم الى ابن عمه مالك بن جبار وكان كثير المـال فقال : يابن عم أعني على مخايلتي ثم أنشد :

يامال أحدي خطوب الدهر قدطرقت يا مال ما أنتـم عنهـا بزحـزاح

يا مال جاءت حياض الموت واردة   من بين غمر نخضناه وضحضاح

فقال له مالك : ما كنت لأحرب نفسي ولاعيالي وأعطيك مالي . فانصرف عنه وقال مالك في ذلك :

أنا بني عمكم ما أن بنا علكم   ولا نجاوركم الا على ناح

وقد بلوتك اذ نلت الثراء فلم   ألفك بالمال الا غير مرتاح

ثم أتى حاتم ابن عمه وهم بن عمرو — وكان يومئذ مصارما له لا يكلمه — فقالت له امرأته : أي وهم ، هذا والله أبو سفانة حاتم قد طلع ، فقال : ما لنا ولحاتم ، أثبتي النظر ، فقالت : ها هو ، فقال : ويحك ، هو لا يكلمني فما جاء به الي ؟ فنزل حتى سلم عليه ، فرد سلامه وحياه ثم قال له : ما جاء بك ياحاتم؟ قال : خاطرت على حسبك وحسبي ، قال : في الرحب والسعة ، هذا مالي — وعدته يومئذ تسعمائة بعير — فخذها مائة مائة حتى تذهب الابل أو تصيب ما تريد ، فقالت امرأته : يا حاتم أنت تخرجنا عن مالنا وتفضح صاحبنا (تعني زوجها) فقال : اذهبي عني فوالله ما كان الذي غمك ليردني عما قبلي ، وقال حاتم :

الا ابلغا وهم بن عمر رسالة   فانك أنت المرء بالخير أجدر

رأيتك أدنى الناس منا قرابة   وغيرك منهم كنت أحبو وأنصر

اذا ما أتى يوم يفرق بيننا   بموت فكن يا وهم ذو يتأخر

ثم قال أياس بن قبيصة : احملوني الي الملك — وكان به النقرس — فحمل حتى أدخل عليه فقال : انعم صباحا ابيت اللعن ، فقال النعمان : وحياك الهك ، فقال أياس : أتمد أختانك بالمال والخيل ، وجعلت بني ثعل في قعر الكنانة ؟ أظن أختانك أن يصنعوا بحاتم كما صنعوا بعامر بن جوين ولم يشعروا أن بني حيينة بالبلد ؟ فان شئت والله ناجزناك حتى يسفح الوادي دما ، فليحضروا مجادهم غدا بمجمع العرب ، فعرف النعمان الغضب في وجهه وكلامه فقال له : يا أحلمنا لا تغضب فاني سأكفيك ، وأرسل الى سعد بن حارثة والى أصحابه :

انظروا ابن عمكم حاتما فأرضوه فوالله ما أنا بالذي أعطيكم مالي تبذرونه وما أطيق بني حيه ، فخرج بنو لام الى حاتم فقالوا : أعرض عن هذا المجاد ندع أرش أنف ابن عمنا ، قال : لا والله حتى تتركوا أفراسكم ويغلب مجادكم ، فتركوا أرش أنف صاحبهم وأفراسهم وقالوا : قبحها الله وأبعدها فانما هي مقارف ، فعمد اليها حاتم فعقرها وأطعمها الناس وسقاهم الخمر وقال حاتم في ذلك :

أبلغ بني لام بأن خيولهم　　عقرى وأن مجادهم لم يمجد
ها انما مطرت سماؤكم دما　　ورفعت رأسك مثل رأس الأصيد
ليكون جيراني كأني بينكم　　نحلا لكندي وسبي مزند
وابن النجود اذا غدا متلاطما　　وابن المذور ذي المجان الازبد
أبلغ بني ثعل بأني لم أكن　　أبداً لأفعلها طول المسند
لا جئتهم فلا وأترك صحبتي　　نهباً ولم تقدر بقائمة يدي

وحاتم شاعر فحل ولكن شهرته بالجود والكرم غطت على شعره فأصبح لا يعد في الشعراء الا عند قصد الاطالة والاستقصاء ، ولقد فضلته ماوية بنت عفزر — وكانت ملكة — على النابغة وحكمت له حين أنشدها :

أماوي قد طال التجنب والهجر　　وقد عذرتني من طلابكم العذر

في قصة طويلة

ومن شعره الرائع قوله :

وعاذلة هبت بليل تلومني　　وقد غاب عيوق الثريا فعردا
تلوم على أعطائي المال ضلة　　اذا ضن بالمال البخيل وصردا
تقول : الا أمسك عليك فانني　　أرى المال عند الممسكين معبدا
ذريني وحالي أن مالك وافر　　وكل امرئ جار على ما تعودا
أريني جواداً مات هزلا لعلني　　أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا
والا فكفي بعض لومك واجعلي　　الى رأي من تلحين رأيك مسندا

عمرو (١) .

أَلَم تعلمي اني اذا الضيف نابني ... وعز القرى أقرى السديف المسرهدا
أسود سادات العشيرة عارفا ... ومن دون قومي في الشدائد مذودا
وألفى لأعراض العشيرة حافظا ... – وحقهم – حتى أكون المسودا

وقوله :

أما والذي لا يعلم الغيب غيره ... ويحيي العظام البيض وهي رميم
لقد كنت أطوي البطن والزاد يشتهي ... مخافة يوما أن يقال لئيم
وما كان بي ما كان والليل ملبس ... رواق له فوق الأكام بهيم
ألف بحلسي الزاد من دون صحبتي ... وقد آب نجم واستقل نجوم

(١) عمرو : هو أبو ثور عمرو بن معد يكرب بن عبد الله الزبيدي ، أحد فرسان العرب وأبطالهم وصاحب الغارات والوقائع في الجاهلية والاسلام ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة من الهجرة وأسلم وأبلى في وقائع الاسلام بلاء حسنا ، وله في معركة القادسية موقف مشهود كان سبب الفتح كما كان في وقعة اليرموك وغيرها مغوارا فارسا شجاعا هماما . حدث عن نفسه قال : قدمت المدينة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا من تبوك فاردت أن أدنو اليه فنمعني من حوله فقال : دعوه ، فدنوت منه فقلت : أنعم صباحا أبيت اللعن ، فقال : يا عمرو أسلم تسلم ، ويؤمنك الله من الفزع الأكبر . فأسلمت ، ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأله يوما : ماتقول في الحرب ؟ قال : مرة المذاق ، اذا كشفت عن ساق ، فمن صبر عرف ، ومن ضعف تلف ، قال : فما تقول في الرمح ؟ قال : خليلك ، وربما خانك ، قال : فالنبل ؟ قال : منايا تخطئ وتصيب ، قال : فالترس ؟ قال : عليه تدور الدوائر ، قال : فالسيف ؟ قال : عبدك ثكلتك أمك ، قال عمر :

بل أمك ، فقال : الحمى أصرعتنى ، فأغلظ له عمر في الكلام فقال :

أتوعدنى كأنك ذو رعين بأنعم عيشة أو ذو نواس ؟
فلا تفخر بملكك ، كل ملك يصير لذلة بعد الشماس

فقال عمر : صدقت فاقتص مني ، قال : بل أعفو يا أمير المؤمنين ، لولا آية سمعتها منك لجللتك بالسيف آخذ منك أم تركك ! قال : وما هى ؟ قال : سمعتك تقرأ : (أنه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيي) والله لو علمت أني اذا دخلتها مت لفعلت

وهو شاعر مطبوع ، ومن جيد شعره

ولما رأيت الخيل زورا كأنها جداول ماء ارسلت فاسبطرت
وجاشت الي النفس أول فكرة فردت على مكروهها فاسبطرت
ظللت كأني للرماح رديئة أقاتل عن أحساب قوم وفرت
ولو أن قومي أنطقتنى رماحهم نطقت ولكن للرماح أجرت

وقوله :

وقد عجبت أمامة أن رأتنى تفرع لمتى شيب فظيع
أشاب الرأس أيام طوال وهم ما تبلغه الضلوع
وزحف كتيبة للقاء أخري كأن زهاءها رأس صليع
وأسناد الاسنة نحو نحري وهز المشرفية والوقوع

وقوله :

اذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه الي ما تستطيع
وصله بالنزوع ، فكل شيء سمالك ، أو سموت له نزوع

وقوله :

ليس الجمال بمئزر فاعلم وأن رديت بردا
ان الجمال معادن ومناقب أورثن مجدا
أعددت للحدثان سا بغة وعداء علندي
وحسام ذا شطب يقد البيض والابدان قدا
كل امرىء يجري الى يوم الهياج بما استعدا
لما رأيت نساءنا يفحصن بالمعزاء شدا
وبدت محاسنها التي تخفي وعاد الامر جدا
وبدت لميس كأنها بدر السماء اذا تبدى
نازلت كبشهم ولم أر من نزال الكبش بدا
كم ينذرون دمي وأنـ ـذر أن لقيت بأن أشدا
كم من أخ لى صالح بوأته بيدى لحدا
ذهب الذين أحبهم وبقيت مثل السيف فردا

ووفد على كسري مع النعمان بن المنذر ليدافع عن العرب ويبطل ما كان كسري قد نسبه اليهم فقال :

انما المرء باصغريه قلبه ولسانه فبلاغ المنطق الصواب ، وملاك النجدة الارتياد ، وعفو الرأى خير من استكراه الفكرة ، وتوقيف الخبرة خير من اعتساف الحيرة ، فاجتبذ طاعتنا بلفظك ، واكتظم بادرتنا بحلمك ، وألن لنا كنفك يسلس لك قيادنا ، فأنا أناس لم يوقس صفاتنا قراع مناقير من أراد لنا قضما ، ولكن منعنا حمانا من كل من رام لنا هضما

ــ (١) سحبان وائل : هو سحبان بن زفر بن أياد الوائلي (نسبة لوائل باهلة) الخطيب المطقع المضروب به المثل فى البلاغة والبيان ، وفيه قال الاصمعي كان اذا خطب يتصبب عرقا ، ولا يعيد كلمة ، ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ ، ونشأ فى الجاهلية بين قبيلة وائل (احدى قبائل ربيعة) ولما ظهر الاسلام أسلم ، وتقلبت به الاحوال حتي التحق بمعاوية رضى الله عنه فكان

يعده للملمات ، ويتوكأ عليه عند المفاخرة : لقوةعارضته ، وسرعة خاطره ، وقدم على معاوية وفد من خراسان وفيهم سعيد بن عثمان بن عفان فطلب سحبان فلم يجده فى منزله ، فاقتضب من ناحية اقتضابا وأدخل عليه فقال له معاوية : تكلم ، فقال : أحضروا لى عصا ، قالوا : وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين ؟ قال : ما كان يصنع بها موسي وهو يخاطب ربه ، فضحك معاوية وأمر له باحضارها فلما وصلت اليه ركلها (خبرها) فلم ترق فى نظره فطلب عصاه فأخذها ثم خطب من صلاة الظهر الي أن حانت صلاة العصر ، ماتنحنح ، ولا سعل ، ولا توقف ، ولا تلكأ ، ولا ابتدأ في معني وخرج منه وقد بقي منه شيء . فما زالت تلك حاله حتي دهش منه الحاضرون فأشار اليه معاوية بيده ، فأشار اليه سحبان لا تقطع على كلامى ، فقال معاوية الصلاة ، قال . هى أمامك ، نحن في صلاة وتحميد ، ووعد ووعيد فقال معاوية : أنت أخطب العرب ، قال سحبان : والعجم ، والجن ، والانس وينسب اليه :

لقد علم الحى اليمانون أننى ... أذا قلت اما بعد انى خطيبها

ومن خطبة له فى الوعظ

أما بعد فان الدنيا دار ممر ، والآخرة دار مقر ، فخذوا من ممركم لمقركم ولا تهتكوا أستاركم ، عند من لاتخفي عليه أسراركم ، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم ، قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها حييتم ، ولغيرها خلقتم ، اليوم عمل بلا حساب ، وغدا حساب بلا عمل ، أن الرجل اذا هلك ، قال الناس ما ترك ، وقال الملائكة ما قدم ، فقدموا بعضا ، ليكون لكم قرضا ، ولاتتركوا كلا ، يكون عليكم كلا

ومن جيد شعره في مدح طلحة الطلحات الخزاعى .

ياطلح أكرم من مشى ... حسبا وأعطاهم لتالد

وَأَفْهَى مِنْ قَصِيرٍ (٤). وَأَشْعَرَ مِنْ جَرِيرٍ . وَأَعْذَبَ مِنْ مَاءِ الْفُرَاتِ وَأَطْيَبَ مِنَ الْعَافِيَةِ . لِبَذْلِي وَمُرُوءَتِي (٥) . وَإِتْلَافِ ذَخِيرَتِي . فَلَمَّا

منـك العطاء فأعطنى وعلى مدحك في المشاهد

والمروي له كلام يسير جدا ، بل والذي روي على ندرته قد نسبه إلى غيره بعض الرواة الموثوق بهم ، ومن هذا القطعة التي ذكرناها فقد نسبها أبو على القالي في أماليه الي بعض الاعراب في صدر العصر العباسي ، ولعل السر في عدم تدوين خطبه أنه كان يميل الى الاطالة التي يعجز الرواة معها عن الحفظ على أنها لم تكن من السياسة في شيء والقوم اذ ذلك لا يشغلهم غيرها

(٤) قصير : هو أحد أرباب الحجا والرأي من ثقاة جذيمة الابرش الذين جمعهم جذيمة حين استدعته الزباء اليها وعرضت عليه ملكها وزواجها فاستخفه ما دعته اليه ، ورغب فيما أطمعته فيه فعرض على خاصته الامر فاجتمع رأيهم على أن يسير اليها فيستولى على ملكها ما عدا قصيرا — وكان أديبا حازما أثيرا عند جذيمة — فخالفهم فيما أشاروا به وقال : رأي فاتر ، وغدر حاضر فذهبت كلمته مثلا ثم قال : الرأى أن تكتب اليها فان كانت صادقة في قولها فلتقبل اليك والا لم تمكنها من نفسك ولم تقع في حبالتها وقد وترتها وقتلت أباها فلم يوافق جذيمة ما أشار به قصير فقال قصير :

انى امرؤ لا يميل العجز ترويتى اذا أتت دون شأني مرة الرزم

فقال جذيمة : لا ، ولكنك امرؤ رأيك في الكن لا في الضح فذهبت كلمته مثلا . ثم سار اليها فقتل ، والحادث مشهور عرفه الصبيان فلا حاجة بنا الى ذكره

(٥) المعنى أني كنت في نظرهم جامعا لفضائل الصفات ، وكريم الخصال ،

خَفَّ المَتاعُ . وانْحَطَّ الشِّراعُ (١) وَفَرَغَ الجِرابُ (٢) . تَبادَرَ القَوْمُ البابَ (٣) . لِما أَحَسُّوا بالقِصَّةِ . وَصارَتْ في قُلُوبِهِمْ غُصَّةٌ (٤) . وَدَعَوْني

وشريف السجايا لما كان يعود عليهم من النفع وما كنت امنحهم من المعروف ، وكذلك الموسر موقر فى نظر الناس مغبوط منهم فلا يحاسب على هفواته ، ولا تعد له زلاته ، ولا تساء معاملته ، فاذا املق رجع كل شيء الي ضده وانقلب الحال ، وتغيرت الشؤون . وجرير ، وأبو نواس : تقدمت ترجمتهما

(١) الشراع : كل شيء ارتفع وتصوب ، ومعنى انحطاطه تهاويه الى اسفل وذلك كناية عن تغيير حاله وانقلاب دهره أو هو شراع السفينة ومعنى انحطاطه حينئذ ركود الريح وتعطل السفينة عن السير وفيه من الكناية نفس الذي في المعنى الاول (٢) الجراب ، — بكسر اوله ولا يفتح أو الفتح فيه لغة ضعيفة —: المزود والوعاء ، والجمع جرب بضمتين أوجرب بضم فسكون وأجربة ، ومعنى فراغه خلوه من المتاع ، وهذا كنايه عن املاقه وبؤسه وخلو ذات يده (٣) تبادر القوم الباب : أسرعوا في الهرب وتوجه كل واحد منهم معرضا عنى موليا بوجهه نحو الباب فرارا منى ، والمعنى : أنهم ماذالوا يفدون على ، ويتقربون الي . ويحاولون بكل ما فيهم من جهد ان يتصلوا بي الى ان نضب معين ثروتي ، وغاض ماء المال عندي وظهرت المتربة ، وبدالهم سوء حالي . فلما عرفوا عني ذلك ، وشعروا بأنه لم يعد لهم لدى رفد نفروا ، مني وفروا ، واستثقلوا ظلي

(٤) الغصة — بضم أوله — الشجا وما اعترض فى الحلق فأشرق وجمعه غصص ، تقول منه غصصت بالطعام بالكسر أغص غصصا (بوزان طرب) فأنا غاص به وغصان ، وقال الشاعر :

ألى الماء يسعى من يغص بريقه   فقل أين يسعى من يغص بماء

بُرْصَةً (١) . وَانبعثوا لِلفِرَارِ . كَرَمْيَةِ الشَّرَارِ (٢) . وَأَخَذَتْهُمُ الضُّجْرَةُ (٣) فانسلوا قَطْرَةً قَطْرَةً (٤) . وَتفرقوا يَمْنَةً وَيَسْرَةً (٥) . وَبَقِيتُ علي الْآجُرَّةِ (٦) . قَدْ أوْرَثُونى الْحَسْرَةَ . وَاشْتَمَلَتْ مِنْهُمْ عَلَيَّ الْعَبْرَةُ .

وقال آخر :

لو بغير المـاء حلقي شرق   كنت كالغصـان بالمـاء اعتصار

والمراد هنا لازمه وهو الضيق ، والحزن ، وانقباض النفس ، وذلك لما فاتهم من مجامع الانس ، ومحافل السرور ، ومجالس البهجة والطرب

(١) البرصة ـ بفتح أوله ـ : دويبة صغيرة معروفة ، ودعونى : لقبونى وأطلقوا على هذه الكلمة تحقيرا لشانئ ، واستهانة بى ، وتقليلا لفائدتى وغنائي وقد يكون بالضم وهو جمع مفرده البراص ـ بوزن سحاب ـ وهو البقعة التي لا تنبت أو منـازل الجن ، ويكون المعنى اذ ذاك أنهم سموه بذلك لفقره ، وانتزاف ماله ، وذهاب ثروته ، وضياع ما كان حوله من الفائدة والمنفعة

(٢) الشرار : ما انفصل وتطاير من النار ، ومن طبيعة الشرار أن ينطلق فى الهواء بسرعة زائدة (٣) الضجرة ـ بضـم أوله ـ : الضجر ، وهو ضيق النفس والقلق والغم والتململ (٤) اذا بلغ الماء درجة مخصوصة كان لا بد له من مزايلة مكانه فيتساقط ويتقاطر فأذا حصل ذلك لم يكن أسرع منـه فهو يكنى بانسلالهم قطرة قطرة عن تسارعهم ألي الهرب منه ، واشتدادهم في الفرار من وجهه (٥) يمنة ويسرة ـ بفتح أولهما ـ : أي يمينا وشمالا ، والمراد أنهم فارقوه كل واحد منهم الى جهة أذ لم يكن لهم ما يجمعهم سوي مجلسه

(٦) المـراد بقيت على الارض منفردا ، والآجرة فى الاصل واحد الآجر

لأُساوي بَعْرَةً (١) . وَحِيداً فَرِيداً كالبُومِ . المَوْسُومِ بِالشُّومِ (٢) أَقَعُ وَأَقُومُ كَانَّ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ لَمْ يَكُنْ . وَنَدِمْتُ حِينَ لَمْ تَنفَعْنِي النَّدَامَةُ (٣) فَبُدِّلْتُ بِالجَمَالِ وَحْشَةً . وَصَارَتْ بِي طَرْشَةٌ (٤) . أَقْبَحُ مِنْ رَهْطَةَ المُنَادِي . كَانِّي رَاهِبٌ عُبَّادِيٌّ (٥) . وَقَدْ ذَهَبَ المَالُ وَبَقِيَ

وهو الطوب المحروق الذي يتخذ في البناء (١) أورثوني حسرة : مثله قول أبي ذؤيب

أودى بني وأعقبوني حسرة فتخرموا ولكل جنب مصرع

والعبرة ــ بفتح أوله ــ : الدمعة ، والبكاء . وبعرة الجمل ونحوه معروفة والمعنى : . . . . . عني ، وتركهم لي فريدا لا أنيس لي قد أعقبني الندم والتحسر على سابق أمري معهم وجعلني أقضي جميع أوقاتي في البكاء والنحيب وتركني بائسا مسكينا لاقيمة لي ولا عضد (٢) البوم والبومة : طائر يقال للذكر والانثى بوم وبومة ، والموسوم : المعروف واصل الوسم والسمة ــ كالوعد والعدة ــ : العلامة . والبوم مما يتشاءم به ويتطير من صوته

(٣) المعنى أني أسفت وزاد بي الغم ولكن بعد فوات الوقت ولم يعد الندم ينفعني ولا الأسف يفيدني

(٤) المراد من الوحشه قبح الهيئة وتغييرها لأن ذلك هو الذي يقابل الجمال ، والطرشة في الاصل . الخفيف من الصمم ، وأراد منه هنا ما اشتد منه وزاد بدليل تعقيبه بقوله : أقبح من رهطة وهو رجل عرف عنه الصمم الشديد

(٥) العباد : جمع عابد والنسبة هنا غير قياسية أذ الأصل أن ينسب ألى المفرد . اللهم ألا أذا كان بتأويل التسمية بلفظ الجمع وأطلاقه على هذه الجماعة كعلم

الطَّنْز (١) . وَحَصَلَ بِيَدِى ذَنَبُ العَنْز (٢) .وَحَصَلْتُ فى بَيْتِي وَحْدِى مُتَفَتِّتَةً كَبِدِى . لِتَعْسِ جَدِّى . قَدْ قَرَّحَتْ دُمُوعِى خَدِّي (٣) . أَعْمُرُ مَنزِلاً دَرَسَتْ طُلُولُهُ (٤) . وَعَفَتْ مَعَالِمَهُ سُيُولُهُ (٥) . فَأَضْحَى وَأَمْسَى

لهم . ومن صفات الراهب العزلة والابتعاد عن الناس وأراد من تشبيه نفسه به ذلك (١) طنز يطنز طنزا : سخر وتهزأ واستهان ، والمعني : أنه قد ذهب عنى جمال الغني ، وأبهة اليسار وحالفتني سخرية الفقر واستهانته

(٢) ذنب العنز كناية عن عدم وجود شيء عنده لان ذنب العنز قصير جاف لا نفع فيه ولا فائدة به فوجوده والعدم سواء

(٣) المعنى : أنني بقيت فى داري وحيدا حزينا آسفاً باكياً متوجعاً لما نالنى متألما مما نزل بى ، وتعجبني أبيات قلتها في مثل هذا الحال وهى :

بلوت الناس في عسر ويسر ... وفى الحالين من فرج وضيق
ولما لم أجد من يصطفيني ... لغير المال والحسب العريق
نفضت يدى وماعلقت بشيء ... سوى الآلام والحزن العميق
أذا لم تلق فى القرناء خيرا ... فأولى أن تعيش بلا رفيق

(٤) الطلل : ما بقى من آثار الديار أو الشخوص من كل شيء ، وجمعه طلول وأطلال، ودرست : انمحت ، والمراد خلوها من القطين والسكان، والمعنى أني صرت وحدى أعمرهذه الأماكن التى خلت بذهابهم (٥) عفت : درست يقال : عفا المنزل، وعفته الريح ، يتعدي ويلزم ـ وبابهما عدا ـ وعفته الريح بالتضعيف ـ أيضا ، وشدد للمبالغة ، والسيول : جمع سيل وهو ما انحدر من المطر وفى هذا المعنى يقول الشاعر :

دمن عفت ومحا معالمها ... هطل أجش وبارح ترب

بِرَبْعِهِ الْوُحُوش . تَجُولُ وَتَنُوشُ (١) . وَقَدْ ذَهَبَ جَاهِي وَنَفِدَتْ صِحَاحِي (٢) . وَقَلَّ مُرَاحِي . وَسَلَحْتُ فِي رَاحِي (٣) . وَرَفَضَنِي النُّدَمَاءُ وَالْإِخْوَانُ الْقُدَمَاءُ لَا يُرْفَعُ لِي رَاسٌ . وَلَا أُعَدُّ مِنَ النَّاسِ . أَوْتَحُ مِنْ بَزِيعٍ الْهَرَّاسِ . وَرَزِينِ الْمَرَّاسِ (٤) . أَتَرَدَّدُ عَلَى الشَّطِّ . كَأَنِّي رَاعِي الْبَطِّ (٥) . أَمْشِي وَأَنَا حَافٍ . وَأَتْبَعُ الْفَيَافِي (٦) . عَيْنِي سَخِينَةٌ .

والمعنى : أن السيل بطول مروره بهذه الديار قد محا معالمها وعفا آثارها

(١) تجول وتنوش معناهما واحد ، والمراد أنه أصبح مسكنا للوحوش تذهب فيه طورا وتجيء وتروح وتغدو (٢) نفدت : فنيت وفي التنزيل (ماعندكم ينفدوماعندالله باق) ، والصحاح : جمع صحيح وهو كل ما يعتمد عليه والمراد ماكان بيده من المال (٣) مراحي : خفتي لأسداء المعروف ، وهو من قولهم راح للمعروف يراح راحة اذا أخذته له خفة وأريحية ومنه الحديث (ومن راح في الساعة الثانية الخ) لم يرد رواح النهار بل المراد خف اليها وسلحت في راحي : الراح : الراحة والارتياح ، وسلح فيها أفسدها على نفسه والمعنى : أن قلة المال وخلو اليد جعلاني لا أبادر للبذل ولا أخف الى الاعطاء كما كنت أولا وأن الاملاق تركني فاقد الراحة مسلوب الطمأنينة (٤) أوتح : أخس وأضعف شأنا وأحط قيمة وأنزل قدرا ، والهراس : صانع الهريسة والمراس : صانع الأمراس وهي الحبال ، وبزيع ورزين اسما رجلين ، وقد ضربهما مثلا في خسة القدر وضعف الجاه لأن صناعتهما في زمانه كانت أحط الصناعات وأقلها قدرا (٥)الشط . هوشاطيء النهر ، والبط : من نوع الاوز وهما يألفان الماء واذا كان لهما راع فهوداثما ملازم لشاطيء الماء (٦) الفيافي . الاراضي التي لا ماء بها ولا نبات ، وأراد من ذلك الكناية عن الاماكن التي

وَنَفْسِي رَهِينَةٌ (١) . كأنِّي مَجْنُونٌ قَدْ أُفْلِتَ مِنْ دَيْرٍ . أَوْ عَيْرٌ يَدُورُ فِي الحَيْرِ (٢) . أَشَدُّ حُزْنًا مِنَ الخَنْسَاءِ عَلَى صَخْرٍ (٣) .

لا يوجد بها من الناس أحد لانه كان يخجل أن يروه وهو على هذه الحال السيئة (١) يقال في الدعاء على الرجل بالحزن : أسخن الله عينه ، وسخنت عينه كما يقال فى الدعاء له بالمسرة : أقر الله عينه وفى التنزيل (قرة عين لى ولك) ونفسي رهينة : محبوسة ، والمعنى : ضيقة متألمة (٢) العير ـ بفتح أوله ـ الحمار ، قال الشاعر :

ولا يقيم على ضيم يراد به ألا الاذلان عير الحي والوتد

والحير : الحظيرة التى تعمل للماشية وقاية لها من الحر والبرد

(٣) الخنساء هى : السيدة تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية ، أرقي شواعر العرب ، وأحزن من بكى وندب

كان أبوها عمرو وأخواها صخر ومعاوية سادات بنى سليم من مضر ، وكانت هي من أجمل نساء عصرها ، نخطبها دريد بن الصمة فارس جشم ، فرغبت عنه وآثرت التزوج فى قومها فتزوجت منهم

وكانت تقول المقطعات من الشعر فلما قتل شقيقها معاوية ثم أخوها لأبيها صخر جزعت عليهما جزعاً شديداً وبكتهما بكاء مرا ، وكان أشد وجدها على صخر لأنه كان شاطرها هي وزوجها أمواله مرارا ، فهاج حزنها الشعر في نفسها فقالت المراثي المطولات وفاقت النساء والرجال فيها ، وأطالت عليهما البكاء والعويل حتى تقرحت مآقيها وحتى ضرب بها المثل فى الحزن والبكاء وكثرة الرثاء ، وجاء الاسلام فوفدت مع قومها على النبى صلى الله عليه وسلم وأسلمت ، وكان يعجبه شعرها ويستنشدها ، ويقول : هيه يا خناس ، ويومىء بيده

وما فتئت تبكى صخرا قبل الاسلام وبعده حتي عميت ، وبقيت ألي أن شــهدت وقعة القادســية فى السنة الخامســة عشرة من الهجرة مع أولادها الاربعة فأوصتهم وحضتهم على الصبر عند الزحف فقتلوا جيمــاً ، فقالت : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ! ولم تحزن عليهم حزنها على أخويها ، وتوفيت بالبادية في خلافة معاوية

فأما شعرها فقد أجمع أغلب علماء الشعر على أنه لم تكن امرأة قبل الخنساء ولا بعدها أشعر منها ، ومن فضل ليلى الأخيلية لم ينكر أنها أرثى النساء ، وكان بشار بن برد يقول : لم تقل امرأة الشعر ألا ظهر الضعف فيه ، فقيل له : وكذلك الخنساء ؟ فقال : تلك غلبت الفحول !

ولم يكن شأنها عند شعراء الجاهلية أقل منه عند شعراء الأسلام فذلك النابغة الذبياني يقول لها ــ وقد أنشدته بسوق عكاظ قصيدتها التى مطلعها :

قذي بعينك أم بالعين عوار أم أقفرت أذ خلت من أهلها الدار ؟ ؟

لولا أن أبا بصــير (يريد الأعشى) أنشدنى قبلك لقلت انك أشــعر من بالسوق

ولشعر الخنساء رنين فى السمع ، وهزة فى القلب . ووقع فى النفس ، لانه صــادر عن فؤاد محزون ، وما خرج من القلب حــل فى القلب ، وكان فوق ذلك لين اللفظ ، سهل الأسلوب ، حسن الديباجة

وسئل جرير : من أشــعر النــاس ؟ قال : أنا لولا الخنساء ، قيــل : فبم فضلتك ؟ قال : بقولها :

ان الزمان ــ وما يفنى له عجب أبقى لنا ذنبا واستؤصل الراس
أن الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس

عليّ عمرو (١) .

ومن جيد شعرها قولها ترثى أخاها صخرا :

أعيني جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندي
ألا تبكيان الجريء الجميل ألا تبكيان الفتى السيدا
رفيع العماد ، طويل النجا د ساد عشيرته أمردا
اذا القوم مدوا بأيديهم الي المجد مد اليه يدا
فنال الذى فوق أيديهم من المجد ثم انتمى مصعدا
يحمله القوم ماعالهم وان كان أصغرهم مولدا
وان ذكر المجد ألفيته تأزر بالمجد ثم ارتدى

ومن قصيدتها التى تقدم مطلعها :

وأن صخرا لمولانا وسيدنا وأن صخرا اذا نشتو لنحار
وأن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار
حمال ألوية ، هباط أودية شهاد أندية ، للجيش جرار

ومن قولها ترثيه :

ألا ياصخر أن أبكيت عيني فقد أضحكتني زمنا طويلا
دفعت بك الخطوب وأنت حي فمن ذا يدفع الخطب الجليلا؟
اذا قبح البكاء على قتيل رأيت بكاءك الحسن الجميلا

(١) عمرو : هو ابن المنذر بن ماء السماء ، وهند أمه ، وكان قد قتله عمرو ابن كلثوم فى قصة ذكرناها عند ترجمته في المقامة العراقية وفي مقتله يقول : أفنون بن صريم التغلبي مفتخراً بفعل عمرو بن كلثوم من قصيدة له :

لعمرك ماعمرو بن هند وقد دعا لتخدم أمي أمه بموفق
فقام ابن كلثوم الى السيف مصلتا فأمسك من ندمانه بالمخنق

وَقَدْ تَاهَ عَقْلِي وَتَلاَشَتْ صِحَّتِي . وَفَرَغَتْ صُرَّتِي (١) . وَفَرَّ غُلاَمِي . وَكَثُرَتْ أَحلاَمِي . وَجُزْتُ فِي الْوَسْوَاسِ الْمِقْدَارَ . وَصِرْتُ بِمَنزِلَةِ الْعُمَّارِ . وَشَيْطَانِ الدَّارِ . أَظْهَرُ بِاللَّيْلِ وَأَخْفَى بِالنَّهَارِ . أَشْأَمُ مِنْ حَفَّارٍ . وَأَثْقَلُ مِنْ كِرَاءِ الدَّارِ . وَأَرْعَنُ مِنْ طِيطِيءِ الْقَصَّارِ (٢) . وَأَحْمَقُ مِنْ دَاوُدَ الْمَصَّارِ . قَدْ حَالَفَتْنِي الْقِلَّةِ . وَشَمَلَتْنِي الذِّلَّةُ . وَخَرَجْتُ مِنَ الْمِلَّةِ . وَأُبْغِضْتُ فِي اللهِ (٣) . وَكُنْتُ أَبَا الْعَنْبَسِ . فَصِرْتُ أَبَا عَمَلَّسٍ (٤) .

وجلله عمرو على الرأس ضربة   بذي شطب صافي الحديدة رونق

وكان لعمرو أخ يقال له مرة بن كلثوم فقتل المنذر بن النعمان وأخاه ، واياه عنى الاخطل بقوله :

ابني كليب أن عمى اللذا   قتلا الملوك وفككا الاغلالا

(١) الصرة : وعاء الدراهم الذي توضع فيه (٢) العمار : الجن الذين يسكنون البيوت ، وشيطان الدار بيان له والحفار : الذي ينبش القبور ، وكراء الدار ثقيل جداً على من يسكنها بحيث لا يطيقه الا متضرراً متأففا فلعمرك أن من كان أثقل منه لا طاقة لمخلوق على احتماله ، وأرعن : صيغة ، تدل على زيادة الرعونة وهي الحمق ، والقصار الذي صناعته تقصير الثياب ، وطيطيءٌ اسم رجل (٣) أبغضت فى الله : أي كرهني الناس وابغضونى لأجل الله وابتغاء مرضاته وذلك لانه خرج عن الملة (٤) العنبس فى الاصل : الاسد ، والعملس : الذئب قال الشنفري :

ولي دونكم أهلون سيد عملس   وأرقط ذهلول وعرفاء جيأل

قَـدْ ضَلِلْتُ الْمَحَجَّةَ . وَصَارَتْ عَلَيَّ الْحُجَّـةُ [١] . لا أجِدُ لي نَاصِراً .
وَالإفلاسُ عِنْدِي أرَاهُ حَاضِراً [٢] . فَلَمَّا رَأيْتُ الأَمْرَ قَدْ صَعُبَ .
وَالزَّمانَ قَدْ كَلِبَ [٣] . الْتَمَسْتُ الدِّرْهَمَ فإِذَا هُوَ مَعَ النَّسْرَيْنِ [٤] .
وَعِنْدَ مُنْقَطَعِ الْبَحْرَيْنِ [٥] . وَأبْعَدُ مِنَ الْفَرْقَدَيْنِ [٦]

فهو يشير ألى المعنى الاصلي للفظين ويروى بدل عملس (عفلس ، وأبافقمس) وليست بشيء ، والمعـنى أني كنت عظيما مهابا منظورا ألي نظرة الاحـترام فأصبحت محتقرا مرذولا ينظرني الناس بعين المقت والازدراء

(١) المحجة : نهج الطريق ، والسبيل الواضح البين ، والحجة : البرهان ، والدليل ، والمعنى أني لم أتدبر الأمر ولم أنهج أعدل السبل وأقومها وأكثرها هداية وأبينها فقام الدليل بما وصلت حالي أليه على أني أستحق ذلك ولم أجد ألاجزاء ماصنعت يدى (٢) المعنى : أنه لم ينصرني على بلواء الزمان وكيده أحد بل خذلني الناس جميعا ، وكنت أجدني دائما مفلسا معدما

(٣) كلب : يصح أن يـكون من قولهم : كلب ـ كفرح ـ : أذا عضه الـكلب المصاب بداء الـكلب وهو أذا عض أنسانا لم يبرأ منه ألا مع الجهـد والمشقة ويصح أن يكون من الـكلبة بضم أوله وهي الشدة والضيق والقحط ويصح أن يكون من قولهم : كلب الشجر اذا لم يجد ريه نخشن ورقه وعلق به ثوب من يمر به

(٤) النسران : هما الـكوكبان اللذان يسمى أحدهما النسر الطائر والآخر النسر الواقع ، ومن ذا الذي يمكنه الوصول اليهما ليستخلص الدينار أو الدرهم ؟!

(٥) البحرين : المراد بهما المحيط الغربي والمحيط الشرقي ولم يتيسر الوصول أليهما حينذاك (٦) الفرقدان : هما نجمان يقمان بالقرب من القطب الشمالي

نَخَرَجْتُ أسيحُ . كأنِّي المَسِيحُ [١] . فَجُلْتُ خُرَاسَانَ . الخَرَابَ مِنْهَا وَالعُمْرَانَ . إلى كَرْمانَ وَسِجِسْتَانَ وَجِيلانَ إلى طَبرِسْتَانَ وَإلى عُمَانَ إلى السِّنْدِ وَالهِنْدِ وَالنُّوبَةِ وَالقِبْطِ وَاليَمَنِ وَالحِجازِ وَمَكَّةَ وَالطَّائِفِ أجُولُ البَرارِيَّ وَالقِفارِ . وَأصْطَلِي بِالنَّارِ . وَآوِي مَعَ الحِمارِ [٢] . حَتَّى اسْوَدَّتْ وَجْنَتَايَ . وَتَمَلَّصَتْ خُصَيْتَايَ . فَجَمَعْتُ مِنَ النَّوادِرِ وَالأخْبارِ وَالأسْمارِ [٣] . وَالفَوَائِدِ وَالآثارِ . وَأشْعَارِ المُتَطَرِّفِينَ وَسُخْفِ المُلْهِينَ . وَأسْمارِ المُتَيَّمِينَ [٤] . وَأحْكامِ المُتَفَلْسِفِينَ . وَحِيَلِ المُشَعْوِذِينَ . وَنَوامِيسِ المُتَمَخْرِقِينَ [٥] . وَنَوادِرِ المُنادِمِينَ . وَرَزْقِ المُنَجِّمِينَ [٦] . وَلُطْفِ المُتَطَبِّبِينَ . وَكِيادِ

ويهتدى بهما وأحدهما أكثر وضوحا من الثاني

(١) المسيح : هو عيسى بن مريم رسول الله عليه السلام

(٢) أوي المنزل وأوى اليه أويا — بضم فكسر فياء مشددة — وربما كسر أوله أيضاً : سكنه ونزل فيه ، والمراد أنه بلغ من الاعواز مبلغاً لم يكن يجد لنفسه مأوى ينزله ولا مبيتاً يستريح اليه غير مكان الحمار (٣) الاسمار : أحاديث الليل التي يجتمع عليها الناس ويروونها (٤) المتيمون : هم العشاق ، وأرباب الغرام ، وأهل الهوى (٥) مخرق — بوزن دحرج — : كذب ، وموه . وقال الباطل ، وافترى ، وأراد بنواميسهم طرقهم التي يتخذونها لخداع الناس وغرورهم ، وحيلهم التي يستعملونها لادخال الغفلة على المنصتين اليهم ، وأساليبهم في تخدير الافكار وتسميم العقول

(٦) المنجمون : هم الجماعة التي تدعى معرفة أحكام النجوم وتأثيرها في

المُخَنَّثِينَ (١) .

عالم العناصر ، ورزقهم : التكهين والاخبار بالغيب وذكر المجهولات وغيرها من الوسائل التي يحتالون بها على الناس لاستدرار الأكف واستنباط الاموال وابتزازها

(١) المخنثون : جماعة من الرجال يتشبهون بالنساء ، ومن حوادثهم ماذكره صاحب الاغاني قال : خرج يحيى بن الحكم ـ وهو أمير على المدينة ـ فبصر بشخص بالسبخة مما يلي مسجد الاحزاب فلما نظر الى يحيى بن الحكم جلس ، فاستراب به ، فوجه أعوانه في طلبه ، فأتوا به كانه امرأة في ثياب مصبغة مصقولة وهو ممتشط مختضب ، فقال له أعوانه : هذا ابن نغاش المخنث فقال له : ما أحسبك تقرأ من كتاب الله عز وجل شيئا ! أتقرأ أم القرآن ؟ فقال : يا أبانا ، لو عرفت أمهن عرفت البنات ، فقال له : أتهزأ بالقرآن لا أم لك ؟ وأمر به فضربت عنقه ، وصاح في المخنثين من جاء بواحد منهم فله ثلثمائة درهم . قال زرجون المخنث : فخرجت بعد ذلك أريد العالية فاذا بصوت دف أعجبني فدنوت من الباب حتى فهمت نغمات قوم آنس بهم (؟!) ففتحته ودخلت فاذا بطويس (أحد مخنثي المدينة) قائم في يده الدف يتغنى فلما رآني قال لي : ايه يا زرجون ، قتل يحيى بن الحكم بن نغاش ؟ قلت : نعم . قال : وجعل في المخنثين ثلثمائة درهم ؟ قلت : نعم ، فاندفع يغني :

ما بال أهلك يارباب   خزرا كأنهم غضاب

ان زرت أهلك أوعدوا   وتهر دونهم الكلاب

ثم قال لي : ويحك ! أفما جعل في زيادة ولا فضلني عليهم في الجعل بفضلي ؟ !

ومن أشهر المخنثين أبو عبد النعيم عيسى بن عبد الله مولى بني مخزوم الشهير بطويس وكان مخنثا ماجنا ظريفا يسكن المدينة وهو أول من غنى بها

على الدف بالعربية وله أخبار تدل على مكره وفطنته . قيل : كان عبد الله بن جعفر ومعه أخـدان له في عشية من عشايا الربيع فراحت عليهم السماء بمطر جودي أسال كل شيء ، فقال عبد الله : هو لـكم في العقيق ؟ ـ وهو متنزه أهل المدينة في الربيع والمطر — فركبوا ، ثم أتوا العقيق فوقفوا على شاطئه وهو يرمي بالزبد فانهم لينظرون اذ جادت السماء فقال عبـد الله لاصحابه : ليس معنا جنة نستجن بها ، وهذه سماء خليقة أن تبـل ثيابنا فهل لـكم في منزل طويس فانه قريب منا فنسكن فيه ويحدثنا ويضحكنا — وطويس في النظارة يسمع كلام عبد الله بن جعفر مع أصحابه ، ولم يروه — فقال عبد الرحمن بن حسان : جعلت فداك ، وما تريد من منزل طويس عليه غضب الله هو مخنث شائن لمن عرفه ، فقال عبد الله : لا تقل ذلك فانه خفيف لنا فيه أنس ، فلما استوفى طويس الـكلام تعجل الي منزله فقال لامرأته : ويحك ، قد جاءك سيد الناس عبد الله بن جعفر فما عندك ؟ قالت : تذبح هذه العناق وكانت قد ربتها للبن ، وأختبز رقاقا ، فبادر بذبحها ، وعجنت هي . وخرج وتلقاه مقبلا اليه ، فقال له طويس : بأبي أنت وأمي ، هذا المطر هل لك في المنزل فتسكن به الى أن تكف السماء ؟ قال : أياك أريد ، قال : فامض ياسيدي على بركة الله ، وجاء يمشي بين يديه حتي نزلوا فتحدثوا الى أن أدرك الطعام فاستأذن عليه وأتى بعناق سمينة ورقاق فأكل وأكل معه القوم وأعجبه طعامه ثم قال طويس : يا بأبي أنت وأمي أما أغنيـك ؟ قال : بلى ، فأخـذ الدف وانطلق يغني :

يا خليلي يا بني سهدي لم تنم عيني ولم تكد
كيف تلحوني على رجل أنس ، تلتذه كبدي

فطرب القوم ، وقالوا : والله أحسنت ، فقال : يا سـيدي . أتدرى لمن هذا الشعر ؟ قال : لا ، قال : هذالفارعة بنت حسان وهي تعشق عبد الرحمن

وَدَخْمَسَةِ الْجَرَابِزَةِ (٢) وَشَيْطَنَةِ الْأَبَالِسَةِ ماقَصَّرَ عَنْهُ فُتَيَّـاً الشَّعْبِيِّ.
وَحِفْظُ الضَّبِّيِّ (٣)

ابن الحرث المخزومي وتقول فيه ، فسكت القوم ، وضرب عبد الرحمن برأسه فلو ثقبت له الارض لذهب فيها ، وعلم عبد الله أنه اقتص من عبد الرحمن

(٢) الدخمسة مأخوذة من قولهم : دخمسة اذا خدعه ، والجرابذة : جمع جربذ وهو الخبيث المخاتل الخداع (٣) الضبي : هو أبو عبد الرحمن المفضل بن محمد الضبي الثقة ، أحد أكابر الكوفيين ، وعنه أخذ أبو زيد الأنصاري لثقته وحفظه وروايته ، وللمهدي جمع الأشعار المختارة المسماة (بالمفضليات) وهي تزيد وتنقص بحسب الرواة الذين نقلوا عنه وأصح رواياتها رواية أبي عبد الله بن الأعرابي عنه ، وله من الكتب سواها كتاب الأمثال وكتاب معاني الشعر وكتاب العروض ، قال خلف الأحمر : أخذت على المفضل الضبي وقد أنشد لامريء القيس :

نمس بأطراف الجيـاد أكفنا   اذا نحن قمنا عن شواء مهضب

فقلت : انما هو نمش لأن المش مسح اليد بالشيء الخشن ومنه سمي منديل الغمر مشوشا ، ويروى أن سـليمان بن علي الهاشمي بالبصرة جمع بين المفضل الضبي والاصمعي فأنشد المفضل قول أوس بن حجر :

وذات هـدم عار نواشرها   تصمت بالمـاء تولبا جـدعا

وروى جذعا بفتح الذال فنظر الأصمعي اليه — وكان أحدث سنا منه — فقال : انما هو تولبا جدعا ، وأراد تقريره على الخطأ فـلم ينظر المفضل اليـه فقال : كذلك أنشدته ، فقال الاصمعي : أخطأت انما هو تولبا جدعا (بكسر الدال) فقال المفضل : جذعا ، جذعا ، ورفع صوته ، فقال سليمان بن علي : من تحبان أن يحكم بينكما ؟ فاتفقا على غلام من بني أسد حافظ للشعر ، فأحضره

وَعِلْمُ الْكَلْبِيّ (١) .

فعرضا عليه ما اختلفا فيه ، فقال بقول الاصمعي وصوب رأيه ، فقال المفضل : وما الجـذع ؟ قال : السيء الغذاء ، وهكذا هو في كلامهم ، ومنه قولهم : أجذعته أمه اذا أساءت غذاءه

وقد أخذ كتابه المفضليات عن ألسنة النقلة والرواة ، فأما أبو تمـام فقد أخذ حماسته عن كتب مدونة

وتوفي المفضل سنة ١٦٨ هـ

(١) الـكلبي : هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر الـكلبي، نشأ بالـكوفة وكان نسابة عالما بأخبار العرب وأيامها ومثالبها ووقائعها ، أخذ عن أبيه محمد بن السائب ، وكان محمد هذا من علماء الـكوفة بالتفسير والاخبار وأيام الناس معدودا بين المفسرين والنسابين توفي بالـكوفة سنة ١٤٦ هـ ولم يخلف الا كتابا في تفسير القرآن ، أما هشـام ابنه فخلف نحو مائة كتاب بعضها في الاحـلاف والبعض الآخر في المآثر والبيوتات ، والمنافرات ، والموءودات ، وبعضها في أخبار الاوائل ، وبعضها فيما قارب الاسـلام من أمر الجاهلية ، وغيرها في أخبار الاسلام ، وأخبار البلدان وأخبار الشعر وأيام العرب والاسمار والانساب ، وأهم ما كتبه في الانساب كتاب النسب الـكبير ويحتوي على أنساب أهم قبائل العرب من العـدنانية والقحطانية فضـلا عن الانساب المفردة لاشهر القبائل على حدة ، وله كتاب في نسب فحول الخيل في الجاهلية والاسلام ، وكتاب تنكيس الاصنام

وروي عن هشام ابنه العباس وغيره ، وكان من أحفظ الناس ، قال محمد ابن السري : قال لي هشام الـكلبي : حفظت ما لم يحفظه أحد ، ونسيت ما لم ينسه أحد ، كان لي عم يعاقبني على حفظ القرآن فدخلت بيتا وحلفت لا أخرج

فَاسْتَرْفَدْتُ وَاجْتَدَيْتُ . وَتَوَسَّلْتُ وَتَكَدَّيْتُ (١) . وَمَدَحْتُ وَهَاجَيْتُ . حَتَّى كَسَبْتُ ثَرْوَةً مِنَ الْمَالِ وَاتَّخَذْتُ مِنَ الصَّفَائِحِ الْهِنْدِيَّةِ (٢) . وَالْقُضُبِ الْيَمَانِيَةِ (٣) . وَالدُّرُوعِ السَّابِرِيَّةِ (٤) .

حتى أحفظ القرآن فحفظته في ثلاثة أيام (؟)

وتوفى هشام سنة ٢٠٤ في خلافة المأمون العباسي وقيل سنة ٢٠٦ في خلافته أيضا

(١) استرفد : طلب الرفد ، وهو العطاء ، واجتدى الناس ومثله جداهم : طلب جدواهم ، وهي العطاء أيضا ، وتكدى قريب من ذلك ، ويروي بدل. تكديت تحريت ومعناه طلبت ماهو بى أحري وأولى

(٢) الصفائح : جمع صفيحة وهى السيف ، والهندية : المنسوبة ألى الهند ، وكانت قديما مشهورة بصنع السيف قال عنترة :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل   مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها   لمعت كبارق ثغرك المتبسم

(٣) القضب : جمع قضيب وهو السيف القاطع ، واليمانية : المنسوبة ألى اليمن وقال عنترة أيضا :

وما لبيته ألا وسيفى   ورمحى في الوعى فرسا رهان
وكان أجابتي أياه أنى   عطفت عليه موار العنان
بأسمر من رماح الخط لدن   وأبيض صارم ذكر يمان

(٤) السابرية : درع دقيق النسج فى أحكام ولعل أصل نسبتها ألي سابور أحد مدائن الفرس أو ملك من ملوكها وأليها تنسب الثياب السابرية وهى ثياب بيض رقاق قال عنترة

وَالدرَقِ التبتّيةِ (١) . وَالرِّماحِ الخَطِّيَّةِ (٢) . وَالجُرابِ البربَرِيَّةِ .
وَالخيلِ العِتاقِ الجُرْدِيَّةِ (٣) . وَالبِغالِ الأَرْمَنيّةِ (٤) .

وبطن كطي السابرية لين   أقب لطيف ضامر الكشح أنعج

(١) الدرق : جمع درقة وهي ترس من جلد ليس فيه خشب ولا عقب ، والتبتيه : نسبة ألى بلاد تبت (بوزن سكر) قال فى القاموس : هي بلاد بالمشرق أهي وهى البلاد التي في شرقي كشمير وشمال الهند ونيبال وجنوب تركستان واهلها يجيدون لصناعة الدرق (٢) الرماح ، ومثله الأرماح : جمع رمح والخطية المنسوبة ألي الخط وهو مرفأ سفن بالبحرين لانها تباع فيه أو تصنع ، وقد ذكرنا في شعر عنترة السابق شاهدا لذلك وقال أيضا :

وأني أعشق السمر العوالى   وغيري يعشق البيض الرقاقا
وكاسات الأسنة لي شراب   ألذ به اصطباحا واغتباقا
وأطراف القنا الخطى نقلى   وريحانى أذا المضمار ضاقا

(٣) العتاق : جمع عتيق وهو النجيب من الخيل ، قال الشاعر :

جزي الله الجواد اليوم عنى   بما يجزى به الخيل العتاقا

والجردية : نسبة ألى الارض الجردة المستوية المنجردة وخيلها أصلب الخيول وأجودها .

(٤) الأرمينية : نسبة ألي أرمينية وهى ـ بهمزة مكسورة فراء ساكنة وفى الآخر ياء مفتوحة أو مشددة ـ كورة بالروم أو أربعة أقاليم أو أربعة كور متصل بعضها ببعض يقال لكل كورة منها أرمينية والنسبة اليها أرمني بالفتح .

وَالْخَزِّ الْمَرِيسِيَّةِ (١). وَالدَّيَابِيجِ الرُّومِيَّةِ (٢). وَالْخُزُوزِ السُّوسِيَّةِ (٣). وَأَنْوَاعِ الطُّرَفِ وَاللُّطَفِ (٤). وَالْهَدَايَا وَالتُّحَفِ. مَعَ حُسْنِ الْحَالِ. وَكَثْرَةِ الْمَالِ. فَلَمَّا قَدِمْتُ بَغْدَادَ وَجَدَ الْقَوْمُ خَبَرِي. وَمَا رُزِقْتُهُ فِي سَفَرِي. سُرُّوا بِمَقْدَمِي. وَصَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ إِلَيَّ (٥) يَشْكُونَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْوَحْشَةِ لِفَقْدِي. وَمَا نَالَهُمْ لِبُعْدِي. وَشَكَوْا شِدَّةَ الشَّوْقِ. وَرَزْءَ التَّوْقِ (٦).

---

(١) المريسية : نسبة ألي مريسة وهى ــ بوزن سكينة ــ بلدة منها بشر بن غياث المريسي أحد رؤساء المعتزلة وله فى دعوى خلق القرآن مناظرات طويلة حضرها المأمون الخليفة العباسي وكان على رأيه

(٢) الديابيج : جمع ديباجة وهو ثوب سداه ولحمته من حرير

(٣) الخزوز : جمع خز وهو الثوب المنسوج من صوف وحرير والسوسيه : نسبة ألى سوس وهى كورة من كور الأهواز

(٤) الطرف : جمع طرفة ــ بوزن غرفة وغرف ــ وهي البديع المستملح والغريب المستحسن ، ومثلها اللطف

(٥) المعنى : أنى عدت لبغداد وقد عادت ألى الثروة ، وصحبتنى الميسرة فجمعت أنواع الأموال وضروبها وحصلت على صنوف الاحاديث وأفانينها من كل ما يزيد الرغبة فى ويحبب لهم القرب منى فلما علموا بذلك نهضوا ألى باشين مسرورين وجاءونى فرحين مستبشرين

(٦) التوق : شدة الحب مع شدة الشوق ، ورزؤه : الألم الذي يجده

وَجَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَعْتَذِرُ مِمَّا فَعَلَ وَيُظْهِرُ النَّدَمَ على ما صنع. فأوهمتهم أَنِّي قد صَفَحْتُ عنهم وَلَمْ أُظْهِرْ لَهُمْ أَثَرَ الْمَوْجِدَةِ عَلَيْهِمْ (١) بِمَا تَقَدَّمَ فَطابَتْ نُفُوسُهُمْ. وَسَكَنَتْ جَوَارِحُهُمْ وَانْصَرَفُوا على ذلِكَ وَعادُوا إِلَيَّ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي فَحَبَسْتُهُمْ عِنْدِي (٢) وَوَجَّهْتُ وَكِيلِي إلى السُّوقِ فَلَمْ يَدَعْ شَيْئًا تَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ بِشِرَائِهِ إِلاَّ أَتَى بِهِ وكانَتْ لَنَا طَبَّاخَةٌ حَاذِقَةٌ فَاتَّخَذْتُ عِشْرِينَ لَوْنًا مِنْ قَلاَيا مُخَرقاتٍ. وَأَلْوَانًا مِنْ طَبَاهِجَاتٍ. وَنَوَادِرَ مُعَدَّاتٍ (٣). وَأَكَلْنَا وَانْتَقَلْنَا إلى مَجْلِسِ

المحب عند فراق حبيبه ، وربما كان الشوق هو الجود بالنفس ورزؤه شدته وبليته وكأنهم ماتوا ثم بعثوا بمقدمه ونشروا بعودته لأنه كان حياتهم ، أو هو خروج الدموع من الشجون، ومعناه : أنهم جاؤوه يشكون له صعوبة الفراق وآلامه ، ويبثونه شدة الوجد اليه ، وما ذرفوه من الدموع بعده

(١) الموجدة : الحقد ، والضغينة ، وألم النفس ، والمعنى : أنى أظهرت لهم ارتياحي لملاقاتهم وبششت فى وجوههم وأبديت الانس بهم ، وأبنت لهم أنى لا أحمل فى نفسى ألما ، ولا أجد فى صدرى حرجا مما فعلوا معي قديما

(٢) حبستهم : منعتهم من الانطلاق الى منازلهم وطلبت منهم البقاء لدي لينالوا من الطعام والشراب وأنواع الملذات مايليق بقديم ألفتهم وسابق ودادهم

(٣) الطباهجات جمع طباهجه وهى نوع من اللحم يقلى وقد تقدم في أول المقامة ذلك وقد قال الشاعر :

فنضحى سكارى والمدام مصفف يدار علينا والطعام المطبهج

ونوادر : أصناف نادرة أي قليلة الوجود ومعدات ــ بزنة اسم المفعول ــ :

الشَّرَابِ فأُحضِرَتْ لَهُمْ زَهرَاءُ خَنْدَرِيسِيَّةٌ (١) وَمُغَنِّيَاتٌ حِسَانٌ مُحْسِنَاتٌ . فأَخَذُوا فى شأْنِهِمْ وَشَرِبنَا . فَمَضَى لَنا أحسَنُ يَوْمٍ يَكُونُ وَقَدْ كُنْتُ اسْتَعْدَدْتُ لَهُمْ بِعَدَدِهِمْ خَمْسَةَ عَشَرَ صِنًّا مِنْ صِنَانِ البَاذِنْجانِ . كُلُّ صِنٍّ بأَرْبَعَةِ آذَانٍ (٢) . وَاسْتأْجَرَ غُلاَمِي لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حَمَّالاً كلُّ حَمَّالٍ بِدِرْهَمين وَعَرَّفَ الحَمَّالِينَ مَنازِلَ القَوْمِ وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ بِالمُوَافاةِ بِعِشاءِ الآخِرَةِ . وَتَقَدَّمْتُ إلى غلاَمِي وَكانَ داهِيَةً أنْ يَدْفَعَ

مهيئات ، ويروى مستبعدات ومعناه عزيزة الوجود فيكون كالتأكيد لقوله نوادر (١) زهراء : مشرقة متلالئة ، والخندريس — من أسماء الخمر — القديمة قال :

تطوف عليهم خندريس مدامة ترى حببا من فوقها حين تمزج

وانما أتى بها على صيغة النسبة لان الشيء اذ نسب لنفسه كان أبلغ في الدلالة على معناه وأوضح في افادة الشهرة

(٢) الصن — بالكسر — : شبه السلة المطبقة يجعل فيها الخبز ونحوه ، وخصه بأن يكون من أصناف الباذنجان لكبره ولذلك تراه قال بأربعة آذان ، والآذان ما يحمل منه تشبه العرى في أطرافه

والمعنى أني حين وردوا علي أكرمت مثواهم وطامنت خاطرهم فأحضرت لهم أطايب المأكول ولذيذ المشروب ، وأردت أن أنتقم منهم وأثأر لنفسي فكلفت خادمي بشراء خمسة عشر صنا واستئجار الحمالين وتعريفهم منازل القوم كما سيذكره من بعد

إلى القَوْمِ بِالمَنِّ وَالرَّطْلِ (١) وَيَصْرِفَ لَهُمْ وَأَنا أُبَخِّرُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ النَّدَّ وَالعُودَ وَالعَنْبَرَ . فَما مَضَتْ سـاعَةٌ إلاَّ وَهُمْ مِنَ السُّـكْرِ أَمْوَاتٌ لا يَعْقِلُونَ (٢) . وَوَافانا غِلمانُهُمْ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ كلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِدابَّةٍ أَوْ حِمارٍ أَوْ بَغْلَةٍ . فَعَرَّفْتُهُمْ أَنَّهُمْ عِنْدِي اللَّيْلَةَ بائِتُونَ فَانْصَرَفُوا وَوَجَّهْتُ إلي بِلالِ المُزَيِّنِ فَأَحْضَرْتُهُ وَقَدَّمْتُ إِلَيْـهِ طعـاماً فَأَكَلَ وَسَقَيْتُهُ مِنَ الشَّرابِ القُطْرُبُّلِيِّ (٣) فَشَرِبَ حَتَّي ثَمِلَ (٤) . وَجَعَلْتُ فى فِيهِ دِينارَيْنِ أَحْمَرَيْنِ (٥) وَقُلْتُ : شأْنَكَ وَالقَوْمَ . تَحْلِقَ في سـاعَةٍ

---

(١) الداهية : الاريب الفطن والمجرب الخبير ، والرطل معروف ، والمن مكيال يسع قريبا من رطلين ، أو هوميزان وقال الشاعر :

* عصا في رأسها منوا حديد * والمراد حينئذمقداره كيلا ، وجمعه أمنان

(٢) الند : نوع من أنواع الطيب ، والتبخير به : أذاعة رائحته ، أوهو العنبر وعطفه عليـه لتفخيم الامر وتعظيمه ، والعود والعنـبر : معروفان والمعني : أنى أمرت الخـادم أن يسقيهم الخمر بمقدار كبـير حتى تعمل في رؤوسهم عملا عظيما فلا يستطيعون أن يعرفوا ما نصنع بهم بعد ولا يمكنهم أن يدفعوا عن أنفسهم

(٣) القطربلى : نسـبة الي قطربل وهى قرية بالعراق شهيرة بصناعة الخمر وأجادتها قال :

قطربل مربعى ولي بقرى الـ كرخ مصيف وأمى العنب

(٤) ثمل : سكر ، وترنح ، وتمايل (٥) جعلت في فيه : أعطيته ليسكت على ما يري ويستر ما ينظر ويفعل ما آمره دون امتناع كرشوة مثلا

وَاحِـدَةٍ خَمسَ عَشْرَةَ لِحْيَةً فَصَـارَ الْقَوْمُ جُرْداً مُرْداً كأَهْلِ الْجَنَّةِ . وَجَعَلْتُ لِحْيَةَ كُلِّ وَاحِـدٍ مِنْهُمْ مَصْرُورَةً فى ثَوْبِهِ وَمَعَهَا رُقْعَـةٌ مَكْتُوبٌ فِيهَا : «مَنْ أَضْمَرَ بِصَدِيقِهِ الْغَدْرَ وَتَرْكَ الْوَفاءِ كانَ هذا شُكْرَانَهُ وَالْجزاء» . وَجَعَلْتُهَا فى جَيْبِهِ وشَدَدْناهُمْ . فِي الصَّنَانِ وَوافى الْحَمَّالُونَ عِشاءَ الآخِرَةِ . فَحَمَلوهُمْ بِكَرَّةٍ خَاسِرَةٍ [١] . فَحَصَلُوا فى مَنَازِلِهِمْ [٢] . فَلَمَّا أَصْبَحُوا رأَوْا فى نُفُوسِهِمْ هَمًّا عَظِيماً . لا يَخْرُجُ مِنْهُمْ تاجِرٌ إلي دُكانِهِ وَلا كاتِبٌ إلى دِيوَانِهِ . وَلا يَظْهَرُ لإِخْوانِهِ [٣] . فَكَانَ كُلَّ يَوْمٍ يأْتى خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ خَوَلِهِمْ [٤] . مِنْ نِساءٍ وَغِلْمانٍ وَرِجَالٍ يَشْتِمُونَنِي وَيُزَنُّونَنِي . وَيَسْتَحْكِمُونَ اللهَ عَلَيَّ [٥] وَأَنا ساكِتٌ لا أَرُدُّ عَلَيهِم جَوَاباً وَلا أَعْبأُ بِمَقالِهِمْ . وَشاعَ الْخَبَرُ بِمَدِينَةِ السَّلاَمِ بِفِعْلى مَعَهُمْ وَلَمْ يَزَلِ الأَمْرُ يَزْدادُ حَتَّي بَلَغَ الْوَزِيرَ الْقاسِمَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ [٦] .

---

(١) الكرة : الرجعة ، والعودة ، والاوبة ، والخاسرة التي شملت الخزى والعار واصطحبت بالفضيحة والخجل ، وفى التنزيل (تلك أذن كرة خاسرة)

(٢) حصلوا : صاروا ، ووجدوا (٣) رأواهما عظيما : أي اشتملت نفوسهم على الهم وعمها الالم لما وجدوه من سوء حالهم وتغيير هندامهم فقبعوا فى بيوتهم ، ولزموا منازلهم ، ولم يجسروا على مزاولة عملهم لئلا يكونوا عرضة لسخرية الناس واستهزائهم (٤) خولهم : عبيدهم وحاشيتهم (٥) يطلبون من الله حكمه وتنفيذ عقوبته في (٦) قال الاستاذ الامام : القاسم بن عبيد الله هو والدأبي جعفر محمد بن القاسم الذي استوزره الخليفة العباسي القاهر

بعد عزل أبي علي بن مقلة واستوزر أبوه عبيد الله للخليفة المعتضد كما استوزر هو له أيضا سنة ٢٧١ هـ ولعله كان استوزر للموفق قبل هذا التاريخ حتى يمكن لابي العنبس أن يحكى عنه في وزارته قبل موته فقد مات أبو العنبس سنة ٢٧٥ هـ ثم قال : ويمكن أن يكون المصنف وهم في رواية القصة عن أبي العنبس ونقول لم يستوزر القاسم للموفق وأنما استوزر للمعتضد والمكتفي واستوزر أبوه عبيد الله للمعتضد واستوزر جده سليمان بن وهب للمهتدى ، والقاسم أبناه الحسين بن القاسم وأبو جعفر محمد بن القاسم ، واستوزر الحسين بن القاسم للمقتدر ولذلك كان يقال للحسين هو أعرف الناس بالوزارة لتوارثه لها عن آبائه وفى الحسين يقول الشاعر :

يا وزير بن وزير بـــن وزير بن وزير
نسقا كالدر أذ نظـ م فى عقد النحور

وكان القاسم بن عبيد الله من دهاة العالم ومن أفاضل الوزراء ، وكان شهما ، فاضلا ، لبيبا ، محصلا ، كريما ، مهيبا ، جبارا ، وكان يطعن في دينه ، وهو الذي قتل ابن الرومى بالسم (كما أسلفنا فى ترجمتــه بالمقامة العراقية) وكان ابن الرومي منقطعا اليهم يمدحهم ، وكانوا يقصرون فى حقــه في بعض الأحايين ، فهجاهم — وكان هجاء لم يسلم من لسانه أحد — . وفى بني وهب يقول ابن المعتز :

لآل سليمان بن وهب صنائع ... لدي ومعروف الى تقدما
هم ذللوا الى الدهر بعد شماسه ... وهم غسلوا من ثوب والدى لدما

وفي هجائهم يقول بعض الشعراء :

اذا رأيت بني وهب بمنزلة ... لم تدر أيهم الانثي من الذكر
قميص أنثاهم ينقد من قبل ... وقمص ذكرانهم اينقد من دبر

ولما مات المعتضد كان المكتفى بالرقة فقام القاسم بأخذ البيعة المكتفي

وَذلِكَ أنَّهُ طَلَبَ كاتِباً لهُ فافْتَقَدَهُ (١) . فَقِيلَ : إنَّهُ فى مَنزِلهِ لا يَقدِرُ علي الْخُرُوجِ . قالَ : وَلِمَ ؟ . قِيلَ : مِنْ أجْلِ ما صَنَعَ أبُو الْعَنْبَسِ لِأنَّهُ كانَ امْتُحِنَ بِعِشْرَتِهِ وَمُنادَمَتِهِ . فَضَحِكَ حَتّى كادَ يَبُولُ فى سَراوِيلِهِ أوْ بالَ . وَاللهُ أعْلَمُ . ثُمَّ قالَ : وَاللهِ لَقَدْ أصابَ وَما أخْطأَ فِيما فَعَلَ . ذَرُوهُ فإنَّهُ مِنْ أعْلَمِ النَّاسِ بِهِمْ . ثُمَّ وَجَّهَ إلَيَّ خِلْعَةً سَنِيَّةً (٢) . وَقادَ فَرَساً بِمَرْكَبٍ وَحَمَلَ إلَيَّ خَمْسِينَ ألفَ دِرْهَمٍ لاستِحْسانِهِ فِعْلِي . وَمَكَثْتُ فى مَنزِلى شَهْرَيْنِ أُنفِقُ وَآكُلُ وَأشْرَبُ . ثُمَّ ظَهَرْتُ بَعْدَ الاستِتارِ فَصالَحَنى بَعْضُهُمْ لِعِلْمِهِ بِما صَنَعَ الْوَزِيرُ . وَحَلَفَ بَعْضُهُمْ بِالطَّلاقِ الثَّلاثِ وَبِعِتْقِ غِلْمانِهِ وَجَوارِيهِ أنَّهُ لا يُكَلِّمُنى

القيام المرضى وجهد فى ذلك ، ووجه اليه اليه بالبردة والقضيب فجاء المكتفى الى بغداد وأقره على الوزارة ، ولقبه ألقابا عدة ، وفى أيام المكتفي جل أمر القاسم ، وارتفع ذكره ، وعظم شأنه ، ونبه أمره ، وعلاجده ، فلما أدركته الوفاة أشار على المكتفى بالعباس بن الحسن فاستوزره . وقال الصولي : من أغرب ماشاهدت من تقلب الدنيا وتصاريف الأمور أنني رأيت العباس بن الحسن في أول الأربعاء — قبل أن يموت الوزير القاسم بن عبيد الله — حضر ألى داره وقبل يد ولده ثم فى آخر اليوم نفسه مات القاسم وخلع المكتفى على العباس بن الحسن واستوزره فجاء ولد الوزير القاسم بن عبيدالله فقبل يده (١) افتقده : لم يجده

(٢) خلعة سنية : رفيعة القدر غالية القيمة ، والمعنى : أنه حينما علم بما

مِنْ رَأْسِهِ أَبَداً (١) . فَلاَ وَاللهِ ٱلْعَظِيمِ شَأْنُهُ . ٱلْعَلِيِّ بُرْهَانُهُ . ما اكْتَرَثْتُ بِذٰلِكَ وَلا بِالَيْتُ وَلا حَكَّ أَصْلَ أُذُنِي . وَلا أَوجَعَ بَطْنِي . وَلا ضَرَّنِي بَلْ سَرَّنِي . وَإِنَّمَا كانَتْ حاجَةٌ في نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاها (٢) . وَإِنَّما ذَكَرْتُ هٰذا وَنَبَّهْتُ عَلَيْهِ لِيُؤْخَذَ ٱلْحَذَرُ مِنْ أَبْنَاءِ الزَّمَنِ وَيُتْرَكَ ٱلثِّقَةُ بِالإِخْوَانِ ٱلأَنْذَالِ ٱلسِّفَلِ ، وَبِفُلاَنٍ الوَرَّاقِ النَّمَّامِ ٱلزَّرَّافِ ٱلَّذِي يُنْكِرُ حَقَّ الأُدَباءِ وَيَسْتَخِفُّ بِهِمْ . وَيَسْتَعِيرُ كُتُبَهُمْ لا يَرُدُّها عَلَيْهِمْ . وَٱللهُ ٱلْمُسْتَعانُ . وَعَلَيْهِ ٱلتُّكْلاَنُ ،

ٱلمقامَةُ ٱلدِّينَارِيَّةُ

حَدَّثَنا عيسَى بْنُ هِشامٍ قالَ : ٱتَّفَقَ لِي نَذْرٌ نَذَرْتُهُ في دِينَارٍ

فعات معهم وأخبروه بما حملني عليه عـذري وزادعلى ذلك أنه خلع على وكافأنى

(١) لا يكلمني من رأسه : لا يوجه الخطاب الى بنفسه طول الابد

(٢) المعنى : أنى لم أتأثر ولم تبد على علائم التألم ولا عرضت لى خيالات الحزن على ما فقدت من عشرتهم ، وعـدمت من ألافهم ومودتهم ، بل كان بعكس ذلك فقد سرني انقطاع صلتهم ، وجذلت بانتهاء صحبتهم ، وكـذلك صحبة أمثال هؤلاء سريعة الانقطاع وشيكة الضياع ثم لا جبر لها ولا اصلاح كالزجاجة كسرها قريب وتلافيها سريع فأما جبرها فبعيد وأما اصلاحها فقريب من المستحيل

ان القلوب اذا تنافر ودها　　مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

تَصَدَّقُ بِهِ على أَشحَذِ رَجُلٍ بِبَغْدادَ . وَسأَلْتُ عَنْهُ فَدُلِلْتُ على أبي الفتحِ الإسكندريِّ . فَمَضَيْتُ إليه . لأتَصَدَّقَ بهِ عليهِ . فوجدْتُهُ في رُفقةٍ . قَدِ اجتَمَعَتْ عليْهِ في حلقةٍ . فقلْتُ : يا بَني ساسانَ أيُّكُم أعرَفُ بِسِلعَتِهِ (١) . وَأشحَذُ في صَنْعَتِهِ . فأُعطِيَهُ هذا الدِّينارَ؟ فقالَ

---

(١) بنو ساسان : الشحاذون ، وأهل الاستجداء والمسألة ، ويزعمون أن ساسان كان رجلا فقيرا حاذقا فى الاستعطاء قال الفنجديهي : ساسان هو أستاذ المكدين ومقدمهم وواضع طرائقهم ومعلمهم ، وقال أبو الفتح اسماعيل بن الفضل بن الاخشيد السراج المكدى فى كتابه : حدثنا أبو بكر البطايرني المكدى حدثنا محمد بن علي بن احمد الفقيه المكدي حدثنا مليك ابن صالح المكدى قال سمعت طرارة المكدي قال قال ساسان : ألا أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ؟ قلت : بلي ، قال : هي الكدية اه فأنت تراهم يؤيدون مزاعمهم بروايات وأسانيد حتى ليخيل اليك صدق ما ذهبوا اليه وزعموه ، ولكن الذي يتراءى لنا هو أن هذا اللقب أعطى للمكدين والشحاذين بعد سقوط دوله الساسانية بالفرس على أيدي المسلمين وتمزيقهم وتشتيت شملهم هزءاً بهم وسخرية عليهم لأن المغلوب محتقر مهان ذليل فى نظر الغالب دائما ، وقال بعض الرواة ما نصه : ومن بقايا آل ساسان من الفرس نشأت هذه الطائفة الخسيسة أهل الكدية فكانوا يطوفون على البلدان ويقولون نحن من بنى ساسان فينتسبون الى ملوكهم ثم يتذللون فى السؤال ويذكرون تلاعب الدهر بهم وانقلاب حال المملكة الي السؤال فيقع الاشفاق عليهم والميل بالرزق لهم حتى شعر الناس بمكرهم وخديعتهم فطردوا وصار الناس اذا رأوا سائلا متمسكنا قالوا : ساسانى . . . والسلعة : مايتجر به من المتاع.

الإِسْكَنْدَرِيُّ : أَنا (١) . قالَ اخَرُ مِنَ الجَماعَةِ : لا بَلْ أَنا . ثُمَّ تَناقَشْنا وَتَهارَشا (٢) حَتَّى قُلْتُ : لِيَشْتِمْ كُلٌّ مِنْكُما صاحِبَهُ . فَمَنْ غَلَبَ سَلَبَ . وَمَنْ عَزَّ . بَزَّ (٣) . فقالَ الإِسْكَنْدَرِيُّ : يا بَرْدَ العَجُوزِ (٤) .

وليس للشحاذ متاع يتجر فيه ويستفيد من ربحه اللهم الا تزوير الكلام ،وتزييف الالفاظ الخلابة فى استدرار الاكف واسترحام القلوب ونحو هذا وتلك هي سلعتهم التي يسألهم عن أعرفهم فيها وأطولهم باعا

(١) المعني : انهما اختلفا في الاعرف منهما وادعي كل واحد أنه أقدر من صاحبه وأفضل فى هذه الصناعة

(٢) تناقشا وتهارشا : تخاصما وتواثبا ، وقام كل واحد منهما يبطل دعوى الثانى ويهزره عليها ويثبت أحقيته عنه

(٣) غلب : ظهر على صاحبه وقهره وأبطل دعواه ، وسلب : أخذ الدينار دون أن يكون لصاحبه فيه حظ

(٤) برد العجوز : أيام سبعة فى آخر الشتاء أربعة من آخر شهر شباط الرومى وثلاثة من أول آذار وهى تسمى هكذا مرتبة : (صن — بوزن حمل ، وصنبر — بوزن جردحل — ووبر — بوزن تمر — والآمر ، والمؤتمر والمعلل ، ومطفىء الجمر ، أو مكفىء الظعن ،) وهذه أشد الايام برداً لانها تجيء حين يكون الناس على استعداد لملاقاة هواء الربيع الجميل ، ويقول الحطيئة — قبحه الله — يهجو أمه

لحاك الله ثم لحاك حقا ولقاك العقوق من البنينا
أغربالا اذا استودعت سراً وكانونا لدي المتحدثينا

يا كُرْبَةَ تَمُّوزَ (١) . يا وَسَخَ الكُوزِ (٢) . يا دِرْهَماً لا يَجُوزُ (٣) . يا حَدِيثَ المُغَنِّينَ (٤) . يا سَنَةَ البُوسِ . يا كَوْكَبَ النُّحُوسِ (٥) . يا وَطْأَ الكابُوسِ (٦) . يا تُخَمَةَ الرُّؤُسِ (٧) . يا أُمَّ حُبَيْنٍ (٨) .

---

(١) الكربة الشدة والضيق ، وتموز : أحد الشهور الرومية يجيء حين يشتد القيظ ويتعرض الناس فيه للهلاك

(٢) وسخ الكوز : صدأه أو ما يبقي فيه من قذر الماء ووساختة وذلك مما تتقزز منه النفس وتشمئز

(٣) لا يجوز : أي لا يتعامل الناس به لرداءته وغشه فاذا دفعه مالكه ثمنا لشيء رده البائع عليه فينعكس أمله ويخيب رجاؤه ويجد مالم يكن ينتظره من الخسارة

(٤) حديث المغنين : كلامهم اثناء الغناء ومن عادة الذي يسمعهم أن يود الا ينقطع غناؤهم وأن يستمروا فيه فهو يجد من حديثهم ضيقا في نفسه وألما ويحس بانقباض صدره لسكوتهم

(٥) البوس : البؤس ، والشدة ، والجدب ، والقحط ، والغلاء ، والناس يلقون فى الايام المجدبة شراً مستطيراً وألما عظيما ، وكوكب النحوس : النجم الذي يظهر فتظهر معه علائم النحس وسوء الطالع مثل زحل فى الكواكب

(٦) الكابوس : الذي يقع على الانسان حال نومه بالليل فلا يطيق معه حركة ولا يستطيع أن يجد لنفسه خلاصاً

(٧) اذا أكل الانسان طعاما فاسداً أو كثيراً أو على طعام تعبت معدته ووجد آثار ذلك فى رأسه فيحس بدوار وتعب شديدين ، وهذا هو المراد بتخمة الرءوس

(٨) أم حبين : هي دويبة أكبر من الوزغة ، وقيل : هي دويبة قلساء

يا رَمَدَ العَينِ [١] . يا غَدَاةَ البَينِ [٢] . يا فِرَاقَ المُحِبينَ [٣] . يا ساعةَ الحَين [٤] .

تشبه سام أبرص وتسمى شحمة الارض أو شحمة الرمل وهي على كل حال كريهة المنظر بشيعة

(١) رمد العين : قذاها الذي يسيل معه دمعها

(٢) غداة البين الساعة التي يبتعد المحب فيها عن حبيبه ويغادره وهي أشأم الساعات وأقساها وأصعبها قال امرؤ القيس :

كأني غداة البين يوم تحملوا　　لدى سمرات الحي ناقف حنظل

وفي ذمها يقول النابغة :

زعم الغداف بأن رحلتنا غداً　　وبذاك تنعاب الغداف الاسود

لا مرحبا بغد ولا أهلا به　　ان كان تفريق الاحبة في غد

وقال صاعد :

قلت له والرقيب يعجله　　مستعجلا للفراق : أين أنا ؟

قد كفا الى ترائبه　　وقال : سر آمنا فأنت هنا

ولبعضهم :

لا كان يوم الفراق يوما　　لم يبق للمقلتين نوما

شتت مني ومنك شملا　　فسر قوما وساء قوما

يا قوم من لي بفقد خل　　يسومني في العذاب سوما

ما لامني الناس فيه الا　　بكيت كيما أزاد لوما

(٣) فراق المحبين : منأهم وتباعد ما بينهم ، وفيما ذكرناه في غداة البين ما يكفى عن الافاضة في هذا

(٤) الحين — بفتح أوله — : الهلاك والموت وساعته من أشد الساعات ألما لأهل الميت وللميت نفسه بخروج روحه

يا مَقتَلَ الحُسَينِ (١) . يا ثِقَلَ الدَّيْنِ (٢) . يا سِمَةَ الشَّينِ (٣) . يا بَرِيدَ الشُّومِ (٤) . يا طَرِيدَ اللُّومِ (٥) . يا ثَرِيدَ الثُّومِ (٦) . يا بادِيَةَ الزَّقُّومِ (٧) .

---

(١) الحسين : هو سيدنا أبو محمد الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضى عنه وقتل بكربلاء فى معركة سالت فيها دماء أهل بيت النبوة ظلما وعدوانا وبغيا فكان ذلك اليوم من أشأم الأيام التي لقيها الاسلام فى نضارة شبابه وريمان عمره وميعة حياته (٢) الدين هم بالليل ومذلة بالنهار ووطأته أشد على النفس من وطأة الحمى والمرض الناجس وثقله مما لاقبل لانسان ذي مروءة وعقل على احتماله

(٣) السمة : العلامة ، والشين : العيب ، وما يستحي المرء من الانتساب أليه ، ولوكان لانسان علامة كلما نظرها أحد عرف أنه متصف بالمعايب والمقابح لكان خليقا بأن يذوب خجلا ويموت حياء كلما توجه نحوه نظر أنسان ما

(٤) البريد : الرسول ، والشوم : الشؤم والنحس ، والمعنى أنه أذا كان قد تهيأ لامريء أن يحل به نحس أو ينزل عليه بلاء لكان المخاطب رسول النحس ونذير البلاء الذي يخبره بوقوعه ويحدثه بنزوله عليه

(٥) طريد اللؤم : المطرود من مجامع الناس ومحافلهم للؤمه ودناءته

(٦) ثريد الثوم : أشد مايكون رائحة كريهة

(٧) البادية : الصحراء ، أو هى خلاف الحاضرة ، والزقوم : شجر مركريه يخرج بأراضى تهامة ، والمعنى أن المخاطب لما فيه من دناءة النفس ولؤم الخصال ومعيب السجايا كأنه بادية كل ما فيها من شجر ذلك النوع الكريه الممقوت

يا مَنْعَ ٱلماعُونِ (١) . يا سَنَةَ الطّاعُونِ (٢) . يا بَغْيَ ٱلعَبِيدِ (٣) . يا آيَةَ الوَعِيدِ (٤) . يا كَلامَ المُعِيدِ (٥) . يا أقْبَحَ مِنْ حَتَّى . في مَوَاضِعَ شتّى (٦) . يا دُودَةَ ٱلكَنِيفِ . يا فَرْوَةً في المَصِيفِ (٧) .

---

(١) المـاعون : كل ما يستعار من قدر وفأس وقدوم ومكنسة ونحوها من منافع البيت ، وقيل هو الزكاة ، وفي التنزيل من صفات الذين يكذبون بيوم الدين : (الذين هم يراءون ويمنعون الماعون)

(٢) الطاعون : داء يستأصـل شأفة البلد التى يحلهـا ويقفر الارض من سكانها فهو مشؤوم بغيض الى الناس

(٣) يقول حاتم الطائى وقد لطمته جارية : (لوذات سوار لطمتني) أي لو أن التى بغت على حرة لما تألمت نفسى ، والعبيد اذا ملك أمراً فبغى على الناس كان أشد على نفوسهم من وقع الصواعق وهطال النبال

(٤) الوعيـد : الوعد بالشر والعقوبة والتنكيل وسماع ما يدل عليه مما يؤلم نفس السـامع ويحـزنها (٥) المعيد : الذي يقول لك الحادثة أو الخبر مرة بعد الاخرى وكلامه على نفسـك من أسمج الاحاديث وأقبحها ، اللهم الا أن يكون المتكلم حبيبا اليك فقد حسن فى عينك كلامه كالتى يقول فيها :

من الخفرات البيض ودجليسهـا اذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

(٦) قال الفراء أحد أساطين النحاة : أموت وفى نفسى شيء من حتي اه وحتى هي حرف الجر وفيه مسائل من عويص النحو ومشكلاته

(٧) المصيف : هو الصيف نفسه أو المكان الذي تقضى فيه مدة الصيف ، وأنت انما تطلب اذ ذاك هواء لطيفا ونسيما بليلا وريحا هادئا فما أسمج الفروة وألعنها حينئذ

يا تَنَحْنُحَ الْمُضِيفِ إِذَا كُسِرَ الرَّغِيفُ . يا جُشاءَ الْمَخْمُورِ (١) . يا نَكْهَةَ الصُّقُورِ (٢) . يا وَتِدَ الدُّورِ (٣) . يا خُذْرُوفَةَ الْقُدُورِ . يا أَرْبِعَاءَ لا تَدُورُ (٤) . يا طَمَعَ الْمَقْمُورِ (٥) . يا ضَجَرَ اللِّسانِ (٦) .

---

(١) الجشاء – بوزن غراب – ومثله الجشأة – بوزان همزة – وجشأة كممدة – : الاسم من تجشأت المعدة تجشؤا وتجشئة أذا تنفست ، والمخمور شارب الخمر المكثر منها المفرط فى تعاطيها ، وجشاؤه خبيث منتن كريه

(٢) النكهة : رائحة الفم ، وقد نكه له وعليه – بوزني ضرب ومنع – اذا تنفس على أنفه أو أخرج نفسه الي أنف آخر ، والصقور : جمع صقر وهو ما يصطاد من البزاة والشواهين ، ولانها لا تأكل الا اللحم ولا يكون غالبا الا منتنا – فهى أنتن الحيوانات نكهة وأخبثها ريحا (٣) الوتد : ما يدق فى الحائط أو الارض من الخشب ، ويضرب به المثل في تحمل الضيم ، والرضا بالاذي ، والاقامة على الذل ، قال الشاعر :

ولا يقيم على ضيم يراد به   الا الاذلان عير الحى والوتد

(٤) الاربعاء : اليوم المعروف ، وباؤه مثلثة ، ومعنى عدم دورانها أنها الاربعاء التى في آخر كل شهر اذ هى لاتعود ، وربما كان المراد آخر شهر صفر فقط اذ هي مشهورة عند العامة بنحس طالعها وشؤمه فلا ينجح فيها عمل البتة ، ولا يفلح فيها تدبير ، ومعنى عدم دورانها حينذاك أنها لا تحول عما عهد فيها ولا تتغير عما عرفه الناس عنها (٥) المقمور : الذى تسلطت عليه الغلبة فى القمار ، وطمعه شائن قبيح مرذول لانه لا يستند الي علة معقولة ولانه لا يزال يهوي به الى الافلاس والعدم حتى يفقد آخر قرش معه

(٦) ضجر اللسان : تعبه وعيه وانحباسه ، وهواذا بلغ هذه الحالة لم يأمن

يابَوْلَ الخِصْيَانِ (١) . يامُؤَاكَلَةَ العُمْيانِ (٢). ياشَفاعَةَ العُرْيانِ (٣)

صاحبه العثرة والزلل ، فاذا عثر أورده موارد التهلكة ، وأرداه ، وهوى به الى الهوان والحطة قال :

يموت الفتى من عثرة بلسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجل

(١) الخصيان : المجبوبي الخصيتين ، وبول أمثال هؤلاء ينتشر فيلوث البدن جدا وهو مع هذا سريع متواصل لا يقدرون على حبسه ولا يستطيعون الابقاء عليه حتى يستعدوا لازالته (٢) العميان حين أكلهم لا يبالون أي موضع نزلت يدهم عليه ولا يتحرجون من كثرة ما يعلو أيديهم من الطعام ولهم فى تناوله شراهة ولا يخلو من مجلس معهم من تقزز النفس واشمئزازها وتفرتها ويروى (يادفع العيان) والعيان — بكسر أوله — المشاهدة وهى مما لا يعتور الشك فيها أحدا وانكارها من أشنع المنكرات وأفظعها (٣) المراد بالعريان الذي لا يجد ما يستتر به من الفقر والعوز وسوء الحال ومثل هذا لا يعرض نفسه للشفاعة واذا تعرض كان ثقيلا مستقبحا ثم لا يقبل أحد شفاعته ولا يعتمدها ، ومما نذكره بمناسبة شفاعة العريان ما حدثوا عن الفرزدق أن النوار بنت أعين بن ضبيعة المجاشعي خطبها رجل من قريش بعد مقتل أبيها فبعثت الى الفرزدق تقول : أنت ابن عمي ، وأولى الناس بي (تريد أن يقبل خطبتها) فأجابها : أن بالشام من هو أقرب اليك مني ، ولا آمن أن يقدم منهم قادم فينكر ذلك ، فأن كان ما تقولينه حقاً فاشهدي على نفسك أنك جعلت أمرك ألي ، ففعلت ، نخرج بالشهود من عندها الى مجمع كبار قومها فقال : أن نوار بنت أعين قد جعلت أمرها ألى وانى أشهدكم أنى قد تزوجتها على مهر مائة ناقة حمراء الوبر ، سوداء الحدق ، فاشمأزت من ذلك ، واستعرت عليه غيظا فخرجت الى ابن الزبير (والحجاز والعراق يومئذ بيده) وسار الفرزدق خلفها

يا سَبْتَ ٱلصِّبْيانِ [١] . يا كِتَابَ التَّعازِى [٢] . يا قَرَارَةَ ٱلْمَخَازِى [٣] .

فنزل على حمزة بن عبد الله بن الزبير ونزلت النوار على خولة بنت منظور بن زبان بن سيار الفزاري أم حمزة وامرأة عبدالله ، فقال الفرزدق فى حمزة :

أصبحت قد نزلت بحمزة حاجتى   أن المنوه باسمه الموثوق
بأبى عمارة خير من وطيء الحصا   ذخرت له فى الصالحين عروق
بين الحوارى الاغر وهاشم   ثم الخليفة بعد والصديق

فوعده الشفاعة ألي أبيه ثم أعلم أمه خولة بذلك وكلفها بأن تعطف نوارا على الفرزدق ففعلت ورققت قلبها عليه ثم شفعت به عند بعلها عبد الله بن الزبير فنجحت شفاعتها فأمره عبد الله بأخذ النوار وألا يقربها حتى يصير ألى البصرة فيصححا أمره عند عامله عليها فخرج الفرزدق بنوار الي البصرة ، وفي ذلك يقول :

أما بنوه فلم تقبل شفاعتهم   وشفعت بنت منظور بن زبانا
ليس الشفيع الذى يأتيك مؤتزرا   مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا

وليس معنى البيت مما نحن فيه ولا يتفق مع مافي المقامة في شيء

(١) يوم السبت يأتي دائما بعد يوم عطلة وهو يوم الجمعة ولذلك يستثقله الصبيان لأنهم يذهبون فيه ألى دور التعليم

(٢) ماأشنع ذلك الكتاب الذي يجيئك حاملا خبر فقد عزيز لديك ، وما أثقل ظله ، وما أكثر ما يجلبه عليك من ألم النفس والحزن العميق وربما كان المراد بكتاب التعزية الكتاب الذى تسطره لاحد ألافك تسلية لخاطره من غير أن يكون لك شعور بالحزن والألم وكم تجد فى هذا من ثقل الوطأة وعسر التأدية وصعوبة التكلف وشدة العناء (٣) القرارة : القاع المستدير

يا بُخْلَ الأهْوَازِي (١) . يا فُضُولَ الرَّازِي (٢) . وَاللهِ لَوْ وَضَعْتَ إحْدَى رِجْلَيْكَ علي أرْوَنْدَ (٣) . وَالأُخْرَى على دُنْباوَنْدَ (٤) . وَأخَذْتَ بِيَدِكَ قَوْسَ قُزَح (٥) .

الذي يجتمع فيه المطر والسيل ونحوهما ، والمخازي جمع واحده مخزاة وهي الامر الذي أذا فعلته جلب عليك الخزي والعار والهوان من النقائص العملية والنفسية ، والمعنى : أن المخاطب قد اجتمعت النقائص فيه ، وألقت المعايب عصاها لديه ، وأرست الشرور سفينها عنده فهو حافل بكل مايشين جامع لكل مقت ودناءة (١) الاهوازى : نسبة ألى الاهواز ، وقد تقدم انها بلاد واقعة بين البصرة وفارس وهى تسع كور لكل كورة منها اسم والاهواز يجمعهن ، ولاهلها شهرة بالبخل الشديد والأمساك القبيح

(٢) الرازى : المنسوب ألى الري ــ وهي أحدى مدن الديلم ، والفضول : المراد به الزيادة من الكلام الذي لاخير فيه ولاهل الري شهرة بالثرثرة ، وكثرة القول بلا جدوى (٣) أروند : جبل نزه أخضر ناضر مطل على همذان وممدود من محاسنها ولشعرائها ولع بذكره والاشارة به ومنهم ذلك الذي يقول :

ألا ليت شعرى هل ترى العين مرة ... ذرى قلتي أروند من همذان
بلاد بها نيطت على تمائمي ... وأرضعت من عقبانها بلبان

(٤) دنباوند : جبل شهير بناحية الري قال عنه القزويني : يناطح النجوم ارتفاعا ، ويحكيها امتناعا ، لا يعلوه الغيم في ارتفاعه ، ولا الطير في تحليقه ، وكان فيه بركان يقذف النار ، ومنابع كثيرة للمياه الكبريتيه

(٥) قوس قزح : هو ذو الالوان الذي يظهر فى السحاب غب المطر ، وفي وصفه يقول بعض الملوك :

وَنَدَفْتَ الْغَيْمَ فى جِبَابِ الْمَلَائِكَةِ (١) . ما كُنْتَ إلاَّ حَلاَّجاً (٢) .
وَقالَ الْآخَرُ : يا قَرَّادَ الْقُرُودِ (٣) .

وساق صبيح للصبوح دعوته   فقام وفي أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم   فمن بين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفا   على الجود كنا والحواشي على الارض
يطرزها فوق السحاب بأصفر   على أحمر في أخضر تحت مبيض
كأذيال خود أقبلت فى غلائل   مصبغة والبعض أقصر من بعض

قيل : وهو من التشبيهات الملوكية التى لا يكاد يحضر مثلها للسوقة

(١) ندف القطن ينـدفه — من باب ضرب — : ضربه بالمنـدف (والمندفة كذلك) أي حشبته التى يطرق بها الوتر ليرق القطن وهو مندوف ونديف ، وفى جباب الملائكة : يعنى جعلت فراشتك التي تضع عليها القطن أو تلتقيه بها حباب الملائكة (جمع جبة وهي معروفة)

(٢) المعـنى : انك مهما بلغت في التعاظم والدعاوي ، ومهما فعلت في سبيل ذلك ، ومهما بذلت من قوة ، واستنفدت من عظمة وكبرياء ، حتى لو جعلت أحدي رجليك على دنباوند وجعلت الثانية على أروند مع ما بينهما من بعد المسافة وطويل الشقة ولو خرقت لك العادات وجاز من آجلك ما لم يكن يجوز فأمكنك أن تتخذ السحاب نديفا وأن تلتقيه بجباب الملائكة — لو حصل لك كل هذا وتمكنت من جميعه لما دعاك الناس الاحلاجا ولما جهلوا أمرك ولا خفيت عليهم حقيقتك ، ولا كنت ألا ذاك ، ولا سترت أباك

(٣) القرود ، ومثلها القردة ـ بفتح القاف وكسر الراء أو المكس ـ وأقراد وقرد : جمع قرد وهو حيوان معروف ، والقراد : سائسه ، وهي صناعه من أحط الصناعات وأرذلها ، وحرفة دنيئة خسيسة

يا بُودَ الْيَهُودِ [١] . يا نَكْهَةَ الْأَسْوَدِ [٢] . يا عَدَمًا فِي وُجُودٍ . يا كَلْبًا فِي الْهِرَاشِ [٣] . يا قِرْدًا فِي الْفِرَاشِ [٤] . يا قَرْعِيَّةً بِمَاشٍ [٥] . يا أَقَلَّ مِنْ لَاشٍ [٦] . يا دُخَانَ النِّفْطِ [٧] . يا صُنَانَ الْإِبْطِ [٨] . يا زَوَالَ الْمُلْكِ [٩] .

---

(١) اللبود ـ بفتح أوله ـ ومثله القراد ـ بوزن غراب ـ : دويبة تنشأ من الوساخة تشبه القمل ومنه قيل بعير قرد ـ بوزن كتف ـ اذا كان فيه ذلك ولليهود شهرة بالوساخة والنتن ومنها يتولد القراد

(٢) مضى أن السكهة : ريح الفم ، ولكون الاسود لاتتغذى بغيراللحوم تجدها أردأ الحيوانات نكهة

(٣) الهراش : تحرش الكلاب بعضها ببعض ، ومواثبتها

(٤) اذا حل قرد بالفراش لم يسكن من الحركة ولم يترك الفساد والتمزيق لكل ما يقع أليه وفي ذلك من أقلاق الراحة وضياع السكينة ما فيه

(٥) القرعية : طعام يتخذ من القرع ، والماش : حب أشبه بحب الباقلاء ومذاقه قريب من العدس واذا طبخ هذا بذاك فما أكرهه (٦) لاش : أي لا شيء ، واذا كان أقل من لا شيء فماذا يكون ؟ ! !

(٧) النفط ـ بالكسر ، وربما فتح ـ: دهن معدني على نوعين منه أبيض ومنه أسود وهو خبيث الرائحة كريه الدخان مضر مؤذ

(٨) صنان الابط ـ بالضم ـ ومثله الصنة ـ بكسرأوله ـ : ذفره ورائحة عرقه ، وهو رديء خبيث الرائحة

(٩) لا أصعب على النفس ، ولا أفتك بها من ضياع الملك وفقدان العزة وذهاب العظمة ، وأنها لتجد في ذلك ضيقا وألما فهو يرمي مخاطبه بأنه أمر

يا هِلَالَ الهُلْكِ (١) . يا أخبثَ مِمَّنْ باءَ بِذُلِّ الطَّلَاقِ . وَمَنْعِ الصَّدَاقِ (٢) يا وَحلَ الطَّرِيقِ (٣) . يا ماءً على الرِّيقِ (٤) . يا مُحرِّكَ العَظْمِ (٥) . يا مُعَجِّلَ الهَضْمِ (٦) . يا قَلَحَ الأَسْنَانِ (٧) . يا وَسَخَ الآذَانِ (٨) . يا أجرَّ مِنْ قَلْسٍ (٩)

على النفس من زوال الملك ، وأشأم من فوات الجبروت والمجد

(١) الهلك ـ بوزن قفل ـ : الهلاك ، والموت ، والحين ، والمعنى : أن مطلعه مشئوم نحس كمطلع الموت (٢) باء فلان بكذا : حق عليه واستوجبه والطلاق : انقضاء ما بين الرجل والمرأة من اتصال الحبل وتماسك عرى الوفاق وانما يكون ذلك لعدم رضائه عن معاشرتها وغضبه عليها وفي ذلك من سوء سمعتها وتحقيرها ما فيه فالطلاق على ذلك ذل وأهانة وأنها لتنقلب الى أهلها خجلة محزونة لا سيما اذا كان الزوج قد حرمها ما تأجل في ذمته من صداقها

(٣) كم في أوحال الطريق من أذي المارة وتعطيل شأنهم

(٤) يقول علماء الطب الحديث : أن الماء وخاصة البارد على الريق نافع مفيد مجدد للنشاط فلعل الطب القديم كان على غير هذا ، أو لعل المعنى أنه يشبه الماء في هذه الحال لانه لا يشربه كذلك ألا من لا يجد طعاما يبدأ به غالبا

(٥) اذا اشتد بالمرء عرض الحمى اقشعر بدنه واضطربت أعضاؤه فلعله أراد من محرك العظم صلابة الحمى وشدتها (٦) معجل الهضم : المسهل . والانسان يناله من تعاطي المسهلات استرخاء في أعصابه ، وفتور في قواه ، وتخاذل في همته (٧) قلح الاسنان : وسخها ، ودرنها ، وما يعلوها من صفرة أو اخضرار وذلك من سوء الطعام أو سوء الهضم (٨) وسخ الآذان ربما أدي الى أضعاف السمع (٩) القلس ـ بفتح أوله ـ حبل يتخذ من ليف أو نحوه لتربط به

يا أَقَلَّ مِنْ فَلْسٍ (١) . يا أَفْضَحَ مِنْ عَبْرَةٍ (٢) . يا أَبْغَى مِنْ إِبْرَةٍ (٣) .
يا مَهَبَّ الْخُفِّ (٤) . يا مَدْرَجَةَ الْأَكُفِّ (٥) . يا كَلِمَةَ لَيْتَ (٦)

السفن أو تجر منه فهو دائما على الارض لـكثرة ما يجذب به ، والمعني: أنه بلغ من الحطة والهوان درجة فوق درجة الحبل الذي لايزال مطروحا ولا يفتأ مستعملا للجذب منـه (١) الفلس : معـروف ، والمعنى : أن قيمته وضيعة جـدا (٢) العبرة ـ بفتح أوله ـ دمعـة العين ولا يزال المحب مستورا خافى الامر حتى يبكي فاذا فعل افتضح أمره ، وظهر للناس سره

لاجزي الله دمع عيني خيرا — وجزى الله كل خير لسانى
كنت مثل الكتاب أخفاه طى — فاستدلوا عليه بالعنوان

(٣) الابره تتخذ للوخز فمن كان يخز الناس مثلها فهو ظالم باغ عات
(٤) يقال فلان فى مهب الريح أي فى الناحية التى تجيء الريح منها فمعنى أنه في مهب الخف أن الخف لطول ملازمة قفاه للصفع والأذي اذا طلب لايوجد الا عنده ، ويقال أيضا : هب فلان من نومه اذا انبعث نشطا والمعنى حينئذ أن قفاه هو المكان الذي يهب له الخف وينشط اليه لطول ماتردد عليه وعرفه ، ويقال : هبت الريح اذا انطلقت ، والمعنى عليه أن ريحه تشبه ريح الخف نتنا وكراهة (٥) يقال : درج الصبي اذا ابتدأ يمشى ، والمدرجة مكان الدروج ، ومعني كونه مدرجة الاكف : أنه مكان سيرها ، كناية عن أهانته وتحقيره لكثرة ترداد الناس على ضربه (٦) ليت حرف وضع للتمنى وهو طلب المستحيل أو مافيه عسر وهى ـ الكلمة لو ـ لاتقال الا عند الحسرة على فائت ، قال :

ألام على لو ولو كنت عالما — بأذناب لو لم تفتنى أوائله

يا وَكَفَ ٱلْبَيْتِ (١) . يا كَيْتَ وَكَيْتَ . وَٱللهِ لوْ وَضَعْتَ ٱسْتَكَ على النُّجُومِ . وَدَلَّيْتَ رِجْلَكَ فِي التُّخُومِ (٢) . وَٱتَّخَذْتَ ٱلشِّعْرَى خُفًّا . وَالثُّرَيَّا رَفًّا (٣) . وَجَعَلْتَ السماءَ مِنْوَالاً (٤) . وَحِكْتَ ٱلْهَوَاءَ سِرْبالاً (٥) . فَسَدَّيْتَهُ بِالنَّسْرِ الطَّائِرِ (٦) . وَأَلْحَمْتَهُ بِالْفَلَكِ الدَّائِرِ (٧) . ما كُنْتَ إلاَّ حائِكاً . قالَ عِيسى بْنُ هِشامٍ : فَوَاللهِ ما عَلِمْتُ أيُّ الرَّجُلَيْنِ أُوثِرُ ؟! وَما مِنْهُما إلاَّ بَدِيعُ الكَلاَمِ . عَجِيبُ الْمَقامِ . أَلَدُّ الخِصامِ . فَتَرَكْتُهُما . وَالدِّينارُ مُشاعٌ بَيْنَهُما . وَانْصَرَفْتُ وَما أَدْرِي ما صَنَعَ الدَّهْرُ بِهِما (٨) .

الْمَقامَةُ الشِّعْرِيَّةُ

حَدَّثَنا عِيسى بْنُ هِشامٍ قالَ : كُنْتُ بِبِلاَدِ الشَّامِ وَانْضَمَّ إلى

وقال : أن ليتا وأن لوا عناء (١) وكف البيت : تقاطر الماء من سقوفه عند المطر ، ولعمرك أي أذي يلحق الانسان حينئذ (٢) التخوم ومثله التخم بضمتين ـ : جمع تخم ـ بوزن فلس ـ وهو كل قرية أو أرض (٣) الشعري كوكب ، والثريا : مجموعة كواكب متضامة ، والرف : الثوب (٤) المنوال: آلة النسيج والحياكة (٥) السربال : الثوب (٦) سدى الثوب ـ بضم أوله ـ : ما امتد من خيوطه ، وسداه بالتضعيف : اتخذ سداه (٧) لحمة الثوب ـ بالضم وبالفتح ـ : ما كان من خيوطه عرضا (٨) المعني : أني لم أستطع التفضيل بينهما فتركت لهما الدينار ولم أدر ما كان منهما بعد

رِفقةٌ . فاجتمَعنا ذاتَ يومٍ في حلقةٍ . فجعلنا نتذاكرُ الشعرَ فنوردُ أبياتَ معانيهِ . ونتحاجى بمعاميهِ [١] . وقد وقفَ علينا فتىً يسمعُ وكأنّهُ يفهمُ . ويسكتُ وكأنّهُ يندمُ . فقلتُ : يا فتى قد آذانا وقوفُكَ فإمّا أنْ تقعُدَ . وإمّا أنْ تبعُدَ . فقالَ : لا يمكنُني القعودُ . ولكنْ أذهبُ فأعودُ . فالزَموا مكانَكُمْ هذا . قلنا : نفعلُ وكرامةً . ثمَّ غابَ بشخصهِ وما لبثَ أنْ عادَ لوقتهِ وقالَ : أينَ أنتمْ منْ تلكَ الأبياتِ وما فعلتمْ بالمعمَّياتِ . سلوني عنها فما سألناهُ عنْ بيتٍ إلاَّ أجابَ . ولا عنْ معنىً إلاَّ أصابَ . ولما نفضْنا الكنائنَ [٢] . وأفنينا الخزائنَ . عطفَ علينا سائلاً . وكرَّ مُباحِثاً فقالَ : عرِّفوني أيُّ بيتٍ شطرُهُ يرفعُ وشطرُهُ يدفعُ [٣] . وأيُّ بيتٍ كلُّهُ يصفعُ . وأيُّ بيتٍ نصفُهُ يغضبُ .

---

(١) نتذاكر يروى : نتذكر ، ونتحاجي يمتحن كل منا حجا صاحبه أي عقله بعرض بيت من أبيات الشعر عليه مما قد خفى معناه على من لا روية له فى رويته ولا نفوذ لقريحته فى فهم دقائقه فاذا أصاب المعنى المراد دل على أنه من فرسانه والمجلين فى ميدانه

(٢) الكنائن : جمع كنانة وهي وعاء السهام ، ونفضوها : أفرغوها يمثل بذلك نفاد ما عندهم من الاحاجي والمعميات وانتهاؤهم فى المذاكرة الى حد أن لم يبق عندهم شيء يتذاكرونه ، ومثل ذلك قوله : أفنينا الخزائن

(٣) هذه الاوصاف التى يذكرها للابيات ويحاجى بها انما هي اعتبارات يصورها الذهن من جوامع البيت والالفاظ التى يؤلف منها والمعانى التى يشير

وَنِصفُهُ يَلْعَبُ ؟ وَأَيُّ بَيْتٍ كُلُّهُ أَجْرَبُ ؟ وأَيُّ بَيْتٍ عَرُوضُهُ يُحَارِبُ. وَضَرْبُهُ يُقَارِبُ ؟ وَأَيُّ بَيْتٍ كُلُّهُ عَقَارِبُ ؟ وأَيُّ بَيْتٍ سَمُجَ وَضْعُهُ. وَحَسُنَ قَطْعُهُ ؟ وايُّ بَيْتٍ لاَ يَرْقَأُ دَمْعُهُ ؟ وَأَيُّ بَيْتٍ يَأْبِقُ كُلُّهُ ؟ إِلاَّ رِجْلُهُ ؟ وَأَيُّ بَيْتٍ لاَ يُعْرَفُ أَهْلُهُ ؟ وَأَيُّ بَيْتٍ هُوَ أَطْوَلُ مِنْ مِثْلِهِ ؟ كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ ؟ وَأَيُّ بَيْت لاَ يُمْكِنُ نَقْضُهُ ؟ وَلاَ تُحْتَفَرُ أَرْضُهُ ؟ وَأَيُّ بَيْتٍ نِصفُهُ كَامِلٌ ؟ وَنِصفُهُ سَرَابِلٌ ؟ وأَيُّ بَيْتٍ لاَ تُحْصَى عِدَّتُهُ ؟ وَأَيُّ بَيْتٍ يُرِيكَ مَا يُسَرُّ بِهِ ؟ وأَيُّ بَيْتٍ لاَ يَسَعُهُ

اليها وترد الى المخيلة عند سماعه وذلك يختلف باختلاف أهل الذوق فى القريض ويمكن لقارىء ديوان واحد من شعر أي شاعر أن يجد جميع ما جاء به ولهذا لا نصرف الوقت فى الاتيان بجميع ما عمى به ولكننا نذكر لك طرفا تقيس عليه أمثاله كما جاء المصنف بمثل ذلك مثلا البيت الذي نصفه يرفع ونصفه يدفع بصيغة الفاعل فى الفعلين يدفع ويرفع كقول بعضهم :

ولله عندي جانب لا أضيعه ... وللهو عندى والخلاعة جانب

فالنصف الأول يرفع صاحبه الى منزلة الكرامة التى يختص بها أهل التقوي والنصف الثاني يدفع صاحبه عن تلك المقامات الرفيعة ويحرمه الرقى اليها ، والبيت الذى نصفه يغضب ونصفه يلعب كقول طرفة المتقدم :

كأن سيوفنا منا ومنهم ... مخاريق بايدى لاعبينا

والبيت الذى أوله يهب وآخره ينهب كقول بعضهم :

قريناكم فعجلنا قراكم ... قبيل الصبح مرداة طحونا

فان الشطر الاول قري واحسان والشطر الثاني ردي وطحن أجساد تنهب

الْعَالَمُ ؟ وَأَىُّ بَيْتٍ نِصْفُهُ يَضْحَكُ وَنِصْفُهُ يَأْلَمُ ؟ وَأَىُّ بَيْتٍ إِنْ حُرِّكَ غُصْنُهُ . ذَهَبَ حُسْنُهُ ؟ وَأَىُّ بَيْتٍ إِنْ جَمَعْنَاهُ . ذَهَبَ مَعْنَاهُ ؟ وَأَىُّ بَيْتٍ إِنْ أَفْلَتْنَاهُ . أَضْلَلْنَاهُ ؟ وَأَىُّ بَيْتٍ شَهْدُهُ سَمٌّ ؟ وَأَىُّ بَيْتٍ مَدْحُهُ ذَمٌّ ؟ وَأَىُّ بَيْتٍ لَفْظُهُ حُلْوٌ وَتَحْتَهُ غَمٌّ ؟ وَأَىُّ بَيْتٍ حَلُّهُ عَقْدٌ وَكُلُّهُ نَقْدٌ ؟ وَأَىُّ بَيْتٍ نِصْفُهُ مَدٌّ . وَنِصْفُهُ رَدٌّ ؟ وَأَىُّ بَيْتٍ نِصْفُهُ رَفْعٌ . وَرَفْعُهُ صَفْعٌ ؟ وَأَىُّ بَيْتٍ طَرْدُهُ مَدْحٌ ؟ وَعَكْسُهُ قَدْحٌ ؟ وَأَىُّ بَيْتٍ هُوَ فِى طَوْفٍ . صَلَاةُ الْخَوْفِ ؟ وَأَيُّ بَيْتٍ يَأْكُلُهُ الشَّاءُ مَتَى شَاءَ ؟ وَأَىُّ بَيْتٍ اذَا أَصَابَ الرَّاسَ . هَشَمَ الْأَضْرَاسَ ؟ وَأَيُّ بَيْتٍ طَالَ حَتَّى بَلَغَ سِتَّةَ أَرْطَالٍ ؟ وَأَىُّ بَيْتٍ قَامَ . ثُمَّ سَقَطَ وَنَامَ ؟ وَأَىُّ بَيْتٍ أَرَادَ أَنْ يَنْقُصَ فَزَادَ ؟ وَأَىُّ بَيْتٍ كَادَ يَذْهَبُ فَعَادَ ؟

منها الارواح وتسلب معها الاموال . والبيت الذى لا يمكن نقضه كقوله :

ان الذى سمك السماء بني لنا   بيتاً دعائمـه أعز وأطول

والبيت الذى اذا أفلتناه أضللناه كقوله :

ألا انى بال على جمل بال   يقود بنـا بال ويتبعنا بال

والبيت الذي قام ثم سقط ونام كقوله :

ألا أيهـا النـوام ويحكم هبوا   أسائلكم هل يقتل الرجل الحب

والبيت الذى اذا حرك غصنه ذهب حسنه كقوله :

لك قد لولا جوارح عينيـ   ـك لغنت عليه ورق الحمـام

فـلو حركت القد لطارت الجوارح بمعناها المشهور وهي جوارح الطير .

وأيُّ بيتٍ حرّبُ العراقِ ؟ وأيُّ بيتٍ فتحَ البصرةَ ؟ وأيُّ بيتٍ ذّابَ تحتَ العذابِ ؟ وأيُّ بيتٍ شابَ . قبلَ الشبابِ ؟ وأيُّ بيتٍ عادَ . قبلَ الميعادِ ؟ وأيُّ بيتٍ حلَّ . ثمَّ اضمحلَّ ؟ وأيُّ بيتٍ أُمِرَّ . ثمَّ استمرَّ ؟ وأيُّ بيتٍ أصلحَ . حتّى صلحَ ؟ وأيُّ بيتٍ أسبقُ مِنْ سهمِ الطِّرمّاحِ ؟ وأيُّ بيتٍ خرجَ مِنْ عينيهِمْ ؟ وأيُّ بيتٍ ضاقَ . ووسعَ الآفاقَ ؟ وأيُّ بيتٍ رجعَ . فهاجَ الوجعَ ؟ وأيُّ بيتٍ نصفُهُ ذهبٌ . وباقيهِ ذنبٌ ؟ وأيُّ بيتٍ بعضُهُ ظلامٌ . وبعضُهُ مُدامٌ ؟ وأيُّ بيتٍ جعلَ فاعلُهُ مفعولاً . وعاقلُهُ معقولاً ؟ وأيُّ بيتٍ كلُّهُ حُرمةٌ ؟ وأيُّ بيتينِ هُما كقطارِ الإبلِ ؟ وأيُّ بيتٍ ينزلُ مِنْ عالٍ ؟ وأيُّ بيتٍ طيرتُهُ في الفالِ ؟ وأيُّ بيتٍ آخرُهُ

والجوارح في البيت عيناه فاذا طارت عينه ذهب حسنه البتة . والبيت الذي أوله يطلب وآخره يهرب كقوله :

بجهل كجهل السيف والسيف منتضى ... وحلم كحلم السيف والسيف مغمد

والبيت الذي كاد يذهب فعاد كقوله :

وما أنا منهم بالعيش فيهم ... ولـكن معدن الذهب الرغام

والبيت الذي مدحه ذم كقوله :

فان قومي وان كانوا ذوي عدد ... ليسوا من الشر في شئ وان هانا

والبيت الذي ضاق ووسع الآفاق كقوله :

ليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

يَهْرُبُ . وَأَوَّلُهُ يَطْلُبُ ؟ وَأَيُّ بَيْتٍ أَوَّلُهُ يَهَبُ . وَآخِرُهُ يَنْهَبُ ؟ قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَسَمِعْنَا شَيْئاً لَمْ نَكُنْ سَمِعْنَاهُ . وَسَأَلْنَاهُ التَّفْسِيرَ فَمَنَعَنَاهُ . وَحَسِبْنَاهَا أَلْفَاظاً قَدْ جَوَّدَ نَحْتَهَا . وَلَا مَعَانِيَ تَحْتَهَا فَقَالَ : اخْتَارُوا مِنْ هٰذِهِ الْمَسَائِلِ خَمْساً لِأُفَسِّرَهَا وَاجْتَهِدُوا فِي الْبَاقِي أَيَّاماً فَلَعَلَّ إِنَاءَكُمْ يَرْشَحُ . وَلَعَلَّ خَاطِرَكُمْ يَسْمَحُ . ثُمَّ إِنْ عَجَزْتُمْ فَاسْتَأْنِفُوا التَّلَاقِيَ . لِأُفَسِّرَ الْبَاقِي . وَكَانَ مِمَّا اخْتَرْنَا الْبَيْتُ الَّذِي سَمُجَ وَضْعُهُ وَحَسُنَ قَطْعُهُ . فَسَأَلْنَاهُ عَنْهُ فَقَالَ : هُوَ قَوْلُ أَبِي نُوَاسٍ :

فَبِتْنَا يَرَانَا اللهُ شَرَّ عِصَابَةٍ ... تُجَرِّرُ أَذْيَالَ الْفُسُوقِ وَلَا فَخْرُ

قُلْنَا : فَالْبَيْتُ الَّذِي حَلُّهُ عَقْدُهُ . وَكُلُّهُ نَقْدُهُ [1] . فَقَالَ : قَوْلُ الْأَعْشَى :

دَرَاهِمُنَا كُلُّهَا جَيِّدٌ ... فَلَا تَحْبِسَنَّا بِتَنْقَادِهَا

والبيت الذى أصلح حتى صلح كقوله :

لا تقل بشرى ولكن بشريان ... غرة الداعى ويوم المهرجان

فانه أصلح وحول عن مطلعه الشؤم الى قوله : غرة الداعى ويوم المهرجان لا تقل بشرى ولكن بشريان . وعلى هذا النمط يمكنك أن تحقق جميع الاعتبارات بذوقك . ولكن من هذه الاعتبارات مالا يعد من الابيات فلا حاجة بنا الى الاطالة والله أعلم :

(١) كله نقد يريد كله دراهم ومايتعلق بنقدها ، والنقد : الذهب والفضة المسكوكات سميا به لما يغلب فيهما من نقد الجيد من الردي

وَحَلُّهُ أَنْ يُقالَ : دَراهِمُنا جيِّدَةٌ كُلُّها . وَلا يَخْرُجُ بِهذا الحَلِّ عَنْ وَزْنِهِ

قُلْنا : فَالبَيْتُ الَّذِي نِصفُهُ مَدٌّ . وَنِصفُهُ رَدٌّ . قالَ : قَوْلُ البَكْرِيِّ :

أَتاكَ دِينارُ صِدْقٍ يَنْقُصُ سِتِّينَ فَلْسا[1]

مِنْ أَكْرَمِ النَّاسِ إِلاَّ أَصْلاً وَفَرْعاً وَنَفْسا

قُلْنا : فَالبَيْتُ الَّذِي يأْكُلُهُ الشَّاءُ . مَتَى شاءَ . قالَ : بَيْتُ القائِلِ :

فَما لِلنَّوى جُدَّ النَّوَى قُطِعَ النَّوَي رَأَيْتُ النَّوَى قَطَّاعَةً لِلْقَرائِنِ[2]

قُلْنا : فَالبَيتُ الَّذِي طالَ . حَتَّي بلَغَ سِتَّةَ أَرْطالٍ . قالَ : بَيتُ ابْنِ الرُّومِيِّ[3] .

---

(١) فانه لما قال « دينار صدق » حصل فى الذهن جميع ما احتوي عليه من الفلوس وامتد الى نهايتها وهى ستون ، فلما قال « الا ستون فلسا » رد الذي مده أولا ، وفى قوله « من أكرم الناس » مد فضله حتى تجاوز فى الكرم ما وراء كل كرم ولما نفي الكرم من أصله وفرعه ونفسه استرد جميع أفراد النوع حتي لم يبق له شيئا من الكرم

(٢) النوي : البعد يكر الشاعر الحاح البعد عليه بمفارقة أحبته فيقول . ماللنوى وأي غرض لها في ملازمتى ، ثم يدعو عليها فيقول : جذ النوي أي قطع ومحق ، وقوله « قطاعة للقرائن » اما أن يريد من القرائن الارواح وقطاعتها المهلكة لها ، واماأن يريد منها الصلاة بين الاحبة التى لاتفرق بينهم بالميل والوداد ، وهذا البيت بمافيه من تكرار ذكر النوى أحضر فى المخيلة نوي التمر والبلح وهو مما تأكله الشاه

(٣) تقدم هذا البيت فى المقامة العراقية فليرجع هناك

إذَا مَنَّ لَمْ يَمْنُنْ بِمَنٍ يَمُنُّهُ وَقَالَ لِنَفْسِي أيُّهَا النَّفْسُ أَمْهِلِي

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَعَلِمْنَا أَنَّ الْمَسَائِلَ . لَيْسَتْ عَوَاطِلَ . وَاجْتَهَدْنَا . فَبَعْضَهَا وَجَدْنَا . وَبَعْضَهَا اسْتَفَدْنَا . فَقُلْتُ عَلَى أَثَرِهِ وَهُوَ عَادٍ :

تَفَاوَتَ النَّاسُ فَضْلاً وَأَشْبَهَ الْبَعْضُ بَعْضَا
لَوْلَاهُ كُنْتُ كَرَضْوَى طُولاً وَعُمْقاً وَعَرْضَا (١)

الْمَقَامَةُ الْمُلُوكِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ فِي مُنْصَرَفِي مِنَ الْيَمَنِ . وَتَوَجُّهِي إِلَى نَحْوِ الْوَطَنِ . أَسْرِي ذَاتَ لَيْلَةٍ لَا سَانِحَ بِهَا إِلَّا الضَّبُعُ (٢)

---

(١) لولا هذا الفتى وما أظهره من البراعة وسعة الاطلاع وحسن الانتقاد لكان عيسى بن هشام يعد نفسه فى العظم المعنوي كجبل رضوى فى عظمه الحسى وهو جبل فى بلاد العرب مشهور يتمثل به فى أشعارهم ، قال المعري
ويثقل رضوى دون ما أنا حامل

(٢) السوانح من الطير والظباء وغيرها التى تجيء من مياسرك فتوليك ميامنها وأهل نجد يتشاءمون بها ، والبوارح التى تجىء من ميامنك فتوليك مياسرك وأهل نجد يتيمنون بها ، وأهل الحجاز يتشاءمون بالسوانح وهي عندهم فى صفة البوارح عند أهل نجد

قال أبو ذؤيب :

وجرت بها طير السنيح فان يكن هواك الذي تهوي يصبك اجتنابها

وقال النابغة الذبياني :

وَلا بارِحَ إلاَّ السَّبُعُ . فَلَمَّا انْتُضِيَ نَصْلُ الصَّباحِ (١) . وَبَرَزَ جَبِينُ الْمِصْبَاحِ (٢) . عَنَّ لي فِي الْبَرَاحِ (٣) . رَاكِبٌ شاكِي السِّلَاحِ (٤) . فَأَخَذَنِي مِنْهُ ما يأخُذُ الأَعْزَلَ . مِنْ مِثْلِهِ إذا أَقْبَلَ (٥) . لٰكِنِّي تَجَلَّدْتُ (٦) . فَوَقَفْتُ وَقُلْتُ : أَرْضَكَ لا أُمَّ لَكَ (٧) . فَدُونَى شَرْطُ الْحِدَادِ (٨) . وَخَرْطُ الْقَتَادِ (٩) . وَحَمِيَّةٌ أَزْدِيَّةٌ (١٠) . وَأَنا سِلْمٌ إنْ كُنْتَ (١١) . فَمَنْ

زعم البوارح أن رحلتنا غـدا وبذاك تنعاب الغراب الأسود

والمعنى أنه كان يسير وحيداً لا رفيق له غير الوحوش من السباع والضباع.

(١) شبه الصباح بسيف استل من غمده وهو الليل (٢) المصباح : الشمس ، وجبينها : حاجبها الاعلى (٣) عن : ظهر ، والبراح : الواسع من الارض (٤) شاكى السلاح : حديده تامه (٥) الأعزل : الذى لاسلاح له وهو يرتجف ويأخذه الرعب اذا لقي من شكا سلاحه وحدده (٦) تجلدت : تصبرت. وقويت نفسى وشددت عزيمتي (٧) أرضك لا أم لك : أي قف مكانك، ثكلتك أمك (٨) شرط الحداد : جراح السيوف وأعمالها (٩) القتاد شجر له شوك كأصلب ما يكون وقطعه من أشد ما يؤلم الانسان ويتعبه ، والمعنى : أن السبيل الى لا يتأتي لك ولا تستطيع الوصول اليه لانه محفوف بالمخاطر محاط بالاهوال والشدائد

(١٠) الحمية : الانفة والعزة ، والازدية : المنسوبة الى الازد قبائل من العرب مشهورة ، والمعنى أن من أسباب عدم وصولك الي أنفة عرفها الناس. أجمعون عن الازد الذين انتسب اليهم (١١) سلم : أي مسالم لك لا أعتدي. عليك ، والمعني أنك ان نهجت معى طريق الموادعة فسأكون مثلك لا أنتهك

أَنْتَ. فَقَالَ : سِلْماً أَصَبْتَ . وَرَفِيقاً كَما أَحْبَبْتَ (١) . فَقُلْتُ : خَيْراً أَجَبْتَ . وَسِرْنا فَلَمَّا تخالَيْنا (٢) . وَحِينَ تجالَيْنا (٣) . أَجْلَتِ القِصَّةُ عَنْ أَبِي الفَتْحِ الإسْكَنْدَرِيّ (٤) . وَسَأَلَنِي عَنْ أَكْرَمِ مَنْ لَقِينَهُ مِنَ المُلُوكِ فَذَكَرْتُ مُلوكَ الشَّامِ . وَمَنْ بِهـا مِنَ الكِرَامِ . وَمُلُوكَ العِرَاقِ وَمَنْ بِهـا مِنَ الأَشْرَافِ . وَأُمَرَاءَ الأَطْرَافِ . وَسُقْتُ الذِّكْرَ . إِلى مُلوكِ مِصْرَ . فَرَوَيتُ ما رَأَيْتُ وَحَدَّثْتُهُ بِعَوارِفِ مُلوكِ اليَمَنِ (٥) . وَلَطائِفِ مُلوكِ الطَّائِفِ . وَخَتَمْتُ مَدْحَ الجُمْلَةِ . بِذِكْرِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ : (٦)

يَا سَارِيًا بِنُجُومِ اللَّيْلِ يَمْدَحُهـا
وَلَوْ رَأَى الشَّمْسَ لَمْ يَعْرِفْ لَهاخَطَرا (٧)

---

(١) المعنى : أني عند ظنك وستحمدني وتجدني رفيقك ومؤنسك حرمتك

(٢) تخالينا : خلا كل منا بأخيه وانفرد به (٣) تجالينا : أي كشف كل واحد سره وأفشى أمره وعرف الثاني بنفسه (٤) أجلت : أي انكشفت ووضحت ، والمعنى أني وجدت ذلك الفارس أبا الفتح الاسكندرى

(٥) العوارف : جمع عارفة وهي الاحسان والمروءة والمعروف والنجدة والشهامه (٦) سيف الدولة علي بن حمدان : تقدمت ترجمته (٧) الساري : الذاهب في الارض ليلا ، والخطر : القيمة والقدر ، والمعني : أن من مشى في الارض يتمدح بضوء النجوم ولألائها لو بزغ له قرن الشمس وأبصر شعاعها ونظر الي ضوئها لصغرت النجوم في عينه ولم تعد لها قيمة في نظره

وَوَاصِفاً لِلسَّوَاقِي هَبْكَ لَمْ تَزُرِ الْ ... بَحْرَ الْمُحِيطَ أَلَمْ تَعْرِفْ لَهُ خَبَرَا (١)

مَنْ أَبْصَرَ الدُّرَّ لَمْ يَعْدِلْ بِهِ حَجَرَاً ... وَمَنْ رَأَى خَلَفَاً لَمْ يَذْكُرِ الْبَشَرَا (٢)

زُرْهُ تَزُرْ مَلِكاً يُعْطِي بِأَرْبَعَةٍ ... لَمْ يَحْوِهَا أَحَدٌ وَانْظُرْ إِلَيْهِ تَرَى (٣)

أَيَّامَهُ غُرَراً وَوَجْهَهُ قَمَراً ... وَعَزْمَهُ قَدَراً وَسَيْبَهُ مَطَرَا (٤)

وأين الثريا وأين الثرى ... وأين معاوية من علي

(١) السواقى : جمع ساقية وهى الصغيرة من القنوات وهي فوق الجدول ودون النهر ، والمعنى : أيهذا الذي انطلق لسانك فى مديح السواقي ووصفها أفرض أنك لم تسعد برؤية البحر المحيط فهل خفى عليك حتى ذكره فاشتغلت بالسواقى ونعتها (٢) خلف : هو خلف بن أحمد أحد الامراء الذين مدحهم البديع وجرت عليه منحهم وعطاياهم وقد أسلفنا لك شيئا من كلامه فيه ، والمعنى : أن الذي يسعفه الدهر برؤيا ذلك الممدوح ينسى الانام جميعهم بفضل الذى يجده فيه فلم يعد للناس أدنى قيمة عنده ومثل ذلك مثل الذي يجد حبة من اللؤلؤ فانه يغنى بالنظر اليها عن جميع الاحجار (٣) يعطى باربعة : مفسر فى البيت الذى بعده (٤) أيامه مفعول لترى فى البيت الذى قبل هذا ، وغرر : جمع غرة وأصلها البياض في جبهة الفرس ثم استعمل في كل ظاهر نابه الشأن مرفوع القيمة ومنه الحديث : (أنا قائد الغر المحجلين) ووجهه قمراً : أي شبيه به فى وسامة الطلعة وهداية الحائر الى سبيله ، وعزمه قدرا : أي يشبهه في المضاء والنفاذ ، وتشبيه العزم بالقدر أكثر مبالغة من تشبيهه بثواقب النجوم وان كان أبلغ من تشبيه البديع ومنه قوله :

عزماته مثل النجوم ثواقبا ... لو لم يكن للثاقبات أفول

ما زِلتُ أَمدَحُ أقواماً أظُنُّهُمُ صَفْوَ الزَّمانِ فكانوا عِندَهُ كَدَراً [1]

(قالَ عيسى بنُ هشامٍ) فقُلتُ : مَنْ هذا المَلِكُ الرَّحيمُ الكَريمُ ؟ فقالَ : كَيفَ يَكونُ . ما لمْ تَبلُغهُ الظُّنُونُ [2] ؟ وكَيفَ أقولُ . ما لمْ تَقبَلهُ العُقُولُ [3] ؟ ومَتى كانَ مَلِكٌ يأنَفُ الأكارِمَ . إنْ بعثتْ بالدَّراهِمِ [4] ؟ والذَّهبُ . أيسَرُ ما يَهَبُ [5] . والأَلفُ . لا يَعُمُّهُ إلاَّ الخَلفُ [6] . وهذا جَبَلُ الكُحلِ قدْ أضرَّ بهِ المِيلُ . فكَيفَ لا يُؤثِّرُ

والسيب : العطاء والمنحة ، ومطراً : أي مثله في الغزارة والشمول (١) المعنى أني مدحت كثيراً من الناس قبل ذلك الامير وكنت أظنهم حين مدحي لهم صفو الزمان فلما وصلت الى ذراه وتشرفت بالمثول بين يديه ومدحه عرفت أني كنت مخطئا في ظني اذ أنهم لو قيسوا اليه لكانوا كدرا

(٢) المعنى : ما الذي أقوله لك وأحدثك به من صفاته وبديع سجاياه وهي فوق متناول الظن وأعلى من المدارك ومما لا يمكن أن يسمو اليه فكر وأنا ان أنبأتك لم آمن ألا تتوهم صحة كلامي وصدق حديثي (٣) هذا كالايضاح لما قبله (٤) يقال : أنفه يأنفه اذا ضرب أنفه ، والاكارم : جمع أكرم وهو البالغ من الكرم حدا عظيما ، والمعنى: أن هذا الامير الذي حدثتك بشأنه يستزري الكرماء ويحط من شأنهم ويزجرهم اذا منحوا الدراهم لانها خسيسة لا تليق بالعطاء ولا تجمل بالمنحة (٥) المعنى : أنه يعطي الثمين الغالي وأهون ما يعطيه وأيسره وأقله قيمة وأزهده قدرا هو الذهب ولذلك فهو يردع المانحين ويرغمهم (٦) الخلف : الفأس العظيمة ، والمعني : أنه متلاف لاموّاله مضيع لها بسبب ما يعطي العطايا الغالية ويهب الهبات النفيسة فمثل

ذَلِكَ ٱلْعَطَاءِ ٱلْجَزِيلِ[١]. وَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَلِكٌ يَرْجِعُ مِنَ ٱلْبَذْلِ إِلَى سَرَفِهِ[٢]. وَمِنَ ٱلْخُلُقِ إِلَى شَرَفِهِ[٣]. وَمِنَ ٱلدِّينِ إِلَى كَلَفِهِ[٤]. وَمِنَ ٱلْمُلْكِ إِلَى كَنَفِهِ[٥]. وَمِنَ ٱلْأَصْلِ إِلَى سَلَفِهِ[٦]. وَمِنَ ٱلنَّسْلِ إِلَى خَلَفِهِ

فَلَيْتَ شِعْرِيَ مَنْ هٰذِي مَآثِرُهُ ماذا ٱلَّذِي بِبُلُوغِ ٱلنَّجْمِ يَنْتَظِرُ[٧]؟!

أموالَه كمثل الحائط لا يأتي على جميعها غير الفأس وهو كذلك لا يأتي على ماله غير الكرم (١) الكحل : معروف ، والميل ما يكتحل به ، وأخف شيء حملا هو الميل ولكنه اذا استمر أفنى من الكحل جبالا ، والمعنى : أن الميل لا يأخذ من الكحل الا قليلا جدا ولكنه لو تسلط على جبل لأفناه وأضاعه فقل لي بربك كيف لا تؤثر على ماله هذه الهبات المتواترة العظيمة

(٢) المعنى : أنه لا يعقل أن أحدا من الملوك تكون خصلة العطاء عنده واصلة غاية حد السرف والتضييع مثل ما وصل بها ذلك الامير (٣) أى أنه ليس يتأتى أن يتصف واحد من الناس من الاخلاق بشريفها ومن الخصال بكريمها مثل الذى اتصف به (٤) كلفه : أي حبه ذلك الحب الشديد أو هو بمعنى احتمال تكاليفه ومشقاته (٥) كنفه حصنه وهو الصدر والعضدان (٦) السلف : الآباء ، والمعنى : أترى أن أحدا بلغ فى الانتساب الى أفاضل الناس وأكرمهم وأحسنهم خلقا مثلما بلغ الممدوح (٧) ليت شعري: كلمة تدل على التعجب ، والمعنى : أن الامر غريب جدا لان من كانت تلك سجاياه وهذه أوصافه ونعوته فأي شيء يرتجي من وصوله الى النجم وارتقائه فوق مناط الثريا ، أى أنه بلغ غاية الكمال التى لا يمكن المزيد عليها قط

المَقَامَةُ الصُّفْرِيَّةُ

حَدَّثَنا عِيسَى بْنُ هِشامٍ قالَ: لَمَّا أَرَدْتُ الْقُفُولَ مِنَ الْحَجِّ (١). دَخَلَ إِلَيَّ فَتًى فَقالَ: عِنْدِي رَجُلٌ مِنْ نِجارِ الصُّفْرِ (٢). يَدْعُو إِلى الْكُفْرِ (٣). وَيَرْقُصُ على الظُّفْرِ (٤). وَقَدْ أَدَّبَتْهُ الْغُرْبَةُ (٥). وَأَدَّتْنِي الْحِسْبَةُ إِلَيْكَ. لِأُمَثِّلَ حالَهُ لَدَيْكَ (٦). وَقَدْ خَطَبَ مِنْكَ جارِيَةً صَفْراءَ تُعْجِبُ الْحاضِرِينَ. وَتَسُرُّ النَّاظِرِينَ (٧). فَإِنْ أَجَبْتَ يَنْجَبُ

---

(١) قفل — من باب دخل — رجع، والقفول من السفر، العود منه ومنه سميت القافلة وهى الجماعة التى تتآلف على السفر سموها بذلك تفاؤلا لها بالرجوع (٢) النجار ـ بكسر أوله وضمه ـ ومثلها النجر ـ بوزن فلس: الاصل ومنه المثل: كل نجار ابل نجارها يضرب لمن يتلون أي فيه كل لون من الاخلاق ولا يثبت على رأى، والصفر: جمع أصفر وقد صار لقبا للدنانير والمعنى: أن عندي دينارا (٣) الكفر فى الاصل الستر، والمعنى: أنه يحمل صاحبه على ستره واخفائه ضنا به وخوفا عليه ويصح أن يراد منه الكفر بالمعنى الشائع المعروف ومعنى أن الدينار داع اليه أن صاحبه لا يأمن على نفسه الوقوع في مهاوي الزيغ والضلال (٤) من عادة الصيارفه ونقدة الاموال أن ينقروها على أظفارهم ليتبينوا جيدها من رديئها وذلك هو المراد بكونه يرقص على الظفر (٥) المعنى أنه في يد غير صاحبه (٦) الحسبة فعل الامر غير منظور عند عمله غير وجه الله، وأمثل حاله: أصورها لك وأعلمك حقيقتها، والمعنى أن شفقتى بذلك الفتى جعلتني أتقدم اليك واصفا حاله محتسبا في ذلك الاجر عند الله (٧) جارية: أي قطعة منطلقة، وأرادبكونها صفراء

مِنْهما وَلدٌ يعمُّ ٱلبقاعَ وَالأَسْماعَ (١) . فإذا طَوَيْتَ هذا الرَّيْطَ (٢) . وَثَنيتَ هذا الخَيْطَ . يكُونُ قَدْ سَبَقكَ إلَى بلدِكَ (٣) . فرَأيكَ في نَشْرِها في يَدِكَ (٤) . قالَ عِيسى بْنُ هِشَامٍ : فَعَجِبْتُ مِنْ إيرَادِهِ . وَلُطْفِهِ فِي سُؤَالهِ (٥) . وَأجَبْتُهُ فِي مُرادِهِ . فأنشأَ يَقُولُ :

المَجْدُ يُخْدَعُ بِاليَدِ السُّفْلَى وَيَدُ الكَرِيمِ وَرَأْيُهُ أعلَى (٦)

تعيين أنها من نوع الذهب (١) ينجب منها ولد : أى يجيء له من هذه الجارية ولد نجيب وأراد منه الثناء عليه واطراءه ومديحه ولذلك قال يعم الاسماع والبقاع أى أنه ينتشر انتشارا عظيما حتى لا يبقى سمع الا وصله ولا بقعة الا دخلها (٢) الريط : جمع ريطة وهى الملاءة اذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين ، والمعنى : اذا قطعت أيام الفراق ووصلت وطنك وحللت بناديك

(٣) أى أن ذلك الولد ستجده حل وطنك قبلك ووصل الدار قبل وصولك (٤) أى : لك أن ترى بعد ما ذكرت لك من الكلام رأيك فى أن تجيبنى الى ما أملت أو تردني خائبا (٥) ايراده : أي طريق حكايته لي وتحديثه اياي بحاجته والمعنى أنى قد أخذني العجب من حديثه ولطافته مع جميل سؤاله فلم أخيب ظنه ولم أضع رجاءه (٦) اليد السفلى : التي تطلب العطاء وتستجدى أكف الناس ، واليد العليا المعطية والمانحة وفى الحديث : (اليد العليا خير من اليد السفلى) ، والمعنى : أن المستمنح يخدع المانحين ويختلسهم بما يلقيه اليهم من الحديث وما يمده نحوهم من شراك الاسترفاد ولكن ليس ذلك دليلا على ضعف المعطي ولا حجة على خباله لانه لا يزال صاحب اليد العليا والرأي الناضج والفكر السديد

المَقامَةُ السَّارِيَّةُ

حَدَّثَنا عيسى بْنُ هِشامٍ قالَ : بَينا نَحْنُ بِسارِيَةَ [١] عِنْدَ واليها اذْ دَخَلَ عَلَيْهِ فَتًى بِهِ رَدْعُ صُفارٍ [٢] فانْتَفَضَ الْمَجْلِسُ لَهُ قِياماً . وَأُجْلِسَ فى صَدْرِهِ اعظاماً [٣] . وَمَنَعَتْني الْحِشْمَةُ لَهُ مِنْ مَسأَلَتي ايَّاهُ عَنِ اسْمِهِ [٤] وَابْتَدَأَ فَقالَ لِلْوالى : ما فَعَلْتَ فى الْحَديثِ الأَمْسِيِّ لَعَلَّكَ جَعَلْتَهُ فى الْمَنْسِي [٥] ؟! فَقالَ : مَعاذَ اللهِ وَلٰكِنْ عاقَنِي عَنْ بُلوغِهِ عُذْرٌ لا يُمْكِنُ شَرْحُهُ [٦] . وَلا يُؤْسِي جُرْحَهُ [٧] . فَقالَ

---

(١) سارية : احدى بلاد طبرستان (٢) الردع : أثر الطيب ، والصفار بضم أوله ونفاء ـ : أراد منه اللون الاصفر والمعنى أن ذلك الفتى كان بجسده آثار طيب أصفر كالزعفران مثلا (٣) المعنى أن جميع من كان بالمجلس قد تحرك مسرعا للقيام ثم أنهم أجلسوه في صدر المكان تعظيما له وتوقيرا

(٤) الحشمة له : الاجلال والتباعد عما يثير غضبه أو يعنته

(٥) الامسي : نسبة الى الامس وهو اليوم الذي قبل يومك والمعنى : ماذا صنعت بشأن ذلك الحديث الذي جرى بيننا بالامس ثم عطف اليه قائلا : أنى أشفق من أن تكون نسيت (٦) المعنى : أنى لم أنس ذلك الحديث لان النسيان علامة عدم الاكتراث وأنت ممن يخطر بالبال دائما ولكنى لم أستطع قضاءه لاعذار طويلة لا أتمكن من بسطها لك (٧) يؤسي : يطبب ويعالج ، والمعني : أن الذى نالنى من عدم الانجاز بما وعدتك أشدعلى نفسى

الدَّاخلُ : يا هٰذا قَدْ طالَ مِطالُ هٰذا الْوَعْدِ (١) فَما أَجِدُ غَدَكَ فيهِ إِلَّا كَيَوْمِكَ . وَلا يَوْمَكَ فيهِ إِلَّا كَأَمْسِكَ (٢) . فما أُشَبِّهُكَ فى الإِخْلافِ . إِلَّا بِشَجَرِ الخِلافِ (٣) . زَهْرُهُ يَمْلأُ العَيْنَ . وَلا ثَمَرَ فى البَيْنِ (٤) . قالَ عيسى بْنُ هِشامٍ : فَلَمَّا بلَغَ هٰذَا المَكانَ قَطَعْتُ عليهِ فقُلْتُ : حَرَسَكَ اللهُ أَلَسْتَ الإِسْكَنْدَرِيَّ . فقالَ : وَأَدامَ حِراسَتَكَ . ما أَحْسَنَ فَراسَتَكَ (٥) . فقُلْتُ : مَرْحَباً بأَمِيرِ الكَلَامِ . وَأَهْلاً بِضالَّةِ الكِرامِ (٦) . لَقَدْ نَشَدْتُها . حَتَّى وَجَدْتُها . وَطَلَبْتُها . حَتَّى أَصَبْتُها (٧) .

---

(١) المطال ومثله المطل — : التسويف وأرجاء الوفاء من يوم الى آخر والمعني : أنه طال تسويفك وأرجاؤك وأنا أنتظر وفاءك ولكنك لا تفعل فتى يكون (٢) أي : أن حالك معي لا يتغير فالذي تقوله اليوم هو ما ستقوله غدا وهو بعينه الذى ذكرته أمس

(٣) شجر الخلاف : هو شجر الصفصاف أو هو نوع منه (٤) ولا ثمر فى البين : أي بين أغصان ذلك الشجر أو هي كلمه مستعملة في معنى هنالك وهو استعمال مولد ، وهذا هو وجه التماثل بين الوالى وشجر الخلاف ، والمعنى أنه يخدعك منظره وتغرك رؤيته ولكنك اذا فتشت فى أثنائه وجهدت نفسك أن تجد ثمرة فلن تلقى السبيل الى ذلك (٥) فراستك : تفرسك لاستطلاع حقيقتى ، والمعنى : أن ظنك لم يخب فأنا هو (٦) الضالة ما شرد منه فأنت تبحث عنه أو هو أكرم مالك عليك وآثره لديك ، ومعنى هذا أن الاسكندري رجل يطلبه كرام الناس ليتعرفوا أدبه الجم ويستفيدوا من حسن بيانه وجميل خطابه وفصيح مقاله (٧) نشد الضالة : طلبها وجد فى البحث عنها ، والمعنى

ثُمَّ تَرَافَقْنَا حَتَّى اجْتَذَبَنِي نَجْدٌ (١) . وَالْتَقَمَهُ وَهْدٌ (٢) . وَصَعِدْتُ وَصَوَّبَ (٣) . وَشَرَّقْتُ وَغَرَّبَ . فَقُلْتُ عَلَى أَثَرِهِ :

يَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْ أَخٍ ضَاقَتْ يَدَاهُ وَطَالَ صِيتُهُ (٤)
قَدْ بَاتَ بَارِحَةً لَدَيَّ فَأَيْنَ لَيْلَتَنَا مَبِيتُهُ (٥)
لَا دَرَّ دَرُّ الْفَقْرِ فَهْوَ طَرِيدُهُ وَبِهِ رُزِيتُهُ (٦)

أنه طال بي الأمد وأنا أتلمس لقياك وأرجو الوصول اليك حتى أسعفني الدهر بما رجوت (١) النجد : ما ارتفع وعلا من الارض ، وجذبه رفعه أليه

(٢) الوهد : ما تطامن وانخفض من الارض : ولقمه – من باب فهم ابتلمه ، والمعنى : أنهما ما زالا رفيقين حتى وصلا الى مكان افتراقهما فسار عيسى نحو سجستان يؤم خلف بن احمد فعلا في نجاد الارض وسار الاسكندري نحو العراق فهبط في وهادها (٣) صعدت : سرت مرتفعا بما يناسب النجد وصوب : سار منخفضا بما يتفق مع الوهد

(٤) ليت شعري عنه : أي ليت خبري عنه حاصل عندي ، وأصل الشعر في مثل هذا التركيب العلم فاستعمل في الخبر هنا لانه سبب من اسبابه ، والمعني ليتني أعلم شيئا عن ذلك الاخ الذي قصرت يده وضاقت عن الانفاق ولم تقدر على البسطة ووفر الغنى مع علو كعبه وارتفاع ذكره وطول شهرته وامتداد صيته وبعد مداه (٥) بارحة . أراد منها الليلة الماضية ، وليلتنا : أي هذه الليلة ، والمعني : أنه قضى معي الليلة المنصرمة فأين يقضى هذه الليلة الآتية ياترى (٦) الدر : اللبن ، ودر – من باب شد – درا ودرورا –: كثر ، ويقال في الذم لا در لا دره أي لا كثر خيره ، ويقال في المدح : لله دره أي عمله

لَأُسَلِّطَنَّ عَلَيْهِ مِنْ خَلَفِ بْنِ أَحْمَدَ مَنْ يُمِيتُهُ[1]

اَلْمَقَامَةُ اَلتَّمِيمِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : وَلِيتُ بَعْضَ اَلْوِلاَيَاتِ مِنْ بِلاَدِ اَلشَّامِ . وَوَرَدَهَا سَعْدُ بْنُ بَدْرٍ أَخُو فَزَارَةَ . وَقَدْ وُلِّيَ اَلْوِزَارَةَ[2]

ولله دره من رجل ، ولله دره رجلا ، وطريده : مطروده ، ورزيته أصله رزئته نخفف بالاسهال ، والمعنى ، الدعاء على الفقر بأن يجف ضرع من تغذيه بلبنها ليموت ، وليس المقصود ذلك حقيقة ولكن المراد أن يقول : أن الفقر أمر يقصر الجاه ويضعف المروءة ويقلل من العزيمة ويفل شباتها لانه كان سببا فى رزئى بالاسكندرى فى حين أني لا أحب غير لقائه والسير معه فبذا ولم يكن وأراد عيسى فقر نفسه أي أنه لو كان موسرا لتحمل نفقاته ولم يقبل فراقه.

(١) المعنى : أقسم يمينا لا أحنث فيه أنى لا بد أن أسلط على الفقر من خلف شخصا يميت هذا الفقر بمنحه وعطاياه ، وخلف هو الذى سيفعل ذلك ولكنه أراد التجريد نحو لقيت من زيد أسدا ، ولعل فى هذا البيت دليلا على أنه أراد فقر نفسه

(٢) فزارة : احدى قبائل العرب ، وأخوها : أحد رجالها الذين تتصل نسبتهم اليها ، والوزارة كانت في عصر البديع تجمع بين السلاحين السيف والقلم وكان لا يتولاها الا من يحوز الصفتين جميعا غير أن حال الوزير كانت تختلف من جهة اطلاق يده في التصرفات كلها وغل يده عن البعض وقال ابن خلدون عن الوزارة : هى أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية لأن اسمها يدل على

وَأَحْمَدُ بْنُ الْوَلِيدِ .

مطلق الاعانة فان الوزارة مأخوذة اما من الموازرة وهي المعاونة أومن الوزر وهو الثقل كأنه يحمل مع مفاعله أوزاره وأثقاله وهو راجع الى المعاونة المطلقة ، وأحوال السلطان لا تعدو أربعة أمور لأنها اما أن تكون في أمور حماية الكافة وأسبابها من النظر فى الجند والسلاح والحروب وسائر أمور الحماية والمطالبة وصاحب هذا هو الوزير المتعارف فى الدول القديمة بالمشرق ولهذا العهد بالمغرب ، واما أن تكون في أمور مخاطباته لمن بعد عنه في المكان أو في الزمان وتنفيذه الأوامر فيمن هو محجوب عنه وصاحب هذا هو الكاتب واما أن تكون فى أمور جباية المال وانفاقه وضبط ذلك من جميع وجوهه أن يكون بمضيعة وصاحب هذا هو صاحب المال والجباية وهو المسمى بالوزير لهذا العهد بالمشرق واما أن يكون في مدافعة الناس ذوي الحاجات عنه أن يزدحموا عليه فيشغلوه عن فهمه وهذا راجع لصاحب الباب الذي يحجبه فلا تعدو هذه الاربعة بوجه وكل خطة أو رتبة من رتب الملك أو السلطان فاليها يرجع الا أن الارفع منها ما كانت الاعانة فيه عامة فيما تحت يد السلطان من ذلك الصنف اذهو يقتضى مباشرة السلطان دائما ومشاركته في كل صنف من أحوال ملكه وأما ما كان خاصا ببعض الناس أو بعض الجهات فيكون دون الرتبة الاخرى كقيادة ثغر أو ولاية جباية خاصة أوالنظر في أمر خاص كحسبة الطعام ، وما زال الأمر فى الدول قبل الاسلام هكذا حتى جاء الاسلام وصار الأمر خلافة فذهبت تلك الخطط كلها بذهاب رسم الملك الى ما هو طبيعى من المعاونة بالرأي والمفاوضة فيه ، ثم أفاض في تطور الاحوال وانتقالها من عصر الى عصر وتقسيم الوزارة وتنويعها وتحديد عملها ورسومها في كل زمان

عَلي عَمَلِ ٱلْبَرِيدِ [١] . وَخَلَفُ بْنُ سَالِمٍ . عَلَى عَمَلِ ٱلْمَظَالِمِ [٢] .

---

(١) البريد : أصله أن يجعل خيل مضمرات في عدة أماكن فاذا وصل صاحب الخبر المسرع الي مكان منها — وقد تعب فرسه — ركب غيره فرسا مستريحا وكذلك يفعل في المكان الآخر والآخر حتي يصل بسرعة ، وأما معناه اللغوى فالبريد هو اثنا عشر ميلا وأظن أن الغاية التي قدروها بين بريد وبريد هي هذا القدر ، وقال الصاحب علاء الدين عطا ملك فى جهان كشاي ومن جملة الاشياء وضعهم البريد بكل مكان طلبا لحفظ الاموال وسرعة وصول الاخبار ومتجددات الاحوال ، وأول من وضعه معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه طلبا للسرعة فى وصول الاخبار ، وعمل البريد من أكبر الاعمال فى الدول الاسلامية فقد كان صاحبه يتولى تفقد أحوال الثغور والبلدان النائية ويحدث السلطان عنها ويشير عليه بما يراه أعدل لها ، وله عمال كثيرون يستخدمهم فى النواحى والاطراف في فروع عمله ، وكانت له مكانة سامية عند السلاطين لانه الذى يتفقد الاحوال ويستكشف خبيئات الامور ويخبر الخليفة بما يحيط به علمه وكان كل ما يرد من ولاة الاقاليم وعمال البلدان يعطى لعامل البريد ليطلع عليه أولا ثم هو يذهب به الي الخليفة ولذلك فانه كان مأذونا له بالدخول من غير ممانعة فى بعض العصور (٢) قال ابن خلدون في عمل المظالم أنه ولاية ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفة القضاء وكانه يمضي ما عجز القضاة وغيرهم على أمضائه ويكون نظر صاحبه فى البينات والتقرير ، واعتماد الامارات والقرائن وتأخير الحكم الي استجلاء الحق وحمل الخصمين على الصلح واستحلاف الشهود ، فهى أوسع من دائرة نظر القاضي ، وكان الخلفاء الراشدون يتولون هذا العمل بأنفسهم فى صدر الاسلام وكانوا ربما تركوها للقضاة ثم صارت ولاية مستقلة

وَبَعْضُ بَنِي ثَوَابَةَ . وَقَدْ وُلِّيَ الْكِتَابَةَ (١) .

---

(١) ثوابة : قبيلة من قبائل العرب والكتابة ، ديوان الرسائل ولا بأس بأن نورد لك رأي ابن خلدون فيها مع شيء من الاجمال قال : هذه الوظيفة غير ضرورية في الملك لاستغناء كثير من الدول عنها رأسا كما في الدول العريقة في البداوة التي لم يأخذها تهذيب الحضارة ولا استحكام الصنائع ، وانما أكد الحاجة اليها في الدولة الاسلامية شأن اللسان العربي والبلاغة في العبارة عن المقاصد ، فصار الكاتب يؤدي الحاجة بأبلغ من العبارة اللسانية في الاكثر وكان الكاتب للامير يكون من أهل نسبه ومن عظماء قبيله كما كان للخلفاء وأمراء الصحابة بالشام والعراق لعظم أماناتهم وخلوص أسرارهم فلما فسد اللسان وصار صناعة اختص بمن يحسنه وكانت عند بني العباس رفيعة وكان الكاتب يصدر السجلات مطلقة ويكتب في آخرها اسمه ويختم عليها بخاتم السلطان (وهو طابع منقوش فيه اسم السلطان أو اشارته يغمس في طين أحمر مذاب بالماء ويسمى طين الخاتم ويطبع به على طرفي السجل عند طيه والصاقه) ثم صارت السجلات من بعدهم تصدر باسم السلطان ويضع الكاتب فيها علامته أولا وآخراً على حسب الاختيار في محلها وفي لفظها ثم قد تنزل هذه الخطة بارتفاع المكان عند السلطان لغير صاحبها من أهل المراتب في الدولة أو استبداد الوزير عليه فتصير علامة هذا الكتاب ملغاة الحكم بعلامة الرئيس عليه يستدل بها فيكتب صورة علامته المعهودة والحكم لعلامة ذلك الرئيس كما وقع في آخر الدولة الحفصية لما ارتفع شأن الحجابة وصار أمرها الى التفويض ثم الاستبداد صار حكم العلامة التي للكاتب ملغي وصورة ثابتة اتباعا لما سلف من أمرها فصار الحاجب يرسم للكاتب امضاء كتابه ذلك بخط يصنعه ويتخير له من صيغ الانفاذ ما شاء فيأتمر الكاتب له ويضع العلامة المعتادة وقد يختص

وَجُعِلَ عَمَلُ ٱلزِّمَامِ . إِلَي رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ ٱلشَّامِ (١)

السلطان نفسه بوضع ذلك اذا كان مستبداً بأمره قائما على نفسه فيرسم الامر للكاتب ليضع علامته ، ومن خطط الكتابة التوقيع وهو أن يجلس الكاتب بين يدي السلطان فى مجالس حكمه وفصله ويوقع على القصص المرفوعة اليه أحكامها والفصل فيها متلقاة من السلطان بأوجز لفظ وأبلغه فاما أن تصدر كذلك واما أن يحذو الكاتب على مثالها في سجل يكون بيد صاحب القصة ويحتاج الموقع الى عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيعه ، وقد كان جعفر بن يحيى يوقع فى القصص بين يدي الرشيد ويرمى بالقصة لصاحبها فكانت توقيعاته يتنافس البلغاء فى تحصيلها للوقوف فيها على أساليب البلاغة وفنونها حتى قيل انها كانت تباع كل قصة منها بدينار وهكذا كان شأن الدول

(١) لا ندري ما الذي أراد بولاية الزمام لاننا لم نعرف ولاية بهذا الاسم فى ذلك العصر غير أن الذي يتبادر الي الذهن أنه أراد منها ولاية الاعمال والجبايات وفيها يقول العلامة ابن خلدون : اعلم أن هذه الوظيفة من الوظائف الضرورية للملك وهي القيام على أعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخرج واحصاء العساكر بأسمائهم وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم فى أباناتها والرجوع في ذلك الى القوانين التي يرتبها قومة تلك الاعمال وقهارمة الدولة وهى كلها مسطورة فى كتاب شاهد بتفاصيل ذلك في الدخل والخرج مبني على جزء كبير من الحساب لا يقوم به الا المهرة من أهل تلك الاعمال ويسمى ذلك الكتاب بالديوان وكذلك مكان جلوس العمال المباشرين لها ويقال أن اصل هذه التسمية أن كسري نظر يوما الي كتاب ديوانه وهم يحسبون على أنفسهم كأنهم يحادثون أحدا فقال (ديوانه) أي مجانين بلغة الفرس فسمي موضعهم بذلك وحذفت الهاء لكثرة الاستعمال تخفيفا فقيل ديوان ثم نقل هذا الاسم

الى كتاب هـذه الاعمال المتضمن للقوانين والحسبانات ، وقيل أنه اسم للشياطين بالفارسية سمي الكتاب بذلك لسرعة نفوذهم في فهم الامور ووقوفهم على الجلي منها والخفي وجمعهم لما شذ وتفرق ثم نقل الى مكان جلوسهم لتلك الاعمال وعلى هذا فيتناول اسم الديوان كتاب الرسائل ومكان جلوسهم بباب السلطان ، وقد تفرد هذه الوظيفة بناظر واحد في سائر هـذه الاعمال وقد يفرد كل منها بناظر كما يفرد في بعض الدول النظر في العساكر واقطاعاتهم وحسبان أعطياتهم أو غير ذلك على حسب مصطلح الدولة وما قرره أولوها ، واعلم أن هذه الوظيفة انما تحدث في الدول عند تمكن الغلب و الاستيلاء والنظر فى أعطاف الملك وفنون التمهيد وأول من وضع الديوان في الدولة الاسلامية عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقال لسبي أتى به أبو هريرة رضي الله عنه من البحرين فاستكثروه وتعبوا في قسمه فسموا الى احصاء الاموال وضبط العطاء والحقوق فأشار خالد بن الوليد بالديوان وقال : رأيت ملوك الشام يدونون فقبل منه عمر ، وقيل بل أشار عليه به الهرمزان لما رآه يبعث البعوث بغير ديوان فقيل له : ومن يعلم بغيبة من يغيب منهم قال : من تخلف أخل بمكانه وانما يضبط ذلك الكتاب فأثبت لهم ديوانا وسأل عمر عن اسم الديوان فعبر له ولما اجتمع ذلك أمر عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من كتاب قريش فكتبوا ديوان العساكر الاسلامية على ترتيب الانساب مبتدأ من قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما بعدها الاقرب فالاقرب هكذا كان ابتداء ديوان الجيش

أما ديوان الخراج والجبايات فبقي بعد الاسلام كما كان قبله (العراق بالفارسية والشام بالرومية) وكتاب الدواوين من أهل العهد من الفريقين . ولما جاء عبد

تُحْفَةَ الْفُضَلَاءِ (٢). وَمَحَطَّ رِحَالِهِمْ. وَلَمْ يَزَلْ يَرِدُ الْوَاحِدُ بَعْدَ الْوَاحِدِ حَتَّى امْتَلَأَتِ الْعُيُونُ مِنَ الْحَاضِرِينَ (٣) وَثَقُلُوا عَلَى الْقُلُوبِ. وَوَرَدَ فِيمَنْ وَرَدَ أَبُو النَّدَى التَّمِيمِيُّ فَلَمْ تَقِفْ عَلَيْهِ الْعُيُونُ (٤).

الملك بن مروان واستحال الامر ملكا وانتقل القوم من غضاضة البداوة الي رونق الحضارة ومن سذاجة الامية الي حذق الكتابة وظهر في العرب ومواليهم مهرة من الكتاب والحسبان فأمر عبد الملك سليمان بن سعد والى الاردن لعهده أن ينقل ديوان الشام الى العربية فأكمله لسنة من يوم ابتدائه. ووقف عليه سرحون كاتب عبد الملك فقال لكتاب الروم : اطلبوا العيش في غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم ، وأما ديوان العراق فأمر الحجاج صالح بن عبد الرحمن — وكان يكتب بالعربية والفارسية — أن ينقل الديوان من الفارسية الي العربية ففعل ورغم لذلك كتاب الفرس وكان عبد الحميد بن يحيي يقول : لله در صالح ما أعظم منته على الكتاب ، ثم جعلت هذه الوظيفة في دولة بنى العباس مضافة الي من كان له النظر فيه كما كان شأن بنى برمك وبنى سهل بن نوبخت وغيرهم من وزراء الدولة

(٢) التحفة : النفيس الذي يتقدم به الفضلاء بعضهم الى بعض، والمعنى: أن هذه الولاية التي وليها سعد بن بدر قد جمعت الافاضل ووجوه الكتاب وخيرتهم فهي بذلك قد أصبحت زاهرة حتى أنه ليتهاداها كرام الناس (٣) ثقلوا على القلوب : لكثرة تواردهم وكثرة ما يكلفون أهل المجلس من التوقير لهم واحترامهم لانهم من أهل الفضل وأرباب الحجا الذين تجب كرامتهم وبذل الغاية في احترامهم وذلك من أثقل التكاليف على النفس (٤) يقال : وقفت العيون في وجه فلان أذا حدقت اليه طويلا وأثبتت النظر فيه وتتابع ذلك

وَلا تصغَت لَهُ القلوبُ . وَدَخلَ يَوْماً إِلَيَّ فقدرتهُ حقَّ قدرِهِ . وأقعَدتُهُ مِنَ المجلسِ فِي صَدرِهِ . وقُلتُ : كَيفَ يُرجَّى الأُستاذُ عُمرَهُ . وَكَيفَ يرَى أمرَهُ(١) . فنظَرَ ذاتَ اليمينِ وَذاتَ اليسارِ (٢) . فقالَ : بينَ الخسرانِ وَالخسارِ (٣) . وَالذلِّ والصغارِ (٤) . وقومٌ كرَوثِ الحمارِ . يَشمُّهم الإقبالُ وهُمْ مُنتنونَ (٥) . ويحسِنُ إليهمْ فلاَ يحسِنونَ . أما وَاللهِ لقَدْ وَرَدتُ منهُمْ علي قومٍ ما يُشبِهُهُمْ مِنَ النَّاسِ . غيرُ الرَّأسِ وَاللِّباسِ (٦) . وجعَلَ يَقولُ :

منها وهذا كناية عن احترامه وأخذه بلبك وهو يقول : ان العيون لم تتجه اليه فهو يرد التكنية عن أنهم احتقروه ولم يحفلوا به (١) المعنى : أي شيء تؤمل في حياتك وما الذي ترجوه من دهرك وما رغباتك في هذا الوجود ولما كان الامل يسوق العمل وجه اليه السؤال عن الامل في حين أنه يريد أعماله وأحواله

(٢) انما التفت يمينا وشمالا ليري هل يحس به أحد وهل هناك من يسمع كلامه فيتحاشي أن يذكر عيبا أو يخبر بقبيح (٣) الخسران : الخيبة والحرمان وضياع الرجاء وفقدان الآمال ، والخسار : اللؤم ودناءة الطبع وسفالة الاصل والمعني أنه يقضي أوقاته كلها بين أمل ضائع ورجاء مسلوب واخوان سفلة وعشراء لئام (٤) الصغار : الحطة وضعف الشأن (٥) الاقبال : السعادة والحظ ، ويمن الطالع ، والمعنى : أن السعد يأتيهم واليمن ينزل بساحتهم والثراء والجاه يلزمانهم في حين أنهم لا يستحقون من ذلك كله شيئا

(٦) المعني : أني اضطررت للفرار من هؤلاء الذين حدثتك عنهم فلقيت

فِدَي لَكِ ياسِجِستانُ البِلَادُ ... ولِلمَلِكِ الكَرِيمِ بكَ العِبادُ (١)
هَبِ الأيامَ تُسعِدُنى وهبني ... تبلّغُنِيهِ راحِلَةٌ وَزَادُ
فَمَن لي بِالَّذِى قَدْ مات مِنهُ ... وَبِالعُمْرِ الَّذِي لا يُستَعادُ (٢)

المَقامةُ الخَمْرِيَّةُ

حَدَّثَنا عِيسَى بْنُ هِشامٍ قالَ: اتَّفَقَ لى في عُنفُوانِ الشَّبِيبَةِ خُلُقٌ سَجِيحٌ (٣). وَرأْيٌ صَحِيحٌ. فَعَدَّلْتُ مِيزانَ

جماعة لا يصلهم بالناس ولا يماثلهم بهم غير لباسهم وهيئة رؤوسهم فأما أفعالهم وخلقهم فهى بعيدة جداً عن أفعال الانسان وأخلاقه (١) سجستان مدينة من مدن فارس الشرقية ، والمعنى : أن هذه البلدة هى خير البلاد وأطيب الاماكن وأن الملك الذي يحل بها هو أكرم من فوق التراب ولذلك فاني أتمنى أن تكون بلاد الدنيا كلها فداء لسجستان وجميع العباد فداء لذلك الملك الكريم المقيم بها (٢) المعنى : أفرض أنه أمكن لي أن أسعد بالذهاب إلى حضرته وأتمتع بالمثول بين يديه والتشرف بلقائه وافرض أن في مقدور الرواحل أن تصل بي الى ساحته فهل ينفعنى ذلك اللقاء فى رد الايام الماضية والعمر المنصرم والحياة الفائتة التي غبرت عني دون تمتع به ولا تشرف بالورود اليه

(٣) عنفوان الشبيبة : أول الشباب ، وميعته، وحين طراءة العمر وغضارته، وخلق سجيح : سهل لين هادئ ، والمعنى : أنني لم أنشأ على الطيش والرعونة

عَقْلِي(١). وَعَدَلْتُ بَيْنَ جِدِّي وَهَزْلِي(٢). وَاتَّخَذْتُ إِخْوَاناً لِلْمِقَةِ(٣). وَآخَرِينَ لِلنَّفَقَةِ(٤). وَجَعَلْتُ النَّهَارَ لِلنَّاسِ. وَاللَّيْلَ لِلْكَاسِ(٥). (قَالَ) : وَاجْتَمَعَ إِلَيَّ فِي بَعْضِ لَيَالِيَّ إِخْوَانُ الْخَلْوَةِ. ذَوُو الْمَعَانِي الْحُلْوَةِ(٦). فَمَا زِلْنَا نَتَعَاطَى

والحمق والجنون مثل عادة الشباب بل فطرني الله على الهدوء والثبات والسكينة فتخلقت بكامل الاخلاق وتحليت بفضائل الاعمال ونشأت على عظيم الافعال منذ عهدي الاول في الحياة (١) عدلت ميزان عقلي : جعلت كفتيه متقابلتين لاترجح احداها لاخرى فلا أنا تركت كفة الشهوة ـ وهي في الشباب متوفرة متهيجة تتغلب على كفة الفضيلة ـ ولا أنا تركتها مرة واحدة (٢) عدلت : سويت وماثلت ، والمعنى : أني لم أجعل لاحدي الامرين رجحانا على الآخر فيغلبه فتميل كفته بل أردت الموازنة بينهما والمساواة فيهما ، وهـذا مثل قول الشـاعر :

ولله عندي جانب لا أضيعه ... وللهو عندي والخلاعة جانب

(٣) المقة : المحبـة وقد ومقه يمقه — بكسر الميم فيهما — : أحبه فهو وامق ، واخوان المقة هم أصدقاء المحبة والوداد وألاف الاخلاص الذين يستنصر بهم ويستصرخهم في الشدة ويدعوهم اذا حزبه أمر أو نزلت به كارثة

(٤) المعنى : أنه جعل أخلاءه نوعين : نوع تجمعه بهم المحبة الاكيدة والوداد المحض وادخره للنوازل والخطوب ، ونوع تدعوه اليهم ساعات الانس وأوقات المسرة من أهل الظرف والمروءة ووداعة الاخلاق ليتشاركوا في المأكل والمشرب ونحوهما من دواعي الطرب وبواعث الارتياح (٥) المعنى : أن قسمة وقته وتسويته بين جده وهزله كانت هكذا فيقضي نهاره بين الناس متحشما ووقوراً قائما بجليل الاعمال مؤديا منها مالا قبل لغيره عليه ، وليله مع ندمائه يستقون العقار ويجيلون القداح (٦) يريد بهم جماعة الندامى الذين يشاركونه النفقة

نُجُومَ الْأَقْدَاحِ (١). حَتَّى نَفِدَ ما مَعَنَا مِنَ

والانس (١) نجوم الاقداح : أى الخمر التي تشبه النجم فى الضياء والبريق ، ومن نعوتهم لها الرقة مع الصفاء ، والوميض مع اللألاء ، وفي الاول يقول :

رق الزجاج وراقت الخمر   فتشابها وتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح   وكأنما قدح ولا خمر

ويقول أبو نواس :

تخيرت والنجوم وقف   لم يتمكن بها المدار
فلم تزل تأكل الليالي   جثمانها ما بها انتصار
حتى اذا جرمها تلاشى   وخلص السر والنجار
آلت الي جوهر لطيف   عيان موجوده ضمار
لا ينزل الليل حتى حلت   فدهر شرابها نهار

ويقول صريع الغواني مسلم بن الوليد :

كأنها وحباب الماء يقرعها   در تحدر من سلك من الذهب
تكاد أن تتلاشى كلما مزجت   في الكأس لولا بقايا الريح والحبب

ويقول البحتري وقد ضمن بيتا لابي تمام :

فاشرب على زهر الرياض يشوبه   زهر الخدود وزهرة الصهباء
من قهوة تنسي الهموم وتبعث الـ   ـشوق الذى قد ضل في الاحشاء
يخفي الزجاجة لونها فكأنها   فى الكف قائمة بغير اناء

وأحسن من هذا كله قول أبي نواس :

جفت عن الماء حتى ما يلائمها   لطافة وجفا عن شكلها الماء

وفى الثاني يقول :

فلو مزجت بها نورا لمازجها   حتى تولد أنوار وأضواء

الرَّاحِ (١). قالَ: واجْتَمَعَ رَأْيُ النَّدْمانِ عَلى فَصْدِ الدِّنانِ (٢). فَأَسَلْنا نَفْسَها (٣) وَبَقِيَتْ كَالصَّدَفِ بِلا دُرٍّ (٤). أَوِ المِصْرِ بِلا حُرٍّ (٥). (قالَ) : وَلَمَّا مَسَّتْنا حالُنا

ويقول :

جاءت كشمس ضحى في يوم اسعدها ... من برج لهــو الى آفاق سراء

كأنهــا ولسان المــاء يقرعهــا ... نار تأجج في آجام قصبــاء

ويقول :

كأنهــا في زجاجهــا قبس ... يذكو بلا سورة ولا لهب

فهي بغــير المزاج من شرر ... وهي اذا صفقت من الذهب

(١) نقد : فني وذهب ، والراح : من أسماء الخمر ، والمعنى انا ظللنا نتحسى حتى لم يبق مما كان معنا شيء (٢) الفصــد في الاصل قطع العرق ليسيل منه الدم ، والدنان : جمع دن وهو راقود الخمر وخابيته العظيمة ومعنى فصدها فتحها لأخذ ما فيها من الخمر ، والمعنى انهم بعــد أن أنفدوا ما معهم طلبت نفوسهم مقداراً آخر منها فاتفقوا على فض الدنان لينالوا بغيتهم ويصلوا الى ما أرادوا (٣) النفس : الدم ، والخمر تشــبه الدم في اللون ونحوه

(٤) الصــدف : جمع صدفة وهي عساء الدرة ، والمعنى انهم بعد أن فضوا ختم الرواقيد تركوها خالية لا قيمة لها كما تترك الصدفة بعد أخذ ما فيها من ثمين الجواهر ، وهذا كناية عن استيعابهم لجميع ما كان فيها ومن تشبيه الخمر

كأن صغرى وكبرى من فواقعها ... حصباء در على أرض من الذهب

(٥) اذا خلت المصر من الحر والجريء المقدام فأي فرق بينها وبين الصحاري المجدبة والديار البلاقع ؟ فهو يقول : اننا تركنا الدنان ولا قيمة لهــا وهي لا تساوي شيئا

تِلْكَ دَعَتْنَا دَوَاعِي الشَّطَارَةِ (١). إلى خَانِ الخَمَّارَةِ (٢). وَاللَّيْلُ أَخْضَرُ الدِّيبَاجِ (٣). مُغْتَلِمُ الأَمْوَاجِ (٤). فَلَمَّا أَخَذْنَا في

---

(١) مستنا : الجأتنا ، واضطرتنا ، والشطارة : الخبث الشديد والميل الى الدعارة والفسق (٢) الخان والحانة : حانوت الخمار ومنه سميت الخمر بنت الحان ، والخمارة : مكان ابتياع الخمر وتحسيها والاضافة من باب اضافة الشيء الى نفسه كقولهم مسجد الجامع ، والمعنى : أن حالتنا الاولى عند ما فرغت الخمر التي كانت لدينا اضطرتنا الى الذهاب للحان لمتابعة الشرب ومواصلته (٣) الديباج في الاصل : الثوب اذا كان سداه ولحمته من حرير ، واللون الاخضر اذا اشتد كان أدكن مظلما والمراد وصف الليل بشدة سواده (٤) اغتلام الامواج : ثورتها ، وهياجها ، وكثرة اضطرابها ، وذلك تأكيد لسابقه في نعت اسوداد الليل وظلامه ، ولأبي العلاء المعري في وصف ليل أنس ما يقرب من ذلك :

رب ليل كأنه الصبح في الحسـ   ن وأن كان أسود الطيلسان
قد ركضنا فيه الى اللهو لما   وقف النجم وقفة الحيران
ليلتي هذه عروس من الز   نج عليها قلائد من جمان
هرب النوم عن جفوني فيها   هرب الأمن عن فؤاد الجبان
وكأن الهلال يهوي الثريا   فهما للوداع معتنقان
وسهيل كوجنة الحب في اللو   ن وقلب المحب في الخفقان
مستبدا كأنه الفارس المعـ   لم يبدو معارض الفرسان
يسرع اللمح في احمرار كما تسـ   رع في اللمح مقلة الغضبان
ضرجته دما سيوف الاعادى   فبكت رحمة له الشعريان
قدماه وراءه وهو في العجـ   ز كساع ليست له قدمان .

السَّبْحِ (١) . ثَوَّبَ مُنَادِي الصُّبْحِ (٢) . فَخَنَسَ شَيْطَانُ الصَّبْوَةِ (٣) وَتَبَادَرْنَا إلى الدَّعْوَةِ (٤) . وَقُمْنَا وَرَاءَ الإِمَامِ . قِيَامَ البَرَرَةِ الْكِرَامِ . بِوَقَارٍ وَسَكِينَةٍ . وَحَرَكَاتٍ مَوْزُونَةٍ (٥) . فَلِكُلٍّ بِضَاعَةٍ وَقْتٌ (٦) .

ثم شاب الدجى وخاف من الهجـ ر فغطى المشيب بالزعفران
ونضا فجره على نسره الوا قع سيفاً فهم بالطيران

(٦) السبح في الاصل : السير في الماء ، ولما كان قد شبه الليل بالبحر ذي الامواج المتكاثفة المتواثبة فقد سمى سيرهم الى الخمارة سبحا

(٧) منادي الصبح : المؤذن الذي يدعو الناس الى الصلاة ، وأصل التثويب في اللغة الاجتماع والمجيء ، وهو في عرف الشرع أن يقول المؤذن لصلاة الصبح : الصلاة خير من النوم مرتين ولعل أصل التسمية الشرعية من ذلك لأن هذا الكلام معناه الدعوة لاجتماع الناس ومجيئهم ، وربما صح أن تكون لأنه يشبه التبشير بالثواب لمن حضر (٨) خنس : انخذل وانقبض وفي التنزيل : (من شر الوسواس الخناس) أي الذي يلقي بالوسوسة ثم يفر هاربا

(٩) تبادرنا الى الدعوة : سرنا لتلبيتها مبادرين مسرعين ، والدعوة هي الاذان والمعنى أنا لم نكد نعتزم السير الى الحان حتى نفذنا ذلك العزم وأخذنا في طريقها فما سرنا قليلا حتى سمعنا المؤذن ينادي لدعوة العباد الى الصلاة ولم يقرع اسماعنا صوته حتى ذهب عنا الشيطان وغادرتنا دواعي التصابي ونزق الشباب فذهبنا نحو المسجد مسرعين لتأدية فريضة الصلاة

(١٠) المعنى : اننا حين قامت الصلاة دخلنا صفوفها فوقفنا وقوف العباد مع الخضوع لجبروت الله سبحانه والوقار والادب وكأن الذي كنا فيه لم يكن

(١١) أي : أن كل سلعة لها وقت تعرض فيه لا يناسبه غيرها ولا يناسبها

وَلِكُلِّ صِنَاعَةٍ سَمْتٌ[١] . وَإِمَامُنَا يَجِدُّ فِي خَفْضِهِ وَرَفْعِهِ[٢] .
وَيَدْعُونَا بِإِطَالَتِهِ إِلَى صَفْعِهِ[٣] . حَتَّى إِذَا رَاجَعَ بَصِيرَتَهُ[٤]
وَرَفَعَ بِالسَّلَامِ عَقِيرَتَهُ[٥] . تَرَبَّعَ فِي رُكْنِ مِحْرَابِهِ[٦] . وَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ
عَلَى أَصْحَابِهِ . وَجَعَلَ يُطِيلُ إِطْرَاقَهُ . وَيُدِيمُ اسْتِنْشَاقَهُ[٧] . ثُمَّ قَالَ :

غيره ، والبضاعة هنا هي الوقار والسكينة وتوازن الحركات والخشوع ووقتها هو آن الصلاة التي تؤدى فيه

(١) السمت : الجهة ، والمراد هنا الهيئة والحال ، والمعنى : أن كل حرفة وصناعة لها هيئة خاصة لا تليق فيها غيرها

(٢) الخفض والرفع : المراد بهما هنا الركوع والسجود ومعني جد الامام فيهما اجتهاده وتشديده فى تأديتهما (٣) الصفع : الضرب علي القفا خاصسة ومعني دعوته اياهم الى ذلك أنه يطيل أطالة تجعلهم يملون الصلاة ويسأمونها فلا يجدون لانفسهم مخرجا غير صفعه واستنهاضه للسرعة والانجاز

(٤) البصيرة : الفطنة، والحزم، والعقل، والتدبير، ومراجعته لها: طلبه منها الرجوع اليه وكانما كان قد افتقدها بسبب أطالته فلما اعتزم على الانتهاء كانه قد أعادها الى نفسه ورجعها (٥) عقيرته : صوته ، والصلاة ختامها التسليم فكأنه قال : ولما ختم الصلاة وانتهى من أعمالها (٦) المحراب : مقام الامام من المسجد ، وتربع : جلس (٧) الاطراق : السكوت مع ارخاء العينين نحو الارض ، والاستنشاق : اشتمام الريح وأدمانه الاكثار منه وكأنه كان قد شم رائحة الخمر فأراد أن يتثبت منها ليقدم الى الجماعة نصيحته التي سيذكرها بعد وقال الاستاذ الامام أن معنى استنشاقه شمه النشوق وذلك معني يأباه الذوق الأدبى ويمجه الطبع

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ خَلَطَ فِي سِيرَتِهِ (١). وابْتُلِيَ بِقَاذُورَتِهِ (٢). فَلْيَسَعْهُ دِيمَاسُهُ (٣) دُونَ أَنْ تُنَجِّسَنَا أَنْفَاسُهُ. إِنِّي لَأَجِدُ مُنْذُ الْيَوْمِ. رِيحَ أُمِّ الْكَبَائِرِ مِنْ بَعْضِ الْقَوْمِ (٤). فَمَا جَزَاءُ مَنْ بَاتَ صَرِيعَ الطَّاغُوتِ (٥). ثُمَّ ابْتَكَرَ إِلَى هٰذِهِ الْبُيُوتِ (٦). الَّتِي أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ (٧). وبِدَارِ هٰؤُلَاءِ أَنْ

---

(١) خلط في سيرته : أتى بمنكر الاعمال وشنيعها وارتكب فظائع الامور وخبيثها مع كونه يؤدي بعض أعمال الصلاح والتقوى وفي التنزيل (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم)

(٢) القاذورة في الاصل : ما تتقذر منه النفس، وتشمئز، وتنفر، والمراد هنا السيئة سماها بذلك كما سميت في الحديث : (من ابتلى بشيء من هذه القاذورات فليستتر بستر الله) لان مرتكبها يتلطخ كما يتلطخ من تعلوه الادناس والاقذار، ولان النفوس تبتعد عنه، وتنفر منه كما تنفر من القذر المنتن

(٣) الديماس : المنزل، والبيت، والمعنى من كان منكم قد ابتلاه الله تعالى بشيء من المعاصي فعليه أن يقبع في داره ويلزم بيته فان التستر على النفس مندوب اليه، والعقاب على الجرم مع المجاهرة أشد من العقاب عليه مع الاستتار

(٤) أم الكبائر : هي الخمر وبذلك سميت في الحديث، وهي تبعث الى الشر، وتذكي لهيب الفساد، وتؤجج نيران المعصية، فمن شربها هان عليه بعدها أن يفعل كل شيء لانه حينئذ يكون مسلوب العقل، فاقد الرشد، ضائع التمييز فيرتكب الكبيرة، ويتدنس بالمخازي، والآثام، ومن هذا أطلق عليها ذلك الاسم

(٥) الطاغوت: الشيطان، وصريعه : المقهور له، المغلوب بوسواسه

(٦) ابتكر : جاء مبكراً، والمراد بالبيوت المساجد (٧) أذن الله أن ترفع أعلم عباده بوجوب العمل على رفعتها والمغالاة في احترامها

يُقْطَعَ [١] . وَأَشَارَ إِلَيْنَا . فَتَأَلَّبَتِ الجَمَاعَةُ عَلَيْنَا [٢] . حَتَّى مُزِّقَتِ الأَرْدِيَةُ [٣] . وَدَمِيَتِ الأَقْفِيَةُ [٤] . وَحَتَّى أَقْسَمْنَا لَهُمْ لَا عُدْنَا . وَأَفْلَتْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ وَمَا كِدْنَا . وَكُلُّنَا مُغْتَفِرٌ لِلسَّلَامَةِ . مِثْلَ هَذِهِ الآفَةِ [٥] . وَسَأَلْنَا مَنْ مَرَّ بِنَا مِنَ الصِّبْيَةِ [٦] . عَنْ إِمَامِ تِلْكَ القَرْيَةِ . فَقَالُوا : الرَّجُلُ التَّقِيُّ . أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ . فَقُلْنَا : سُبْحَانَ اللهِ ! رُبَّمَا أَبْصَرَ عَمِّيتٌ [٧] .

---

(١) دابر القوم: آخر من بقي منهم وأصله الدبر ـ بالتخفيف والتثقيل معاً ـ: وهو الظهر، كناية عن استئصال شأفتهم والقضاء على جميعهم وفي التنزيل : (فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين)، والمعنى : أي عقوبة تقدرونها على هؤلاء الجماعة التى تقطع ليلها كله متلبسة بالمآثم والخطايا مستنيمة للشيطان يلقي اليها وينفخ فيها من روحه الفاسدة الشريرة ثم تجيئنا فى هذه المساجد التي لم تجعل للفسدة والمرتكبين وانما أقيمت للعباد والصالحين ؟ وكأنه يريد بهذا الاستفهام انكار أمر الشاربين وتفظيعه فى نظر جماعته (٢) تألبت : اجتمعت وتناصرت فى ضربهم والتنكيل بهم واهانتهم (٣) الاردية : جمع رداء وهو الثوب

(٤) دميت : سال دمها ، والمعنى : أن الضرب الذي أنزلوه بنا كان شديدا جدا حتى لقد اسال دماء أقفيتنا (وهذا هو أثر الصفع) ومزق ثيابنا

(٥) المعنى : أننا ما كنا نظن أننا سنخرج من تحت أيديهم وفي واحد منا رمق الحياة فلما أذن الله بالسلامة واختارها لنا عفونا عن كل ما نالنا

(٦) الصبية : الصبيان ، جمع صبي

(٧) عميت — بوزن سكيت — : السكران ، والجاهل الضعيف ، ومن لا يهتدي الي جهة ، والمعنى : أننا عهدناه على زيغ عن الحق ، وميل الى

وآمَنَ عِفْـرِيتٌ (١) . والحَمْـدُ لِلّهِ لقَـدْ أسْرَعَ فى أوْبَتِهِ (٢) . وَلا حَرَمَنَـا اللّهُ مِثْلَ تَوْبَتِهِ (٣) . وَجَعَلَنَـا بَقِيَّةَ يَوْمِنَا نَعْجَبُ مِنْ نُسْـكِهِ (٤) . معَ ما كُنَّا نَعْلَمُ مِنْ فِسْقِهِ (٥) . (قالَ) : وَلَمَّا حَشْرَجَ النَّهارُ أوْ كادَ (٦) . نَظَرْنا فإذا بِرَاياتِ الحَانَاتِ أمْثالُ النُّجُومِ . في اللَّيْلِ

الفجور ، وانحراف عن الجادة ، فلعله استهدي بنور اليمين فوضح له الطريق البين ، وظهر لعينه فجر الصواب (١) العفريت : الشيطان ، والناس تنسب كل فعل غريب، نادر الوقوع، شاق على الفاعل ، الى الشياطين ويقولون : فلان عفريت أو شيطان على التشبيه يريدون أنه يأتي بالافعال التى تكون كذلك ، والمعني : انا نعرف أبا الفتح سادرا فى اللهو ، آتيا بشنيع الاعمال ، فاعلا لفظيعها،فلعل حذوة الايمان قد اتقدت بقلبه فاحرقت شعاب الباطل ، ولعل برد الطاعة قد أثلج صدره فأطفأ نار العصيان (٢) الاوبة : الرجوع ،والمراد رجوعه الى الله تعالى والعمل بأوامره (٣) المعنى : انا نحمد الله جلت قدرته الذي وفقه الى الهداية ، ونشكره سبحانه أذ أراد به خيرا فرجعه الى صالح الاعمال قبل أن ينصرم العمر ويضيع الامد، ونسأله تعالي أن يعجل لنا ما عجله له (٤) النسك : العبادة ، وقد نسك ينسك — بالضم — نسكا — بوزن رشد — : أى تعبد ،ونسك ، — من باب ظرف — : صار ناسكا

(٥) الفسق : الفجور ، والخروج عن طاعة الله ، وقد فسق الرجل يفسق بالضم ـ فسقا ، وفيه لغة أخرى من باب جلس : ومعناه خرج ، وفى التنزيل (ففسق عن أمر ربه) أي خرج والمعنى : انا ظللنا عامة يومنا والعجب يأخذنا من عبادة أبي الفتح، وورعه، وزهده في اللذائذ والشهوات، لاننا عرفناه وهو لا يعمل علي طاعة الله، ولا يرضخ لعبادته (٦) يقال : حشرج الرجل حشرجة

الْبَهِيمِ [١] . فَتَهَادَيْنَا بِهَا السَّرَّاءَ [٢] . وَتَبَاشَرْنَا بِلَيْلَةٍ غَرَّاءَ [٣] وَوَصَلْنَا إِلَى أَفْخَمِهَا بَابًا [٤] . وَأَضْخَمِهَا كِلَابًا . وَقَدْ جَعَلْنَا الدِّينَارَ إِمَامًا [٥] . وَالِاسْتِهْتَارَ لِزَامًا [٦] . فَدُفِعْنَا إِلَى ذَاتِ شَكْلٍ وَدَلٍّ [٧] . وَوِشَاحٍ

اذا غرغر عند الموت ، وحينذاك تكون حياته موشكة أن تنتهي ، وعليه حشرجة النهار هنا أي انتهاؤه أو قرب ذلك

(١) رايات الحانات : أعلامها ، والليل البهيم : الذي اشتدت حلوكته وظلامه ، والمعنى أنه حينما أوشك النهار أن ينصرم أو انصرم فعلا نظرنا فاذا بنا نري الاعلام قد نشرت فوق الحانات وهي أماكن الخمر فبدت لاعيننا كأنها النجوم تسطع في الدجى فتنير ظلامه وتزيل غياهبه

(٢) تهادينا : أهدى بعضنا الى بعض ، والسراء : المسرة والحبور

(٣) تباشرنا : بشر بعضنا بعضاً ، وليلة غراء : ذات بهجة وجمال ، والمعنى أننا حين نظرنا هذه الرايات صار كل واحد منا يهدي الى الثاني السرور ويبشره بسعادة ليلتنا وجمالها وما سنلقاه فيها من لذة وأنس (٤) أراد من أفخمها بابا الكناية عن أن الحانة التي وصلوا اليها أكبر الحانات وأكثرها جمعا لأسباب المسرة ودواعي الانشراح (٥) الدينار : المراد منه جنسه أي النقد ، والامام : المراد منه هنا القيم الذي يقوم بالشؤون ويدبر الامور ، والمعنى أن الدينار هو الذي ينيلهم ما يريدون ، ويأتيهم بكل ما يحبون ، ويوفيهم لذتهم ويوفر لهم سعادتهم (٦) الاستهتار : اتباع الشهوات ، والسير مع الاهواء من غير مبالاة ولا اكتراث ، ولزاما : أي ملازما لا يفارقنا ولا يرحل عنا ، والمعنى : أننا جعلنا السير وفق أغراضنا وطوع شهواتنا ودیدنا لنا ، وصفة ملازمة لا تفارقنا ولا نحيد عنها قط (٧) دفعنا : أي أدانا سيرنا ، وذات شكل : أي ربة حسن وغزل ،

مُنْحَلِّ (١) . إذَا قَتَلَتْ أَلْحَاظُها . أحيتْ أَلْفَاظُها (٢) . فأَحْسَنَتْ تَلقِّينا .

والدن : هو مزج الرضا بالغضب، والقرن بين البذل والتمنع (١) الوشاح : شبه علاقة السيف يتخذ من أديم عريض ويرصع باللؤلؤ والجواهر ثم تجعله المرأة بين عاتقها وكشحها ، ومنحل : أي لا يكاد يمسك بخصرها لاتساعه ونحافة الخصر ، والمعنى : أننا سرنا للحانة فلما وصلناها دفعنا الباب فأدانا هـذا الى فتاة تأخذ بالالباب ، وتفتك بالعقول ، وتأسر النهى ، وتسلب الحجا ، لما هي عليه من صباحة الوجه ، ولطافة الحيا ، ولين الاعطاف ، ونحولة الخصر

(٢) يشبهون الالفاظ بالسحر ، والالحاظ بالسيوف المصلتة ، وبالقسي المعطفات ، وبالنصال ، وينسبون اليها القتل ، وتجد ذلك في كلامهم كثيرا فمنه قول جرير :

ان العيون التى فى طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتي لاحراك به وهن أضعف خلق الله أنسانا

وقول الآخر :

نحن قوم تذيبنا الاعين النجـ ل على أننا نذيب الحـديدا

وقول البحترى :

أين التي كانت لواحظ طرفها يصبو اليها القلب وهي سهام

وقول ابن الرومى :

ليت شعري أسحر عينيك داء الـ قلب أم نار خـدك الوهاج؟!
أيهـا الناس ويحـكم هـل مغيث لشجٍ يستغيث من ظلم شاج ؟
من مجيرى من أضعف الناس ركنا ولعينيه سـطوة الحجاج ؟!!

وبديع قول أبي تمام :

يا جفونا سواهرا أعدمتها لذة النوم والرقاد جفون

وأَسْرَعَتْ تُقَبِّلُ رُؤُسَنا وأَيْدِينَا (١) . وَأَسْرَعَ مَنْ مَعَهَا مِنَ الْعُلُوجِ : إِلَى حَطِّ الرِّحالِ وَالسُّرُوجِ (٢) . وَسأَلْنَاها عَنْ خَمْرِها فقَالَتْ :

خَمْرٌ كَرِيقي في العُذُو ... بَةِ وَاللَّذاذَةِ وَالحَلاوَهْ (٣)

بلي الجسم لكن الشوق حى ... ليس يبلى وليس تبلى الشجون

ان لله فى العباد منايا ... سلطتها على القلوب العيون

وللتهامى :

فتوق أعين عامر وسيوفها ... كل ـ وجدك ـ صارم بتار

وما أبدع قول أبي نواس :

لو نظرت عيناه الى حجر ... ولد فيه فتورها سقما

ومعنى مافى المقامة أن هذه الفتاة عيونا قاتلات وجفونا ساحرات ولكنها تقتل بعيونها ثم تحيي موتاها بعذوبة الفاظها ومثل هذا تقريبا قول ابن الرومى :

حور سحرن وما نفثن برقية ... فبلغن ملا يبلغ النفاث

لحظاتهن اذا رنون الى الفتى ... بلوي ولكن ريقهن غياث

مافي حبائل كيدهن رثاثة ... لكن حبال وصالهن رثاث

(١) تلقينا : مقابلتنا ، ولعيانا ، والمعنى : أنها لقيتنا لقاءحسنا ، ورفعت منزلتنا ، وزادت فى احترامنا (٢) العلوج : جمع علج وهو الرجل الضخم من كفار العجم أو هوالكافر من غيرالعرب مطلقا ، والرحال : جمع رحل وهو ما يستصحبه الرجل من الاثاث أو هو رحل البعير ولكنه بعيد هنا ، والسروج : معروفة ، والمعني : أن من كان مع هذهالفتاة منالرجال حين رأي حفاوتها بنا تبادر الي انزال ما على ركائبنا من المتاع اجلالا لنا وحفاوة بنا

(٣) أي أن هذه الخمر التى عندي تشبه ريقى ـ والريق ماء الفم ـ من

تَذَرُ الحَلِيمَ وَما عَلَيـهِ لِحِلْمِهِ أدنى طَـلاَوَهْ [١]
كأنمـا اعتصَرَهَا مِنْ خَدّي [٢] . أجْدَادُ جَدّي [٣] .

وجوه ثلاثة الاول عذوبتها والثاني لذة ما تجدون من تذوقها والثالث حلاوة مذاقها (١) تذر: تدع، وتترك ، والطلاوة ـ بتثليث الطاء ـ : البهجة ، والحسن والرواء ، والمنظر ، والمعنى : أن هذه الخمر متى شربها الحليم تجعله يترك حلمه وينسى سكونه ، ويفارق وقاره، فيصبح ولا بهجة للحلم عنده ، ولا رواء له لديه ، وقريب من هذا المعنى قول مسلم بن الوليد :

وبنت مجوسى أبوها حليلهـا اذا نسبت لم تعد نسبتها النهرا
قلوب الندامى في يدها رهينة يصيدونها قهرا وتقتلهـم قسرا
اذا ما تحساها الحليم أخو النهى أسر بها كبرا وأبدى بها كبرا

(٢) اعتصرها من خدى : كناية عن كونهـا حمراء اللون أو صفراء، ـ و الصفرة من ألوان النساء المستحسنة أيضاً ، وفي كلامهم: وصفراء العشية ـ وهذا التشبيه نفسه أخذه الشاعر المصري حافظ ابراهيم بك وزاد عليه فقال :

اسـقنا يا عـلام حتى ترانا لا نطيق الـكلام الا بهمس
خمرة قيـل انهـم عصروها من حدود الملاح في يوم عرس

(٣) أجداد جدى : كناية عن قدم العهد وطول احتباسها في الدن وهم يمتدحون من الخمر ما كان كذلك قال أبو نواس :

عتقت حتى لو اتصلت بلسـان ناطق وفـم
لاحتبت في القوم ماثلة ثم قصت قصـة الامم

وقال :

ألا خـذها كمصباح الظلام سـايلة أسود جعد سـخام
معتقة كما أوفي لنوح سـوى خمسين عاما ألف عام

وَسَرْبَلوها مِنَ الْقارِ . بِمِثْلِ هَجْرِي وَصَدِّي [١] . وَدِيعَةُ الدُّهُورِ [٢] . وَخَبِيئَةُ جَيْبِ السُّرُورِ [٣] . وَما زالَتْ تَتَوارَثُها الأَخْيارُ . وَيأْخُذُ مِنْها اللَّيْلُ وَالنَّهارُ . حَتَّى لَمْ يَبْقَ إِلا أَرَجٌ وَشُعاعٌ [٤] .

أقامت فى الدنان فلم يضرها   ولكن زانها طول المقام

(١) سربلوها : كسوها ، والقار ومثله القير : شيء أبيض يطلي به السفن والابل وقيل هما الزفت ، والمراد أن لونها يضرب الى السواد ، وهو لون محمود في الخمر عندهم قال شيخ السكارى ومقدم حلبتهم أبو نواس :

اذا امتنحت ألوانها مال صفوها   الى الحو الا أن أوبارها خضر

(٢) وديعة الدهر : أى انها لم تزل من القرون الماضية كلما مضى قرن استودعها الذى يليه حتى وصلت الينا فهذا زيادة فى تأكيد تمتيقها (٣) المعنى : أن السرور أخفاها لديه وأبى أن يطلع عليها سوى من هو لها أهل

والخمر قد يشربها معشر   ليسوا اذا عدوا باكفائها

(٤) المعنى : أن الزمان قد لطفها وصفاها وبالغ فى ذلك حتى لم يبق منها سوى أرجها (وهو الرائحة) والشعاع ، وقريب من هذا قوله :

فلم تزل تأكل الليالي   جثمانها ما بها انتصار
حتى اذا جرمها تلاشى   وخلص السر والنجار
آلت الى جوهر لطيف   عيان موجوده ضمار
لا ينزل الدهر حيث حلت   فدهر شرابها نهار

وقوله : فجوزها عن سلافا ترى لها   الى الافق الاعلي شعاعا مطنبا

وقول ابن الزيات :

وصهباء كرخية عتقت   فطالت بها في الدنان الطيل
فلم يبق منها سوى لونها   ونكهة ريح لها لم تزل

وَوَهجٌ لذّاعٌ [١]. رَيْحانَةُ النّفسِ [٢]. وضَرّةُ الشّمسِ [٣]. فتاةُ البَرْقِ [٤].

---

(١) الوهج : الحرارة ، واللذاع : المحرق ، وأراد أن هـذه الخمر حارة ولكن لا تظهر حرارتها في اللسان — كما هو مدلول اللذاع — بل فى تنبيه الدم وتحريكه وفى هياج الروح وأثارتها ، وقريب من مثل هذا المعنى يقول الغزى :

وبدر قباء زار والفجر غيرة ... يرينا قميص الليـل وهو قباء
أتي يشتـكي هز الشمال وأزها ... وما عندنا غير الشمول صـلاء
فقلنا أدرها فهي فى الـكأس جمرة ... تلظى ومن فرط اللطافة ماء

وما أبدع قول ابن الرومى فى نفس المعنى الذي ذكره البديع

وشمول أرقها الدهر حتى ... ما تواري فـذاتها بلبوس
وردة اللون في حدود الندامي ... وهي صفراء فى خدود الكؤوس
سهلة فى الحلوق لا غول فيها ... وهى حشناء صعبة فى الرءوس
وكأن السماع منها على الـك ... ف جساد على مداك عروس
تتقى بالعبس وهى تحيى ... بنسيم فيه حياة النفوس

(٢) الريحان : معروف ، والمعنى : أن هذه الخمر للنفس كالريحان تنعشها وتظهر عليها المسرة ، ولابي نواس :

أعطتك ريحانها العقار ... وحان من ليلك انسفار

(٣) الضرة : الزوجـة على زوجـة أخرى ويكون بينهما الشـقاق دائما والنزاع الذى لا يتناهي والحسد الباقى ، وانما ينشأ ذلك عن مزيد تفضيـل بين واحدة منهما والاخرى ، والمعنى أن هذه الخمر تحسدها الشمس لافضليتها عليها وتفوقها عنها (٤) يقال برقت الفتاة برقا : تزينت وتحسنت وظهرت على أتم ما يكون من البهجة والجمال ، والمعنى : أن هذه الخمر تأخذ بألباب شاربيها وعقولهم مثـل ما تأخـذ الفتاة اذا ظهرت في زينتها وتبرجت أمام

عَجُوزُ المَلَقِ (١). كاللَّهَبِ فى العُرُوق (٢). وَكَبَرْدِ النَّسِيمِ فى الحُلُوقِ (٣). مِصْبَاحُ الفِكْرِ (٤). وَتِرْيَاقُ سَمِّ الدَّهْرِ (٥). بِمِثْلِهَا عُزِّرَ المَيْتُ فَانْتَشَرَ (٦).

حاشيها (١) دواعي الميل الى العجوز غير موجودة ، وانصراف النفوس عنها الى الخراد الناعسات اللدان ، وكل هذا يضطرها الى التملق للرجال واستعمال الحيلة لتسحرهم وتستميلهم نحوها فهو يقول أن هذه الخمر تستميل بالدهاء والخديعة والملق كما تستميل العجوز أفئدة الناس اليها

(٢) المعنى : أنها تعمل في العروق عمل اللهب فتذكيها وتثير الدم غاليا ومثل هذا قول أبي نواس :

تلتهب الكف من تلهبها ... وتحسر العين ان تقصاها

كأن نارا بها محرشة ... نهابها تارة ونغشاها

(٣) المعنى : أنها لم تكن على حرارتها وتلهبها مما يلذع في الفم أو يشتد فعلها فيه بل أنها تشبه النسيم بردا فى الحلق فهي سائغة منعشة

(٤) أى أن شاربها يجد فى فكره نورا يستضىء به فى حل المشاكل ويترجمه كلما غمضت عليه المسائل (٥) الترياق : دواء السموم الذي يشفى منها ، وأراد منه الدواء مجردا بدليل اضافته الى السم ، وسم الدهر نوازله وكروبه ، وأحزانه ، وشدائده ، ومن عادة الخمر انها تنسيك ما تكون فيه من هموم وأرزاء وتشغلك عما يحيط بك من ويل وعناء فهى بهذا ترياق لسموم الدهر

(٦) عزر — بالبناء للمجهول — : أعين وأمد ، وانتشر : بعث بعد موته والمعنى : أن مثل تلك الخمر لو يمد به الميت لبعث من موته وعاد حيا

ويقول ابن الفارض فى هذا المعنى :

وَدُووِيَ الأَكْمَهُ فأَبْصَرَ [١] . قُلْنا : هٰذِهِ الضَّالَّةُ وَأَبِيكِ [٢] . فَنِ الْمُطْرِبُ في نادِيكِ [٣] .

ولو وضعوا فى فىء حائط كرمها — عليلا ـ وقدأشفى ـ لفارقه السقم
ولو نضحوا منها ثرى قبر ميت — لعادت اليه الروح وانتعش الجسم

(١) الاكمه : الذي ولد أعمى ، والمعنى أن الخمر التى عندى لو يداوي بها من ولد أعمى ليعودن اليه البصر ، وهذا المعنى في قول ابن الفارض :

ولو جليت سرا على أكمه غدا — بصيرا ومن راووقها تسمع الصم
ولو أن ركبا يمموا ترب أرضها — وفي الركب ملسوع لماضره السم
ولوخضبت من كأسها كف لامس — لما ضل فى ليل وفي يده النجم
ولو قربوا من حانها مقعدا مشى — وينطق من ذكرى مذاقتها البكم
ولو رسم الراقي حروف اسمها على — جبين مصاب جن أبرأه الرسم

(٢) الضالة : الاسم الذي فقدته وأنت تبحث عنه ، والمعني: أن الخمر بهذه الاوصاف التى ذكرت هي بغيتنا وضالتنا التى ننشدها

(٣) المطرب : المغني ، وجماعة الشاربين لا يرون أن يشربوا على غير غناء قال أبو نواس :

قد أسحب الزق يأباني وأكرهه — حتى له فى أديم الارض أخدود
لا أرحل الراح الا أن يكون لها — حاد بمتخل الاشعار غريد
فاستنطق العود قد طال السكوت به — لن ينطق اللهو حتي ينطق العود

وقال من قطعة فى وصف مجلس من مجالس لهوه :

وأقبل محسود الجمال مقرطق — الى كأسها لا عيب فيه أريب
يشم الندامى الوردمن وجناته — وليس به غير الملاحة طيب
فما زال يسقينا بكأس مجدة — تولى وأخرى بعد ذاك تؤدب

وَلَعلَّها تُشَعْشَعُ لِلشَّرْبِ (١) . بِرِيقِكِ الْعَذْبِ . قالَتْ : إنَّ لِي شَيْخاً ظَرِيفَ الطَّبْعِ (٢) . ظَرِيفَ الْمُجُونِ (٣) . مَرَّ بي يَوْمَ الاحَدِ فِي دَيْرِ الْمِرْبَدِ (٤) . فَسارَّنِي حَتَّى سَرَّني (٥) .

وغنى لنا صوتا محسن ترجيع « سري البرق غربيا فحن غريب »

(١) تشعشع : تخلط بالماء ، والشرب : جمع شارب كصحب وصاحب ، ومن عاداتهم أن يخلطوها بالماء وتسمى متمشمة قال :

مشعشعة كأن الحص فيها　　اذا ما الماء خالطها سخينا

وقال ابن الوليد صريع الغواني :

ولرب صاحب لذة نادمته　　في روضة أنف كريم المعطس
صفراء من حلب الكروم كسوتها　　بيضاء من نوب الغيوم البجس
مزجت ولاوذها الحباب لحا كها　　فكأن حليتها جني النرجس
وكأنها ـ والماء يطلب حلمها ـ　　لهب تلاطمه الصبا في مقبس
جهلت فداري جهلها فتبسمت　　عن مشرب لون الشهولة أعبس

وبعضهم يشربها خالصة غير مخلوطة ويسمونها صرفا قال سبط بن التعاويذي :

فاستجلها كرخية　　بنت الشمامس والاساقف
حمراء صرفا لا يطو　　ف برحلها للهم طائف
كدم الغزال اذا بكا　　راووقها خلناه راعف

(٢) ظريف الطبع : دمث الخلق ، طيب الافعال ، كريم الخصال ، مألوف الطباع ، كيس السجايا (٣) ظريف المجون : المجون المزاح والهزل ، وظريفه : أي غريبه ملاحة ولطفا

(٤) المربد : متنزه بالبصرة

(٥) سارني : ألقى الي بسره ، وسرني : شرح قلبي ، وأثلج صدري ،

فَوَقَعَتِ الْخُلْطَةُ . وَتَكَرَّرَتِ الْغِبْطَةُ[1] . وَذَكَرَ لِي مِنْ وُفُورِ عِرْضِهِ[2] . وَشَرَفِ قَوْمِهِ فِي أَرْضِهِ . ما عَطَفَ بِهِ وُدِّي[3] . وَحَظِيَ بِهِ عِنْدِي . وَسَيَكُونُ لَكُمْ بِهِ أُنْسٌ وَعَلَيْهِ حِرْصٌ[4] . (قال) : وَدعتُ بِشَيْخِها فَإِذا هُوَ إِسْكَنْدَرِيُّنا أَبُو الْفَتْحِ . فَقُلْتُ : يا أَبا الْفَتْحِ وَاللهِ كَأَنَّما نَظَرَ إِلَيْكَ ، وَنَطَقَ عَنْ لِسانِكَ الَّذِي يَقُولُ :

كانَ لِي فِيما مَضَى عَقْـ ... ـلٌ وَدِينٌ وَاسْتِقامَهْ[5]

ووقعت الخلطة : أي أنه أفضى الى بما فى نفسه وأفضيت له بما عندي فراق في نظري وأعجب بي فتآلفنا وامتزج فؤادي بفؤاده

(١) وتكررت الغبطة : أي المسرة بتكرار اجتماعنا وكثرة تلاقينا في عفة ونزاهة .

(٢) وفور عرضه : احتماؤه من كل ما ينقصه أو يشينه

(٣) عطف ودي : حببني فيه واستمالني اليه ، والمعني : أنه أخبرني بما له ولقومه من المنزلة السامية في قلوب جيرانهم ومواطنيهم حتى ملت اليه وأحببته وأرادت أنه لم يعطفها عليه ولم يجذبها نحوه سوي ما ذكره لها من ذلك الشرف الرفيع والاخلاق الكريمة والسجايا الحميدة

(٤) المعني : انكم ستطربون بالجلوس معه وتأنسون بمجلسه وتودون ألا يفارقكم وأن يبقى معكم دائما لما اشتمل عليه من الوداعة والظرف وطيب الافعال .

(٥) المعني : أنى كنت فيما عبر من الازمان ذا عقل راجح يميز بين طيب الافعال ورديئها وغث الطباع وسمينها ورفيع الاخلاق وسافلها ،

ثُمَّ قَدْ عِشْنَا بِحَمْدِ ... اللّٰهِ فِقْهاً بِحِجَامَةْ (١)

وَلَئِنْ عِشْنَا قَلِيلاً ... نَسْأَلُ اللّٰهَ السَّلَامَةْ (٢)

(قالَ) : فَنَخَرَ نَخْرَةَ الْمُعْجَبِ (٣) . وَصَاحَ وَزَمْهَرَ (٤) . وَضَحِكَ حَتَّى قَهْقَهَ (٥) .

ودين يردعني عن ارتكاب المقابح واتيان المخازي وفعل المنكرات والاشتمال على السفاسف ، واستقامة تكفل لي الفوز من عقاب الله والنجاة من حسابه وتضمن لي المنزلة الرفيعة والمكانة السامية عند الناس

(١) الفقه : معرفة الاحكام الشرعية، والحجامة : المراد منها الحلاقة أو كل حرفة دنيئة خبيثة ، والمعنى اني تركت ما كنت عليه من الصفات الفاضلة واشتغلت بالمفاسد والشرور والآثام

(٢) نسأل الله السلامة : نتوب ، ونضرع الى الله تعالى أن يخلصنا مما نحن فيه ، والمعنى : لئن طال بنا الزمن وامتد الأجل لنطلبن من الله تعالى الخلاص من ربقة المعصية وذل الفجور ، يريد أنه سيظل على هذا شطراً من العمر ، وربما صح أن يقال : نسأل الله السلامة : أي أننا سنزداد مما نحن فيه ونقترف أكثر مما ترانا عليه ونرتكب فوق هذا الذي تشاهده حتى أن حالنا ستكون مما يضرع الى الله فيه ونسأل منه السلامة

(٣) يقال : نخر الرجل والفرس جميعا ، ينخر نخراً ونخيراً اذا مد صوته في خياشيمه

(٤) صاح : رفع صوته عالياً ، وزمهر : شدد النظر بعينيه وحملق كثيرا حتى لكأنه يود أن يخرجها

(٥) ضحك حتى قهقه : أي استغرق في الضحك والاعجاب جدا

ثُمَّ قالَ : أَلِمِثْلي يُقالُ . أَوْ بِمِثْلي تُضْرَبُ الأَمْثالُ[1] ؟؟

دعْ مِنَ اللَّوْمِ وَلٰكِنْ أيَّ دَكَّاكٍ تَرَاني .[2]

أنا مَنْ يَعْرِفُهُ كُلُّ تَهَامٍ وَيَمَاني[3]

أنا مِنْ كُلِّ غُبَارٍ أنا مِنْ كُلِّ مَكَانِ[4]

سَاعَةً أَلْزَم مِحْرَاباً وأُخْرَى بَيْتَ حَانِ[5]

---

(١) المعنى : هل تراني من الذين تقال لهم النصائح والتعاريض ، وهل أنا ممن تضرب لهم الامثال فتقول أن مثلي مثل ذلك الذي أنشد هذا الشعر . وكأنه يرى نفسه فوق ذلك كله

(٢) دع : اترك ، والدكاك أصله الهدام وأراد منه هنا المحتال لانه بحيلته يهدم كل بناء ترفع الامانة صرحه وتعلي الثقة ذراه ، والمعنى : خلني من لومك واتركني من عتبك ولا تذكرني تقريعك وتأنيبك وانظرلي وأني محتال أي محتال

(٣) التهامي : المنسوب الى تهامة ، وهي عبارة عما امتد الى البحر من سفح جبال الحجاز ، ويمان : منسوب الى اليمن ، والمعنى أنني لا أخفى على أحد ولا ينكرني انسان فأنا مشهور ذائع الصيت مرفوع الذكر قد عرفني الناس جميعا

(٤) الغبار : أصله التراب وأراد منه البقعة من الارض ، والمعنى أني أنزل بكل أرض وأحط رحلي بكل مكان فلا أجد في نفسي نفورا عنها ولا تأبيا منها بل بالعكس توافقني وتلائم مزاجي كأنما قد خلقت منها فتسهل علي المعيشة في كل أرض وانقاد حيلتي بأي مكان مهما اختلفت طبائع الناس وتباينت أحوالهم

(٥) المحراب : مكان الامام من المسجد ، وبيت الحان : الخمارة ومكان معاقرة القهوة ، والمعنى : أني لا ألتزم حالة واحدة من النسك والعبادة أو المعاقرة والمعصية بل تجدني طورا أعمل عمل الزهاد والمتنسكين وأسير سير

وَكَذَا يَفْعَلُ مَنْ يَعْـ قِلُ فِي هٰذَا الزَّمَانِ [1]

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَاسْتَعَذْتُ بِاللهِ مِنْ مِثْلِ حَالِهِ . وَعَجِبْتُ لِقُعُودِ الرِّزْقِ عَنْ أَمْثَالِهِ . وَطِبْنَا مَعَهُ أُسْبُوعَنَا ذٰلِكَ وَرَحَلْنَا عَنْهُ [2] .

الْمَقَامَةُ الْمُطْلَبِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : اجْتَمَعْتُ يَوْمًا بِجَمَاعَةٍ كَأَنَّهُمْ زَهْرُ الرَّبِيعِ [3] . أَوْ نُجُومُ اللَّيْلِ بَعْدَ هَزِيعٍ [4] . بِوُجُوهٍ مُضِيَّةٍ . وَأَخْلَاقٍ

العباد والمستقيمين ، وطوراً أترك هذا الى بيت الحان ، وقصد الدنان ، وسماع الالحان ، ومنادمة الحسان (١) أي أن هذه الحال يتصف بها كل عاقل أريب في هذا الزمان

(٢) المعنى أننا قضينا معه أسبوعا طيباً بما اشتمل عليه من أنس ومسرة ثم تفارقنا

(٣) الربيع : فصل من فصول السنة الاربعة تعشب فيه الارض وتزهر . ويكسوها البهاء حلته ، وتختال من الحسن في أبهى رداء وأجله ، فتتهدل الاغصان وتورق ، وتذكو الازاهير ، وتتأرج البساتين ، وتغرد الطيور ، وتصدح العصافير ، فلا غرو أن يكون فصل الزهر ، وأيام النور ، ولا عجب أن يشبه بزهره من طابت أخلاقه ، وطهرت أعراقه ، وكرمت أصوله ، وشرف محتده (٤) الهزيع : الطائفة من الليل : ربعه ، أو ثلثه ، أو نصفه ،

رَضِيَّةٍ (١) . قَدْ تَناسَبُوا فى الزِّىِّ وَالْحَالِ (٢) . وتَشابَهُوا فِي حُسْنِ الاحْوَالِ . فأَخذْنا نَتَجاذَبُ أذْيالَ الْمُذَاكَرَةِ (٣) . وَنَفْتَحُ أبْوابَ الْمحَاضَرَةِ . وَفى وَسَطِنا شابٌّ قَصِيرٌ مِنْ بَينِ الرِّجالِ . مَحْفُوفُ السِّبَالِ (٤) . لا يَنْبِسُ بِحَرْفٍ (٥) .

والنجوم حين تطلع لايكون لألاؤها ساطعا ولا نورها متكاملا فأذا مضت مدة أزهرت وتكشف ضوؤها وتألق نورها (١) المعنى : انهم استكملوا النعمتين واستوفوا القسطين نعمة البهاء وحسن المنظر ووسامة المحيا واشراق الوجه ونعمة الاخلاق الكاملة والخصال الشريفة (٢) الزى : الشكل والدل والهيئة والهندام ، والحال : أراد منه الاحوال المعنوية من شرف النفس وعلو الهمة وطيب العشرة وحسن الوفادة والمعني أن هذه الجماعة متفقة المشرب متحدة المبدأ لايفترق أحدهم عن الآخر في شيء (٣) جعل المذاكرة كثوب فضفاض لبسته خود بارعة الجمال متأنقة ذات حسن ودل وقد تطاولت اعناقهم اليها واشرأبت نحوها فطفقوا يجذبونها من ذيل ثوبها لتعطف عليهم وتميل اليهم (٤) قصير بين الرجال : المراد الكناية عن كونه صغير السن لم يبلغ درجة الرجل عمرا ، ومحفوف: مقصوص ، والسبال : جمع سبلة — بالتحريك — وهما الشارب وما عليه من الشعر ، وحف الشوارب كان يعتبر من علامات الصلاح وسمات الورع وكان الناس يتخذونه أشعارا بالزهد ودليلا على التقوي ولا يزال بعض القوم الى اليوم يفعل ذلك

(٥) نبس كضرب ينبس نبسا ونبسة بالضم — تكلم فأسرع وأكثر ما يستعمل فى النفي يقال : ما نبس ولم ينبس ، والنبس — بضمتين — الناطقون والمسرعون ، والمراد أنه لم يكن يتكلم قط ولم يتفوه بحرف واحد

وَلا يَخُوضُ مَعَنا فى وَصفٍ (١) . حَتَّى انتَهَى بِنَا الْكَلامُ إلى مَدْحِ الْغِنى وَأَهلِهِ. وَذِكْرِ الْمَالِ وَفَضلِهِ (٢) . وَأَنَّهُ زِينَةُ الرِّجالِ . وَغَايَةُ الْكَمالِ (٣) . فَكأَنَّمَا هَبَّ مِنْ رقدَةٍ (٤) .أَوْ حَضَرَ بَعدَ غَيبَةٍ (٥) . وَفَتَحَ دِيوَانَهُ . وَأَطلَقَ لِسانَهُ (٦) . فقَالَ : صَهْ لقَدْ عَجَزْتُمْ عَنْ شَيءٍ عَدِمتُمُوهُ (٧) .

---

(١) أصل الخوض : السير فى الماء ، وفعله خاض ــ من باب قال ــ خوضا وخياضا أيضا ثم قيل منه خاض الناس في الحديث وتخاوضوا اذا أفاضوا فيه وتفاوضوا وقد تفاوض هؤلاء فى أوصاف جسمانية أو روحانية فلم يكن ذلك الشاب ليخوض معهم فيما يخوضون فيه (٢) المعنى : أنه ظل ساكتا الى أن افتتحنا الكلام فى شأن الغنى وأخذ كل واحد منا يطرى عليه ويمدحه ويذكر له من الفضائل الكثير (٣) أي أننا قلنا أن المال للرجال زينة أي زينة فهو الذى ينطق ألسنتهم، ويقوي حجتهم، ويرفع شأوهم ، ويعلي ذكرهم ، وينهض بهم ، ويقيل عثراتهم ، ويمحو سيئاتهم ، ويغفر زلاتهم ، ويستر عيوبهم ، ويدارى عوارهم (٤) يقال : هب من نومه اذا استيقظ ، والمعنى : أن هذا الفتى حين سمع ذكر المال وحديث الغنى أقبل علينا نشيطا اليحادثنا وكأنه بعد ذلك الصمت الطويل كان نائما فاستيقظ

(٥) لم يتكلم حين جذبنا الحديث وجذبناه فيما مضى وتكلم الساعة فكأنه لم يكن حاضرنا ولا في مجلسنا ثم جاء (٦) ديوانه : المراد بالديوان هنا مجتمع كلامه من شعر ونثر ومجتمعه هو قريحته وفكرته وأصل الديوان هو ديوان الجند الذي يجمع أسماءهم وأنسابهم وعددهم وأعطياتهم، والمعنى أنه اندفع في الكلام وأطلق لسانه العنان (٧) صه : اسكتوا وأراد بالذى عدموه.

وَقَصَّرْتُمْ عَنْ طَلَبِهِ فَهَجَّنْتُمُوهُ (١) . وَخُدِعْتُمْ عَنِ الْبَاقِي بِالْفَانِي (٢) . وَشُغِلْتُمْ عَنِ النَّائِي بِالدَّانِي (٣) . هَلِ الدُّنْيَا إِلاَّ مُنَاخُ رَاكِبٍ (٤) . وَتَعِلَّةُ ذَاهِبٍ (٥) .

الغنى بالعمل الصالح وكمال الارواح ، والمعنى أنكم انطلقتم تمتدحون الغنى وجمع الاموال وتثنون عليه فى حين أنكم تركتم تطرية أعمال البر ومدحها وليس ذلك الا لأنكم قد فقدتم الخير وليس فى وسعكم أن تحصلوه

(١) هجنتموه : وصفتموه بالهجنة وعبتموه ، وهم لم يتعرضوا له مدحا ولا ذما لجعل سكوتهم عنه وعدم حديثهم فى شأنه كالذم له والقدح فيه لما أن الواجب عليهم الا آن ينسوه وأن يجعلوه نصب أعينهم

(٢) الباقى : غذاء الارواح والعمل للآخرة والتفانى في صالح الاعمال ، والفانى غذاء الجسوم والعمل للدنيا والتكالب على تحصيلها ، والمعنى : أنكم غررتم بأنفسكم وخدعتموها وكذبتم عليها بما حسنتم لها فى الدنيا وزينتم لناظريها ما فيها من طلاء خادع وبهرج كاذب

(٣) النائى : فى الاصل البعيد ، والداني بحسب وضعه القريب ، وأراد بالاول الآخرة وبالثاني الدنيا ، والمعنى : أنكم أجهدتم نفوسكم ونصبتم أبدانكم فى العمل للحياة الفانية لقربها منكم وتجاهلتم الحياة الباقية لانكم لا ترونها (٤) أناخ راحلته ينيخها : أبركها ليستريح ، والمناخ : موضع ذلك ، والمعنى : أن هذه الدنيا التى خدعتكم ليست الا مكانا ينزل اليه المسافر ريثما يأخذ راحته ثم يترحل عنها ليتم رحلته فالاحياء فيها على سفر (٥) التعلة : ما يتعلل به من طعام ونحوه ، والمعني : أن دنياكم ليست الا كغذاء يتناوله المرء ليسد به عادية الجوع ويدفع عن نفسه شره وكما أنه لابد للمتعلل من أن يأكل

وَهَلِ المَالُ إلاَّ عَارِيَةٌ مُرْتَجَعَةٌ . وَوَدِيعَةٌ مُنْتَزَعَةٌ (١) ؟ يُنقَلُ مِنْ قَوْمٍ إلى آخَرِينَ . وَتَخْزُنُهُ الأَوائِلُ لِلآخَرِينَ . هَلْ تَرَوْنَ المَالَ إلاَّ عِنْدَ البُخَلاَءِ . دُونَ الكُرَماءِ (٢) ؟ وَالجُهَّالِ دُونَ العُلَمَاءِ (٣) . إيَّاكُمْ وَالانخِدَاعَ فَلَيْسَ الفَخْرُ إلاَّ فِى إحْدَى الجِهَتَيْنِ . وَلاَ التَّقَدُّمُ إلاَّ بِإحْدَى القِسْمَيْنِ : إمَّا نَسَبٌ شَرِيفٌ . أوْ عِلْمٌ مُنِيفٌ (٤) . وَأكْرِمْ بِشَىْءٍ يُحْمَلُ على

فكذلك لا بد لمن على هذه الدنيا من الاحياء أن يترسموا خطوات أسلافهم

(١) العارية : ما تعطيه غيرك لينتفع به مع بقاء عينه ثم يرده اليك، والوديعة : الامانه تتركها عند من تثق به ليحفظها لك حتى تطلبها، والمعنى : أن المال الذي تتكلمون عنه ودائع ستؤدونها لصاحبها حين يطلبها منكم وعوار لا محيص لكم عن اعادتها لاربابها

وما المال والاهلون الا ودائع ... ولا بد يوما أن ترد الودائع
وانما هذى الحياة عارة ... وهل رأيت عارة لا تسترد ؟

(٢) المعنى : أن البخيل الذي يضن بالمال ويشح به ويمسك عليه هو الذى تجدون لديه الثروة والغنى والوفر فاما الذى تجود نفسه وتبذل يده فلا يمكن لكم أن تلفوا عنده شيئا وأن في صفة البخل ووصمته لرادعا لكم عن طلب المال والسعى اليه (٣) يريد أن يبين أخص نقائص المال وهى ملازمتة لاهل الخسة فهو لا يتوفر الا عند الانذال ولا يهنأ به الا الجهال وكفى به خسة أنه لا يوجد الا عند أهل الخسة ، وقال على بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضى الله عنه

رضينا قسمة الجبار فينا ... لنا علم وللجهال مال .

(٤) احذروا أن يأخذكم الاغترار فيحملكم على الثقة بفائدة المال ونفعه

الرُّؤُوسِ حَامِلُهُ (١) . وَلَا يَيْأَسُ مِنْهُ آمِلُهُ (٢) ؛ وَاللهِ لَوْلَا صِيَانَةُ النَّفْسِ وَالْعِرْضِ . لَكُنْتُ أَغْنَى أَهْلِ الْأَرْضِ (٣) . لِأَنِّي أَعْرِفُ مَطْلَبَيْنِ (٤) . أَحَدُهُمَا بِأَرْضِ طَرْسُوسَ (٥) . تَشْرَهُ فِيهِ النُّفُوسُ (٦) . مِنْ ذَخَائِرِ الْعَمَالِقَةِ (٧) . وَخَبَايَا الْبَطَارِقَةِ . فِيهِ مِائَةُ أَلْفِ مِثْقَالٍ .

ويخدعكم بأن شرفه يداني الشرف بالعلم أو النسب فانه لا يقبل الفخر من انسان حتى يكون باحدي جهتي الشرف الحقيقي العلم والنسب ولا يجمل با نسان أن يتقدم على أقرانه أو يبرهم بغير سبيلي التقدم

(١) المراد بالشيء الذي يحمل حامله على الرءوس العلم ، وما أكرم العلم وأفضله وهو الذي يكرم صاحبه ويعززه ، ويرفع من قدره ويجله (٢) المعنى: أن من يأمل أن ينال العلم أو يطلب تحصيله لا يزال يدأب على ذلك ويجتهد فيه فلا يعتريه الملل ولا تعترضه السآمة ولا يعتوره اليأس مهما شق عليه أو نصب فيه (٣) أي أنه لولا ما يداخلني من وجوب الاحتفاظ بنفسي وصيانة عرضي أن تعضه ألسنة الناس لعملت عملا يجعلني أكثر الناس ثراء وأوفرهم مالا وأفضلهم عدة وعديدا (٤) المطلبان : الكنزان ، وانما سمي الكنز بالمطلب لانه من أعظم ما يتعلق به الطلب وتتوجه اليه الرغبة وتتحول عنده الآمال

(٥) طرسوس : هي المدينة القديمة التى كانت قصبة كيليكيا وبينها وبين أذنه نحو ثمانية عشر ميلا وهى فى ولاية أذنه من الممالك العثمانية (٦) الشره: الرغبة المفرطة مع الحرص الشديد وقد شره ـ من باب طرب ـ فهو شره: اذا اندفع في حرص شديد ، وانما تندفع النفوس الي ذلك الحد اذا كان ما تسمو اليه نفيسا عظيم النفع كثير الفائدة (٧) العمالقة : هم الذين ملكوا فى الشام وأجنادها ومشارفها وما يليها من بلاد آسيا الصغرى ، قيل : وهم أولاد عمليق

وَأَمَّا الآخَرُ فَهُوَ ما بَيْنَ سُورا وَالْجامِعَيْنِ (١) . فيهِ ما يَعُمُّ أَهْلَ الثَّقَلَيْنِ . مِنْ كُنُوزِ الأَكاسِرَةِ (٢) . وعُدَدِ الجَبابِرَةِ . أَكْثَرُهُ ياقُوتٌ أَحْمَرُ . وَدُرٌّ وَجَوْهَرٌ . وَتِيجانٌ مُرَصَّعَةٌ . وَبِدَرٌ مُجَمَّعَةٌ (٣) . فَلَمَّا أَنْ سَمِعْنا ذٰلِكَ أَقْبَلْنا عَلَيْهِ . وَمِلْنا إِلَيْهِ (٤) . وَأَخَذْنا نَسْتَعْجِزُ رَأْيَهُ . في الْقُنُوعِ بِيَسِيرِ الْمَكاسِبِ . مَعَ أَنَّهُ عارِفٌ بِهٰذِهِ الْمَطالِبِ (٥) . فَأَشارَ

ابن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام ، قيل : ومن نسلهم الكنعانيون

(١) سورى : من بلاد السوريانيين القديمة فى أرض بابل ، والجامعين : اسم لمدينة تسمى الحلة المزيدية بأرض بابل . قال ياقوت فى المشترك : كان أول من نزلها واختط بها المنازل وعظمها سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن على بن مزيد الاسدى في سنة ٤٩٥ هجرية وكان موضعها يسمي قبل ذلك بالجامعين

(٢) الاكاسرة هم ملوك الفرس وكانوا كثيرين كل واحد منهم يسمي كسري وأشهرهم كسري قباذ وكسري سابور الذى كان يلقب بذى الاكتاف وكسري أنو شروان الملك العادل الذي ولد فى عهده رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) البدر : جمع بدرة وهي كيس فيه عشرة آلاف درهم أو ألف درهم أو سبعة آلاف دينار (٤) المعنى : أننا حين سمعناه يذكر الكنوز ويؤكد معرفته بها وقدرته على استخراجها أخذ منا الطمع ولعب برأسنا حب المال فملنا نحوه نستمع لكلامه ونتفهم مقاله (٥) نستعجز رأيه : نصفه بالعجز ، ونرميه بضعف العزيمة وخورها ، والمعنى : أنه كثر تعنيفنا له ولومنا عليه لكونه راضيا بما هو فيه من رقة الحال ، وقلة المال ، وضعف الميسرة مع

إلى أنَّهُ يَفْزَعُ مِنَ السُّلْطانِ (١). وَلا يَثِقُ إلى أَحَدٍ مِنَ الإِخْوَانِ (٢). فقلْنا لهُ : قَدْ سَمِعْنا حُجَّتَكَ . وَقَبِلْنا مَعْذِرَتَكَ (٣) . فإنْ رَأَيْتَ أَنْ تُحْسِنَ إلَيْنا . وَتَمُنَّ علَيْنا . وَتُعَرِّفَنا أَحدَ هذَيْنِ المَطْلَبَيْنِ . على أنَّ لكَ الثُّلُثَيْنِ . فَعلْتَ (٤) . فأَمالَ إلَيْنـا يدَهُ (٥) . وَقالَ : مَنْ قَدَّمَ شَيْئاً

قدرته على استخراج كنوز الارض ومخبآتها ، ومعرفته بما يعود عليه بالبسطة وسعة اليد (١) السلطان : النفوذ ، والقدرة ، والتمكن من الدنيا ، ويفزع : يخاف ويخشى والمعنى : انه أخبرنا بضعفه عن قبول الغنى لانه يخشى من سعة النفوذ وقوة السطوة ، وبعد المقدرة (٢) لا يثق الى أحد : أي لا تطمئن نفسه اليه ، ولا يستريح ضميره ، والمعنى : أن الذي يمنعه من الحصول على مافي هذين المطلبين أمران : الاول أنه يخاف من السلطان والثاني أنه لا بد له فى الحصول عليه من الاشتراك مع أحد والاستعانة به وهو لا يأمن انسانا ولا يجد فى نفسه طأنينة الى أحد (٣) المعنى : أن الذي ذكرته من الاسباب الحاملة لك على القعود عن استخراج أحد الكنزين مقبول لا نجد فيه شيئاً يرتد به عليك ، وليس لنا مساغ بعد ذلك لتقريعك أو الرجوع باللائمة عليك (٤) المعنى : أنا نتقدم أليك لتسدى الينا جميلا ، وتصنع بنا خيراً فتكون لك اليد علينا ، وذلك بأن تدلنا على موضع واحد من هذين الكنزين ، ولسنا نخليك من المكافأة على ذلك ، والجزاء الحسن ، فأننا نجعل لك الثلثين لدلالتك ، ولنا الثلث فقط لاستخراجنا

(٥) أمال يده : أي حركها على هيئة الطالب يشير بها ألي طلب جعل على أرشاده ، واستماحة جائزة في نظير أن يدلهم على مكانه قبل أن يتحصلوا منه علي شيء وكانه بذلك يقول لهم : لا آمن أن تغدروا بي فعجلوا لي بشيء منه

وجدهُ (١) . وَمَنْ عَرَفَ ما يُنالُ . هانَ عليهِ بَذْلُ المْالِ (٢) . فَكُلٌّ مِنّا حَباهُ بِما حَضَرَ (٣) . وَتَشَوَّقَ إلى ما ذكَرَ . فلمّا مَلأْنا كَفَّهُ . رَفَعَ إلَيْنا طَرْفَهُ (٤) . وَقالَ : لا بُدَّ أنْ نَقضِيَ علقًا (٥) . وَنَنالَ ما يُمْسِكُ رَمقًا (٦) . وَقَدْ ضاقَ وَقتُنا . وَالمَوْعِدُ غداً هٰهُنا (٧) . إنْ شاءَ اللهُ.

---

(١) من قدم شيئاً وجده : أي من عمل عملا ألفي عاقبته ولقي غبه وأنتم أذا أعطيتموني ما طلبت منكم ثمنا لهدايتكم فلا شك أنكم ستجدون عقبى ما أنفقتم ، وسيرتد أليكم ماناني منكم ، فلا تبطئوا على ، ولا تسوفوني.

(٢) المعنى : أذا وثق الانسان بأنه سيبذل ماله ، وينفقه في شيء يعود عليه نفع منه . ويأتيه من ورائه الخير فلا ريب في أنه يبذل عن رضا وينفق بارتياح ، والمراد حثهم على أعطائه بسخاء ومنحه عن قبول ليكون حظه عظيما ونصيبه وفيراً (٣) حباه : أعطاه ، ومنحه ، والمعنى : أننا بعد سماعنا لكلامه هانت علينا الاموال ، واستصغرنا النفقات فلم نمنعه شيئاً مما بأيدينا بل أعطيناه ما تهيأ لنا (٤) ملانا كفه : أعطيناه كثيراً حتى امتلأت يده بالمال ، ورفع ألينا طرفه : نظر ألينا ليتخلص مما ذكر ، ويفر من دلالتنا على ما قال

(٥) العلق في الاصل ماتتبلغ به الماشية من الشجر ليسد رمقها ، ويطفىء حرارة جوعها وأراد منه هنا مطلق البلغة ، والمعني : أنه لابد لنا من تناول شيء من الطعام (٦) الرمق بقية الحياة ، والذي يمسكه أي يتحفظ به ويبقى عليه هو الطعام ، والمعنى . أننا في حاجة لما يقيم أودنا ويحفظ علينا حياتنا لما نالنا من شدة الجوع وما كابدناه من ألم الامساك (٧) المعنى : ليس في الوقت متسع لاخبركم عن مكان الكنزين أو أحدهما بعد تناول مانحتاجه

تَعـالَى . قالَ عِيسَى بْنُ هِشَـامٍ : فَلَمَّا تفَرَّقَتْ تِلْكَ ٱلْجَماعَةُ . قَعَدْتُ بَعْدَهُمْ ساعَةً . ثُمَّ تَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ . وَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَقُلْتُ وَقَدْ رَغِبْتُ فِي مَعْرِفَتِهِ . وَتاقَتْ نَفْسِي إِلَى مُحادَثَتِهِ (١) : كَأَنِّي عارِفٌ بِنَسَبِكَ . وَقَدِ ٱجْتَمَعْتُ بِكَ (٢) ! فَقالَ : نَعَمْ ضَمَّنا طَرِيقٌ . وَأَنْتَ لِي رَفِيقٌ (٣) . فَقُلْتُ : قَدْ غَيَّرَكَ عَلَيَّ الزَّمانُ (٤) . وَما أَنْسانِيكَ إِلاَّ الشَّيْطانُ (٥) . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

من الطعام فأحري بنا أن نؤجل ذلك الى الغد علي أن نلتقي فى هذا المكان نفسه لنتم الحـديث وهو يريد بذلك أن يفلت من أيديهم ثم لا يرونه بعـد ذلك فيفوز بما أخذه منهم

(١) المعنى : أنه لم يخدعني بحيلته ، ولا استطاع أن يغشنى بما ألقاه الينا ولذلك تخلفت عن الجماعة وأبيت المسير معهم لأتثبت منه وأعـرف حقيقة أمره فلما انطلقوا دنوت منه وأخذت فى الحديث معه

(٢) المعنى : انه يخيل الي أنه قد سبق بيننا تعارف قبل اليوم واني أعرفك وأعرف نسبتك واني تلاقيت بك قبل هذه الساعة (٣) المعني : أن ظنك، صحيح وفراستك لم تعد الحقيقة فاني قد سرت معك فى طريق واحد ، وأنت صديقي وخليلي (٤) أراد أن هيئتك ليست على ما كنت أعهـد من قبل ولهذا فان لي العذر في عدم معرفتك وفى تقدمي للسؤال منك.

(٥) أي وقد استولى الشيطان على ذاكرتي فأخذ يضعف فيها بكثرة مايلقي الي من المشاغل ولولا ذلك لما نسيتك ولا تطرق الي ذهني الجهل بك

أنا جَبـأرُ الزّمانِ لِى مِنَ السُّخْفِ مَعانى [1]
وَأنا المُنفِقُ بَعْدَ الـ ـمالِ مِنْ كِيسِ الأمانى [2]
مَنْ أرادَ القَصْفَ وَالغَرْ فَ عَلى عَزْفِ المَثانى [3]

---

(١) السخف — بوزن قفل — : الحمق ، ورقة العقل ، وضعف المدركة وبابه طرب تقول : سخف فهو سخيف وأراد منه هنا اطوار السخف ، وما ينشأ عنه ولا يكون الا منه من الافاعيل والاقاويل فهو في الحقيقة متساخف لا سخيف متغابٍ وليس بغبي ، والمعنى : أنى الجبار الذي تفردت في زماني هذا بما أصنع من الحيل وغرائب الامور وبما أرتكب من الشعبذة التي لا تحصل الا من ضعاف العقول (٢) المعنى : أني لا أبالي بالانفاق ولا أكترث بالبذل بل أنا أنفق عن سعة وأبذل من غير اقتار لانه لو فرغ ما معى من المال فلست أعدم كيس الامانى أنفق منه وهو لا يأتي عليه الانفاق ولا يستوعبه البذل لان لي في كل لحظة مئات الامانى وما لا عدد له منها ، والمراد أن عنده من الامانى مايسليه عن المال عند فقده أو أنه كما يعطى المال ثمنا لما يأخذ من السلع فكذلك يعطى من الاماني مايقوم مقام المال فانه بخداعه يمنح القلب أمنية تقوم عنده مقام ما كان يأخذ من الثمن أو تزيد . وقد صدق في دعواه هذه ، أو ليس هو الذي أخذ نقود هذه الجماعة ومنّاهم المطلبين ووعدهم بالكنزين

(٣) القصف العكوف على ملاذ الطعام والشراب ، والغرف — بالغين المعجمة بعدها راء — : المراد به غرف الطعام ويكنى به عن الاكثار من شرب الخمر فهو يغترف لا يرتشف ، والعزف — بعين مهملة فزاي — : الرنين ، والمثاني : من ذوات الاوتار المطربة ماله وتران

وَاصْطَفَى الْمُرْدَانَ جَهْلاً   مِنْ فُلاَنٍ وَفُلاَنٍ [1]
صَارَ مِنْ مَالٍ وَإِقْبَا   لٍ تَرَاهُ فِى أَمَانِ [2]

الْمَقَامَةُ الْبِشْرِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كَانَ بِشْرُ بْنُ عَوَانَةَ الْعَبْدِيُّ صُعْلُوكاً [3] .

---

(١) اصطفى : اختار ، وانتقي ، واستحسن ، والمردان : جمع أمردوهو من لم تنبت لحيته ولا خط شاربه

(٢) أما أن يكون قد أراد أن يزين القصف والعزف واصطفاء المردان ، ويحبب الناس فيها ، ويذكر حسناتها ، ويدعو اليها فهو يقول من أراد ذلك ونزع اليه وشغف به أقبلت الدنيا اليه وتكالبت عليه واجتمع عنده المال الوفير وكثر لديه الدرهم والدينار وامتلأ من حظ الحياة ومتاعها جرا به فهو بسبب كل ذلك آمن مطمئن لايخشي الفقر ولايخافه ولا ينتظر حلوله بناديه ، وأما أن يكون مراده أن من نزع الى هذه الامور ورغب فيها وأحبها فقد أمن من المال والاقبال وكأنهما شيء يخشى منه أو يخاف بادرته ومن كان منهما فى أمان بهذا المعنى كان الفقر له ملازما والاملاق له حليفا وكان الغنى أبعد شيء منه وكلا المعنيين له حظ من دلالة اللفظ عليه وان كانا مختلفين وأشبها أن يكونا متضادين

(٣)صعلوكا : أى لصافاتكا ، وأصل الصعلوك : الفقيرالمعدم والذى تأباه النفس وتمجه ، ثم سموا ذؤبان العرب ولصوصها صعالكة « وصعاليك » لأن

الفقر كثيرا مايحمل على السرقة اذ هو الذي يدعو اليها ويكون سببا فيها غالبا وفى كلامهم · (الخلة تدعو الى السلة)

وصعالكة العرب وفتا كها وذؤبانها كثير ، منهم المنتشر بن وهب الباهلي ، وأوفي بن مطر المازني . ومنهم الشنفرى ، وتأبط شرا ، وعمرو بن براق . وكان من حديث هؤلاء الثلاثة فيما ذكر أبو عمر الشيباني أنهم خرجوا فأغاروا على بجيلة ، فوجدوا لهم رصداً على الماء ، فلما مالوا له في جوف الليل قال لهما تأبط شرا : ان بالماء رصدا ، واني : لأسمع وجيب قلوب القوم ، فقالا : ماتسمع شيئاً ، وما هو الا قلبك يجب ! فوضع أيديهما على قلبه وقال : والله مايجب وما كان وجابا . قالوا : فلا بدلنا من ورود الماء فخرج الشنفري فلما رآه الرصد عرفوه فتركوه ، حتى شرب من الماء ورجع الي أصحابه فقال : والله ما بالماء أحد ولقد شربت من الحوض . فقال تأبط شرا للشنفرى : بلي ولكن القوم لايريدونك وانما يريدوني ، ثم ذهب ابن براق فشرب ورجع ولم يعرضوا له . فقال تأبط شرا للشنفري : اذا أنا كرعت في الحوض فأن القوم سيشدون على فيأسروني فاذهب كأنك تهرب ثم كن في أصل ذلك القرن فاذا سمعتني أقول خذوا خذوا فتمال فاطلقني وقال لابن براق : اني سآمرك ان تستأسر للقوم فلا تنأ عنهم ولا تمكنهم من نفسك . ثم مر تأبط شرا حتى ورد الماء فحين كرع في الحوض شدوا عليه فأخذوه وكتفوه بوتد وطار الشنفري فأتي حيث أمره وانحاز ابن براق يرونه فقال تأبط شرا يامعشر بجيلة هل لكم في خير ان تياسروناي الفداء ويستأسر لكم ابن براق ؟ قالوا : نعم فقال : ويلك يابن براق أما الشنفرى فقد طار وهو يصطلي نار بني فلان وقد علمت ما بيننا وبين أهلك فهل لك أن تستأسر وبياسرونا في الفداء ؟ قال : لا والله حتى أروز نفسي شوطاً أو شوطين ،

فجعل يستن نحو الجبل ويرجع حتى اذا رأوا أنه قد أعيا طمعوا فيه فأتبعوه ، ونادى تأبط شرا : خذوا خذوا . فخالف الشنفرى الى تأبط شرا فقطع وثاقه ، فلما رآه ابن براق وقد خرج من وثاقه مال الى ناحيته ، فناداهم تأبط شرا : يامعشر بجيلة أعجبكم عدو ابن براق ؟ أما والله لأعدون لكم عدوا ينسيكم عدوه ، ثم أحضروا ثلاثتهم ، فنجوا ، وفى ذلك يقول تأبط شرا :

ليلة صاحوا بى وأغروا بى سراعهم ... بالعيكتين لدي معدى بن براق
كأنما حثحثوا بي حصا قوادمه ... أو أم خشف بذي شث وطباق
لاشىء أسرع منى غير ذى عذر ... أوذى جناح بجنب الريد خفاق

ومنهم السليك بن السلكة التميمى ، ومن حديثه فيما زعم أبو عبيدة أنه رأته طلائع جيش لبكر بن وائل جاءوا متجردين على تميم ، فقالوا : أن علم السليك بنا أنذر قومه فبعثوا اليه فارسين على جوادين ، فلما هايجاه خرج يمحص كأنه ظبي فطارداه سحابة نهاره ثم قالا : اذا كان الليل أعيا فسقط فنأخذه فلما أصبحا وجدا أثره قد عثر بأصل شجرة فنزا وندرت قوسه فانحطمت فوجدا قصدة منها قد ارتزت فى الارض فقالا : لعل هذا كان أول من الليل ثم فتر فتبعاه ، فاذا أثره وقد بال في الارض وخد فيها فقالا : ماله قاتله الله ! ماأشد متنه ! والله لا تبعناه ، وانصرفا ، فتم السليك الى قومه ، فأنذرهم ، فكذبوه لبعد الغاية ، فقال :

يكذبنى العمران عمرو بن جندب ... وعمرو بن سعد والمكذب أكذب
سعيت - لعمرى - سعى غير معجز ... ولا نأنأ لو أننى لا أكذب
ثكلتكما أن لم أكن قد رأيتها ... كراديس يهديها الى الحى موكب
كراديس فيها الحوفزان وحوله ... فوارس همام متي يدع يركبوا

وجاء الجيش فأغاروا ، والسلكة : أمه ، وكانت سوداء ، واليها ينسب ، وأصل السلكة ولد الحجل

وكان عروة بن الورد في قوم أذا أصابتهم سنة شديدة تركوا في دارهم المريض والكبير والضعيف فكان عروة يجمع أشباه هؤلاء من دون الناس من عشيرته في الشدة ويحضر لهم الأسراب ويكنف عليهم الكنف (وهي الحظائر من الشجر تحظر عليهم كما تحظر على الابل فتقيهم من الريح والبرد) ويكسيهم ، ومن قوي منهم ـ أما مريض يبرأ من مرضه ، أو ضعيف تثوب أليه قوته ـ خرج به معه وأغار وجعل لاصحابه الباقين في ذلك نصيباً ، حتى أذا أخصب الناس ، وألبنوا ، وذهبت السنة ، ألحق كل انسان بأهله ، وقسم له نصيبه من غنيمة أن كانوا غنموها ، فربما أتى الانسان منهم أهله وقد استغني ، فلذلك سمى « عروة الصعاليك » وهو الذي يقول وقد ضاقت حاله وأقصرت يده في بعض السنين :

لعل ارتيادي في البلاد وبغيتي　　وشدي حيازم المطية بالرحل
سيدفعني يوماً ألى رب هجمة　　يدافع عنها بالعقوق وبالبخل

ويقول بعد أن انكشفت غماؤهم ، وزال كربهم بسببه :

ألا أن اصحاب الكنيف وجدتهم　　كما الناس لما أمرعوا وتمولوا
وأني لمدفوع ألي ولاؤهم　　بماوان أذ نمشي وأذ نتململ
وأني وأياهم كذي الام أذ همت　　له ماء عينها تفدى وتحمل
فباتت تحد المرفقين كليهما　　توحوح مما نالها وتولول
تخير من أمرين ليسا بغبطة　　هو الثكل ألا أنها قد تجمل

فَتَزَوَّجَ بِهَا[1] وَقَالَ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ[2] . فَقَالَتْ :

أُعْجِبَ بِشْراً حَوَرٌ فِى عَيْنِي وَسَاعِدٌ أَبْيَضُ كَاللُّجَيْنِ[3]

---

(٢) أغار : سطا ، والاسم : الغارة ، والركب : جماعة الراكبين ، ويقال لاصحاب الابل فى السفر دون الدواب وهم العشرة فما فوقها ، والركبان الجماعة منهم ، والركاب الابل التي يسار عليها الواحدة راحلة ولا واحد لها من لفظها (٣) ويروى : هل رأيت أحسن منك ، والمعنى : أن بشرا ذلك الفتاك قد سطا على جماعة آخذة في طريقها فانتهب منهم أمرأة فأخذها فبنى بها ولما تم له ذلك أخذه العجب من حسنها واستولى عليه جمالها وصباحة وجهها فشكر يومه وحمد ما ناله فيه (٤) الحور في العين : اتساعها مثله في أعين الظباء ، وقيل : هو أن يشتد بياض العين وسواد سوادها وتستدير حدقتها وترق جفونها ويبيض ما حولها ، وقيل : الحور أن تسود العين كلها كما فى البقر والظباء ، ولا يكون ذلك في الناس ولكنه قد يقال للنساء حور العيون على التشبيه لهن بالظباء والمها ، واذا شبهوهن بالمهاة أو الظبية فهم يريدون ذلك ومما ينسب لابن دريد :

يا ظبية أشبه شيء بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقا

وقال الشريف الرضى :

يا ظبية البان ترعي فى خمائله ليهنك اليوم أن القلب مرعاك

ومن محاسن العين : الدعج وهو أن تكون العين شديدة السواد مع سعة المقلة ، والبرج وهو شدة سوادها وشدة بياضها ، والنجل وهو سعتها ، والكحل وهو سواد جفونها من غير كحل ، والوطف وهو طول أشفارها وتمامها ، وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان فى اشفاره وطف ، والشهلة وهى حمرة فى سوادها ، وكل ذلك أصله من صفات الظباء والبقر ، يقولونه للنساء على التشبيه ، قال السرى الرفاء :

وَدُونَهُ مَسْرَحَ طَرْفِ الْعَيْنِ خَمْصانَةٌ تَرْفُلُ فِي حِجْلَيْنِ (١)

تصــدت لنــا والهـوي أنة فصــدت وقد غادرته زفيرا

وكانت ظبــاء ترود اللوي فأضحت شموساً نرودالخدورا

فراق أصاب جوى ســاكنا فــكان له يوم ســاع مثيرا

وساجى الجفون أذا ماسجا أغار المهــا دعجــا أو فتورا

أغرر بالنفس في حــبه وآلف منــه غـزالا عريرا

وأعتقــد زورته في الـكرى نوالا لدي وأن كان زورا

وقال الشريف الرضى :

يا وقفة بوراء الليل أعهدها كانت نتيجة صبر عاقر الوطر

والوجد يغصبنى قلبا أضن به والدمع يمنــع عيني لذة النظر

وفى الخباء الذى هام الفؤاد به نجلاء من أعين الغزلان والبقر

أبرزتهــا فتخاصر نا مباعدة عن الخيام نعفي الخطو بالازر

ثم أنثنيت ولم أدس سوى عبق على جنوبي لريا بردها العطر

والحور خيرها وأكثرها جمعا للمحاسن واشتمالا على جميــل الصفات . . والساعــد : معروف ، واللجين : الفضة ، والمعنى: أنه قــد راق فى عين بشر ذلك الحور الذى يراه في عينى وهذا البياض الذي يجده في ساعدى

(١) يقال : فلان تحت عيني فلان اذاكان قريبا منه دانيا اليه بحيث يراه وتقع عينه عليه ومنه قيل : القوم منك معان أى بحيث تراهم بعينك ، وهــذا معان الحى أي بحيث يرونه ، وطرف العين : نظرها ، والخمصانة : الضامرة الـكشح ، الخفيفة البطن ، وأصــله الخمص وهو الجوع لان به يضمر البطن ويخف ، يقال : خمص بطنه ــ بتثليث الميم ــ خمصا اذا خلا وهو خميص البطن وهي خميصــة البطن وهو خمصان وهى خمصانة وهم خماص وهن خمائص

أَحْسَنُ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَينِ (١) ... لَوْ ضَمَّ بِشْرٌ بَيْنَهَا وَبَيْنِي

والحجلان: تثنية حجل وهو الخلخال، وترفل فيه تمشى متماجبة به وتختال زهوا وكبرا، والمعنى: أن بشرا ليس بمصيب فى هيامه بى وأعجابه فى حين أن خريدة جيلة وكاعبا وقورا وبضة لعوبا بالقرب منه وفى منطلق اصره

(١) المعنى: أنها أحسن النساء جميعا بل أحسن الناس كلهم، فان من يمشى على رجلين أعم من جميع بنى آدم

ومما يتمدح فى النساء خمص البطون قال ابن الرومي:

كيف السبيل الى اقتناص غرائر ... يدمى بأسهم لحظها القناص
بيض السوالف عذبة أفواهها ... ريا الروادف والبطون خماص
يجرحننا بنواظر ما أن لنا ... منهن عند جراحهن قصاص

وقال ابن المعتز:

سقى الله شمسا بالمخرم دارها ... يهون عليها منى العبث والهجر
جلتها علينا الريح بين كواعب ... وقد كتمتهن المقانع والازر
فأبدت لنا كشحا هضيما على نقا ... ورمان صدر ماليانعه هصر

وقال أبو الطيب المتنبي:

عمرك الله هل رأيت بدورا ... طلعت في براقع وعقود
راميات باسهم: ريشها الهد ... ب تشق القلوب قبل الجلود
كل خمصانة أرق من الخمـ ... ر بقلب أقسى من الجلمود
تحمل المسك عن غدائرها الريـ ... ح وتفتر عن شتيت برود
جمعت بين جسم أحمد والسقـ ... م وبين الجفون والتسهيد

وقال ابن نباتة السعدي:

قد غلبت حسنا على عقله ... جارية تفضح شمس الضحى.

أُدَامَ هَجْرِي وَاطَالَ بَيْنِي[1]   وَلَوْ يَقِيسُ زَيْنَهَا بِزَيْنِي .
لَأَسْفَرَ الصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ[2]

قالَ بِشْرٌ: وَيْحَكِ مَنْ عَنَيْتِ[3] ؟ فَقَالَتْ : بِنْتَ عَمِّكَ فَاطِمَةَ . فَقَالَ :

ضعيفة الخصير لو استنشقت   باللثم فى أنفاسه ما اشتفي
جملتها تشبه تفصيلها   فكل جزء حسنه منتهي
يلومنى العاذل فى حبها   لا برح العاذل أو يبتلى

وقال الشريف الرضي :

وظبية من ظباء الانس عاطلة   تستوقف العين بين الخمص والهضم
لو أنها بفناء البيب سانحة   لصدتها وابتدعت الصيدفى الحرم .

(١) الهجر : الاعراض ، والبين : الفراق ، والمعنى أنه لو جمع بشر بيني وبينها ، ونظر الى واليها ، وقارن بين محاسنى ومحاسنها ، وأراد الموازنة بين ما أعجبه منى وما غفل عنه منها — لهجرنى هجرا طويلا ، وفارقنى فراقا دائما . لانه يستقبح منظري لدي منظرها . ويكره رؤيتى عند رؤيتها ، ويمقت بقائي عنده ، وأقامتى لديه حين يظهر له عظيم ما بيننا من الفرق

(٢) الزين : المحاسن ، والمعنى : أنه لو قدر ما بين زينها ومحاسنى من الفرق لظهر له كما يظهر الصبح لذي عينين سليمتين فكما لا يرتاب صاحب البصر الصحيح فى ضوء الصباح فكذلك لا يرتاب بشر فى الفرق بينى وبينها وأسفر الصبح لذي عينين : مثل جاءت به في موضع جواب لو مبالغة فى الدلالة علي تحقيقه

(٣) ويح : كلمة رحمة ، وويل : كلمة عذاب ، وقيل هما بمعنى واحد تقول : ويح لزيد وويل له فترفعهما علي الابتداء ولك أن تنصبهما بفعل مضمر تقديره . ألزمه الله ويحا وويلا ونحو ذلك ، وكذا ويحك وويلك ، وويح زيد وويل .

اهِيَ من الحُسنِ بحيثُ وَصفتِ [1] ؟ قالَتْ : وَأَزيَدُ وَأَكثَرُ [2] !
فأنشأ يقولُ :

وَيْحَكِ يا ذَاتَ الثَّنايا البِيضِ ... ما خِلتُني مِنكِ بِمُستَعِيضِ [3]
فالآنَ أذْ لَوَّحتِ بالتَّعرِيضِ ... خَلَوتِ جَوّاً فاصفِري وَبِيضي [4]

زيد منصوب بفعل مضمر ، وأما قولهم تمساله وبمداله ونحوهما فمنصوب أبدا لانه لاتصح اضافته بغير لام فيقال تمسه وبعده ، ومن هاهنا افترقا . . وعنيت : قصدت ، والمعنى : أي امراة تريدين بكلامك هذا

(١) المعنى : هل تبلغ ابنة عمي في الحسن تلك الدرجة التي وصفتها في كلامك ؟ (٢) وأزيد وأكثر : خبرلمبتدأ محذوف تقديره وهو (أي حسنها) ازيد وأكثر من حسني ، أو وهي أزيد مني حسنا وأكثر جمالا ، والمعنى : أن حسن ابنة عمك وجمالها بلغا درجة فوق الدرجة التي سمعتها مني

(٣) الثنايا من الاسنان : الاربعة في مقدم الفم ثنتان من فوق وثنتان من أسفل ، وبياضها من متممات الجمال ، ومكملات الحسن ، وما خلتني ألخ معناه : انى ما كنت أظن أن أستبدلك أو اتخذ امرأة عوضا عنك ، أو تميل نفسي الى أن أخاف بعدك على أخرى لاني ما كنت أتوهم أن في النساء من تماثلك حسنا أو تدنو منك رونقا وبهاء فضلا عن أن أظن فيهن اجمل منك اواعتقد ذلك

(٤) لوحت : عرضت ، وهي قد عرضت بأنه يطلب النساء الاباعد وتتوق نفسه ألي مواصلة الغريبات في حين أن بنت عمه في مسرح عينه وقريب منه وهي به أولي وهو بها أحق وأجدر ، وخليق به ألا يترك الأبعدين يتطلبونها فربما تزوج بها من هو دونه بأسا وشجاعة وشدة وهذا من أقبح المثالب به وبأمثاله ، فهذا التعريض قد فعل في نفسه فصمم على ترك هذه

لا ضُمَّ جَفْنايَ عَلَى تَغْميضِ   ما لَمْ أشُلْ عِرْضي مِنَ الحَضِيضِ (١)

فَقالَتْ :

التى ظن أنها أجمل النساء وقال لها خلوت جوا أي خلا جوك من القرين

وأصله من قول كليب وائل حين رأى قنبرة اتخذت عشا فى حماه — وكان يحمى ما يحل بحماه من طير ونحوه فلا يمكن ليد أن تتطاول لصيده ـ فدخل فيه يوما فطارت القنبرة بين يديه فقال :

يالك من قـبرة بمعمر   لا ترهبي خوفا ولا تستنكري
قد ذهب الصياد عنك فابشري   ورفع الفخ فـاذا تحذري
خلالك الجو فبيضى واصفرى   ونقري ماشئت أن تنقـري
فأنت جارى من صروف الحذر   الي بلوغ يومك المقـدر

وخرج يوما الحمي فوجـد بيض القنبرة قـد وطئتها سراب (ناقة البوس التى مضي ذكرها) فمعرها وقال :

يا طـيرة بـين نبات أخضر   جاءت عليها ناقة بمنـكر
أنك في حمى كليب الأزهر   حميتـه من مذحج وحـير
فـكيف لا أمنعه من معشري

(١) لاضم جفناى الخ : أى لاذقت النوم، ولا استفرجنى، ولا هدأ مضجعى ولا استراح خاطري، والمراد : لأصحون ، ولأسهدن جفنى ، ولألتزمن هذه الحالة حتى يكون ما أردت ، وتقول: شلت بالجرة ـ بالضم ـ أشول بها شولا اذا رفعتها ولا تقل شلت بالـكسر ، ويقال أيضا أشلت الجرة فانشالت هى ، وشال الميزان: ارتفعت احدي كفتية ، ومنه شال عرضه رفعه ، والحضيض : أصله القرار من الارض عند منقطع الجبل وأسفله وفى الحديث انه أهدي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية فلم يجد شيئا يضعه عليه فقال : (ضعه بالحضيض

كَمْ خاطِبٍ فى أمْرِها أَلْحَا ... وَهْىَ أَلَيْكَ ابْنَةُ عَمٍّ لَحَّا (١)

ثُمَّ أرْسَلَ ألى عَمِّهِ يَخْطُبُ ابْنَتَهُ . وَمَنَعَهُ العَمُّ أُمْنِيَّتَهُ (٢) . فَآلى ألا يُزِعى علي أحَدٍ مِنْهُمْ انْ لَمْ يُزَوِّجْهُ ابْنَتَهُ (٣) . ثُمَّ كَثُرَتْ مَضَرَّاتُهُ

فانما أنا عبد آكل كما يأكل العبد) يعنى ضعه بالارض ، والمراد هنا : الضعة والهوان والذلة ، والمعني انى لا أنام ولا تغمض عينى فلا ينضم لى جفن على جفن حتى أطلب ابنة عمى وأتزوجها فأدفع عن نفسى ذلك العار الذى لزمني ، وأنفى هذه الوصمة التى لحقت بي

(١) المعني أن كثيرا من الخطاب وعددا وفيرا من الرجال ألحوا فى طلب زواجها ، وألحفوا فى سؤال أبيها أن يعقد لهم عليها ولا بد أن يفضى الالحاح بأحدهم ألى نيل طلبه ، وينتهي سؤال واحد منهم بأجابته ، فتفلت من يدك ، وتضيع عليك الفرصة ، وهى في نسبتها اليك ابنة عم لاحقة النسب بك ، قريبته منك ، ويقال : هو ابن عم لحا أذا كان لاحقاً وأبوه أقرب الناس اتصالا بأبيه (٢) الامنية : واحدة الامانى ، يقال في جمعها أمان وأمانى بالتخفيف والتشديد ، وتقول منه : تمنى الشيء ومناه غيره ومنا به تمنية وفي الكتاب : (الا اذا تمني ألقي الشيطان في امنيته) والمعنى : أن بشرا ترك هذه المرأة وذهب الى قومه معتزما أن يطلب من عمه ابنته لنفسه فلما وصل أرسل اليه فى ذلك فحرمه منها ولم يجبه ألى رغبته

(٣) آلى : حلف ، وأقسم ، وتألى ، وائتلى مثله ، ومنه قوله تعالى : (ولا يأتل أولو الفضل منكم) والألية اليمين وجمعها ألايا ، قال الشاعر :

تألى ابن قيس حلفة ليردني ، وقال المجنون :

على ألية ان كنت أدري ... أينقص حب ليلى أم يزيد

فِيهِمْ (١) وَاتَّصَلَتْ مَعَرَّاتُهُ إِلَيْهِمْ (٢) فَاجْتَمَعَ رِجَالُ الْحَيِّ إِلَى عَمِّهِ وَقَالُوا: كُفَّهُ عَنَّا تَجْنُونَكَ (٣). فَقَالَ: لَا تُلْبِسُونِي عَاراً (٤) وَأَمْهِلُونِي حَتَّى أُهْلِكَهُ بِبَعْضِ الْحِيَلِ (٥). فَقَالُوا: أَنْتَ وَذَاكَ. ثُمَّ قَالَ لَهُ عَمُّهُ:

ولا يرعى على أحد: معناه لا يبقي عليه بل يقتله حيث يجده ويفتك به أنى لقيه، والمعنى: أنه حلف أن يعمل فيهم سيفه، ويفتك بهم حتى يردوا عمه عن عزمه ويكافوه أن يزوج ابنته بشرا

(١) يروى قبل هذه الفقرة: ثم دت الايام، ودرجت الليالى، وتصرمت الشهور، وتجرمت السنون وبشر يفتك فى من لقيه منهم وكثرت مضراته فيهم الخ (٢) معراته: جمع معرة وهى الاذى والمساءة والشر، والمعنى: أنه أنفذ أرادته وعمل بوعيده فلم يزل يوقع بهم الشرور، ويأتيهم بالاذى، ويرميهم بالمساءة، ويجر عليهم الويل والهوان (٣) كفه عنا: أي اردعه عن افعاله، ويقال: كفه عن الشيء فكف — فهو يتعدي ويلزم — وبابه رد، والمعنى: زوجه ابنتك واحمنا شره وادفع عنا كيده فقد نالنا منه ما هو خليق من أجله بمصانعته ويروي بدل هـذا: اما أن تكفينا أمره أو تنيله مراده، والمعنى: أقتله أو تحيل لذلك فن لم تستطع فزوجه ابنتك ليسكت عنا

(٤) لو أنه رضخ لمشورتهم وأذعن لما رأوه فتكفل لهم بدفع شره لما استطاع الى ذلك سبيلا لان بشرا أكثر منه جراءة وأشد أقداما وأوفر شجاعة، ولو أنه زوجه ابنته لكان مقسورا على ذلك مرغما أليه مجبورا فيه ولكان مثل ذلك جديرا بأن يسمي رضي بالضيم وخنوعا الى الذلة، وفي كلا الامرين عار شديد، وهما أمران أحلاهما مر. لهذا طلب منهم المهلة

(٥) امهلوني: اعطوني مهلة، وأمهله أنظره ومهله تمهيلا والاستمهال:

انِّى آلَيتُ أنْ لا أُزَوِّجَ ابْنَتِي هٰذِهِ الّا مِمَّنْ يَسُوقُ اليها ألفَ ناقةٍ مَهْراً (١) وَلا أرْضاها إلّا مِنْ نُوقِ خُزَاعَةَ (٢) ـ وَغَرَضُ العَمّ كانَ أنْ يَسْلُكَ بِشْرٌ الطَّريقَ بَيْنَهُ وَبَينَ خُزَاعَةَ فَيَفْتَرِسَهُ الأَسَدُ لِأَنَّ الْعَرَبَ قَدْ كانَتْ تَحامَتْ عَنْ ذٰلِكَ الطَّرِيقِ (٣) وكانَ فيهِ أسَدٌ يُسَمَّى دَاذاً وَحَيَّةٌ تُدْعَى شُجاعاً يَقُولُ فيهما قائِلُهُمْ :

الاستنظار ، وتمهل فى أمره : أتأد وتريث ، والمعنى أعطونى وقتاً أتمكن فيه من التؤدة والتروية ، والحيل : جمع واحده حيلة وهي الاسم من الاحتيال الذى هو الخداع والمخاتلة (١) آليت : حلفت ، وقوله : الا ممن يسوق اليها ألف ناقة. أي لا أزوجها الا الذي يعطيني مهرها ألف ناقة فمن يسوقها عن اعطائها، والمهر : هو مايجب على الرجل أن يدفع لمن يريد التزوج بها وكانه فى نظير ماتبذله له من نفسها في خدمته والقيام على بيته

(٢) خزاعة : أحدي قبائل العرب ، والمعنى : أنى جعلت من قسمى تحديد نوع الابل بكونها من النوق التى ترعاها خزاعة

(٣) تحامت العرب عنه : تباعدت عنه فى سيرها الي أماكن منافعها ، وسلكت غيره . ونهجت طريقا سواه حذرا من الحية والاسد ، والمعني : أنه الغرض لم يكن حقيقة الذهاب الى موضع خزاعة وجلب النياق من هنـاك ولـكنه كان يرمي بذلك الى غرض بعيد ، وحيلة غريبة ، ذلك أن يسلك بشر الطريق الى مكانها ، ويسير اليها ـ وليس لها غير مسلك واحد امتنعت العرب كافة عن السير فيه لمكان التهلكة منه — فيهلك دون الوصول الى غرضه ويموت قبل أن يحصل على مشتهاه فيكفيهم أذاه ويدفع عنهم كيـده ويرد شروره

أفتَكُ مِنْ داذٍ وَمِنْ شُجاعِ • إنْ يَكُ داذٌ سَيِّدَ السِّباعِ

فإنَّها سَيِّدَةُ الأَفاعِي [1]

ثُمَّ انَّ بِشْراً سَلَكَ ذلِكَ الطَّرِيقَ فَما نَصَفَهُ حَتَّى لَقِيَ الأَسَدَ [2] وَقَمَصَ مُهْرُهُ [3] فَنَزَلَ وَعَقَرَهُ [4] ثُمَّ اخْتَرَطَ سَيْفَهُ إلى الأَسَدِ وَاعْتَرَضَهُ وَقَطَّهُ [5] ثُمَّ كَتَبَ بِدَمِ الأَسَدِ عَلى قَمِيصِهِ إلى ابْنَةِ عَمِّهِ :

---

(١) أفتك : أفعل تفضيل من قولهم فتك فلان بفلان أى بطش به أو انتهز منه فرصة فقتله ، أو أخذه على غفلة فأزهق روحه ، وفي الفتك معنى التمزيق والقطع

(٢) نصفه : بلغ نصفه ، والمعنى : أنه أخذ في طريقه غير مبال بما علم أنه فيه من الشدائد فلم يكد يبلغ نصفه حتى كان قد جاء الى مكان الاسد وطلع له الاسد من عرينه

(٣) قمص الفرس وغيره يقمص ـ من بابي نصر وضرب ـ قمصا وقماصا ككتاب ـ وقماصا ـ كركام ـ : رفع يديه معا وطرحهما معا وعجن برجليه ، ولا يكون ذلك من الفرس المروض الا اذا عرض له ما يفزعه أشد الفزع ، وطرأ عليه ما يخافه أعظم الخوف

(٤) عقره : قطع قوائمه حصدا بالسيف عقابا له على خوره وجزاء لما كان منه من الذعر

(٥) اخترط سيفه الى الاسد : سله ودلف به اليه ، وقطه : أى قطعه عرضا ، ويظهر من العبارة أنه لم يسل السيف الا ليتقدم به الى الاسد مع أنه لم يعقر المهر الا به ولكنه أراد أنه بعد أن عقر المهر تقدم الى الاسد مخترطا سيفه.

أَفاطِمُ لَوْ شَهِدْتِ بِبَطْنِ خَبْتٍ   وَقَدْ لاقَى الْهِزَبْرُ أَخاكِ بِشْرا[1]

لا أنه جدد الاختراط أو ابتدأه بعد العقر ، وربما أراد من العقر التقييد والحبس وكثيرا مايطلقونه عليهما لانهما أشبه بحصد القوائم في أن كلا منهما يمنع من المشى.

(١) الهمزة حرف وضع لنداء القريب: الحاضر معك ، الدانى مكانه منك بحيث يسمعك ، وقد ينادى به البعيد تنزيلا لحضوره فى ذهنك ، وتمكنه من نفسك ، وعدم غيبته عن فكرك ، واستجماعك لخصائصه وأوصافه ، منزلة قرب المكان ودنو جسمه منك ، والخبت : المطمئن من الارض فيه رمل ، وبطن كل شيء جوفه وربما كان بطن خبت علما لمكان بعينه وليس ذلك موجودا في أحد كتب المعاجم التى بأيدينا ولا في كتب البلدان والاماكن ، وأما خبت ــ بدون بطن ــ فقد قال في المشترك : أنه علم لاربعة مواضع : خبت الجميش وهي صحراء بين مكة والمدينة ، وخبت البزواء لمكان قرب الجحفة بين مكة والمدينة أيضاً ، وخبت : قرية من قرى زبيد وهى بلدة باليمن ، وخبت : ماء معروف لكلب ، وهو هنا أحد الاولين ، والهزبر : الاسد

وقد نسب بعض الرواة هذه الابيات لعمرو بن معديكرب الزبيدي ــ ولعله ارتكن فى ذلك الى أن خبتا احدى قرى زبيد ، وفهم أن نسبة عمرو اليها وهو خطأ فان نسبته الى جماعة من العرب كان يطلق عليهم : بنو زبيد ــ كتب بها الى أخته كبشة وكان له ابنة عم اسمها لميس ، ويقول فيها :

تظن لميس أن الليث مثلى   وأقوى همة وأشد صبرا
لقد خابت ظنون لميس فيه   وأضحي البر خالى منه قفرا

ومطلع القصيدة على زعم هؤلاء الرواة :

أكبشة لوشهدت ببطن خبت   وقد لاقى الهزبر أخاك عمرا

إذَا لَرَأَيْتِ لَيْثاً زَارَ لَيْثاً هِزَبْراً أغلَباً لاقى هِزَبْراً (١)

والصحيح أن الواقعتين مختلفتان فوقع بينهما الاشتباه وخلطت احداهما بالاخري وقد حصل توارد الخاطر بين الشاعرين فى بعض الابيات فقط ، والمعنى : أنه لو تيسر لك أن تشهدي مصارعتي الاسد ، وتهيأ لعينك أن ترى ابن عمك وقد حمل عليه حملته الشعواء لوجدت مشهدا عظيما ونظرت الى حادث خطير

(١) الليث الاسد ومثله الهزبر ، وللاسد فوق الثلثمائة اسم أصل معظمها صفات منها : البيهس ، والبهنس ، والمربض ، والمرمل ، والشيظم ، والنجيد ، والبسور ، والحيدر ، والحيدرة ، والمصحر ، والغضنفر ، والمهتصر ، والجهم ، والغضوب والاغلب ، والقرضاب ، والقرشب ، ومن كناه : ابو العباس ، وأبو ضيغم ، وأبو الاشبال ، وأبو الابطال ، والمبالغة هنا فى تلقيب نفسه بالليث وليست في تلقيب الهزبر بالليث كما ظنه بعض من لا يعرف خواص الاساليب فظن أن الهزبر فى البيت حيوان غير الاسد واستدل بهذين البيتين توهما منه أن البيت الثاني يشبه الهزبر بالليث كما يشبه بشرابه ، وهزبرا فى الاصل وصف لا اسم وهو الغليظ الضخم والشديد الصلب ، والاغلب : من القاب الاسد ، ذكره وصفا كانه قال من شأنه أن يغلب أقرانه ، أو هو باق على اسميته وذكر للبدل أو البيان ، ولاقى هزبرا : تابع للصفات المتقدمة ، وكلها صفات لليث الثاني فالليث الاول بشر زار الليث الذي اسمه داذ وداذ هزبر أغلب لاقى هزبرا مثله ، فالهزبر الاخير هو بشر أيضاً ويروى بدل زار : أم ليثا أى قصده وتوجه اليه ، ويروي : رام ليثا أيضاً أى طلبه ، والمعنى : أنك حين تقدر لك مشاهدة ذلك المنظر العجيب ستنظرين الى ليثين قد أقبل كل منهما على الآخر

تَبَهْنَسَ إِذْ تَقَاعَسَ عَنْهُ مُهْرِي ... مُحَاذَرَةً فَقُلْتُ : عُقِرْتَ مُهْرَا [1]

وتوجه اليه يطلبه ويريد منازلته ، وستشاهدين أسدين عظيمين متكافئين شجاعة وأقداما متماثلين جراءة وشدةقدزأر كل واحدة منهما ليخيف قرينه وينزل الرعب فى جوف صاحبه وقد يمم كلاهما الآخر وأراد به السوء ورغب في اهلاكه ، وليس أعجب منظراً من هذا ولا أغرب منه بحيث يروقك منظره وتعجبك مشاهدته ، ولو في البيت الاول للتمني وكأنه كان يرجو لها أن تراه افتخارا بشهامته وتمدحا بقوته وأقدامه

(١) تبهنس : تبختر ، واختال فى مشيته — صفة للاسدالذى لاقاه — وتقاعس : أحجم وتأخر ، ويروي : ثم أحجم عنه مهرى ، وأحجام المهر تقاعده عن لقائه حذرا منه وخوفا ولهذا قال : محاذرة أى من أجل الحذر ، وعقرت مهرا : أي قطعت قوائمك التى أخرتك وأخرتني عن ملاقاة الأسد ، وكان قوله هذا مقرونا بالفعل فانه عقره كما تقدم ، وقال ابن الرومي في وصف الاسد :

ليأمن سقاطى في الخطوب ونبوتى ... جنان الذى يخشى على ويحذر
فما أسدهم المحيا ، شتيمه ... خبعثنة ، ورد السبال ، غضنفر
مسمى بأسماء فمنهن ضيغم ... ومنهن ضرغام ، ومنهن قسور
له جنة لا تستعار وشكة ... هو الدهر في هذا وهذا مكفر
أهاب كتجفاف الكمى حصانة ... وعوج كأطراف الشباحين يفغر
وحجن كأنصاف الأهلة لا يني ... بهن خضاب من دم الجوف أحمر
تظل له غلب الاسود خواضعا ... ضوارب بالاذقان حين يزمجر
له ذمرات حين يوعد قرنه ... تكاد له صم السلام تفطر
يراه سراة الليل ـ والدو دونه ـ ... قريبا بأذني مسمع حين يزأر

أَنِلْ قَدَمَيَّ ظَهْرَ الْأَرْضِ إِنِّي ... رَأَيْتُ الْأَرْضَ أَثْبَتَ مِنْكَ ظَهْرَا[1]

وَقُلْتُ لَهُ وَقَدْ أَبْدَى نِصالاً ... مُحَدَّدَةً وَوَجْهاً مُكْفَهِرّاً[2]

يدير اذا جن الظلام حجاجه ... شهاب لظى يعشى له المتنور

خبعثنة جأب البضيع كأنه ... مكسر أجواز العظام مجبر

له كلكل رحب اللبان وكاهل ... مظاهر ألباد الرحالة أوبر

شديد القوي ، عبل الشوي ، مؤجد القرا ... ملاحق أطباق الفقار ، مضبر

اذا ما علا متن الطريق ببركه ... حمي ظهره الركبان فالسفر أزور

أخو وحدة تغنيه عن كل منجد ... له نجدة منها ونصر مؤزر

مخوف الشذا يمشي الضراء لصيده ... ويبرز للقرن المناوى فيصحر

بأربى على الاقران مني صولة ... وقد أنذر التجريب من كان ينذر

(١) بعد أن قال لمهره : عقرت مهرا قال له اسكن حتى أنزل عنك فتصل قدماي الى ظهر الارض وأترجل فاني رأيت الارض أصلب ظهرا وأثبت منك وأنال قدمه ظهر الارض: مكنها منه وأوصله اليها ، وليس يخاف أن الشطر الثاني من البيت حقيقة بينة

(٢) أبدى : أظهر ، وأبان ، والنصال : جمع نصل وهو حديدة السيف ، والسهم ، والرمح ، والسكين ، وأراد بها هنا أنياب الأسد ومخاليه على التشبيه وأبداؤها منه تكشيره عنها ، والوجه المكفهر : القليل اللحم ، الغليظ الجلدة ، العابس ، الكثير التقطيب من الغضب ، ومقول القول سيأتي بعد أبيات

ولابن المعتز يصف أسدا :

وما ليث غاب يهزم الجيش خوفه ... عشية وثاب على النهي والزجر

يُكَفْكِفُ غِيلَةً إِحْدَى يَدَيْهِ　　وَيَبْسُطُ لِلْوُثُوبِ عَلَى أُخْرَى (١)

يجر الى أشباله كل ليـلة　　عقيرة وحش أو قتيلا من السفر
اذا ما رأوه طار جمعهم معـا　　كما طير النفخ التراب عن الجمر
جرىء أبي يحسب الالف واحدا　　بعيد اذا ما كربوما من الفر
يزعزع أحشاء البـلاد زئيره　　ويذهل أبطال الرجال من الذعر
اذا ضم قرنا بين كفيه خلته　　يعانى عروسا في غلائلها الحمر
لخرم أرض الحائرين وماءها　　فهيهات من يعدو عليها ومن يسري
بأجرأ منه حد بأس وعزمة　　اذا ما نزا قلب الجبان الى النحر

(١) يكفكف : هو فى الاصل بمعنى يمنع ويكف، لـكنه هنا بمعنى يقبض ، وغيلة : أما بمعنى خدعة أو بمعنى اغتيالا فان كان الاول فقد أراد أن الاسد قد استعظم شأنه وقوى عنده أمره واستفحل خطره فهو لايجسر أن ينازله مجاهرة ولا يقوي على مصارعته ظاهراً لهذا فانه يقبض احدي يديه ليغره ويخدعه بأيهامه انه لايريد الوثوب عليه ثم يبسط يده الاخرى للانقضاض عليه ، وعلى الثاني يصف هيأة الاسد فى توثبه للقتال واستعداده للمنازلة وتأهبه للافتراس بأنه يقبض احدى يديه ويبسط الاخرى شأن كل مواثب من الحيوان ، وقال أبو الطيب المتنبي يصف أسدا قتله بدر بن عمار :

أمعفر الليث الهزبر بسوطه　　لمن ادخرت الصارم المصقولا
وقعت علي الاردن منه بليـة　　نضدت بهـا هام الرفاق تلولا
ورد اذا ورد البحيرة شاربا　　ورد الفرات زئيره والنيـلا
متخضب بدم الفوارس لابس　　في غيـله من لبدتيه غيـلا
ماقوبلت عيناه الا ظنتـا　　تحت الدجى نار الفريق حلولا

يُدِلُّ بِمِخْلَبٍ وَبِحَدِّ نابٍ وَباللَّحَظاتِ تَحْسَبُهُنَّ جَمْرا (١)

في وحدة الرهبان الا أنه لايعرف التحريم والتحليلا
يطأ الثرى مترفقا من تيهه فكأنه آس يجس عليلا
ويرد عفرته الى يافوخه حتى تصير لرأسه اكليلا
وتظنه مما يزمجر نفسه عنها بشدة غيظه مشغولا
قصرت مخافته الخطى فكأنما ركب الكمى جواده مشكولا
ألقي فريسته وبربر دونها وقربت قربا خاله تطفيلا
فتشابه الخلقان في أقدامه وتخالفا فى بذلك المأكولا
مازال يجمع نفسه فى زوره حتى حسبت العرض منه الطولا
ويدق بالصدر الحجار كأنه يبغى الى مافى الحضيض سبيلا
فكأنه غرّه عين فادنى لايبصر الخطب الجليل جليلا
سبق التقاءكه بوثبة هاجم لو لم تصادمه لجازك ميلا
قبضت منيته يديه وعنقه فكأنما صادفته مغلولا

(١) يدل: يتيه، ويظهر تكبره، والمعنى: يريد أن يظهر لنفسه من القوة، والبطش، وشدة الجراءة ما تتضاءل أمامه قوتي، ويتلاشى عزمي، وتفتر همتي فأضعف عن ملاقاته وأنهزم أمام صولته، ويجترىء بكل ذلك على، وما منشأ هذا سوي الادلال بمخلبه والاعجاب بحدنابه والصلف بعينيه التي تتوقد كأنها تلظى الجمر وتلتهب كأنما هى قطع النيران، وللشريف الرضى فى وصف الاسد:

نهيتك عن شعب عسير ولوجه بذي الرمث قد أعيا على الناس صله
وبيت كاصب الارى لا تستطيعه صدور الطوال الراعبيات نحله

وَفي يُمْناي ماضي الْحَدِّ أبْقَى   بِمَضْرِبِهِ قِرَاعُ الْمَوْتِ أُثْرَا (١)

فلا تقربن الغاب يحميه ليثه   ودع جانبا وعرا على من يحله
كأن على الاطواد من حزع بيشة   رصيد طريق ضل من يستدله
تلفع في ثني عباء مشبرق   أصابيغ ألوان الدماء تبله
قضاقضة ما بات الا على دم   تعضض منه عرسه ثم شبله
أخو قنص كفاه: كمة صيده   اذا جاع يوما والذراعان حبله
يشقق عن حب القلوب بمخصف   أزل كما جلى عن الرمح نصله
قليل ادخار الزاد يعلم أنه   متى ما يماين مطعما فهو آكله

(١) بعد أن بين آلة الاسد التي يتيه بها عليه ويظهر كبره له من أجلها أراد أن يبين آلة نفسه وهي السيف فوصفه بأنه ماضي الحد وأنه قد تعود الضرب وألف النزال وعرك المقارعة وراض نفسه على الكسر والحطم كما يظهر من الندوب والثلوم التي أبقاها فيه نزال الابطال وتركها به قراع الفوارس في الحروب، والأثر — بالضم — : أثر الجرح بعد البرء استعاره هنا لما بقي في السيف من الندوب وما تخلف فيه من الفلول استعارة رفيعة، ومثل هذا المعنى في قول الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم   بهن فلول من قراع الكتائب

ويروى بدل أبقى «ابغى، وأنقى» وكلتا الروايتين لا معنى لها ولا يستقيم مغزاها، والصواب هو ما ذكرنا، ومما قيل في وصف السيف قول البحتري:

ماض وان لم تمضه يد فارس   بطل، ومصقول وان لم يصقل
يغشي الوغى فالترس ليس بجنة   من حده، والدرع ليس بمعقل
مصغ الى حكم الردى فاذا مضى   لم يلتفت واذا قضى لم يعدل

متألق يفري بأول ضربة   ما أدركت ولو انها في يذبل
واذا أصاب فكل شيء مقتل   واذا أصيب فما له من مقتل
وكانما سود النمال وحمرها   دبت بأيد في قراه وأرجل
وكأن شاهره اذا استمصى به   في الروع يعصى بالسماك الأعزل
حملت حمائله القديمة بقلة   من عهد عاد غضة لم تذبل

ولابن الرومي :

خير ما استعصمت به الكف عضب   ذكر حده أنيث المهز
ما تأملته بعينيك الا   أرعدت صفحتاه من غير هز
مثله أفزع الشجاع الى الدر   ع فغالى به على كل بز
ما يبالي أصممت شفرتاه   في محز أو جازتا عن محز

وله أيضا :

حسام لا يليق عليه جفن   سريع في ضريبته ذريع
ترى وقعاته أبدا خطايا   الى أن يسبطر له صريع
ويرعد متنه من غير هز   كريعان السراب زهاه ريع
يقول القائلون اذا رأوه   لأمر ما : تغوليت الدروع !

وانظر الى قول ابن المعتز :

ولي صارم فيه المنايا كوامن   فما ينتضي الا لسفك دماء
ترى فوق متنيه الفرند كأنه   بقية غيم رق دون سماء

. والمتنبى

تحسب الماء خط في لهب النا   ر أدق الخطوط في الاحراز
كلما رمت لونه منع النا   ظر موج كأنه منك هاز
ودقيق قدى الهباء أنيق   متوال في مستو هز هاز

أَلَمْ يَبْلُغْكَ مَا فَعَلَتْ ظُبَاهُ   بِكَاظِمَةٍ غَدَاةَ لَقِيتُ عَمْرًا[1]

ورد الماء فالجوانب قدرا   شربت والتي تليها جواز
حملته حمائل الدهر حتى   هي محتاجة الى خراز
وهو لا تلحق الدماء غراريـ   ـه ولا عرض منتضيه المخازي
سله الركض بعد وهن بنجد   فتصدي للغيث أهل الحجاز

وللمعري :

كأن أراقما نفثت سماما   عليه فعاد مبيضا نحيلا
ومن تعلق به حمة الافاعي   يمش ـ أن فاته أجل ـ عليلا
تردد ماؤه علوا وسفلا   وهم فما تمكن أن يسيلا
يكاد سناه يحرق من فراه   ويغرق من نجا منه كلولا

وله ايضا: يذيب الرعب منه كل عضب   فلولا الغمد يمسكه لسالا

(١) ألم يبلغك : هذا مقول القول السابق ، أي أنه قال للاسد وهو على تلك الهيئة التي وصفها ومعه سيفه : كيف تدل علي ، وتظهر لي جراءتك واقدامك ، وكيف تتيه بأنيابك ومخالبك ولحظاتك ، ألم يبلغك ما فعلت ظبى سيفي ، وهل غاب عنك خبر فتكه ومضائه فكنت تخفض من تشامخك ، وتقلل من أدلالك ، وتنهنه من حدتك ، والظبي : جمع ظبة وهي حد السيف وانما جاء بصيغة الجمع مع أن السيف له ظبة واحدة تفخيما لها وأفهاما للسامع أن حد سيفه وان كان واحدا الا أن له أفاعيل لا تصدر الا عن الكثير ولا تقع من غير جماعة ، وكاظمة : اسم لموضعين المعروف منهما هو الذي على ساحل بحر فارس وبينه وبين البصرة مرحلتان لقاصد البحرين، ولعل هناك موضعا اسمه كاظمة بالقرب من المدينة يقول فيه الابوصيري :

أمن تذكر جيران بذي سلم   مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

وَقَلْبٌ مِثْلُ قَلْبِكَ لَيْسَ يَخْشَى ... مُصَاوَلَةً فَكَيْفَ يَخَافُ ذُعْرَا(١) ؟!
وَأَنْتَ تَرُومُ لِلْأَشْبَالِ قُوتاً ... وَأَطْلُبُ لِابْنَةِ الْأَعْمَامِ مَهْرَا(٢)

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة ... وأومض البرق في الظلماء من أضم ؟

وغداة لقيت عمرا : روى بدلا منه « غداة قتلت عمرا » كما أنه يروى بدلا من قوله ما فعلت ظباه « ما فعلته كفى » وليس يخفي عليك أن الرواية التى بأيدينا أفضل

(١) المعنى : لا تظهر صلفك ، ولا تأخذك الكبرياء ، وأقلل من غلوائك فكما أن لى سلاحا مثل سلاحك أو أمضى فان لى قلبا مثل قلبك : كأنما قد من صخر ، لايخشى المواثبة، ولا يخاف النزال ، ولا يرهب المصارعة، فكيف تأمل أن ينال منه الذعر ، والذعر — بفتح أوله — : الاخافة والترهيب ، يقول : اذا كان قلبي لا يهاب المصاولة ، ولا يزعجه القتال ، ولا تحركه المناوأة فكيف تظن أنه يخشى التخويف والتهويل وان هما الا تهديد ووعيد دون ايقاع ؟ !

(٢) تروم : تبغي وتطلب ، والاشبال : جمع شبل بكسر أوله — وهو ولد الاسد ويجمع على أشبل — بزنة أفلس — أيضا ، والمعني : أنك قد خرجت الى وتعرضت فى طريقى مستهينا بى ومستخفا بشأنى غير مكترث بما ستلقاه منى لانك تأمل أن تفترسنى فتأخذنى طعمة لاولادك وتقدمني لهم لهم قوتا ، وأنا سائر الى غرض أسما من غرضك ومقصد خليق بأن يكلفنى عناء وجهدا فوق ما يكلفك مقصدك وهو الاتيان بمهر ابنة عمى ، فاذا كنت قد فعلت كل ذلك في سبيل مأربك فما أحرانى بأن أفوقك قوة وأقداما وبسالة ونجدة على مقدار ما أريد من المطالب فمن خطب الحسناء لم يغلها مهر ولابد دون الشهد من أبر النحل ، ومن لم يصبر على الكيد ساعة تحمل ذل

فَفِيمَ تَسُومُ مِثْلِي أَنْ يُوَلِّي وَيَجْعَلَ فِي يَدَيْكَ النَّفْسَ قَسْرَا[1] ؟
نَصَحْتُكَ فَالْتَمِسْ يَا لَيْثُ غَيْرِي طَعَاماً إِنَّ لَحْمِي كَانَ مُرَّا[2] .

الدهر ، وللشريف الرضى فى وصف الاسد :

أقول اذا سالت مع الليل رفقة نقاذفها حتى الصباح المخارم
دعي حنبات الواديين فدونها أشم طويل الساعدين ضبارم
اذا هم لم تقعد به عزماته وان ثار لا تعيا عليه المطاعم
كان على شدقيه ثغرا وراءه ذوابل من أنيابه وصوارم
فما جذب الاقران منه فريسة ولا عاد يوما أنفه وهو راغم
له كل يوم غارة فى عدوه تشاركه فيها النسور القشاعم
كان المنايا ـ أن توسد باعه ـ تيقظ فى أنيابه وهو نائم

(١) فيم : استفهام عن السبب مثل « لم » ، وتسوم : اما أن يكون من قولهم : سامه بعيره وساومه سواما — بالكسر — واستام عليه وتساوماه أي ذكر له قيمته وفاوضه فى بيعه ، واما أن يكون من قولهم : سامه الخسف أي أولاه اياه وأراده عليه ، وعلى الاول يكون المعني : اذا كان لي سلاح كسلاحك وقلب كقلبك وانا مستعد استعدادك للمنازلة والصراع ، وعلي أهبة كاملة للمناوأة والقراع ولى مطلب يحتم على قتلك والفتك بك فلأى الاسباب ترغبني في الفرار وتحبب الي الهرب بما تبديه من حركات الاغتيال وتظهره من مخائل الصلف ، وعلي الثاني كانه يقول له : لا تطمع فى أن تكرهني على النجاة بالفرار منك ولا تصدق أنني سأوليك ظهرى فتنقض علي فتفترسنى ويروى : قهرا بدلا عن « قسرا » ومعناهما واحد

(٢) يروى بدلا عن « يا ليث » : يا ويك ، وويك : كلمة دعاء مثل ويحك وويبك وويلك ، والمنادي حينئذ محذوف تقديره : يا هذا ويك كما حذف .

فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّ الْغِشَّ نُصْحِي ... وَخَالَفَنِي كَأَنِّي قُلْتُ هُجْرَا (١)

مَشَى وَمَشَيْتُ مِنْ أَسَدَيْنِ رَاما ... مَرَاماً كَانَ إِذْ طَلَبَاهُ وَعْرَا (٢)

في قول الشاعر :

الا يا اسلمي يا دارمي على البلا ... ولا زال منهلا بجرعائك القطر

ويروى البيت هكذا :

نصحتك نصح ذى شفق لحاذر ... مرامي لا تكن بالموت غرا

والشفق : الشفقة ، ومعنى لا تكن غرا بالموت لا تكن جاهلا بأسبابه غير عالم بعلله التي من بينها لقاء مثلي ، ومعني البيت : أنني انصح لك بالا تتوهمني فريستك التي تأكل منها اليوم وتغذي اشبالك فانك لو طمعت في ذلك فستجوع وتجوع معك هذه الاولاد — وكنى بمرارة اللحم عن عدم القدرة على الحصول عليه — فأولى لك ان تبحث عن غيري لترد به عنك عادية الجوع

(١) الهجر — بالضم — : الهذيان والخرافة كما يكون من الأبله والنائم في نومه والمريض في بحران الحمى وحدة مرضه ومن لا يعقل ولا يضبط مايقول، ويروى بدلا عن الشطر الثاني : «وخال مقالتي زورا وهجرا » والمعنى : أنه لم يقتنع بما ألقيت أليه من الكلام ، ولم يصدق ماأسديت من النصيحة بل اعتمد على قوته وصلابة عوده وارتكن على ما فيه من بطش فتوهم أني أهذي فلما ثبتت عنده هذه الظنة وقوى في نظره ذلك الوهم كان منه كيت وكيت

(٢) لما نصحه ولم يسكن لنصيحته واستهداه فلم يقبل تقدم الأسد أليه اغترارا منه بقوته وصار نحوه اختيالا بشجاعته وتقدم بشر أليه أعتماداً على شجاعته وركونا ألى ما فيه من حمية وأباء فيالهما من أسدين طلبا مطلباً كان وعرا صعب المنال بعيد التحقق عسير الثبوت أذ أن كل واحد منهما كان يطلب من صاحبه مالا سبيل له ألى تحقيقه ولا قدرة عنده على أجازته ،

هَزَزْتُ لَهُ الْحُسامَ تَخِلْتُ أَنّى سَلَلْتُ بِهِ لَدَى الظَّلْماءِ فَجْرا (١)
وَجُدْتُ لَهُ بِجائِشَةٍ أَرَتْهُ بانْ كَذِبَتْهُ ما مَنَّتْهُ غَدْرا (٢)

وقوله : من أسدين واقع موقع البيان للضميرين في مشى ومشيت تفخيما لشأن كل منهما وتعظيما لما عاد أليه كل واحد منهما (١) هز الحسام : حركه في يده كأنه يجربه ليتهيأ للضرب ، وقد تخيل بريقه ولمعانه كانه فجر سل في الظلماء ، ويروي بدلا عن « سللت » : شققت ، ويعبر عن طلوع الفجر بفلقه وفي التنزيل : (فالق الاصباح) والمعنى : أنى حينما تأكدت من عدم ارعوائه ونفوره من قبول نصيحتي تقدمت اليه باسطا يدى بالحسام الذي يشبه الفجر في اشراقه ويماثله في ضوئه ولا يفترق عنه في لمعانه،ومثل هذا التشبيه قول بشار بن برد :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليل تهاوي كواكبه

(٢) الجائشة : النفس ، قال الشاعر :

أبت لي همتى وأبي بلائى وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وقولى كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

وبشر يتهكم على الاسد ويملىء الزراية به والتهوين من شأنه وتضعيف أمره ، ويقول انى تكرمت عليه بنفس أعلمته وأظهرت له أنها قد غدرت به فيما منته وأطمعته فيها بثباتها بين يديه اذ كذبته تلك الامنية وضيعت عليه ذلك الرجاء وأفلتت من يده أمله الضائع ففتكت به وقهرته وصرعته ، وقد يراد من الجائشة هنا المعنى الوصفى أي بضربة هائجة مضطربة وقد كانت تلك الضربه منته خيبتها وأوهمته عدم أصابتها بهيجان ضاربها فظن عجزا وأخطأ التقدير اذ كان ذلك كله مخاتلة وتغريرا ، ويروى بدلا عن « أرته » : رآها ، كما يروي بعد هذا البيت :

واطّلقتُ المُهنّدَ مِنْ يَمِينِي فقَدَّ لهُ مِنَ الأضلاعِ عشرَا [1]

وجدت بضربة جاءته شفعا بساعد ماجد تركته وترا

فاذا أردنا من الحائشه المعنى الثاني كان ذلك البيت تفسيرا لسابقه ، وان كان المعنى الاول كان لهذا البيت معنى مستقل وكأنه تفصيل لما أجمل في قوله : أرته بأن كذبته مامنته غدرا ، وشفعا : حال من ضمير الاسد في جاءته ، وانما كان الاسد شفعا لانه حين هوت اليه الضربة كان مع أسد آخر وهو بشر ، وأطلاق الشفع على كل من الاثنين جائز لان الشفع يتم بكل منهما والضمير في تركته يعود على الماجد والمعنى أن الضربة لما قتلت الاسد تركت الماجد وهو بشر أسدا فردا وهو الوتر ، ويروي هذا البيت :

بضربة فيصل تركته شفعا لدى وقبلها قد كان وترا

أي انها شطرته نصفين فصار اثنين بعد ان كان واحدا وأضحى شفعا بعد ان كان وترا وهو ظاهر

(١) المهند : السيف الصارم ، والحسام النافذ في ضريبته ، وكانت مواضى السيوف ترد الى العرب من الهند كما كانوا يجلبون رماحهم من الخط ، ولذلك نسبوا ما كان من السيوف بتارا ، قاطعاً ، الي الهند فقالوا : الهندية ، واشتقوا له من هذا اللفظ اسماء فقالوا : المهند . وربما كان هذا اللفظ (المهند) نسبة أيضا اذ أن صيغة فعل (بالتضعيف) تدل على النسبة مثل ماقالوه في قول العجاج :

أزمان أبدت واضحا مفلجا أغر براقا وطرفا أدعجا
وفاحما ومرسنا مسرجا

فانهم يقولون أن مسرجا (بصيغة اسم المفعول من المضعف كمهند) نسبة الي سريج وهو حداد كان يجيد صنع السيوف ، وقد : قطع ، والمعنى أنى بعثت اليه سيفي فأنفذته في اضلاعه فقطع منها عشرا

فَخَـرَّ مُجَدَّلاً بِدَمٍ كأنّي ... هَدَمْتُ بِهِ بِنَاءً مُشْمَخِرًّا [1]
وَقُلْتُ لهُ : يَعِـزُّ عَلَيَّ أنّي ... قَتَلْتُ مُناسِبِي جَلَدًا وَفَخْرَا [2] :

---

(١) خر : سقط ، ومجدلا : مصروعا على الجدالة وهي الارض ، وأصل مأخذ الكلمة منها ، ويروي : مضرجا بدم ، وهي أوضح معني وأظهر ، وذلك لان الرواية الاولى تحوجنا الى توضيح في الكلام وتقدير في نظمه فيقال : خر صريعا مصحوبا بدم أو ملطخا به ونحو ذلك ، والبناء المشمخر : الشامخ العالي الذرى ، المرتفع ، والمعني أنى أنفذت فيه سيفي ، وقطعت أضلاعه فلم تبق فيه قوة يستطيع أن يتماسك بها ، أو يتمالك نفسه من الصرعة والانطراح على الارض فخارت قواه وضعفت همته ، وفترت شدته فهوى الي الارض ملطخا بما سال من دمه مضرجا بالذي أخرجه منه حد سيفي وكأنه حين وقوعه وتهاوي جثته بيت عال قد تهدم فأنت تسمع له دويا وصوتا ، يريد بذلك أن يقول أن الاسد كان ضخم الجثة عبل الشوي صلب الاضلاع ليكون فخاره بقتله ذا مزية وفضل جديرين بالذكر والاشادة بهما ولعل في هذا نوعا من استتباع ذكر صفة لصفة اخري فان وصف الاسد بما ذكر يستتبع وصفه بالتناهي في الشجاعة وبلوغ حد الاقدام

(٢) بعـد أن قتله وأوقعه صريعا وتركه مضرجا بدمائه أخـذ يعتذر له ويذكر الاسباب التي حملته على التنكيل به ويتنصل من تبعة ما وقع منه ، ويعاتبه على المبادرة له بالعدوان ، وكأنه يريد أن يفهمه انه لم يفعل به ذلك الا اضطرارا ونزولا على حكم الدفاع عن النفس وسيرا مع الانفة من الذل واباء الضيم ، ولولا أن في مصانعته له ، وعفوه عنه ، وتركه ، ضياعا عليه ومذلة له واهانة لقدره لكان العفو أيسر ما يفعل معه ، ويعز على : يصعب ، ويشتد

وَلٰـكِنْ رُمْتَ شَيْئًا لَمْ يَرُمْهُ ... سِوَاكَ فَلَمْ أُطِقْ يَا لَيْثُ صَبْرَا [1]
تُحَاوِلُ أَنْ تُعَلِّمَنِي فِرَاراً؟ ... لَعَمْرُ أَبِيكَ قَدْ حَاوَلْتَ نُكْرَا [2]!

على نفسي ، ومناسبى : مشابهي ومشاكلي فى الجلد والثبات وشدة الصريمة وصعوبة المراس، ونخرا : أي مايفخر به من أسباب الفخار ودواعيه كالشجاعة والقوة ونحوهما ، ويروى : قسرا بدلا عن « نخرا » والقسر هو القهر ، ويروى أيضاً : « قهراً » والمعنى : أنه لعزيز على نفسي وشديد ان احتمل مالعله يقال من أنى قتلت أشبه العالمين بى وأنسبهم لي فى صفتي الجلد وقهر النفوس واغتيالها

(١) المعنى : أنك طلبت شيئا لم يستطع أحد في الدنيا أن يطلبه وقصدت أمرا ما كان يدور بخلدي أن يجسر على قصده غيرك ، وابتغيت أن تفترسني وهذا شيء لم يطلبه سواك مني ولهذا وحده كنت مسوقا بحكم الضرورة الى قتلك اذ أني لم أستطع الصبر على هذا الطلب الجائر ، وكيف أصبر على مالم أتعوده

وسيفى كان فى الهيجا طبيبا ... يداوي رأس من يشكو الصداعا
ولو أرسلت رمحى مع جبان ... لكان بهيبتى يلقي السباعا

(٢) النكر — بضم أوله — : المنكر والذي لم تألفه النفس وفى التنزيل : (لقد جئت شيئاً نكرا) ، والمعنى : أنك كنت تطلب وتجتهد في طلبك هذا بكل وسائل التهديد أن تعلمني التولية وتعودني على الفرار وتجعلني آلف الهزيمة ، وأنت فى كل هذا الطلب ، وفي كل هذه المحاولة يستحيل أن تفلح ولا يمكن أن تنال رغبتك اذ أن هذا الطلب غير مألوف لى وليست لى به سابقة

فَلا تَجْزَعْ فَقَدْ لاقَيْتَ حُرّاً ... يُحاذِرُ أنْ يُعابَ فَمُتَّ حُرّا (١)

فإنْ تكُ قَدْ قُتِلتَ فَلَيْسَ عاراً ... فَقَدْ لاقَيْتَ ذا طَرَفَينِ حُرّا (٢)

.فَاماَّ بلَغَتِ الأَبْياتُ عَمَّهُ نَدِمَ على ما مَنَعَهُ تَزْوِيجَها (٣)

---

(١) الجزع : انخلاع القلب وتألم النفس من حادث فظيع أو أمر شنيع ينزل بالمرء فيفقده صوابه ويضيع عليه تجلده وصبره ، ويحاذر : يخشى ، ويعمل جهد طاقته وبمقدار وسعه لئلا يقع ، والمعنى : لا يؤلمك ، ولا تذهب نفسك حسرات ولا تحزن على ما نالك مني ، وأصابك من حد حسامي فان كنت قد هويت فان الذي فعل بك ذلك ، والذي اصطدمت به هو رجل حر كريم خيار يأبى الضيم ولا يقبل الضعة ويرهب الاستكانة فمت بيده حرا كما يموت الشريف الأبي النفس والمقدام الجرئ ، ويروي بدلا عن «فلا تجزع» : «فلا تغضب» « فلا تبعد »

(٢) كأنه يسليه عما أصابه ، ويهون عليه مالقيه منه فيقول له : ان كنت قد قتلت أو يكن المقدور قد ابتلاك بى فذلك بعار عليك ولا هو أمر تلحقك من أجله الضعة ، اذ ليس من الشين بك والحطة من قدرك أن تقتل بيدي أو تخر من ضربة كنت أنا الذى تقدم بها اليك فاني — وأنا قاتلك — رجل ذو طرفين أى أبوين معروفين أصيلين فأنا عريق فى النسب ، شريف الحسب ، كريم النجر ، طيب الاصل ، حر ، وانما العار أن يؤخذ المرء بيد رجل دنيء وما دمنا متكافئين شجاعة واقداما متماثلين شدة وجر فأي ضيم يلحقك وأي أذى ينالك ؟ والحر هنا : الصريح النسب الذى يدخل في نسبه رق ولا شبهة ،

(٣) ما مصدرية أى على منعه تزويجها . وفى نسخة : من تزويجها

وَخَشِيَ أَنْ تَغْتَالَهُ الْحَيَّةُ فَقَامَ فِي أَثَرِهِ وَبَادَهُ وَقَدْ مَلَكَتْهُ سَوْرَةُ الْحَيَّةِ (١) . فَلَمَّا رَأَى عَمَّهُ أَخَذَتْهُ حَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ فَجَعَلَ يَدَهُ فِي فَمِ الْحَيَّةِ وَحَكَّمَ سَيْفَهُ فِيهَا (٢) فَقَالَ :

بِشْرٌ إِلَى الْمَجْدِ بَعِيدٌ هَمُّهُ ... لَمَّا رَآهُ بِالْعَرَاءِ عَمُّهُ (٣)

قَدْ ثَكِلَتْهُ نَفْسُهُ وَأُمُّهُ ... جَاشَتْ بِهِ جَائِشَةٌ تُهِمُّهُ (٤)

قَامَ إِلَى ابْنٍ لِلْفَلَا يَؤُمُّهُ ... فَغَابَ فِيهِ يَدُهُ وَكُمُّهُ (٥)

---

(١) سورة الحية : سطوتها (٢) يظهر من الابيات الآتية انه لف يده في كمه وادخلها فى فم الحية . ويروى بعد فم الحية : وقبض على لسانها وحكم سيفه فيها فقتلها

(٣) الهم هنا : الهمة ، يقال : فلان بعيد الهمة اذا كان طلابا لمعالي الامور . والعراء بالفتح الفضاء لا يستتر فيه بشيء (٤) هذا البيت يشتمل علي حالين من ضمير رآه فالحال الاولى قد ثكلته نفسه وأمه اي رآه وقد اشرف على الهلاك فكان قد ثكلته نفسه اى فقدته هي وامه والحال الثانية جاشت به الخ . وجاشت اى هاجت . والجائشة وصف لمحذوف اي الحية الهائجة . وقوله : تهمه اى تودع الهم والغم قلبه بما توقع به من الشر

(٥) قوله « قام الى ابن » هوجواب لما رآه عمه . وابن الفلا هو الحية . والفلا جمع فلاة وهي الصحراء الواسعة او المفازة لا ماء فيها ، والحيات العظيمة لا توجد الا فى الفلوات لهذا سماها ابناء الفلا ويؤمه يقصده . وقوله : فغاب فيه اى فى فمه

وَنَفْسُهُ نَفْسِي وَسَمِّي سَمُّهُ (١)

فَلَمَّا قَتَلَ الْحَيَّةَ قَالَ عَمُّهُ : إِنِّي عَرَّضْتُكَ طَمَعاً فِي أَمْرٍ قَدْ ثَنَى اللهُ عِنَانِي عَنْهُ (٢) فَارْجِعْ لِأُزَوِّجَكَ ابْنَتِي . فَلَمَّا رَجَعَ جَعَلَ بِشْرٌ يَمْلَأُ فَمَهُ فَخْراً حَتَّى طَلَعَ أَمْرَدُ كَشِقِّ الْقَمَرِ (٣) عَلَى فَرَسِهِ مُدَجَّجاً فِي سِلَاحِهِ فَقَالَ بِشْرٌ : يَا عَمِّ إِنِّي أَسْمَعُ حِسَّ صَيْدٍ . وَخَرَجَ فَإِذَا بِغُلَامٍ عَلَى قَيْدٍ (٤) فَقَالَ : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا بِشْرُ ! انْ قَتَلْتَ دُودَةً وَبَهِيمَةً تَمْلَأُ

---

(١) ضمير المتكلم لبشر لانه المتكلم بالابيات اى أنه حية مثله فنفسه شبيهة بنفس الحية وسمه شبيه بسمه . وسمه هنا سيفه الذى قتل الحية به فكما انه كان مع الاسد اسدا آخر كذلك هو مع الحية حية

(٢) اي اني كنت عرضتك لخطر الهلاك حتى لاازوجك بنتي وقد عطفني الله عن ذلك كما يثنى عنان الجواد الى وجه غير الذي كان يسير اليه

(٣) اي كانه فى بهائه وجماله فلقة من القمر . وقوله : مدججا في سلاحه اي انه لابس سلاحه وكانه مستتر به لاتري العين منه الا السلاح (٤) اى انه خرج لطلب الصيد الذي سمع حسه فاذا بذلك الغلام على قيد رمح منه اي مقدار طول الرمح يعنون بذلك القرب وحذف الرمح لان الكلمة مشهورة معروفة . ويروى : بدل (نخرج فاذا بغلام الخ) فقال الغلام مددت رجلك الى قيد ، وهوجواب من الغلام لقول بشر انى اسمع حس صيد ، وهو اما دعاء عليه بالاسر والوقوع في قبضة قوم يقيدونه او خبر اى ان ماظننته صيدا ليس بصيد بل هو صائد فانت بقولك هذا قد مددت رجلك الى القيد . وقوله : ثكلتك امك يروي : ثكلتك نفسك

ما ضِغَيكَ نخراً (١)؟ أنتَ في أمانٍ إن سلَّمتَ عمَّكَ . فقالَ بِشرٌ : مَنْ أنتَ لا أُمَّ لكَ ؟! قالَ : اليومُ الاسودُ والموتُ الأحمرُ . فقالَ بِشرٌ : ثَكِلَتكَ مَنْ سلَحتكَ (٢) . فقالَ : يا بِشرُ ومَنْ سلَحتكَ . وكَرَّ كلُّ واحدٍ منهُما على صاحِبِهِ . فلمْ يتمكَّنْ بِشرٌ منهُ وأمكَنَ الغلامَ عِشرُونَ طَعنَةً في كُليةِ بِشرٍ كلَّما مَسَّهُ شَبا السِّنانِ حَمَاهُ عَنْ بَدَنِهِ إبقاءً عَلَيهِ (٣) . ثُمَّ قالَ : يا بِشرُ كيفَ تَرَى؟ أليسَ لو أرَدتُ لأطعَمتُكَ أنيابَ الرُّمحِ (٤)؟ ثُمَّ ألقَى رُمحَهُ واستَلَّ سيفَهُ فضَرَبَ بِشراً عِشرينَ

---

(١) الماضغان : اصول اللحيين عند منبت الاسنان لانهما يتحركان عند المضغ بل هما آلته وعلاً الماضغين اى ما بينهما وهو الفم . وقوله : ان قتلت -بفتح همزة ان- : متعلق بتملأ اى أنك تملأ فمك نخرا لان قتلت دودة وهى الحية وبهيمة وهي الاسد . وقوله : انت فى امان الخ: مطالبة له بما لا يمكن ان تسمح به حميته . كيف يسلم عمه بدون قتال؟! (٢) سلحتك رمت بك من بطنها وقذفتك وهى امك فاجابه الغلام اشتم مثل شتمه . فقال : ومن سلحتك يا بشر : اى وثكلتك من سلحتك ايضا (٣) اي ان الغلام قد تمكن من قتل بشر بعشرين طعنة كلها تصيب كليته لكنه كان يمس بدنه بشبا السنان اى طرفه ثم يحميه اي يبعده عنه ويقيه منه ابقاء عليه اى رحمة له واستبقاء لحياته

(٤) اليس الحال والامر اني لو أردت ان اجعلك طعاما لانياب الرمح لاطعمتك اياها ؟ وليس للرمح الا ناب واحد وهو السنان لكنه جمعها باعتبار تعدد الطعنات كأن لها في كل طعنة نابا او أنه شبه الرمح بمفترس له انياب وطواه وأشار اليه بالانياب فهي تخييل محض

ضَرْبةً بِعَرْضِ السَّيفِ وَلَمْ يَتَمَكَّنْ بِشْرٌ مِنْ وَاحِدَةٍ . ثُمَّ قالَ : يابِشْرُ سلِّمْ عَمَّكَ وَاذهَبْ فِى أمانٍ . قالَ : نَعَمْ وَلٰكِنْ بِشَرِيطَةِ أنْ تَقُولَ لى مَنْ أنتَ . فقالَ : أنا ابْنُكَ . فقالَ : ياسُبْحانَ اللّهِ ما قارَنْتُ عَقِيلَةً قَطُّ (١) فأَنى هٰذِهِ الْمِنْحَةُ !؟ فقالَ : أنا ابْنُ الْمَرْأةِ الَّتِي دَلَّتكَ علي ابنَةِ عَمِّكَ . فقالَ بِشْرٌ :

تِلكَ الْعَصا مِنْ هٰذِهِ الْعُصَيَّهْ هَلْ تَلِدُ الْحَيَّةُ إلاَّ الْحَيَّهْ ! (٢)

---

(١) ماقارنت عقيلة : ماتزوجت امرأة كريمة حتى تأتى بغلام كريم مثل هذا

(٢) تلك العصا من هذه العصية : مثل من أمثال العرب أصله « أن العصا من العصية » قال الأصمعى : وأنا أحسبه « العصية من العصا » ألا أن يراد أن الشيء الجليل يكون فى بدء أمره صغيرا كما قالوا : « أن القرم من الأفيل » فيجوز حينئذ على هذا المعنى أن يقال : « العصا من العصية » . قال المفضل : أول من قال ذلك الأفعى الجرهمى ، وذلك أن نزارا حين حضرته الوفاة جميع بنيه : مضر ، وأيادا ، وربيعة ، وأنمارا ، فقال : يابنى هـذه القبة الحمراء — وكانت من أدم — لمضر ، وهـذا الفرس الأدهم والخباء الاسود لربيعة ، وهـذه الخادم — وكانت شمطاء — لأياد ، وهذه البدرة والمجاس لأنمار ، يجلس فيه ، فأن أشكل عليكم كيف تقتسمون فأتوا الافعي الجرهمى ، ومنزله بنجران ، فتشاجروا في ميراثه ، فتوجهوا ألى الافعى الجرهمي ، فبينما هم فى مسيرهم أليه أذ رأى مضر أثر كلأ قد رعى فقال : أن البعير الذى رعى هذا لاعور ، قال ربيعة : أنه لازور . قال أياد : أنه لابتر ، قال أنمار : أنه لشرود ، فساروا قليلا فاذاهم برجل ينشد جمله ، فسألهم عن البعير فقال مضر : أهو أعور ؟

قال : نعم ، قال ربيعة : أهو أزور ؟ قال : نعم ، قال أياد : أهو أبتر ؟ قال : نعم ، قال أنمار : أهو شرود ؟ قال : نعم ، وهـذه — والله — صفة بعيري فدلوني عليه ، قالوا : والله ما رأيناه ، قال : هذا — والله — الكذب ، وتعلق بهم ، وقال : كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيري بصفته ؟ فساروا حتى قدموا نجران فلما نزلوا نادى صاحب البعير : هؤلاء اخذوا جملي ووصفوا لي صفته ثم قالوا لم نره ، فاختصموا الى الافعى — وهو حكم العرب — فقال الافعى : كيف وصفتموه ولم تروه ؟ قال مضر : رأيته رعى جانبا وترك جانبا فعلمت أنه أعور ، وقال ربيعة : رأيت احدى يديه ثابتة الاثر والاخرى فاسدته فعلمت أنه أزور لانه أفسده لشدة وطئه لازوراره ، وقال أياد : عرفت أنه أبتر باجتماع بعره ، ولو كان ذيالا لمصع به ، وقال أنمار : عرفت أنه شرود لانه كان يرعى في المكان الملتف نبته ثم يجوزه الى مكان أرق منه وأخبث نبتا فعلمت أنه شرود ، فقال للرجل ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه ، ثم سألهم : من أنتم ؟ فأخبروه ، فرحب بهم ، ثم أخبروه بما جاء بهم ، فقال : أتحتاجون الي وأنتم كما أري ؟ ثم أنزلهم ، فذبح لهم شاة ، وأتاهم بخمر ، وجلس لهم بحيث لا يرونه وهو يسمع كلامهم ، فقال ربيعة : لم أر كاليوم لحما أطيب منه لولا أن شاته غذيت بلبن كلبه ! فقال مضر : لم أر كاليوم خمرا أطيب منه لولا أن حبلته نبتت على قبر ! فقال أياد : لم أر كاليوم رجلا أسري منه لولا أنه ليس لابيه الذي يدعى له ! فقال أنمار : لم أر كاليوم كلاما أنفع في حاجتنا من كلامنا — وكان كلامهم بأذنه — فقال : ما هؤلاء ألا ألا شياطين ، ثم دعا القهرمان فقال : ما هذه الخمر ، وما أمرها ؟ قال : هى من حبلة غرستها على قبر أبيك لم يكن عندنا شراب أطيب من شرابها ! وقال للراعي : ما أمر هـذه الشاة ؟ قال : هى عناق أرضعتها بلبن كلبة ، وذلك أن أمها قد ماتت ولم يكن فى الغنم شاة ولدت غيرها ، ثم أتى أمه فسألها عن أبيه فأخبرته أنها كانت تحت ملك

وَحَلَفَ لا رَكِبَ حِصاناً وَلا تَزَوَّجَ حَصاناً[1].

كثير المال — وكان لا يولد له — قالت : نخمت أن يموت ولا ولد له فيذهب الملك ، فأمكنت من نفسي ابن عم له كان نازلا عليه ، فخرج الافعى اليوم ، فقص القوم عليه قصتهم ، وأخبروه بما أوصى به أبوهم ، فقال : ما أشبه القبة الحمراء من مال فهو لمضر ، فذهب مضر بالدنانير والابل الحمر فسمى « مضر الحمراء » لذلك ، وقال : وأما صاحب الفرس الأدهم والخباء الاسود فله كل شيء أسود فصارت لربيعة الخيل الدهم فقيل له : « ربيعة الفرس » وما أشبه الخادم الشمطاء فهو لاياد ، فصار له الماشية البلق من الحباق والنقد فسمى « أياد الشمطاء » وقضى لانمار بالدراهم وبما فضل فسمي « أنمار الفضل » فصدروا من عنده على ذلك ، فقال الافعي : (أن العصا من العصية ، وأن خشينا من أخشن ، ومساعدة الخاطل تعد من الباطل) فأرسلهن مثلا ، وخشين وأخشن : جبلان أحدهما أصغر من الآخر ، والخاطل : الجاهل ، والخطل في الكلام : اضطرابه ، والعصية : تصغير تكبير مثل : أنا عذيقها المرجب ، وجذيلها المحكك ، ، والمراد أنهم يشبهون أباهم في جودة الرأي ، وأصالة الفكر ، وسداده ، وقيل : أن العصا اسم فرس كانت لجذيمة بن مالك بن نصر الذي يقال له جذيمة الابرش وجذيمة الوضاح . والعصية اسم أمه يراد أنه يحكي أمه في كرم العرق وشرف العتق ، وقوله في المقامة : (هل تلد الحية ألا الحية) نص مثل آخر ، والمعنى : أنه لا يلد مثل ذلك الغلام الجريء والفتى الفاتك الشجاع ألا مثل بشر وأمه فليس ما رآه منه عجيبا ولا غريب الوقوع ومثل هذا قوله : ومن عضه ما ينبتن شكيرها ، ومثله — أو قريب منه — قول زهير :

وهل ينبت الخطي ألا وشيجه ... وتغرس ألا في منابتها النخل

(١) الحصان — بوزن كتاب — : الفرس ، والحصان — بزنة سحاب —

ثمَّ زَوَّجَ ابنَةَ عَمِّهِ لابنِهِ

المرأة العفيفة وأذا كان لا يريد أن يتزوج العفيفة فهو خليق بألا يتزوج غيرها
والمعنى : أنه حلف أن يحرم نفسه لذة الدنيا ويمنعها من التمتع بطيب الحياة
ليأخذ ابنه من ذلك بنصيب وفير

والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الرسل
وأمام المتقين ، وعلى آله وصحبه وسلم

وهذا آخر ما تيسر لنا من التعليق على مقامات أمير البلاغة ، وسلطان البيان
أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني

وكان الفراغ من تبييضه (للطبع) فى ليلة الاثنين منتصف شهر
جمادى الثانية سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة وألف من
الهجرة النبوية على صاحبها صلاة الله وسلامه
الأتمان الا كملان ألى يوم الدين

صحيفة الشكر

لست عظيما يَشيد الناس بذكري ، ولا أريد أن أضع نفسي فوق موضع أنزلني الله به ، ولا كنت لو أن بي طماعية الى ذلك ، وهذا كتابي أقدمه للناطقين بالضاد وحسبي منهم أن يقدّروا الاخلاص قدره فيعترفوا بما بذلت من جهد ، وما أفرغت من طاقة ، حين لم يكن لاحد سلطان على

ولقد وردتني كلمات في التقريظ من شيوخ الادب ورجال البيان في مصر وكنت أظنني في غنى عنها ، لما تضم جوانحي من الرغبة في البساطة ، والميل عن الالوان والتحاسين ، ولكني أثبت هنا ـ مع جزيل الشكر ـ كلماتٍ كان مصدرها العاطفةَ لا المجاملة ، ومنشؤها الاخلاصَ لا التكلف ، ويكفيني دليلا على ذلك انها ممن اشتهروا عندأ كثر القارئين بالاخلاص وصراحة الضمير ؛ والسلام

محمد محيي الدين

جاءتنا هذه الكلمة من حضرة صاحب الفضيلة زعيم العلماء ، وعالم الزعماء ، الاستاذ الجليل الشيخ عبد المجيد اللبان المفتش العام بادارة المعاهد الدينية ، وعضو البرلمان المصري ولنا مزيد الشرف والفخار باثباتها . قال حفظه الله :

حضرة ولدي العزيز الاستاذ الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد

تحيتي اليك (وبعد) فقد اطلعت على كتابك (شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني) فألفيته جنة أدب يانعة نسقت بفكرة صائبة ، تدل على حسن ذوقك العربي ، وعلو كعبك في سماء الأدب الصافية من غياهب التعقيد والاغراب ، المستنيرة ببدور أفكار الاذكياء ، فسرني منك مايسر الأب الشفيق من آثار الابن البار ، ودلتني بدايتك علي كمال نهايتك ، فأيقنت منك للغة بمستقبل رقي وتهذيب وانتشار وتقريب ، أكثر الله في الأمة من أمثالك الفضلاء ، وجعلك تاج هامهم ، وواسطة عقدهم ، والسلام عليك ، من أخلص الناس اليك ؟

عبد المجيد اللبان

وتلقينا هذه الكلمة من حضرة صاحب الفضيلة العلامة الكبير، رجل العلم والأدب، الاستاذ الجليل الشيخ ابراهيم سليمان الشرقاوى فنذكرها ابتهاجاً بثقة أديب له شرف الزعامة على أدباء هذا العصر . قال أبقاه الله :

الحمد لله خلق الانسان علمه البيان . والصلاة والسلام على أفصح ولد معد بن عدنان ، وأبلغ من كان

(وبعد) فانى تصفحت ما علقه ابن أخي الاستاذ الفاضل الشيخ محمد محيي الدين على مقامات بديع الزمان فوجدته طرفة أديب ، ونبذة لبيب ، دل على ذوق سليم ، ونهج في اللغة مستقيم ، دل خطو مؤلفه فيه على شأوه . وثمره على شجره ، حتى أيقنت أنه بالغ ان شاء الله ما أملته فى مخايل بدايته ، من اشراق فى نهايته ، ونبوغ فى حرفته . أسأله تعالى أن يرفعه الى مستوى خلقه مستمداً له بنشأته ، وكرم نحيزته ، والسلام م

ابراهيم سليمان الشرقاوى

عزيزى الاخ :

باكورة غيثك تنبيء عن سعة اطلاعك ، وأول زرعك حصاد غيرك ، وكتابك هذا يشف عن مقدرتك ، ويسجل لك فى جبين الدهر غرةً بيضاء ، وستكون لك به عند الادباء المنّة العظمى ، لا زال حد عزمك ماضيا ، وزناد أملك واريا والسلام م ؟

المخلص

ابراهيم مرسى بدوى

عزيزي الفاضل :

لقد سبحت بفكرك الثاقب في بحر الأدب فجبت عبابه ، وخطبت عرائس البيان فكانت طوع يمينك ، وهذا كتابك يشهد لك بالعبقرية ، فقد ضمنته جوهرا هو غايتك ودرا هو بغيتك

فسر في طريقك قدوة لأمثالك والسلام ؟

القاهرة يناير سنة ١٩٢٤

ابراهيم السيد موافي
مدرس بمدرسة محمد على الخيريه

عزيزى الاخ

أطلعت على ما جادت به قريحتك الوقادة في شرح مقامات البديع فألفيتها الدرر الغوالى فوق اللبات والنحور والجواهر الثمينة فى السبائك الذهبية ولعمرك أى شىء وراء ذلك وأنت لم تترك بلاغة لبليغ ولا فصاحة لفصيح وما الذى تتطاول أليه الاعناق بعد هذا وقد ضمنته اللآلىء فجاء قلادة فى جيد الدهر ولئن حق لأليف أن يفخر بقرينه فأنا أشد الناس فخارا بك والسلام

على على هلالى

حضرة أخي الاديب الفاضل الشيخ محمد محي الدين

سلام الله ورحمته عليك ، لا زلت بحراً يغترف منه الواردون ، ومنهلا يشرب منه الري والصدى ، وبعد فقد اطلعت علي كتابك (شرح مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني) فاذا هو ــ من غير مغالاة ــ فيه العبقرية الصادقة ، والدرة اليتيمة ، والروضة الغناء ، الدانية قطوفها وكيف لا وهي ثمار الاديب التي تجعل الفقير غنيا والغني متسعاً ، هذا ولا غرو فقد عهدتك منذ الصغر تواقاً الى الأدب ، شغوفاً باقتفاء أثر الأدباء والعمل على منهجهم القويم . ولا زالت كذلك حتى جئت لنا اليوم بما شرح النفوس وأخذ بها الى مستوىً يخلق بالمقدرين للعلم أن يطأطئوا الرؤوس اجلالا لذلك اليراع الفذ بين اخوانه ، وختاما نحض محبي العلم والادب على اقتنائه فان فيه شفاء الغلة والخزانة التي لا تفنى مادتها ، والسلام

ابن عمك

محمد الطاهر أحمد

فهرس شرح مقامات البديع

وقع فى هذه الصحيفة خطأ لفظ « علقب » وصوابه « علقت » وكذا كلمة « ولم أنهج سبيلا غير التي نهجته الخ » والصحيح في مثل هذا « ولم أنهج سبيلا غير التى نهجتها » أو « غير التى نهجت » أو « غير الذى نهجته ـ أو ـ نهجت »

MAQAMAT

BADI'UZ-ZAMAN EL-HAMADANI

WITH COMMENTARY

SHARAFUDDIN & SONS

BOMBAY 9